



فهرس

الجزء الحادى عشر

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندى

صفحة

- الفصل الثانى — من الباب الرابع من المقالة الخامسة فيما يكتب من الولايات عن الملوك، وفيه ثلاثة أطراف ... ٥
- الطرف الأول — فى مصطلح كتاب الشرق ... ٥
- الطرف الثانى — فى مصطلح كتاب الغرب والأندلس فيما يكتب من الولايات عن الملوك، وفيه ثلاثة أشرب ... ٦
- الضرب الأول — ما يكتب لأرباب الوظائف من أصحاب السيوف ... ٦
- الضرب الثانى — ما يكتب لأرباب الوظائف الدينية من أصحاب الأعلام ٢١
- الضرب الثالث — ما يكتب لأرباب الوظائف الديوانية ... ٢٦
- الطرف الثالث — فى مصطلح كتاب الديار المصرية فيما قبل الخلفاء الفاطميين وفيما بعدهم ... ، وفيه أربع حالات ... ٢٨
- الحالة الأولى — ما كان عليه أمر تواب الخلفاء بهذه المملكة إلى ابتداء الدولة الطولونية ... ٢٨
- الحالة الثانية — ما كان عليه أمر الدولة الطولونية من حين قيام دولتهم إلى اقراض الدولة الأخشيدية ... ٢٩
- الحالة الثالثة — ما كان عليه الأمر فى زمن بنى أيوب ... ٣٢
- الحالة الرابعة — مما يكتب عن ملوك الديار المصرية من الولايات ما عليه مصطلح كتاب الزمان بديوان الإنشاء بالديار المصرية مما يكتب عن السلطان لأرباب السيوف والأعلام وغيرهم : من التقاليد والمراسيم، والتفاوض، والتواقيع ، وفيه ثلاثة مقاعد ... ٧٢

صفحة

- المقصد الأول - فى مقدمات هذه الولايات، وفيه مهيان ... ٧٢
- المهيان الأول - فى بيان رجوع هذه الولايات الى الطريق الشرعى ٧٢
- المهيان الثانى - فيما يجب على الكاتب مراعاته فى كتابة هذه الولايات ٧٤
- المقصد الثانى - فى بيان مقاصد ما يكتب فى الولايات، وفيه جملتان ١٠١
- الجلسة الأولى - فى بيان الرسوم فى ذلك [ولم يذكر فى الأصل غيرها]،
وهى على أربعة أنواع... ١٠١
- النوع الأول - التقاليد... ١٠١
- النوع الثانى - المراسيم، وفيه ضربان ... ١٠٧
- الضرب الأول - المراسيم المكبرة ... ١٠٧
- الضرب الثانى - المراسيم المصغرة ... ١١١
- النوع الثالث - التفاوض ... ١١٢
- النوع الرابع - التواقيع، وهى على أربع طبقات ... ١١٤
- المقصد الثالث - فى بيان كيفية وضع ما يكتب فى هذه الولايات فى الورق ١٢٧
- فى ذكر نسخ مما يكتب فى متن الولايات من التقاليد والمراسيم المكبرة
والتفاوض والتواقيع، وهى على ثلاثة أقسام ... ١٣٣
- القسم الأول - ولايات وظائف الديار المصرية، وهى على نوعين ... ١٣٤
- النوع الأول - الولايات بالحضرة، وهى على ستة أشرب ... ١٣٤
- الضرب الأول - ولايات أرباب السيوف، وهى على طفتين ... ١٣٤
- الطبقة الأولى - ذوات التقاليد، وهى ثلاث وظائف ... ١٣٤

صفحة

الوظيفة الأولى — الكفالة، وهي نيابة السلطنة بالحضرة ... ١٣٤

الوظيفة الثانية — الوزارة لصاحب سيف ... ١٤٨

الوظيفة الثالثة — الإشارة، وهي وظيفة قد حدثت كتابتها ولم يمهدها

كتابة في الزمن القديم ... ١٥٣

العابقة الثانية — ممن يكتب له من أرباب السيوف ذوات التواقيع،

وفيا وتلاف ... ١٥٦

الوظيفة الأولى — نظر البيمارستان لصاحب سيف ... ١٥٦

الوظيفة الثانية — نظر الجامع الطولوني ... ١٥٩

الوظيفة الثالثة — نقابة الأشراف ... ١٦٢

الضرب الثاني — ممن يكتب له بالولايات الديار المصرية أرباب

الوظائف الدينية، وهو على طيقتين ... ١٧٤

الطبقة الأولى — أصحاب التقاليد ممن يكتب له بالجناب العالي ... ١٧٤

الطبقة الثانية — من أرباب الوظائف الدينية أصحاب التواقيع،

وتشتمل على مراتب ... ٢٠٤

المرتبة الأولى — ما كان يكتب في النصف ... ٢٠٤

المرتبة الثانية — ما يكتب في قطع الثلث، وتشتمل على وظائف ... ٢٠٤

المرتبة الثالثة — من الوظائف الدينية ما يكتب في قطع العادة الصغير

مفتحا برؤس بالأمر الشريف ... ٢٦٨

صفحة

- الضرب الثالث — من الولايات بالحضرة السلطانية بالديار المصرية
 الوظائف الديوانية، وهى على طبقتين ٣٧٠
- الطبقة الأولى — أرباب التقاليد ممن يكتب له الجناح العالى،
 وفيها وظيفتان ٣٧٠
- الطبقة الثانية — من أرباب الوظائف الديوانية بالحضرة السلطانية
 أصحاب التواقيع، وهم على ثلاث درجات ٣١٦
- الدرجة الأولى — ما يكتب فى قطع النصف، وتشتمل على ثلاث وظائف ٣١٦
- الدرجة الثانية — ما يكتب فى قطع الثلث، وتشتمل على وظائف ... ٣٣٣
- الدرجة الثالثة — ما يكتب فى قطع العادة، وفيها وظائف ٣٥١
- الضرب الرابع — من الوظائف التى يكتب فيها بالديار المصرية مشيخة
 الخواقي، وكلها يكتب بها تواقيع ٣٧٠
- الضرب الخامس — من أرباب الوظائف بالديار المصرية بالحضرة
 أرباب الوظائف العادية، وكلها تواقيع ٣٧٧
- الضرب السادس — من أرباب الوظائف بالديار المصرية زعماء أهل
 الذمة ٣٨٥
- النوع الثانى — ما هو خارج عن حاضرتى مصر والقاهرة من وظائف
 الديار المصرية مما يكتب لأربابها، وهى ثلاث
 جهات ٤٠٥

الجهة الأولى —	نفر الإسكندرية ، والوظائف فيها على ثلاثة أصناف ...	٤٠٥
الصف الأول —	وظائف أرباب السيوف ...	٤٠٥
الصف الثاني —	الوظائف الدينية ...	٤٠٨
الصف الثالث —	الوظائف الديوانية ، وهي على طبقتين ...	٤١٩
الطبقة الأولى —	من يكتب له في قطع الثلث بالمجلس السامى بإيحاء ...	٤١٩
الطبقة الثانية —	من يكتب له في قطع الثلث بالمجلس السامى بشيراء ...	
أو مجلس القاضى ...		٤٢٣
الجهة الثانية —	مما هو خارج عن حاضرتى مصر والقاهرة بالديار ...	
المصرية بلاد الريف ، وهي وجهان ...		٤٢٦
الوجه الأول —	الوجه القبلى ، وهو المعبر عنه بالصعيد ...	٤٢٦
الوجه الثاني —	من وجهى الديار المصرية البحرى ، وهو الشمالى ...	٤٣٨
الجهة الثالثة —	درب المجاز الشريف ...	٤٤٢

(تم فهرس الجزء الحادى عشر من كتاب صبح الأعشى)

صَبْحُ الْأَسْبَةِ

الجزء الحادى عشر

دَارُ الْكِتَابِ السُّلْطَانِيَّةِ

كِتَابُ

صُنْعُ الْأَسَدِ

نَالِقُ

الْشَيْخِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ الْقَلْقَشَنْدَرِ

الجزء الحادى عشر

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب السلطانية

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة
١٣٣٥ هـ
١٩١٧ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وآله وصحبه

الفصل الثاني^(١)

من الباب الرابع من المقالة الخامسة

(فيما يُكْتَب من الِوَلَايَات عن الملوك ، وفيه [ثلاثة] أطراف)

الطَّرَف الأول

(في مصطلح كُتَاب الشرق)

قد تقدّم في الكلام على ما كان يُكْتَب عن الخلفاء أَنَّ الِوَلَايَاتِ في الخلافة العباسية ببغداد كانت تُصَدَّر عن الخلفاء دُونَ الملوك المُسَاهِمِينَ لهم في الأمر ، لَا يُسَارِ كُونَهُمْ في شيء من الِوَلَايَات أصلاً . وقد تقدّم ذكر ما كان يكتب عن خلقائهم من الِوَلَايَات هناك .

والمقصود هنا ما كان يُكْتَب عن ملوك بني جَنْكِرْتَان من البيت الهُولا كوهي فَنَ بَعْدَهُمْ . ولم أَقِفْ على شيء من مصطلحاتهم في ذلك فَأُورِدَهُ هنا .

(١) وقع مهوا في آخر الجزء العاشر أن أول الجزء الحادي عشر "الفصل الثالث" وصوابه "الثاني"

الطَرَفُ الثَّانِى

(فى مصطلح كُتَابِ الْغَرْبِ وَالْأَنْدَلُسِ فيما يُكْتَبُ مِنَ الْوِلَايَاتِ عَنِ الْمُلُوكِ)
 وَأَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ عَمَّا يُكْتَبُ فِي جَمِيعِ وِلَايَاتِهِمْ بِالظُّهَرَاءِ : جَمْعُ ظَهِيرٍ ^(١) ، يَفْتَحُونَهُ
 بِلَفْظِ « هَذَا ظَهِيرٌ » كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى مَا كَانَ يَكْتَبُ عَنْ خُلَفَاءِ الْمَغْرِبِ .
 ثُمَّ هِيَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَضْرَبَ :

الضَرْبُ الْأَوَّلُ

(مَا يَكْتَبُ لِأَرْبَابِ الْوُظَاظِفِ مِنْ أَصْحَابِ السُّيُوفِ)
 وَهَذِهِ نَسْخَةُ ظَهِيرٍ يَبْدَأُ بِهَا السُّلْطَانَةُ بِالْحَضْرَةِ مِنْ إِنْشَاءِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
 الْخَطِيبِ ، وَهِيَ :
 هَذَا ظَهِيرٌ كَرِيمٌ ، مَنَزَّلُهُ فِي الظُّهَرَاءِ مِثْلَ الْمُتَعَمِّدِ بِهِ مِنَ الظُّهَرَاءِ ، وَعَمَلُهُ مِنَ
 الصُّكُوكِ ، الصَّادِرَةِ مِنْ أَعْظَمِ الْمُلُوكِ ، مَحَلُّ أَوَّلِي الرَّايَاتِ ، اخْلَافَةُ الْعَدَابَاتِ ،
 وَالْآرَاءِ . فَتَحَ عَلَى الْإِسْلَامِ ، مِنْ بَعْدِ الْإِبْهَامِ ، أَبْوَابَ السَّرَّاءِ ، وَرَاقَ طِرَازًا مُدْهَبًا
 عَلَى طَائِقِ التَّوَلَّى الْفَرَّاءِ ، وَأَعْمَلَ عَوَامِلَ الْجِهَادِ فِي طَاعَةِ رَبِّ الْعِبَادِ ، شَارِعًا لِأَهْلِ
 الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ ، مِنْ بَابِ الْإِعْمَالِ وَالْإِغْرَاءِ .

أَمْرٌ بِهِ فَلَانٌ لَصْدَرٌ صُنُورٌ أَوْدَاهُ ، وَحُسَامُهُ الْمَشْهُورُ عَلَى أَعْدَائِهِ ، وَوَلِيَّهُ الَّذِي
 خَبَرَ صِدْقَ وَفَائِهِ ، وَجَلَّ فِي مَضَارِ الْخُلُوصِ لَهُ مُعْتَبَرًا فِي وَجْهِهِ أَكْفَانُهُ . شَيْخُ شُبُوحِ
 الْمُجَاهِدِينَ ، وَقَائِدِ كُتَابِهِ الْمَنْصُورَةِ لَفْزُ الْكَافِرِينَ وَالْمُعْتَدِينَ ، وَوَعْدَتِهِ الَّتِي يُدَافِعُ بِهَا
 عَنْ الدِّينِ ، وَسَائِقِ وَرْدِهِ الْمُبَرِّزِ فِي الْمِيَادِينَ ، الشَّيْخُ الْأَجَلُّ الْأَعَزُّ الْأَسْنَى ، الْأَعْبُدُ ،

(١) فِي السَّانِ وَغَيْرِهِ "الظَّهْرُ الْعَوْنُ يَسْتَوِي فِيهِ الْوَاحِدُ وَالْجَمْعُ" . وَقَدْ جَمَعَ الْفَرَّاءُ عَلَى ظُهُرَاءَ . وَفِي شَرْحِ
 الْأَشْمُونِ عَنْ بَعْضِ التَّحْوِيلِ أَنَّهُ يَشْتَرِطُ فِي جَمْعِ فَعِيلٍ عَلَى فَعَالٍ أَنْ يَكُونَ مَعًا لَوْنٌ . فَتَأْمَلُ .

الأُسْعِدِ ، الأَصْعَدِ ، الأَعْنَى ، الأَنْحَى ، الأَحَبِ ، الأَوْصِلِ ، الأَفْضَلِ ، المجاهد ،
الأَقْصَى ، الأرضى ، الأَمْضَى ، الشهيد ، المقدس ، المرحوم أبى عبد الله بدر الدين
أبن شيخ الشيوخ وعلم الأعلام ، المدافع عن حوزة الإسلام ، البعيد الغارة فى نُحُوم
عَبْدَةِ الأَصْنَامِ ، الشيخ الكبير ، الجليل الخطير ، الرفيع ، الصدر ، المعظم ، الموقر ،
صاحب الجهاد الأرضى ، والعزم الأَمْضَى ، المقتس ، المرحوم أبى عمران (موسى)
أبن أبى زيد رحو بن محيو بن عبدالحق بن محيو ، وصلّى الله سَعْدَهُ ، وحَسَّ مَجْدَهُ ،
وبلّغَهُ من مظاهره دولته ومُوَازَرَة خلائقه قَصْدَهُ . رَفَعَ قُبَّة العناية والاختيار
على عِمَاد ، وأَشَادَ بِدَعْوَةِ التَّنْظِيمِ [مُسَمِّعاً ^(١) كُلَّ حَىٍّ وَجَمَادٍ ، وقابل السَّيِّئَ الكَرِيمَ
بِإِحْسَادٍ ، وأورد من الرِّفْرِيفِ مَحْمَدَ ، واستظهر بالوفاء الذى لم تستر ناره برماد ،
ولا قصرت حياته عن بُلُوغِ آماد ؛ وَقَلَّدَ سَيْفَ الجهاد عَاتِقَ الحَسْبِ اللِّبَاسِ ، وأعلق
يدى الاستظهار بأوثق الأسباب ، واستغلظ على الأعداء بأحبِّ الأحباب .
لَمَّا قَامَتْ لَهُ البراهينُ الصَّادِقَةُ على كَرَمِ شَيْخِهِ ، ورُسُوخِ قَدَمِهِ ، وَجَنَى مِنْهُ عند
الشَّدَةِ والتَّحْيِصِ ثَمَرَةٌ مَأْلُوءَةٌ من نِعَمِهِ ، قابل بالرَّغَى كَرَامَتَ ذِمَّتِهِ ، وغَطَّاهُ خِدْمَتُهُ ؛
وَشَدَّ الْيَدَ على عَهْدِهِ الذى عرفه حينَ أَنْتَكَنَتِ الْعُقْدُ وَأَخْلَقَ الْمُعْتَقِدُ ؛ وَأَسْتَأْمَدَ
الْقَدَّ ، وَتَنَكَّرَ الصَّدِيقُ ، وَفَرَّقَ الْفَرِيقُ ، وَشَدَّتْ على النِّظَرَةِ الطَّرِيقُ ، وتميز المغرق
والفریق ؛ فَأَهْوَلَ لَهُ مِيزَانَ المِكَافَاتِ ، وَجَعَلَ لَهُ رِثْمَ المِصَافَاتِ ؛ وَجَعَلَ بَيْنَ الْمُلْكَ
الذى به يَنَاضِلُ ، وَيُقَاتِلُ وَيُؤَاصِلُ ؛ وَسَيْفَ الجهاد ، الذى يَجِى بِمَصَائِهِ حَوْزَةَ
البلاد ، وَرِمَاةِ النُّصْحِ التى تَجْعَلُ بِهَا وَجْهَهُ الرِّشَادَ . فَقَدَّمَهُ - أَعْلَى الله قَدَمَهُ ، وَشَكَرَ

(١) التزادة عن "ريحانة الكتاب" لابن الخطيب .

(٢) التقى بالشرىك السفلى من الناس ، وضرب من الغم قصار الأرجل فباح الوجوه فقال هو أذل من
التقد . أنظر السان .

نعمه ، وأسعده فيما يجمعه ، ونشر بالنصر عله - شيخ الفزاة بحضرته العلية ، وسائر
 بلاد النصره : ترجع القبائل والأشياخ إلى نظره فى السككات ، وتستندز على يده
 من مقامه الكريم غيوم البركات ؛ وتمتزر ومائلها بوساطة خطوته ، وتقصر خطاها
 أعترافا بحق الواجب عن خطوته . فعليه تسور أفلاك جماعاتهم كلك أجمعوا
 وأتلقوا ، وبحجة فضله يزول إشكالهم مهما اختلفوا ؛ ولسانه المبين يقر لهم
 ما أسلفوا ، وفى كنف رعيه ينشأ من أعقابا من النشأة وخلفوا ؛ ويقادهم تنهض
 أقدامهم مهما توقفوا . فهو يسوب كتائبهم الملتفه ، وفرزان قطعهم المصطفه ؛
 وشهم جوارحهم الفاربه ، وعين عيونهم التابه ، وأويل أمورهم المشابهه ؛ عن
 نظره يردون ويصدرون ، وبإشارته يرشون ويرون وآثاره يقتفون ، وبآلة
 دواره الميرخى فى خدمة مقامه النصرى يقتفون . فهو الذى لا تأنف أشراف القبائل
 من آتفائه آثاره ، ولا تجهل رفعة مقداره ؛ فليته المزية بالحق ، المستوجبة للفخر
 بسابقه السعادة لعبد الحق ؛ ولذاته قصب السبق ، ولوفاته الشهرة فى الغرب
 والشرق .

فليتول ذلك - تولاه الله منشراحا بالمر صدره ، مستمدا من شمس سعادته بذره ،
 معروفا حقه معظما قدره ؛ فهى خطة قومه ، وفريسة حومه ، وطية أمسه ويومه ؛
 وكبش خطبته ، وصرى رتبته ؛ وحلى جيده ، ومظهر توفيقه وتسديده . مطبقا من
 عنان الثناء على أهل الثناء ، معاملا بصادق الإطراء ، لنوى الآراء ؛ متفعلا بالإغضاء ،
 هفوات أهل المضاء ؛ معروفا بالقبائل ، والمشار والفصائل ؛ كلك وفدوا من الآفاق
 للاستلحاق ؛ منها على مظان الاستحقاق ، مطبقا للطباق ، مميذا لجيادها يوم السباق ؛
 حريصا على إتمام الأعداد ، مطبقا مقاصل الشراد ؛ محتاطا على الأموال التى تترى

بها أَكُفَّ الجباية ضُرُوعَ العباد، وإضعافاً مَالِ الله حيثُ وضعه أَلْحَقَ من الوَرَعِ
والاستعداد، [لا] سِماً في هذه البلاد؛ حتَّى تعظمَ المَزَايا والمَزَاين، وتتوفرَ الكُتَّابُ
وانخزائن ويتبع السامعُ ويسرُّ المعانين؛ ويظهر الفضلُ على من تقدم، وأنَّ الظُّهراءَ
كَمْ غادرت من متردِّم، ويتحسَّر من قَصْرٍ ويتندَّم، وعند الله يَجِدُ كُلَّ ماقدَم . فهي
قلادة الله التي يُضَيِّعُ مَنْ أضعافها، ويرضى عمن أعمل فيها أوامره وأطاعها . وهو،
- وصلَّ الله سعادته ! وحسن مجادته ! - أوفى من لاحظَ ضرايرها، وأستنظع من
تسأى التوكل على الله بشايرها : نسباً وحسباً، وجبلاً وأباً؛ وحداً وشباً؛ ونجدة
وصحَّت مذهبها .

وعلى الغزاة - وفرَّ الله جموعهم ! وأنجذ تابعهم ومتبوعهم ! - أن يعرفوا قدرَ هذا
التعظيم الذي خفَّتْ أعلامه، ووصَّحتْ أحكامه؛ والاختصاص الذي لطَّفَ محله،
والاعتناء الكريم الذي ضَفَّ ظله؛ فيكونوا من إيجاب حقِّه حيثُ حدَّ ورسم،
وميز ووسم؛ لا يتخلَّف أحد منهم [في خدمته] ^(١) أبده الله عن إشارته الموقَّعة، ولا
يَسُدُّ عن رياسته المطلقة؛ بحول الله تعالى وقُوَّته .



وهذه نسخة ظهير بباية السلطنة ببعض الأعمال، وهي :

هذا ظهير كريم، مضمَّنه استعلاءُ لأُمُور الرِّيايا واستِطلاع، ورعاية كُرمت منها
أجناس وأنواع؛ وصلَّ بَهر منه شُعاع، ووصايا يجب لها إقطاع .

أهدرناه للفقير أبي فلان . لكَّا تهرَّرَ لدينا دينه وعدله وفضله رأينا أنه أحقُّ
من تقلِّده المُلُهم الأَكِيد، ونرى [به] من أغراض البرِّ الغرض البعيد؛ ونستكشف به ^(٢)

(١) في "ريحانة الكتاب" التي لا يضيغ من أضعافها، ويرى ناعها .

(٢) الزيادة من "ريحانة الكتاب" .

أحوال الرعايا حتى لا يئيب عنا شيء من أحوالها، ولا يتطرق إليها طارق من إهمالها،
ويُنهى إلينا الحوادث التي تنشأ فيها إنهاء يتكفل بجياطة إظهارها وأمواها .
وأمرناه أن يتوجه إلى جهة كذا - حاطها الله - فيجمع الناس في مساجدهم، ويندبهم
من مشاهدتهم . ويبدأ بتقرير غرضنا في صلاح أحوالهم، وإحساب آمالهم،
ومكابدتنا المشقة في مُدَاراة غلوهم الذي يعلم من أحوالهم ما غاب عنهم - دفعه الله
بقدرته، ووقا نفوسهم وحريمهم من مكرهه - وبما رأينا من أنبتات الأسباب التي
فيك تؤمل، وعجز الحيل التي كانت تُعمل . ويستدعى إيجادهم بالدعاء، وإخلاصهم
فيه إلى رب السماء . ويسأل عن سيرة القواد، وولاية الأحكام بالبلاد : فنأله
مظلمة فليرفعها إليه، ويقصها عليه : ليلتها إلينا، ويؤفدها مقرة الموجبات علينا .
ويختبر ما أقرض صدقة للجبل، وما فضل عن كريم ذلك العمل : ليعين لبناء
الحصن بجبل قارة يسر الله لهم في إتمامه، وجعل صدقتهم تلك مسك ختامه،
وضمه مما أقرض إعانة للسافرين، وإيجاداً للجهاد الكافرين؛ فيعلم مقداره،
ويتولى اختباراه؛ حتى لا يحصل منه شيء على ضعيف، ولا يعدل به لمشروف
عن شريف، ولا تقع فيه مضايقة ذى الجاه، ولا غشاعة غير المراقب لله . ومتى
تحقق أن غنىه قصّر به فيه عن حقه، أو ضعيفا كلف منه فوق طوقه، فيجبر الفقير
من الغنى، ويجرى من السئل على السنن السوى - ويعلم الناس أن هذه المعونة
وإن كانت بالنسبة إلى محل ضرورتها يسيره، وأن الله يضاعفها لهم أضعافا كثيرة؛
ليست مما يلزم، ولا من المكاون التي بتكررها يُجزم - وينظر في عهود المتوفين
فيصرّفها في مصارفها المتعينة، وطرقها الواضحة البينة - ويتفقد المساجد تفقدا يكسو

عاريها ، ويُسَمُّ منها المَارَبَ [تَمْيَا] يُرِضَى بِأَرِيحَا - وينتَبُ الناس إلى تعليم
القرءان لصبيانهم ، فذلك أصلُ أديانهم . ويحذِّرهم المغيَّب عن كل شيء من
أعشارهم فالزكاة أُخْتُ الصلاة وهما من قواعد الإسلام ، وقد آخَرْنَا لِمَ بِأَقْصَى الْجَدِّ
والإعتِرام ، ورفعنا عنهم رِسمَ التعريف نظراً إليهم بِعِزِّ الأَهِتَامِ ؛ وقدَّمنا الثَّمات
لهذه الأحكام ، وجعلنا الخِصَّ شرعياً في هذا العام ، وفيما بعده إن شاء الله
من الأعوام .

ومن أهم ما أسندناه إليه ، وعوَّلنا فيه عليه ، البحثُ بتلك الأخواز عن أهل
البدع والأهواء ، والسايرين من السبيل على غير السواء ؛ وَمِنْ يُبْزَرُ بفساد السَّعْد ،
وتحريف القُصْد ، والتلُّس بالصُوفِيَّة وهو في الباطن من أهل الفساد ، والذاهِبِينَ
إلى الإبادة وتأويل المَسَاد ؛ والمؤثِّقِينَ بِالنِّسَاء والرجال ، والمتَّبِعِينَ لِمَذَاهِبِ
الضَّلَال . فلهما عَرَّ على مُطَوَّقٍ بالتهمة ، مَبْزَبَشِيءٌ مِنْ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّة ؛ فَلْيَسُدَّ
وَتَأَقَّ شَدَا ؛ وَلْيَسُدَّ عَلَيْهِ سَبِيلَ الْخَلَّاصِ سَدَا ؛ وَيَسْتَرْجِعْ فِي شَأْنِهِ الْمُوجِبَاتِ ،
وَيَسْتَوْعِبِ الشَّهَادَاتِ ، حَتَّى نَنْظُرَ فِي حَمِّ دَائِهِ ، وَنُعَالِجَ الْمَرَضَ بِدَوَائِهِ ؛

فَلْيَتَوَلَّ مَا ذَكَرْنَا نَائِبًا بِأَحْسَنِ الْمَنَاقِبِ ، وَيَقْصِدْ وَجْهَ اللَّهِ وَاجِبًا مِنْهُ جَزِيلَ الثَّوَابِ ،
وَيَعْمَلْ عَمَلًا لَا يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَانَّمْ لِيَجِدَ ذَلِكَ فِي مَوَاقِفِ الْحِسَابِ ؛

وعلى من يقف عليه من القَوَادِ والأَشْيَاحِ وَالْحُكَّامِ أَنْ يَكُونُوا مَعَهُ يَدًا وَاحِدَةً عَلَى
مَا اقْتَرَنَاهُ فِي هَذِهِ الْفُصُولِ : مِنَ الْعَمَلِ الْمَقْبُولِ وَالْعَمَلِ الْمَبْذُولِ . وَمَنْ قَصَرَ عَنْ غَايَةِ
مِنْ غَايَاتِهِ ، أَوْ خَالَفَ مَقْتَضِيَّ مِنْ مَقْتَضِيَّاتِهِ ، فَقَابِهِ عِقَابٌ مِنْ عَصِيٍّ أَمَرَ اللَّهُ
وَأَمَرْنَا فَلَا يُلَوِّنَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ الَّتِي غَرَبَتْ ، وَإِلَى مَصْرَعِ التَّكْيِيفِ جَرَّتْ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .



وهذه نسخة ظهير بالإمرة على الجهاد ، وهى :

هذا ظهير كريم بلغ فيه الاختيار ، الذى عضده الاختيار ، الى أقصى النايه ؛
 وجمع له الوفاق ، الذى خدمه البحث والاتفاق ، والأهلية التى شهدت بها الآفاق ،
 بين نصح الرأى ونصر الرايه ؛ وأنجحت به مقدمات الولاء نتيجة هذه الرتبة السامية
 العلّاء والولايه . وأستظهر من المعتمد به ، على قصده الكريم فى سبيل الله ومنهجه ،
 يلىث من ثبوت أوليائه . شديد الوطأة على أعدائه والنكايه ، وفرع من فروع الملك
 الأصيل معروف الأثوة والإيابه ، لتتضح حجة النصر العزيز والفتح المبين ذى القوة
 المتين بحكمة الآيه ، وتدل بداية هذه الدولة الرافعة لمعالم الدين ، المؤيدة فى الأقوال
 والاتصال بمدد الروح الأمين ، على شرف النهايه .

أصدر حركته وأبرز حركته ، وقدر حده الماضى ورسمه ، عبد الله ، الفنى بالله
 [محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبى الوليد بن نصر]^(١) - عضد الله كتابه وشده عضده ،
 ويسر فى الظهور على أعداء الله قصده لوليه المستولى على ميادين خطوته وإيثاره ،
 الفاضل بالقدح الملى من إجلاله وإكباره ، ظهير أستنصاره ، وسيف جهاده المعند
 لصدق ضريته ويوم اقتضاه ، ويسووب قبائل الفزاة بأصقاعه الجهادية وأقطاره ؛
 الأمير أبى عبد الرحمن ، ابن الأمير أبى على ، ابن السلطان أمير المسلمين أبى سعيد ،
 ابن أمير المسلمين أبى يوسف يعقوب بن عبدالحق - وصل الله له أسباب سعده ،
 وأنجز للمسلمين بمظاهرة إياه على الكافرين سابق وعده ، لك وقد على بابه الكريم

(١) فى ربحانة الكتاب « بلغ فيه الاختيار والنايه والاختيار الى » الخ .

(٢) الزيادة "من الربحانة" .

(١) مؤثراً على ما كان بسبيله عن جواره، ملقياً بحملة الجهاد عصاً تسياره، مفضلاً ما عند الله على رجب أوطانه وأقطاره؛ شمية من أسرع إلى خير الآخرة يبدّره، قبل اكتمال هلاله وإبداره، وعلى أنبياء أمله وترأى هممه وأستقامة مداره - قابل أيدى الله وغادته بالقبول المندوح، والصّذر المشروح، والعناية العالية المظاهر والصّروح؛ وجعل له الشرب المُنهى في مناهل الصنائع التي صنع الله للملكة والفتوح؛ ولم ينجح عنه تقريباً يقف الأولياء دون مداه، وترفعاً تشهد به محافل الملك ومداه؛ إلى أن ظفرت بحقيقة الموالاتة الكريمة يذاه، ثم أمتظهر به على أعداء الله وعيداه، فوق النصح لله وأذاه، وأضمره وأبداه، وتحلّى بالسالة والجلالة والطهارة، اللامعة بمصيب الإمامة، في رواجه ومعداه؛ حتى آخفت الأهواء على فضله وعقابه، وكال أوصافه وظهرت عليه محافل أسلافه . ثم رأى الآن - سدد الله رأيه، وشكر عن الإسلام والمسلمين سعيه - أن يوفد ركائب الاعتقاد الجميل على جنابه، ويُفسّح ميدان الاستظهار بمحسن متابه، ويوصل أسبابه بأسبابه؛ ويضاعف بولائه الصادق اهتمامه، ويقيمَه في قود عساكره لجهاد البرّ مقامه؛ فأضفى ملابس ودّه عليه، وجعله فاتح أبواب الجنة بفضل الله بين يديه؛ وأجراه مجرى عضده الذي تصدق عنه الضريبة في الجبال، وسيفه الذي يُفرّج به مضائق الأحوال؛ ونصبه للقبائل الجهادية قبلة في مناصحه الله ومناصحه مشروعه، ورأية سعيته في مظاهرة متبوعه؛ وعقد له الولاية الجهادية التي لا تمُتلّ بولايه، ولا توازنُ عناية المعتد بها بعنايه؛ يشهد بصراحة نسبها الدين، وتحلّى بمجلى غرّتها الميادين . فالجهاد في سبيل الله نحلة نبي الأُمّة، ومن بعده من الأئمّة؛ لاسيّما في هذا القطر المتأكد فيه ذلك لأوليّ الدين والهمّة .

(١) لله "مؤثراً له على ما كان يشغله عن جواره" تأمل .

فليتولَّ ذلك تَوَلَّى مثله وإن قلَّ وجودُ مثله ، جاريًا على سَنَنِ مجيده وفضله ، سائرًا من رضا الله على أَوْفَحِ سَبِيلِهِ ، معتمدًا عليه فى الأمر كُلِّهِ .

وَلْيَعْلَمْ أَنَّ الذى يَخْلُقُ ما يَشَاءُ وَيَخْتَارُ قَدْ هَيَّأَ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ رَشْدًا ، وَسَلَّكَ بِهِ طَرِيقًا سَدِيدًا ، وَأَسْتَعْمَلَهُ الْيَوْمَ فِيمَا يُحِيطُ بِهِ غَدًا ، وَجَعَلَ حَقَّهُ الذى عَوَّضَهُ نُورًا وَهُدًى ، وَأَبْعَدَ لَهُ فى الصَّالِحَاتِ مَدًى - وَلْيَنْظُرْ فِيمَا لَدَيْهِ مِنَ الْقِبَائِلِ الْمُؤَفَّرَةِ ، وَالْجُمُوعِ الْمُؤَيَّدَةِ الْمَنْصُورَةِ ؛ نَظَرًا يُزِيحُ الْعِلَلَ ، وَيُبَلِّغُ الْأُمَلَ ، وَيَرْغَى الْهَمَلَ ، وَيُحَسِّنُ الْقَوْلَ وَيُجَسِّعُ الْعَمَلَ ، مِنْهَا عَلَى أَهْلِ الْفَنَاءِ وَالْإِسْتِحْقَاقِ ، مُسْتَدِيرًا لِلْعَوَائِدِ وَالْأَرْزَاقِ ، مَعْرِفًا بِالْغُرَبَاءِ الْوَارِدِينَ مِنَ الْآفَاقِ ، مُطِيقًا مِنْهُمْ لِلطَّعْبِاقِ ، مُتَعَدِّدًا لِلْهَفَوَاتِ بِحَسَنِ الْأَخْلَاقِ ، مُسْتَجِيدًا لِلْأَسْلُحَةِ وَالْكَرَّاعِ ، مُبَادِرًا هَيْعَاتِ الصَّرِيحِ بِالْإِنْشِرَاحِ ، مُسْتَرْجِعًا لِلشُّورَةِ الَّتِي يَفِيقُ الْحُكْمَ فِيهَا عَنْ حَصُولِ الْإِجْمَاعِ ، رَافِقًا بِمَنْ ضَعُفَ عَنْ طَوْلِ الْبَاعِ ، غَتَاطًا عَلَى الْإِسْلَامِ فى مَوَاقِفِ الدَّفْعِ ، مُقَدِّمًا عِنْدَ أَتْمَاجِ الْأَطْلَاحِ ، صَابِرًا فى الْمَضَاقِ عَلَى الْقِرَاعِ ، مُتَقَدِّمًا لِلْأَبْطَالِ بِالْأَصْطِنَاعِ ، مُقَابِلًا نَصَائِحَ أُولَى الْجَلْبَةِ بِحُسْنِ الْإِسْتِمَاعِ ، مُسْتَعِيلًا فى الْحُرُوبِ مَا أَجَازَهُ الشَّرْعُ مِنْ وُجُوهِ الْخِلْدَانِ ، حَتَّى يَكُونَتْ عَمَلُهُ وَفَّقَ شُهْرَتُهُ الْبَعِيدَةِ الْمَطَّارِ ، وَسِرَّتُهُ فِيمَا أَسْنَدَ إِلَيْهِ مَثَلًا فى الْأَقْطَارِ ، وَاسْتِقَامَةُ التَّسْدِيرِ عَلَى يَدَيْهِ ذَرِيسَةً إِلَى إِرْغَامِ أَنْوْفِ الْكُفَّارِ ، بِقُوَّةِ اللَّهِ وَحَوْلِهِ ، وَعِزَّتِهِ وَكَوْلِهِ .

وعلى الثَّغَرَةِ بِالْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ ، وَسَائِرِ الْبِلَادِ النَّصْرِيَّةِ ، مِنْ بَنِي مَرْيَمَ ، وَسَائِرِ الْقِبَائِلِ الْمَجَاهِدِينَ ، أَنْ يَعْرِفُوا قُدْرَهُ ، وَيَمْتَثِلُوا فى مَرْضَاتِنَا أَمْرَهُ ، وَيَكُونُوا مَعَهُ رُوحًا وَبَدَا

(١) السدد التصدد والاستقامة والسدد أيضا مقصور من السداد - انظر اللسان .

(٢) الحمل اسم جمع لامل لأن فاعلا لا يكرمل فعل ونظيره راح وروح - انظر اللسان .

(٣) الكراع كخراب جباة الخيل - والحجة الصوت تفرع منه وتنفاه من عدو - انظر التماموس .

وَجَسَدًا، وساعداً وعَضُدًا؛ فَبِذَلِكَ يَشْمَلُهُ من الله ومن مَقَامِنَا الرضا والتَّوْبُول، والعَرْزُ الموصُول، ويُمَضَّى في عَزْوِ الله التَّصْوِيل، ويتأبَّى على خير الدنيا والآخرة الحُصُول، إن شاء الله . وَمَنْ وَقَفَ عَلَيْهِ، فليَعْرِفْ مَالِدِيهِ بِمَجْهولِ الله تَعَالَى .



وهذه نسخة ظهير بالتقدمة على الطبقة الأولى من المجاهدين، لولد السلطان،

وهي :

هذا ظهيرٌ كَرِيمٌ، فَاتَّحَ بنشر الألوية والبُنُود، وقَوْدَ العساكر والجُنُود؛ وأَجَالَ في مِيدَانِ الوجود، جِيَادَ البأس والجُود؛ وَأَضْفَى سِتْرَ الحِمَايةِ والوقايةِ بِالتَّهَامِ والتَّجُود، على الطامنين والعَاكِفِينَ والرَّكْعِ السُّجُود-عَقْدَ لِمَتَمِدِّ بِهِ عَقْدَ التَّشْرِيفِ والقِدرِ المُنِيفِ زَاكِيَ الشُّبُود؛ وَأَوْجَبَ المُنَافَسَةَ بين مَجَالِسِ السُّرُوجِ وَمَضَاجِعِ المُهُود، وبَشَّرَ السُّيُوفِ في التُّغْمُود، وَأَنْشَأَ رِيحَ النُّصْرَةِ آمِنَةً من التُّخُود-أَمْضَى أَحكَامَهُ، وَأَنهَدَ العِزَّ أَمَامَهُ، وَقَتَّعَ عن زَهْرِ السُّرُورِ والجُبُورِ أَحكَامَهُ، أَمِيرُ المُسْلِمِينَ عبد الله محمد ابن مولانا أمير المُسْلِمِينَ أَبِي المِحْجَاجِ يَوْسُفَ ابْنَ مَوْلَانَا أَمِيرِ المُسْلِمِينَ أَبِي الوليدِ فَرَجِ بْنِ نَصْر-أَيَّدَ الله أَمْرَهُ، وَخَلَّدَ ذِكْرَهُ-لِكَبِيرِ وَلَدِهِ، وَسَابِقِ أَمَدِهِ، وَرِيحَانَةِ خَلْدِهِ، وَيَاقُوْتَةَ المَلِكِ عَلَى يَدِهِ؛ الأَمِيرُ الكَبِيرُ، الطَّاهِرُ الظَّاهِرُ، الأَعْلَى، وَاسِطَةُ السَّلَكِ، وَهَلَالُ سَمَاءِ المُلُكِ، وَمِصْبَاحُ الظُّلُمِ الحُلُكِ، وَمِظْنَةُ العَنَاءِ الإِلَهِيَّةِ من مَذَبِ القُلُوكِ وَمُجَرِّى القُلُوكِ؛ عُنْوَانِ سَعِيدِهِ، وَحُسَامِ نَصْرِهِ وَعَضْدِهِ؛ وَسميَ جَدُّهُ، وَسُلَالَةُ فَضْلِهِ وَبِحِدَّةِ السَّعِيدِ، المَظْفَرُ، أَهْمَامُ، الأَعْلَى، الأَمْضَى، العَالِمُ، العَاوِلُ، العَامِلُ، الأَرْضَى، المَجَاهِدُ، المُوْتَلُّ، المَعْظَمُ، أَبِي المِحْجَاجِ يَوْسُفَ-أَبْسَهُ الله من رِضَا عَنْهُ حَلَالًا لَا تُخْلَقُ جِلَّتْهَا الأَيَّامُ، وَلَا تَبْلُغُ كُنْهَهَا الأَفْهَامُ؛ وَبَلَّغَهُ في خَدَمَةِ المَبَالِغِ الَّتِي يُسَرِّبُهَا الإِسْلَامُ، وَتَسْتَبِجُ في بِحَارِ صَنَائِعِهَا الأَقْلَامُ، وَحَرَسَ

معاليه الباهرة بينه التى لاتتأتم، وكفنه بركنه الذى لا يُضام - فهو الفرع الذى جرى بمحصله على أصله، وأرسم نصره فى نصره، واشتمل جُده على فضله، وشهدت ألسنِ خلاله، برِفعة جلاله، وظهرت دلائل معاديه، فى بده كل أمر وإعادته .

ولما صرَف وجهه إلى ترشيحه لاقتراحِ هِضابِ المجدِ البعيدِ المدى، وتوشيحهِ بالصبرِ والحلمِ والبأسِ والنسدى، وأرهفَ منه سيفًا من سيوفِ الله لضربِ هامِ العدا، وأطلعه فى سماءِ الملكِ بذر هدى، لمن راحَ وغدا، وأخذَه بالآدابِ التى تُقيمُ من النفوسِ أودا، وتُبشِّرُ فى اليومِ فتُجنى غدا، ورقاه فى رتبِ المصالى طورا فطورا، ترقى النباتَ ورقًا ونورا، ليجده بحولِ الله يداً باطشةً على أعدائه، ولسانا مجيباً عندِ نِدائه، وطراراً على حُلَّةِ عليائه، وعماماً من عمامِ آلائه، وكوكباً وهاباً بسمائه . وعقد له لواءَ الجهادِ على الكتيبةِ الأندلسيةِ من جُنده، قبل أن ينتقل من مَهْدِه، وظلَّه بِصَاحِ رايته، وهو على كُتْدِ دايته ^(١)، واستركبَ جيشَ الإسلامِ ترحيماً بوفادته، وتنوياً بمجادته، وأثبتَ فى غرضِ الإمارةِ النصريةِ منهم معاديه - رأى أن يزيدَه من عنايته ضُروبا واجناسا، ويُنْبِيعَ أثره ناسا فناسا، قد اختلفوا لسانا ولباسا، وأتفقوا ابتغاءَ لمرضاةِ الله والتماسا، ممن كرمَ أئمتَّاه، وأزَّيَّنت بالحسبِ الفرساؤه، وعُرفَ غناؤه، وتأسسَ على المجادةِ بناؤه، حتى لا يدع من العنايةِ فتاً إلا جلبه إليه، ولا مقاداةَ تغر إلا جعلها فى يديه، ولا حُلَّةَ هن إلا أضفى ملابسها عليه .

وكان جيشُ الإسلامِ فى هذه البلادِ الأندلسيةِ - آمِنَ الله غلاماً، وسَكَنَ زُرَّالها، وصَلَّى فى رحمةِ الله التى وسعت كل شىءِ آمالها - كَلَّفَ هِمَّتِه، ومَرَعَى

(١) الكتد بفتح التاء وكسرهما أعل الكتف والآية الفخر، أنظر اللسان .

(٢) لعله الآخر وفى ريجانة الكتاب «الخالمس» .

أَذِنَتْهُ ؛ وَبَسَدَانِ جِيَادِهِ ، وَمَتَعَلَّقُ أَمْدِ جِهَادِهِ ، وَمِعْرَاجُ إِرَادَتِهِ ، إِلَى تَحْصِيلِ سَعَادَتِهِ ؛ وَسَبِيلُ خِلَالِهِ ، إِلَى بُلُوغِ كَمَالِهِ ؛ فَلَمْ يَدَعْ لَهُ عِلَّةً إِلَّا أَزَاحَهَا ، وَلَا طَلِبَةً إِلَّا أَجَلَّ قِدَاحَهَا ، وَلَا عَزِيمَةً إِلَّا أَوْرَى أَقْتِنَادَهَا ، وَلَا رَغْبَةً إِلَّا قَسَحَ سَاحَهَا ، أَخَذَا مُرُوءَتَهُ بِالْتِهَانِ ، وَمَصَافَهَ بِالْتَرْتِيبِ ، وَأَمَالَهُ بِالتَّقْرِيبِ ، وَتَأَنَّنَى بِالْمُرِيبِ ، مُسْتَعِزًّا لَهُ وَبِهِ وَعَدَّ النُّصْرَ الْعَزِيزَ وَالْفَتْحَ الْقَرِيبَ ؛ وَرَفَعَ عَنْهُ لِهَذَا الْعَهْدِ نَظْرَ مَنْ حَكَّمَ الْأَعْرَاضَ فِي حِمَاتِهِ ، وَأَسْتَشْفَرَ عُرُوقَ الْحَسَانِ لِشَرِيفِ كُنَاتِهِ ؛ وَاشْتَغَلَ عَنْ حُسْنِ الْوَسَاطَةِ لَمْ يَهْمِلْهُ ذَاتِهِ ، وَجَلَبَ جُبَاتِهِ ، وَتَقَدَّرَ مَالَهُ وَتَوَفَّرَ أَقْوَاتِهِ ، ذَاهِبًا أَقْصَى مَذَاهِبِ التَّعْمِيدِ بِأَمْدِ حَيَاتِهِ ؛ فَأَنْفَرَجَ الضُّيْقُ ، وَخَلَّصَ إِلَى حَسَنِ نَظَرِهِ الطَّرِيقُ ، وَسَاغَ الرِّيقُ ، وَرَضِيَ الْفَرِيقُ .

رَأَى - وَاللَّهِ الْكَفِيلُ بِتُحُّجِّ رَأْيِهِ ، وَشُكْرِ سَمْعِهِ ، وَصَلَةِ حِفْظِهِ وَرِعِيهِ - أَنْ يُجَمِّدَ لَمْ أَخْتَارِهِ ، وَيُحَسِّنَ لِسِيهِمْ آثَارَهُ ؛ وَيُسْتَنْبِطَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ سِيُوفِ جِهَادِهِ ، وَأَبْطَالَ جِلَادِهِ ؛ وَنُحْمَاءَ أَحْوَارِهِ ، وَأَلَاتَ أَمْتِرَازِهِ ، مَنْ يَجْرَى تَجْرَى نَفْسِهِ الْفَيْسَةِ فِي كُلِّ مَعْنَى ، وَمَنْ يَكُونُ لَهُ لَفْظُ الْوَلَايَةِ وَلَهُ - أَيْدِيهِ اللَّهُ الْمَعْنَى ؛ فَقَدَّمَهُ عَلَى الْجَمَاعَةِ الْأُولَى كُبْرَى الْكُتَّابِ ، وَمَقَادِ الْجَنَابِ ؛ وَأَجَمَةَ الْأَبْطَالِ ، وَمُزْنَةَ الْوَدْقِ الْمَهْطَالِ ؛ الْمَشْتَمِلَةَ مِنَ الْغَزَاةِ عَلَى مَشْبِخَةِ آلِ يَعْقُوبَ نُسَبَاءِ الْمُلُوكِ الْكَرَامِ ، وَأَعْلَامِ الْإِسْلَامِ ؛ وَسَائِرِ قِبَائِلِ بَنِي مَرْيَمَ ، يُبَوِّثُ الْعَرِينَ ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَصْنَافِ الْقِبَائِلِ ، وَأَوَّلَى الْوَسَائِلِ ؛ لِيُحَوِّطَ بِجَمَاعَتِهِمْ ، وَيَرْفَعَ بِتَفَقُّدِهِ إِضَاضَتَهُمْ ، وَيَسْتَخْلَصَ لَهُ وَلَآئِيهِ - أَيْدِيَهُ اللَّهُ - طَاعَتَهُمْ ؛ وَيُسَرِّفَ بِإِمَارَتِهِ مَوَاكِبَهُمْ ، وَيَزِينُ بِهَلَالِهِ النَّاهِضَ إِلَى الْإِرَارِ ، عَلَى فَلَكَ سَعَادَةِ الْأَفْدَارِ ، كَوَاكِبَهُمْ ؛ تَهْدِيماً أَشْرَقَ لَهُ وَجْهَ الدِّينِ الْخَنِيفِ وَتَهْلُلَ ، وَأَحْسَنَ بِاقْتِرَابِ مَا أَتَمَّلَ ؛ فَلَحْخَلِ أَخْيَالِ وَمِرَاحَ ، وَلَلَّاسَلِ السُّمُرَ أَهْتَازُ وَآرْتِيَا ، وَلِلْصُّدُورِ أَشْرَاحَ ، وَلِلْأَمَلِ مَغْدَى فِي فَضْلِ اللَّهِ وَمِرَاحَ .

فليتول ذلك - أسعده الله - قوتى مثله من أسرة الملك أسرته، وأُسرة النبي صلى الله عليه وسلم أسرته، والملك الكريم أصل لفرعه، والنسب العربى مفتخر لطيب طبعه، أخذوا أسراهم بترفع المجالس بنسبة أقدارهم، مقرباً حُسن اللقاء بإيثارهم، شاكرًا غناهم، مستديمًا شأعهم، مستندراً لأرزاقهم، موجباً للزينة بحسب استحقاقهم؛ شافعا لديه فى رَغباتهم المؤمَّلة، ووسائلهم المتحمَّلة، مسهلاً الإذن لوَفودهم المتلاحقة، مُتفقاً لبضائهم النافقة؛ مؤنسا لقراباتهم، مستجيباً لأحوال أهلهم وآبائهم، مميّزا بين أَعْضالهم ونَبهاتهم .

وعلى جماعتهم - رعى الله جهادهم، ووَقّر أعدادهم - أن يطيعوه فى طاعة الله وطاعة أبيه، ويكونوا يداً واحدة على دِفَاع أعادى الله وأعاديه؛ ويُسَدُّوا فى المواقف الكريمة أزره، ويمتثلوا نَهيه وأمره؛ حتى يعظم الاستفعا، ويُنْمِر الدِّفاع، ويخلص القصد لله والمطاع؛ فلو وجد - أيده الله - ظاية فى تشريفهم لبلَّغها، أو موهبة لسوّفها؛ لكن ما بعد ولده العزيز عليه مذهب، ولا وراء مباشرتهم بنفسه مرَّغب؛ والله منجى الأعمال، ومبَلِّغ الآمال، والكفيل بسعادة المآل .

فمن وقف على هذا الظهير الكريم فليعلم مقدار ما تضمنته من أمرٍ مُطاع، وغفر مستند إلى إجماع، ووجوب آتباع، وليكن خير مرعى لغير راع، بحول الله .

وأقطعهم - أيده الله - لِيَكُونَ بعض المَدَد لأزواد سفره، ويماط قفره، فى جملة ما أولاه من نعمه، وموَّضه من مواد كرمه - جميع القرية المنسوبة إلى عَرَب غُصَّان : وهى الحسلة الأثيره، والمترلة الشهيرة؛ تتطلق عليها أيدي خُدّامه ورجاله،

جاريةً تَجَرُّ صالح ماله ، محترمةً من كل وظيف لاستغلاله ، إن شاء الله فهو المستعانُ سبحانه ، وكتب في كتابه .



وهذه نسخةٌ ظهر لمشيخة الفُرَاة بمدينة مَالَقَة ، وهو :

هذا ظهر كريمٌ أطلع الرضا والقُبُولَ صباحا ، وأنشأ العناية في جَوْ الوجود ،
من بعد الرُّكود ، رِيَاحا ، وأوسع العيون قُوَّة [وإبصارا] ^(١) والصُّدُورَ أنشراحا ، وهيا
للتَّعَمُّد به مَقْدَى في السَّعادة ومَرَّاحا ، وهَمٌّ منه سَيْفا عتيقا يفوق اختيارا و يروى
أَتْبَاحا ، وولَّاه رياسة الجهاد في القَطْر الذي تقدَّمت الولاية فيه لَسَلْفِه فنال
عزًّا شهيرا وأزْدَاد نفرا صُرَّاحا ، وكان ^(١) [له] ذلك إلى أبواب السَّعادة مفتاحا .

أمر به وأفضاه ، وأوجب العمل بحسبه ومقتضاه ، الأمير عبد الله محمد ابن مولانا
أمير المسلمين ، والمجاهد في سبيل رب العالمين ، أبي الحجاج [يوسف] ^(١) ابن مولانا
أمير المسلمين ، أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر - أيد الله أمره وأعز نصره ،
وأسعد زمانه وغضره - لوليه في الله الذي كساه مولاه من جميل اعتقاده حُلَّلا ،
وأورده من صنْب رضاه مَنَهلًا ، وعرفه عوارِف قبوله مَقْصُلا خطاها ومَجْمَلا ،
الشيخ أبي العلا ، إدريس ، أبن الشيخ أبي سعيد عثمان ، بن أبي الملا وصل
الله أسباب سعادته ، وحرس على مجادته ، وأجره من ترفيع المكانة لديه على [أحد
عادة سلفه] ^(١) وعادته .

(١) الزيادة من "ريانة الكتاب".

(٢) في ريانة الكتاب «أكاف» .

ولما كان له القدر الجليل، والمجد الأثيل، والذكر الجليل، والفضائل التي كرم منها الإجمال والتفصيل، وأحرز قصص السبق بذاته وسلفه إذا ذكر المجد العريض الطويل، وكان قد أعمل الرحلة إليه يحدوه إلى خدمته التاميل، ويهوى به الحب الذي وضع منه السبيل، وعاق عنه الواقع الذي تبين فيه عذره الجليل، ثم خلصه الله من ملكة الكفر انخلاص الذي قام به على عنايته الدليل - قابله بالقبول والإقبال، وفتح له ميدان الرضا رحب المجال، وصرف إليه وجه الاعتداد بمضائه رائق الجبال، سافراً عن بلوغ الآمال، وآواه من خدمته إلى ربوة مقسمة الأرجاء وارفة الغلال، وقطع عنه الأطلع بمقتضى همته البعيدة المتسال. ثم رأى - والله ينجح رأيه، ويشكر في سبيل الله عن الجهاد سعيه - أن يستظهر بمضائه، ويرسل عليه عوارف آلائه، ويعمر به رتب آياته. فقدمه - أعلى الله قدمه، وشكر^(١) [آلاه] ونعمه - شيخ الفزاة والمجاهدين، وكبير أولى الدفاع عن الدين، بمدينة (مالقة) حرمها الله أخت حضرة [دار] ملكه، وثانية الثرة الثمينة من سلكه؛ ودار سلفه وقرارة مجده، والأفقي الذي تألق منه نور مسعده؛ راجعاً إليه نظر القواعد الغريبة رنة وركوان (٩) وما إليه رجوع الاستقلال والاستيراد، والعز الفسيح المجال البعيد الآماد، يقود جميعها إلى الجهاد، عاملاً على شاكلة مجده في الإصدار والإيراد، حتى يظهر على تلك الجهات المباركة آثار الحماية والبسالة، ويمود لها عهد المجادة والجلالة، وتترين ملابس الإيالة. وهو يعمل في ذلك الأعمال التي تليق بالجد الكريم، والحسب الصميم، حتى يموعد الجاه، ويكف البأس أكف الفزاة ويعظم أثر الأبطال الكجاء، وتظهر ثمة الاختيار، ويشمل الأمن جميع الاقطار، وتخصم عنه أطلع الكفار.

(١) الزيادة من "الرياسة".

وعلى من يقف عليه من القُربان بوقر الله أعدادهم ، وأعرّ جهادهم - أن يكونوا
ممثلين في الجهاد لأمره ، عارفين بقدره ؛ مُبْضِينَ فيما ذُكِرَ لحكمه ، واقفين عند حده
ورسمه . وعلى من سواهم من الرعايا والخدام ، والولاء والحكام ، أن يعرفوا قدر
هذا الاعتناء الواضع الأحكام ، والبر المشرق القسام ، فيعاملوه بمقتضى الإجلال
والإكرام ، والترفع والإعظام . على هذا يُعتمد ، وبحسبه يعمل ؛ بحول الله وقوته .

الضرب الثاني

(من ظهائر بلاد المغرب ما يكتب لأرباب الوظائف الدينية
من أصحاب الأقسام)

وهذه نسخة ظهير يقضاه الجماعة بالحضرة ، وهو :

هذا ظهير كريم أنتج مطلوب الاختيار قياسه ، ودلّ على ما يرضى الله عز وجل
آلتماسه ، وأطلع نور العناية يحلو الظلام يترأسه ، وأعتد بمثابة العدل من عرف
بافتراق هضبتها بأسه ، وألقى بيد المتعبد به زمام الاعتقاد الجميل تروق أنواعه
وأجناسه ، وشيد مبنى العز الرفيع في قنة الحسب المنيع وكيف لا والله بانيه
والمجدد أساسه .

أمر به ، وأمضى العمل بمقتضاه وحسبه ؛ أمير المسلمين أبو الحجاج ابن مولانا
أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر - أيد الله أمره ، وخلد نوره - لقاضي حضرته العلية ،
وخطيب حمرائه السلية ؛ المخصوص لديه بتفريع المزية ، المصروف إليه خطاب
القضاة بزيائته النصريه ؛ قاضي الجماعة ، ومصروف الأحكام الشرعية المطاعة ؛
الشيخ أبي الحسن ابن الشيخ أبي محمد بن الحسن وصل الله سعاده ،

وَحَرَسَ مَجَادَتَهُ ، وَسَقَى مِنْ فَضْلِهِ إِرَادَتَهُ . عَصَبَ مِنْهُ جَبِينَ الْمَجْدِ بِسَاحِ الْوِلَايَةِ ،
وَأَجَالَ قِدَاحَ الْأَخْتِيَارِ حَتَّى بَلَغَ الْغَايَةَ وَتَجَاوَزَ النِّهَايَةَ ، فَالْتَمَى مِنْهُ بَيِّينَ عَرَابَةِ الرَّايَةِ ،
وَأَحْلَهُ مِنْهُ حَمْلَ اللَّفْظِ مِنَ الْمَعْنَى وَالْإِعْجَازَ مِنَ الْآيَةِ ، وَحَشَرَ إِلَى مِرَاعَاةِ تَرْفِيعِهِ وَجُودَهُ
الرِّبِّ وَأَعْيَانَ الْعَنَاءِ ، وَأَنْطَقَ بِتَبْجِيلِهِ ، أَلْسُنَ أَهْلِ جِيلِهِ ، بَيْنَ الْإِنْفِصَاحِ وَالْكَيْثَانَةِ .

وَمَا كَانَ لَهُ الْحَسَبُ الَّذِى شَهِدَتْ بِهِ رَوَاقَاتُ النَّوَائِينِ ، وَالْأَصَالَةُ الَّتِى قَامَتْ
عَلَيْهَا صِحَاحُ الْبَرَامِينِ ، وَالْآبَاءُ الَّذِينَ أَعْتَرَتْ بِمُضَاءِ قُضَائِهِمُ الدِّينَ ، وَطَبَّقَ مَفَاصِلَ
الْحُكْمِ بِسُيُوفِهِمُ الْحَقِّ الْمُبِينِ ، وَأَزْدَانُ بِمَجَالِسَةِ وَزَرَائِهِمُ السَّلَاطِينِ : فَمِنْ فَارِسِ مُحْكَمِ
أَوْحِيكِمْ تَدْبِيرِ ، أَوْ قَاضٍ فِي الْأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ وَوَزِيرِ ، أَوْ جَامِعٍ بَيْنَهُمَا جَمْعَ سَلَامَةٍ
لَا جَمْعَ تَكْسِيرِ ، تَمَسَّدَ ذَلِكَ وَأَطْرَدَ ، وَوَجَدَ مَشْرِعَ الْمَجْدِ صَدْبًا قَوْرَدَ ، وَقَصَّصَتْ
النُّظْرَاءُ عَنْ مَدَاهِ فَانْفَرَدَ ، وَفَرَى الْفِرَى فِي يَدِ الشَّرْعِ فَأَشْبَهَ السَّيْفَ الْفِرْدَ ، وَجَاءَ
فِي أَعْقَابِهِمْ مُخَيِّمًا لِمَا دَرَسَ ، بِمَا حَقَّقَ وَدَرَسَ ، جَانِبًا لِمَا بَدَّرَ السَّلَفُ الْمُبَارَكُ
وَأَغْتَرَسَ ، طَاهِرَ النَّشْأَةِ وَقَوْرَهَا ، مَحْمُودَ السَّيِّئَةِ مَشْكُورَهَا ، مَتَمَحِّلًا بِالسَّكِينَةِ ،
حَالًا مِنَ التَّزَاهَةِ بِالْمَكَانَةِ الْمَكِينَةِ ، سَاحِبًا أَذْيَالَ الصُّونِ ، بَعِيدًا عَنِ الْإِنْصَافِ
بِالْفَسَادِ مِنَ لَدُنِ الْكَوْنِ ، نَخْطِبْتُهُ انْخُطَطَ عَلَيْهِ ، وَأَغْتَبَطْتُ بِهِ الْمَجَادَةَ الْأَوَّلِيَّةَ ،
وَأَسْتَعْمَلْتُهُ دَوْلُهُ الَّتِى تَرْتَادُ أَهْلَ الْفَضَائِلِ الرَّتَبَ ، وَتَسْتَظْهَرُ عَلَى الْمَنَاصِبِ بِأَبْنَاءِ
الثَّقَى وَالْحَسَبِ ، وَالْفَضِيلِ وَالْمُحَدِّ وَالْأَدَبِ ، مِمَّنْ يَجْمَعُ بَيْنَ الطَّارِفِ وَالتَّالِدِ وَالْإِرْتِ
وَالْمَكْتَسَبِ ، فَكَانَ مَعْدُودًا مِنْ عُدُولِ قُضَائِيهَا وَصُدُورِ نُبْهَاتِهَا ، وَأَعْيَانَ وَزَرَائِيهَا ،
وَأَوَّلِي آرَائِيهَا .

فَلَمَّا زَانَ اللَّهُ خِلَافَتَهُ بِالتَّحْيِصِ ، الْمَتَجَبَّلِ عَنِ التَّخْصِصِ ، وَخَلَصَ مُلْكُهُ
الْأَصِيلَ كَالنَّهْبِ الْإِبْرِيزِ مِنْ بَعْدِ التَّخْلِصِ ، كَانَ مِنْ صَحْبِ رُكَاةِ الطَّالِبِ لِلْحَقِّ

(١) يُقَالُ طَبَّقَ السَّيْفَ إِذَا أَصَابَ الْمُقْبِلَ فَأَبَانَ الضَّرَبَ . انظر اللسان .

بَسَيْفِ الْحَقِّ ؛ وَسَلَكَ فِي مَظَاهِرِهِ أَوْضَعَ الطَّرِيقِ ، وَجَادَلَ مَنْ حَادَّهُ بِأَمْضَى مِنْ
الْحِدَادِ الدُّنَى ، وَأَشْهَرَ خَبْرَ وَقَاتِهِ بِالْقُرْبِ وَالشَّرْقِ ؛ وَصَلَّى بِهِ صَلَاةَ السَّفَرِ وَالْحَضَرِ ،
وَالْأَمْنِ وَالْحُدْرِ ؛ وَخَطَبَ بِهِ فِي الْأَمَاكِنِ الَّتِي بَعْدَ بَذْرِ اللَّهِ عَهْدَهَا ، وَخَاطَبَ
عَنْهُ - أَيْدَهُ اللَّهُ - الْمُخَاطَبَاتِ الَّتِي حُمِدَ قَصْدُهَا ؛ حَتَّى أَمْسَقَتْ مُلْكُهُ فَوْقَ سَرِيرِهِ ،
وَأَتَبَّحَ مِنْهُ الْإِسْلَامَ بِأَمِيرِهِ وَأَيِّنَ أَمِيرِهِ ، وَنَزَلَ السُّتْرَ عَلَى الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ بِبِرْكَةِ إِمَالَتِهِ
وَيُثْنِ تَدْيِيرِهِ ، وَكَانَ الْجَلِيسَ الْمُقَرَّبَ الْمُحَلَّ ، وَالْحَفِظَ الْمَشَاوِرَ فِي الْعَقْدِ وَالْحَلِّ ؛
وَالرَّسُولَ الْمُؤْتَمَنَ عَلَى الْأَسْرَارِ ، وَالْأَمِينَ عَلَى الْوُظَائِفِ الْكِبَارِ ؛ مَزِينٌ الْمَجْلِسِ
السُّلْطَانِيَّ بِالْوَقَارِ ، وَمُتَحِفٌ الْمَلِكَ بِغَرِيبِ الْأَخْبَارِ ؛ وَخَطِيبٌ مِنْبَرَهُ الْعَالَى فِي الْجُمُعَاتِ ،
وَقَارِئُ الْحَدِيثِ لَدَيْهِ فِي الْمَجْتَمَعَاتِ .

ثُمَّ رَأَى - أَيْدَهُ اللَّهُ - أَنْ يُشْرِكَ رِعِيَّتَهُ فِي نَفْعِهِ ، وَيَصْرِفَ عَوَامِلَ الْحُظُوفِ
إِلَى مَزِيدِ رَفْعِهِ ، وَيُجْلِسَ مَجْلِسَ الشَّارِعِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ لِإِبْضَاحِ شِرْعِهِ ،
وَأَصْلِهِ الْوُثُوقِ وَفُرْعِهِ ؛ وَقَدَّمَهُ - أَعْلَى اللَّهِ قَدَمَهُ ، وَشَكَرَ آلَاءَهُ وَنِعَمَهُ - قَاضِيًا فِي الْأُمُورِ
الشَّرْعِيَّةِ ، وَفَاصِلًا فِي الْقَضَايَا الدِّيْنِيَّةِ ؛ بِمَحْضَةِ غَرَاظَةِ [الْعَلِيَّةِ] حَرَمِهَا اللَّهُ تَعْدِيمَ
الْإِخْتِيَارِ وَالْإِسْتِثْنَاءِ ، وَأَبْقَى لَهُ نَفَرَ السَّلَفِ عَلَى الْخَلْفِ وَأَقَامَ بِمُتَمَعِهِ بِطُولِ الْبَقَاءِ .

فَلْيَتَوَلَّ ذَلِكَ عَادِلًا فِي الْحُكْمِ ، مُهْتَدِيًا بِنُورِ الْعِلْمِ ، مُسَوِّيًا بَيْنَ الْخَصُومِ حَتَّى
فِي لَحْظِهِ وَأَلْفَاتِهِ ، مُتَصَقِّيًا مِنَ الْحِلْمِ بِأَفْضَلِ صِفَاتِهِ ، مُهَيِّبًا بِالَّذِينَ ، رَعُوفًا بِالْمُؤْمِنِينَ ؛
مَسْجُلًا لِلْعُقُوقِ ، ضَرِيبًا فِي رِضَا الْخَالِقِ بِسُخْطِ الْمَخْلُوقِ ؛ جَزَلًا فِي الْأَحْكَامِ ،
مُجْتَهِدًا فِي الْفَصْلِ بِأَمْضَى حُكْمٍ ، مُرَاقِبًا لِقَدَرِ عَزِّ وَجَلٍّ فِي التَّقْصِ وَالْإِبْرَامِ ، بَارًا
بِمَشِيخَةِ أَهْلِ التَّوْبِيقِ ، عَادِلًا إِلَى سَعَةِ الْأَقْوَالِ عِنْدَ الْمَضْيِقِ ، سَائِرًا مِنْ مَشْهُورِ
الْمَذْهَبِ عَلَى أَهْدَى طَرِيقٍ - وَأَوْصَاهُ بِالْمَشُورَةِ الَّتِي تَهْدِي إِلَى تَحْلُوحِ زِنَادِ التَّوْفِيقِ ، وَالتَّثَبُّتِ

حتى يُبلّج قياس التحقيق؛ وصية أصدرها له مَصْدَرُ الدِّكْرِ التى تنفع، ويُعلي الله بها الدَّرَجَاتِ ويرفع، وإلا فهو عن الوصاة غنى، وقصدُه قصدُ سُنِّيٍّ؛ والله عز وجل ولى إعانتَه، والكفيلُ يحفظه من الشُّبُهَاتِ وصيَّانته .

[وأمره - أيده الله - أن ينظر فى الأجاس على اختلافها، والأوقاف على شتى أصنافها^(١)] والى التامى التى أنشدت كَفَالَةُ الْقَضَاءِ على ضِعَافِهَا . فيُؤدُّ عنها طَوَارِقَ الْخَلَلِ، ويُجَرِّى أُمُورَهَا بما يتكفل لها بِالْأَمَلِ .

وَلْيَعْلَمْ أَنَّ الله عز وجل يراه، وَأَنَّ قَلَّتِ الْحِكْمُ تُمَادُّهُ المراجعة فى أُنْعَاهِ، فيُدْرِجُ جَنَّةَ تَقْوَاهِ، فسبحان من يقول: ﴿إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾ .

فعلى مَنْ يَقِفُ عليه أن يعرف حقَّ هذا الإجلال، صائناً منصبه عن الإخلال، مبادراً أمره الواجب بالاعتكاف، بحول الله .

وكتب فى الثالث من شهر الله المحرم فاتح عام أربعة وستين وسبعمائة، عَرَفَ الله فيه هذا المَقَامَ العَلِّىَّ عَوَارِفَ النُصْرَةِ المَبِينِ والْفَتْحِ القَرِيبِ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ، فهو المستعان لآرب غيره .



وهذه نسخة ظهير بقضاء الجماعة بالحضرة أيضا، وهو :

هذا ظهير كَرِيمٌ أَعْلَى رُتَبَةِ الْاِحْتِفَاءِ [والاِحْتِفَالِ] اِخْتِيَارًا وَاِخْتِبَارًا، وَأُظْهِرَ مَعَايِىَ الْكَرَامَةِ وَالْخُصْمِصِ اِتِّفَاقًا وَأَصْطِفَاءً وَإِثَارًا، وَرَفَعَ لَوَاءَ الْجَلَالَةِ عَلَى مَنْ أَشْجَلَ عَلَيْهَا حَقِيقَةَ اِخْتِبَارًا، وَرَفَعَ فى دَرَجَاتِ الْعِزِّ طَائِفَةً عِلَاءَ بَهْرِ اِنْوَارِهِ، وَدِينًا كَرِيمًا فى الصَّالِحَاتِ اِتِّفَاقًا وَزَكَا فى الْأَصَالَةِ نِيَّارًا، وَخُلُوصًا إِلَى هَذَا الْمَقَامِ الْعَلِيِّ السَّعِيدِ

(١) الروايات من ربحانة الكتاب، وفتح العليب ص ٧٣ ج ٣ .

راقٍ إظهاراً وإعترافاً. أمر به وأمضاه، وأخذ العمل بحكمه ومقتضاه، فلان للشيخ
القاضي، العدل، الأرضي، قاضي الجماعة وخطيب الحضرة العلية، الخصوص
لدى المقام العلى بالخطوة السنية والمكانة الحفيفية، الفاضل، الحافل، الكامل،
الموقر، المبرور أبي الحسن ابن الشيخ الفقيه، الوزير، الأجل، الأعز، المساجد،
الأسنى، المرتفع، الأخفل، الأصح، المبارك، الأكل، الموقر، المبرور، المرحوم
أبي محمد بن الحسن - وصل الله عزَّته، ووالى رفعتَه ومبرَّته، وهب له من صلة
العناية الربانية أمله وبُقيته - لَمَّا أصبح في صدور القضاة العلماء مُشاراً إلى جلاله،
مستنداً إلى معارفه المخصوصة بجلاله، مطرّاً على الإفادة العلمية والأدبية بحاسنه
البديعة وخصاله، محفوقاً مقعد الحكم النبوي بركة عدالته وفضل جلاله، وحلّ
في هذه الحضرة العلية المحلّ الذى لا يرقاه إلا عِزُّ الأعيان، ولا يتوّه مهاده إلا مثله
من أبناء التجدد الثابت الأركان، وموالى العلم الواضح البرهان، والمبرزين بالماثر العلية
في الحُسن والإحسان. وتصدّر لقضاء الجماعة فصدرت منه الأحكام الراجحة
الميزان، والأنظار الحسنة الأثر والبيان، والمقاصد التى وقت بالفاية التى لا تُستطاع
في هذا الميدان؛ فكم من قضية جلا بمعارفه مشكلها، ونازلة مبهمه فتح بإدراكه
مُفعلها، ومسالمة مُهمله عرّف نكبتها وقدر مهملةا؛ حتى قوت بعد الله وجرالته
العيون، وصدقت فيه الآمال النابضة والظنون، وكان في تصديره لهذه الولاية
المُعظمى من الخير والخيرة ماعسى أن يكون - كان أحق بالتشجيع لولايته وأولى،
وأجدد بمضاغة النعم التى لا تزال تترادف على قدره الأعلى.

فلذلك أصدر له - أيده الله - هذا الظهير الكريم مشيراً بالترفع والتنويه، ومؤكداً
للاحتراف الوجيه، وقسمة - أعلى الله قدره، وشكر نعمة - خطيباً بالجامع الأعظم

[من حضرته] ^(١) - عمره الله بذكره - من طيبة الخطباء، و كبار العلماء، و خيار الفقهاء الصلحاء، فليقول ذلك في جمعاته، مظهرا في الخطبة أثر بركته وحسناته، عاملا على ما يقرب به عند الله من مرضاته، و يُظفره بجزيل مثوباته، بحول الله وقوته .

الضرب الثالث

(ما يكتب لأرباب الوظائف الديوانية)

وهذه نسخة ظهير بالقلم الأعلى المعبر عنه في بلادنا بكتابة السر؛ وهى :

هذا ظهير كريم نصب للتعهد به الإنافة الكبرى ببابه فرقه، وأفرد له مثلوا المرح جمعته وورثه وشفعه، وقربه في إساط الملك تقريبا [أرغم به أنف عذاه ووضعته] ^(٢)، وفتح له باب السعادة وشرعه، وأعطاه لواء القلم الأعلى فوجب على من دون رتبته، من أولى صناعته، أن يتبعه؛ ورعى له ونسبته السابقة عند استخلاص الملك لآبائه الله من يد الفاصب وأقرعه، وحسبك من ذمام لا يحتاج إلى شيء معه .

أمر به الأمير فلان لفلان - وصل الله سعادته، وحرس مجادته - أطلع له وجه العناية أبهى من الصبح الوسيم، وأقطعته جناب الإنعام الجميم، وأشقه أريج الخطوة حاطر النسيم، ونقله من كرسي التدريس والتعليم، إلى مرقي التنويه والتكريم، والرتبة التي لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم؛ وجعل أقالمه جيادا لإجلالة أمره العلى، وخطاه السنن، في ميادين الأقاليم؛ ووضع في يده أمانة القلم الأعلى، جارا من

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب".

(٢) في الريحانة «نصب المشد به الأمانة» الخ وهو انصب بالمقام .

(٣) من "ريحانة الكتاب".

الطريقة المثلى، على النهج القويم، وأخصه بمزية الشفوف على كُلب بابه الكريم .
لما كان ناهض الوكر في طلبة حضرته من البدايه ، ولم يزل تظهر عليه لأولى التميز
تحاول هذه العناية : فإن حضر حلق العلم جلّى في حلبة الحفاظ إلى الغايه ، وإن نظم
أو تثرأى بالقصائد المصقوله ، والمحاطبات المنقوله ، فاشتهر في بلده وغير بلده ،
وصارت أزمه العناية طوعَ يده ، بما أوجب له المزيّة في يومه وفِده .

وحين ردّ الله عليه ملكه الذى جبره جناح الإسلام ، وزين وجوه البالي
والأيام ، وأدال الضياء من الظلام ، وكان ممن وثقه الوفاء وقهره ، ونجم الملك
عُودَ خلوصه وخبره ، فحمد أثره ، وشكر ظاهره ومضمّره ، واستصحب عليّ ركابه
الذى سحّب اليمن سَفَره ، وأخلصت الحقيقة نَفَره ، وكفل الله ورده وصَدْره ،
مميّز القبيح ، حسن الغريب ، خالصاً في الأحوال المريبه ، ناطقاً عن مقامه
بالمحاطبات المعجيه ؟ وأصلاً إلى المعاني البعيدة بالعبارات القريبه ، مبرزاً بالخدم
الغريبه ، حتى استقام العباد ، ونطق بصدق الطاعة الحى والجناد ، ودخلت
في دين الله أفواجا العباد والبلاد ، لله الحمد على نعمة الثرة العباد ، والآية المتواليه
الترداد - رعى له - أيده الله - هذه الوسائل وهو أحق من يرعاها ، وشكر له الخدم
المشكور مسماعها ، فقصر عليه الرتبة الشماء التى خطبها بوقائه ، وألبسه أثواب
أعنته ، وفتح له مجال الآله ، وقدمه - أعلى الله قدسه ، وشكر نعمه - كاتب البشر ،
وأمر النهى والأمر ، بتقديم الاختبار ، والاعتباط بحمده الحسنة الآثار ، والتبني
باستخدامه قبل الحلول بدار الملك والاستقرار ، وغير ذلك من موجبات الإيتار .

فلينزل ذلك عارقاً بمقداره ، مقتفياً لآثاره ، مستعيناً بالكتم لأسراره ، والإيضطلاع
بعظام أموره ويكاره ، متصفاً بما يتجمل من أمانته وعفائه ووقاره ، معطياً هذا الرسم

حقه من الرياسة ، حارقاً بأنه أكبر أركان السياسة ؛ حتى يتأكد الاعتباط بتقريره وإدائته ، وتوفر أسباب الزيادة فى إعلانه ؛ وهو - إن شاء الله - غنى عن الوصاة فهما نافعاً ، وأدباً لعيون الكمال مراقباً ؛ فهو يعمل فى ذلك أقصى العمل ، المتكفل ببلوغ الأمل .

وعلى من يقف عليه : من حملة الأعلام ، والكُتاب الأعلام ، وغيرهم من الكافة والانداد ، أن يعرفوا قدر هذه العناية الواضحة الأحكام ، والتقديم الراجح الأقدام ؛ ويوجبوا ما أوجب من البر والإكرام ، والإجلال والإعظام ؛ بحول الله وقوته ، وكتب فى كذا .

الطـرف الثالث

(فى مصطلح كُتاب الديار المصرية فيما قبل الخلفاء الفاطميين

وفى بعدهم إلى زماننا)

وفيه أربع حالات :

الحالة الأولى - ما كان عليه أمر قُواب الخلفاء بهذه المملكة إلى ابتداء الدولة الطولونية .

ولم يكن لديوان الإنشاء بالديار المصرية فى هذه الملة صرف عناية ، تقاصراً عن التشبه بديوان الخلافة ، إذ كانت الخلافة يومئذ فى غاية العزِّ ورفعة السلطان ؛ ونيابة مصر بل سائر النيابات مضمحلة فى جانبها ، والولايات الصادرة عن القُواب فى نياباتهم متصاغرة متضائلة بالنسبة إلى ما يصدر من أبواب الخلافة من الولايات ، فلذلك لم يقع مما كتب منها ما تتوفر الدواعى على نقله ولا تصرف الهيئتين لتدوينه مع تناول الأيام وتوالي الليالي .

الحالة الثانية — ما كان عليه أمر الدولة الطولونية من حين قيام دولتهم إلى انقراض الدولة الأخشيدية .

وقد تقدم أن أحمد بن طولون أول من أخذ في ترتيب الملك وإقامة شعار السلطنة بالديار المصرية . ولما شتم سلطانه ، وأرفع بها شأنه ، أخذ في ترتيب ديوان الإنشاء لما يحتاج إليه في المكتبات والولايات ، فاستكتب ابن عبد كان ، فأقام متار ديوان الإنشاء ورفع مقداره ؛ وكان يفتح ما يكتبه عنه في الولايات بلفظ « إن أولى كذا » أو « إن أحق كذا » وما أشبه ذلك .

وهذه نسخة عهد كتب به ابن عبد كان عن أحمد بن طولون بقضاء برقة ترشد إلى ما عداها من ذلك وهي :

إِن أَحَقَّ مِنْ آثَرِ الْحَقِّ وَعَمِلَ بِهِ ، وَرَاقِبَ اللَّهُ فِي سِرِّ أَمْرِهِ وَجْهَهُ ، وَأَحْتَسِرَ مِنَ الزَّيْغِ وَالزَّلَلِ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ ، وَعَمِلَ لِمَعَادِهِ وَرَجَعْتِهِ ، إِلَى دَارِ فَاتَتِهِ وَفَقَرِهِ وَمَسْكَتِهِ ، مَنْ جُعِلَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ حَاكِمًا ، وَفِي أُمُورِهِمْ نَاضِرًا : [فأراق^(١) السماء وحققها ، وأسأل الفروج وسرحها ، وأعطى الحقوق وأخذها ؛ ومن علم أن الله تبارك وتعالى سألته عن مثقال الذرة من عمله ، وأنه إنما يتقلب في قبضته ، أيام مدته ، ثم يخرج من دنياه نكروجه من بطن أمه ، إما سعيداً بعمله وإما شقياً بسمه .

وإِنَّا لِمَا وَقَفْنَا عَلَيْهِ مِنْ سَدِيدِ مُذْهَبِكَ وَقَوِيمِ طَرِيقَتِكَ ؛ وَجَمِيلِ هَدْيِكَ وَحُسْنِ سِيرَتِكَ ؛ وَرَجَوْنَاهُ فَيْكَ ، وَقَرَّرْنَاهُ عِنْدَكَ : مِنْ سُؤْلِكَ الطَّرِيقَةَ الْمُنْتَهَى ، وَأَقْتَضَا أَتَارِئَهُ الْهَدْيَ ، وَالْعَمَلَ بِالْحَقِّ لِبَالِهَوَى — رَأَيْنَا تَهْلِيلَكَ الْقَضَاءِ بَيْنَ أَهْلِ قَفَرِ بَرْقَةٍ ، وَأَعْرَانَاكَ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي لَا يُسْجِرُهُ مِنْ طَلَبٍ ، وَلَا يُهَوِّتُهُ مِنْ هَرَبٍ — وَبِطَاعَتِهِ الَّتِي مِنْ آثَرِهَا

(١) يابض في الأصل والتصحيح من المقام .

سعيد، ومن عجل بها مُجد، ومن لزمها نجاء، ومن فارقها هوى - وأنت تُواصل
الخلوس لمن يحضرك من الخُصوم : صابرا بنفسك على تنازعهم فى الحقوق،
وتدافعهم فى الأمور؛ غيرَ يرم بالمراجعات ، ولا تَجِر بالمُحاجات : فإن من حاول
إصابة فصل القضاء ، وموافقة حقيقة الحكم بغير مادة من حُلم ، ولا معونة من
صبر ، ولا سُهمة من كَظْم ، لم يكن خليقا بالظفر بهما ، ولا حقيقا بالدرك لهما -
وأن تقسيم بين الخصمين إذا هتما إليك ، وجلسا بين يديك ، فى لحظك ولغظك ،
وتوفى كل واحد منهما قِسمه من انصافك وعَدلك ؛ حتى يتأس القوي من ميئك ،
ويأمن الضعيف من حيفك : فإن فى إقبالك بنظرك وإصفاك بسمعك إلى أحد
الخصمين دون صاحبه ما أضل الآثر عن مُجته ، وأدخل الحيرة على فكره ورويته -
وأن تُحضر مجلس قضائك من يُستظهر برأيه ، ومن يرجع إلى دين ورجاء وتقى :
فإن أصبت أهلك ، وإن أسيبت ذكرك - وأن تقسدى فى كل ما تُعمل فيه
رويتك ، وتُضى عليه حكمك وقضيتك ، بكتاب الله الذى جعله صراطا مستقيما ،
وتورا مستبيناً ؛ فشرع فيه أحكامه ، وبين حلاله وحرامه ، وأوضح به مشكلات
الأمر ، فهو شفاء لما فى الصدور . وما لم يكن فى كتاب الله جل وعز نصه
فإن فيما يؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم حُكمه ، وما لم يكن فى حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم أقتفيت فيه سبيل السلف الصالح من أئمة الهدى رضى الله
عنهم الذين لم يألوا الناس اختبارا ، ولا أدخروهم نصيحة واجتهادا ؛ علم أنك
أسعد بالعدل ممن تعدل عليه ، وأحظى بإصابة الحق من نصيبه فيه : لما تتعبد له
من جميل أهدوته وذِكْره ، ويُذخر لك من عظيم ثوابه وأجره ، ويُصرف عنك من
حُوب ما تنقلده ووزره - وأن يكون الذين تحكم بشهادتهم [من أهل الثقة فى أديانهم ،
والمعروفين بالأمانة فى معاملاتهم ، والموسومين بالصدق فى مقالاتهم ، والمشهورين

بالتقدم في مآلاتهم : فإنك جاعلهم بين الله وبينك في [كل] كلام تُبديره ، وحكم
تُبرمه ؛ وحقيق بأن لا ترضى لنفسك منهم إلا بما يرضى منك ، وتعلم أن ذلك هو
الصدق ، وأنت قد ألبيت عُذرك في تحيُّرهم ، فإنه يعلم أن ذلك هو الصدق من بينك ،
والصحة من يقينك ، تحسن عليه موثقتك ، ويحضرك التوفيق في جميع أفضيتك -
وأن يكون من تستعين به على المسألة عن أحوال هؤلاء الشهود ومذاهبهم ،
وما يُعرفون به وينسبون إليه في رحلهم ومسالكهم أهل الورع والأمانة ، والصدق
والصيانة - وأن تجد المسألة عنهم في كل مرة ، وتفحص عن خبرهم في كل قضية ؛
ثم لا يمتنع وقوفك على سقوط عدالة من تقدمت بتدليله من استقبال الواجب
في مثله ، واستعمال الحق في أمره - وأن تُشير على أعوانك وأصحابك ، ومن تجرى
أمورك على يديه من حفاظك وأسبابك ، إشرافاً يمنعهم من الظلم للرجس ، ويقبض
أيديهم عن المآكل الرديئة ، ويدعوهم إلى تقويم أودعهم ، وإصلاح فاسدهم ، ويزيد
في بصيرة ذوى الثقة والأمانة منهم ، فن وقفت منه على أمثال المنهك ، وقبول
لأدبك ، واقتضايها يتقلده لك ، أقررت وأحسن مكافأته ومثوبته ، ومن شيمت
منه حيفاً في حكمه ، وتعدى في سيرته ، وبسطا ليد إلى ما لا يجب له ، تقدمت
في صرفه ، وألزمت في ذلك ما يلزمه - وأن تختار لكاتبك من تعريف سداد مذهبه ،
واستقلاله بما يتقلده ، وإشارا لرس (٩) من صحنه ، ومن تقدّر عنده تقدماً (١٠)
في نصيحتك فيما يجري على يديه ، وتوخياً لصدك فيما يحضره وتغيب عن مشاهدته ؛
فإنك تأمته من أمر حكمك على ما لا يؤتمن على مثله إلا الأمين ، وتؤوض إليه
من تجميع المرفوضين إليك ما لا يفوض إلا لذي العفاف والدين - وأن تتفقد

(١) له « وإشارته لك من صحنه » . تأمل .

(٢) له « محراً » تأمل .

مع ذلك أمره ، ولتصفح عمله ؛ وتُشرف على ماتحت يديه بما يؤدبك إلى إحكامه وضبطه ، ويُؤمّنك من وقوع خلل فيه - وأن تختار لجأيتك من لا يتجهّم الخُصوم ، ولا يختصّ بعضها دونَ بعض بالوصول ؛ وتوعز إليه فى بسط الوجه ، ولين الكنف ، وحسن اللفظ ، ورفع المشوّة ، وكفّ الأذى .

فقلّد ماقلّدناك من ذلك حاملاً بما يحقّ عليك لله جلّ وعزّ ذكره ، ومستعيناً به فى أمرك كلّ : فإنّا قلّدناك جسياً ، وحملناك عظيماً ، وتبرأنا إليك من وزره وإضره ، واعتمدنا عليك فى توثى الحق وإصابته ، وبسط العدل وإفاضته ؛ وأقبض لأرزاقتك وأرزاق مُتّابك وأعوانك ومن يحجبك ونعم قراطيسك وسائر مُؤلك فى كل شهر أربعين ديناراً ؛ فقد كتبنا إلى حامل الخراج بازاحة ذلك ، أوقات أسعيفائك إياه ووجوبه لك ، وإلى حامل المدينة بالشّد على يدك ، والتقوية لأمرك ، وضَمّ العدة التى كانت تُضمّ إلى القضاة من الأولياء إليك ، وهما فاعلان ذلك إن شاء الله تعالى .

الحالة الثالثة - ما كان عليه الأمر فى زمن بنى أيوب .

وكانوا يسمّون ما يكتب عن ملوكهم من الولايات لأرباب السيوف والأقلام «تغليد» و«تواقيع» و«مراسيم» و«مُعبّروا» عن بعضها بال«لُتاكشير» وهى فى الأكتاحات على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى - أن تفتح الولاية بخطبة مبتدأة بالحمد لله تعالى ثم يرقى بالبعدية ، ويذكر ما سبّح من حال الولاية والمولى ، ويوصى المولى بما يليق بولايته ، ثم يقال : «وسبيل كلّ واقف عليه من الثواب العملُ به» أو نحو ذلك .

وهى على ثلاثة أصناف :

الصف الأول — أرباب السيوف من هذه المرتبة

وهذه نسخة توقيع بولاية ناحية وإقطاع بلادها لمتوليها ، وهي :

الحمد لله على عوائده الجميلة وعواطفه ، وفوائده الجزيلة وعوارفه ، ناصب الحق وناصره ، وقاصم الباطل وقاصره ، ومخير الدين ومذيله ، ومبير الكفر ومذيله ، وشاد أزr أوليائه وساد فترهم ، وناصر معزهم ومعز نصرهم ، الذى أضنى علينا مدارج نعمه ، وأصفى لدينا مشارع كرمه ، وأعلق أيدينا من العدل بأوكيد الأسباب والأشراس ، وصرف بنا صرف السنف وكف بكفايتنا كف البؤس عن الرعية وآلباس ، وجلب إلى استجلاب الشكر من الناس همتنا ، وطوى على حب البر وإبرار المحب طويبتنا ، وحسم بما أولانا من أيد مائة كل يد تمتد إلى محظور ، وبسرا بساط العدل المطوى لنا طوى بعدلنا بساط الظلم المنشور ، وأبى لنا أن نكفر نعمة أو نهبها لكافر ، أو ندع شكر منة أو نودعها عند غير شاكر .

ولما كان الأمير فلان ممن سبقت لخدمته ولايته - تعاهد الله بالمهاد متواهما ، وخص بقرار الرحمة ترأهما - الحرم الأكيد ، والخدم الطريفة والتليده ، ولم يزالا مجتهدين في تعمير هذا البيت وتشيد أسسه ، ملازمي الإداب في إنمائه وتشديد غرسه ، مفضيين بالموالاة إلى مواليه ، مفضحين بالمعاداة لمُعادييه ، رأيا - لا زال الإقبال لآرائنا مقابلا ومراقفا ، والسعد مساعدا والتوفيق موافقا - أن نلحقه بدرجة أوليه ، ونورده من كرمنا مورد جده وأبيه ، ونلحق إليه عنان عنايتنا ، ونزاه بعين رعايتنا ، ونلحقه جناح لطفنا ، ونبوءه مقعد شرف تحت ظلتنا ، ونغرس حده من الفلول ، وجده من الخمول ، وعوده من الخور ، وورده من الكدر ، وأن نقرره

على ما يؤتا فيه والله من الهبات والإنعام والإفضال والإحسان، وجميع ما دخل تحت اسمه من المعامل والبُدان، وسيُوضح ذلك بقلم الديوان .

فليقابل هذا الإنعام من الشكر بمثله ، ويوازِ هذا الإفضال من حُسن القبول بعينه ؛ وليرتبط نعم الله عنده بالشكر الوافى الوافر، فالسعيد من أطرح حلة الشاكر وأدرج حلة الشاكر ؛ وليدين التحدث بها فالتحدث بالنعم من الشكر ، ويستجذب موادها بإيضاح سُبل البر ؛ ويعمل التقوى شعاره وديناره، ويخلص الطاعة لله لإيراده وإصداره .

وليكن العدل ربيته ورائته ، والأمر بالمعروف دليله وفائده ؛ وليتم فيما نيّط به حق القيام ، ويسمّر في حفظ ما استرعياه عن ساق الإهتمام ، ويعلم أن منزلته عندنا أسنى المنازل وأعلاها ، ومرتبه لدينا أرفع المراتب وأنهاها ؛ وعمله عندنا السامى الذى لا يضاهيه سامى ، ومكانه المكان الذى ليس له فى الممكن أن يفتزع عنه سامى ؛ فسيُله علم ذلك وتحقيقه ، وثيقته وتصديقه ، وسبيل كل واقف على هذا المثال ، [أن] يقابله بالامتنال ، من سائر العُمال ، وأرباب الولايات والأعمال . والاعتقاد على العلامة الشريفة فى أعلاه ، إن شاء الله تعالى .

الصف الثاني — أرباب الوظائف الدينية

وهذه نسخة توقيع بتدريس مدرسة النظر عليها ، والتحدث على أوقافها وسائر تعلقاتها ، وهى :

الحمد لله الظاهر إحسانه ، الباهر برهانه ، القاهر سلطانه ، المتظاهر آتنامه ، نحمده على إنعامه حمداً يُلوم به من حلب غزاريه وحلى نضارته ازدياته وازدياته ،

ونسأله أن يصلّى على سيدنا محمد نبيّه الشارح الشارح بيأنه ، وعلى آله وصحبه الذين هم أعضاء شرعه وأركانّه .

أما بعد ، فإنّ لما نراه من تشييد بيوت ذوى اليوتات ، وإمضاء حكم المروءة في أهل المروءات ، وإرطاء مَوَاتٍ ذوى الحقوق الحقيقة بالمراعاة وإحياء المَوَاتِ ، وموالاتِ النعم الشامل عمومها لأولى الخصوص والخلوص في الموالات ، ما زال نُحْيِي دَرَجاتِ الأخلاف منهم في الاختصاص بالاستخلاص بالأسلاف ، فنوردهم من مشارع دولتنا ومشارب نعمتنا في الاصطفاء والاصطناع أعذب النُطاف ، ونُجَنِّبهم من مفارس الرِواء ، ويجارى النِّماء ، في الإنداء والاجتباء ، ثمراتِ النعم الدانية القِطاف ، ونُفِيض عليهم من مَنَارِع البَهجة والبهاء ، وحُلّ الثناء والثناء ، في الاكرام ، بالاحترام ، ما يصفو على الأعطاف .

ولما كان الشيخ فلان متوحّدا بالنسب الأمير الأثيل ، والحسب الجليل الجليل ، والمحيّد الأكيد الأصل ؛ والفضل الموروث والمكتسب ، والزكاه في المستى والمنسب ؛ والدكاء الذى أنارت في أفق التوفيق ذكاه ؛ والولاء الذى بان في شرعة الإخلاص صفاه ؛ والدين الذى علا سناسته ، في منار الحميد ، والخلوص الذى حلا جنى جتته ، في مذاق التوحيد ؛ والرئاسة التى تقوِّع رياء رياضها الموقّعة ، والسماحة التى تتوجّح حياحياضها المغدقة ؛ والأمانة التى نهضت بها فضائله ، والموالات التى تجبّحت بها عدنانا وسائله - رأينا إجراء على عادة والده فى تولّى المدرسة المعمورة التى أنشأها جدّه للشافعية ببلّب ، وأوقافها ، وأسبابها ، وتدريبها ، وإعادتها ، واستنابته من يراه ويختاره فى ذلك كله ، والنظر فى جميع ما يتعلق بها كثره وقّله ؛ وترتيب الفقهاء فيها ، وتقرير مشاهيرهم على ما يراه من تفضيل وتقديم ، وتخصيل

وتقسيم ، وتخصيص وتعميم ، وقص وتكبل وتعميم ، وحفظ الوقوف بالاحتياط
 فى مصارفها ، والعمل فيها ، بشروط محسبها وإطلاقها بقيد واقفها ، بالابتداء
 بالعمارات ، التى تؤمن بتوفير الأرتفاعات ، وتكثر المغلات ، وتنمية الثمرات ؛
 مستشعرا حقوى الله التى هى حلية الأعمال الصالحات ، والعصمة الباقية والخنة
 الواقية عند الثابت . وفوضنا ذلك إلى أمانته ، وبعدة إلى من يقوم مقامه من
 إخوته ، تشيدا لبيتهم الكريم ، وتجديدا لتجدد القديم ، ورفعاً لمكاتهم المكيته ،
 وحفظاً لمرتبتهم المصونة . وأمرنا بإعفاء جميع أوقاف المدرسة وسائر أوقافهم ،
 وأملاكه وأملاك إخوته وحمايتهم من جميع المطالم والمطالب ، والنواب والشواثب ،
 والعوارض والعراض واللوازم والكلف ، والمؤن والسخر ، والتبن والحطب ،
 والأطباق والأزلال ، وسائر التوزيعات والتقسيمات والأقال ، وإعفاء فلاحها
 ومزارعها من جميع ذلك ؛ وإطلاق كل ما يصل من مغلات الأوقاف والأملاك
 المذكورة إلى مدينة حلب من جميع المؤن على الإطلاق ، وكذلك جميع ما لهم من
 البضاعات والبياحات والتجارات مفعاة مطلقاً لا اعتراض عليها لأحد ، ولا تمتد إلى
 شئ منها يد يد . وليتول ذلك على عادته المشكورة ، وأمانته المشهورة ؛ بنظر
 كافي شاف ، وكريم وإفرواف ؛ وورع من الشواثب صاف ، وعزوف عن الدنيات
 بالدنيات متجاف ؛ وسداد لرؤن المصالح شائد ، وتد كر لرفى مواد المنافع رائد ؛
 ورأى فى ذمة الصواب راجح ، وسعى برتبة الرشد تاجح ؛ وهمية عالية فى نشر العلم
 بالمدرسة وإعلاء مناره ، وإلزام الفقهاء والطلبة بتدريسه وإعادته وحفظه وتكراره ؛
 ومروية تامة فى الاشتغال على إخوته ومخلفي أبيه بما يصل به الرجم ، ويظهر به
 الكرم ، ويحيى من مفاخر آباءه الرمم ، ويؤوى لهم من معاهد مكارمه العصم . وسبيل
 الولاء والتواب وكل واقف على هذا المشال إمضاء ذلك كله على سبيل الاستمرار ،

وتصرّف الأعصار ، وتصرف الأحوال والأدوار ؛ وحفظه فيهم
وفي أفعالهم على المصور والأخواب ، ووصل أسبابه عند أقطاع الأسباب ،
من قسح ينقش مبرم مفايده ، أو تسخ يقوض محكم مقاعده ؛ أو تبدل يكدر صافي
موارده ومشارعه ، أو تحويل يقلص ضافي ملابسه ومدارعه . وليبدل لهم المساعدة
في كل ما يعود له ولجماعته بصلاح الحال ، وفراخ البال ونجاح الآمال ، وإقامة الجاه
في جميع الأحوال . والعمل بالأمر المالى وبقنضاه ، والاعتناء على التوقيع الأشرف
به إن شاء الله تعالى .

الصنف الثالث — أرباب الوظائف الديوانية

وهذه نسخة توقيع بوزارة ، من إنشاء بعض نبي الأمير ، وهى :

الحمد لله الذى فضّلنا على كثير من عباده ، وأغنانا بمزيد عطائه عن أزدباده ،
وجعلنا بمن استخلفه فى الأرض فشكر عواقب إصداره ومبادئ إرادته .

لحمده ولسان أنعمه أفصح مقالاً وأوسع مجالا ، وإذا اختلقت خواطر الحامدين
روية كثرها أرتجالا ؛ ونسأله أن يوفقنا لتلقى أوامره ونوايه بالاتباع ، وأن يصيغ
بقلوبنا إلى إجابة داعي المسأل الذى هو خير دواع ، ويقيّدنا من تبعات ما استرعاه
يوم يسأل عن رعيته كل راع .

أما بعد ، فإن الله قرن استخارته برشده ، وجعلها تورا يهتدى به فى سلوك جده ،
ويستمد من يمين صوابه ما يبنى على الرأى ومدنه . ومن شأننا أن نتأدب بأداب الله
فى جليل الأمر ودقيقه ، وإذا دلّ التوفيق أمرا على عمله دلّ عملنا على توفيقه ؛
فمن عنوان ذلك أنا أصطفينا لوزارتنا من محمدنا الأيام من أجله ، ونحسدنا الملوك
على مثله ، ويعلم من أتى فى عصره أنه فات السابحين من قبله ، وهو الوزير الأجل

السيد الصدر الكبير، جلال الدين، شرف الإسلام، مجتبي الإمام نضر الأنام ؛
ولست هذه التعوت مما تزيد مكانه عرفا ، ولا تستوفى من أوصافه وصفا ؛
وإن عدا قوم جُل ما يذخرونه من الأصحاب ، ومعظم ما يحفظونه من التراث
للأعقاب ؛ ولا يفخر بذلك إلا من أعدم من ثروة شريفه ، ورضى من الجوهر
بصدفه ؛ وأنت فغير فاجر به ولا بما ورثته من مجد أبيك الذى أضحى الأيام به
شهودا ، والجُدود له جُودا ، وقدَا وكان عليه من شمس الضحى نورا ومن الصباح
عودا ؛ وقد علمت أنه كان إله نَسَب المكارم وسيمها ، وكان ما بلغه منها أعظم
ما بلغه من دنياه على عظيمها ؛ (كَلَمْ خَلَقْتَ لِنَفْسِكَ جَدًّا مِنْكَ مِلَادُهُ ، وَعَسَكَ
لِحَادِهِ ؛ وَإِذَا أَقْبَدْتَ نَسَبُ الْفَقْرِ بَسَى أَبِيهِ فَذَلِكَ هُوَ الْحَسَبُ الَّذِى تَقَابِلَ شَرَفَاهُ ،
وَتَلَقَّى طَرَفَاهُ ، وَغَضَّ الزَّمَانُ عَنْهُ طَرَفَهُ كَمَا فَتَحَ بَمَدْحِهِ قَاهُ ؛ وَإِذَا اسْتَطَرَقَتْ سَادَةُ
قَوْمٍ بَنِيَتِ بِالسُّودِّ الطَّرِيفَ الْبَلِيدَ ، وَلَقَدْ صَبَقَ اللَّهُ لَهْجَةَ الْمُنَى طَلِكَ إِذْ يَقُولُ :
إِنَّكَ الرَّجُلُ الَّذِى تُضْرَبُ بِهِ الْأَمْثَالُ ، وَالْمُهْدَبُ الَّذِى لَا يَقَالُ مَعَهُ : أَيْ الرِّجَالُ ؛
وَإِذَا وَازَرَتْ مَمْلَكَةً فَقَدْ حَظِيَّتْ مِنْكَ بَسَدٌ أَزْرَاهُ ، وَسَدٌّ ثَمَرَهَا ، وَأَصْبَحَتْ وَأَنْتَ
صَدْرُ لِقَابِهَا وَقَلْبُ لَصْدَرِهَا ؛ فَهِيَ مِرْدَانَةٌ مِنْكَ بِالْفَضْلِ الْمُبِينِ ، مَعَانَةٌ بِالْقَوِيَّةِ
الْأَمِينِ ؛ فَلَا تَبْهَتْ إِلَّا مُسْتَخْلَعًا ضَمِيرَكَ فِي وَلَاتِهَا ، وَلَا تَعْدُوا إِلَّا مُسْتَعْدِيًا كَفَايَتَكَ
فِي تَهْيِئَتِهَا وَإِعْلَانِهَا .

ومن صفاتك أنك الواحد في عدم النظير ، والمعلود بألف في صواب التدبير ،
والمؤازر عند ذكر الخير على الإطاعة وعند نسيانه على التكبر ؛ ولم ترق إلى هذه
الدرجة حتى نكحت عَقَبَاتِ الْمَعَالَى فَحَضِيَّتْ أَجْلَهَا ، وَأَنْسَتْ مِنْ طُورِ السَّعَادَةِ نَارًا
فَهْدِيَتْ لَهَا ؛ وَلَمْ تَبْلُغْ مِنَ الْعُمُرِ أَشْمَهُ ، وَلَا تَزَعْ عَنْكَ الشَّبَابُ بُرْدَهُ ؛ بَلْ أَنْتَ
فِي رَيَّانِ عُمْرِكَ الْمُتَجَمِّلِ بَرَّعَانِ مُؤَدِّدِ ، الْمُتَمَكِّصِ مِنْ سِيمَا الْخِلَالِ مَا أْبْرَزَ وَقَارَ

المشيب في أسوده . وهذا المنصب الذي أهلت له وإن كان ثاني الملك عملاً ، وتلوه عقداً وعملاً ، فقد علا بك قدره ، وتأبل بك أمره ، وأصبح وخصك في أرجائه مناراً ، وأريك وفضلك من حوله سور وسوار ، وله من قلبك خطيب يحادل عن أحساب الدولة فيفتحها نفراً ، وسيف يئالده عن حوزتها فيمنحها نصراً ، ولقد كان من قبلك وقبل أريك مكرهاً على إجابة خاطبه ، والتزول إليه من مراتبه ، فلما جتياه استقر في مكانه ، ورضى بجلوسه لعلو شأنه ، وقد علم الآن بأنك نزلت نزول الليث في أجبه ، وأستقلت به استقلال الرمح بأحده (٩) ، وما زالت المالح تسفر بينك وبينه وأنت مشغول بالسعى للسيادة وآدابها ، عن السعى للسعادة وطايلها . فخذ ما وصلت إليه بأستحقاق فضلك ومناقبه ، لا بأتفاق طالعك وكواكب .

وأعلم أن هذه النعمة وإن جاءتك في حقلها ، وأناخت بك بصاحبها وأهلها ، فلا يؤنسها بك إلا الشكر الذي يجعل دارها لك داراً ، وودها مستملاً لك لأمراراً ، وقد قيل : إن الشكر والنعمة نومة مان ، وإنه لا يتم إلا بأجتماع سر القلب وحديث اللسان ، فاجعله مروقها الذي تمسكها بإحسانه ، وتقيدها بأسطانه .

وقد أفردنا لك من بيت المال ما تستعين به على فرائض خدمك ونوايفه ، وترد فضله على أبنائه مجيدك وفضائله ، وذلك شيء طائد على الدولة طيب ثمنه ، فلها محمود ذكره ومنك موارد شرعيته ، وإذا حلت منهاهل الغدر كان الفضل للسحاب الذي أغدرها . والمفرد باسمك من بيت المال كذا وكذا .

وكل ما تضمنته تقليد غيرك من الوصايا التي قرئت له عصاها ، ونسنت له حصاها ، فانت مستغن عن استمائها ، مكثف بأطلاع فكرك عن أطلاعها ، غير أنا نسألك كما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذاً ، ونسأل الله أن يعمل لك

من أمرك بئساً ومن عزيمك ففأذا ؛ وقد أجبنا لسان حالك بأنك تأخذ بتقوى الله التى ضمن لها العاقبة ، وجعل شيعتها الغالبه ؛ وأنت تجعلها بينك وبينه سبباً ممدوداً ، وبينك وبين الناس حُلقاً معهوداً ؛ حتى تُصيب وقد أمنت من دهرك عتاراً ، ومن أبنائه أسمى ما وأبصاراً — ومن شرائطها أن يكون الرجل المسلم الذى سلم الناس من يده ولسانه ، وفى هذين كفاية عن غيرها من الشيم ، التى تُحفظ بها سياسات الأمم : فإن العدل هو الميزان الذى جعله الله تانى الكتاب ، والإحسان الذى هو الطينة التى شاركتها القلوب فى جيليتها مشاركة الأحاب .

وأما ماسوى ذلك من سياسة الملك فى تقرير أصوله ، وتدير محبوه ؛ كالبلاد واستعمارها ، والأموال واستثمارها ؛ وولاية الأعمال واختيارها ، وتجنيد الجنود واختيارها ؛ فكل ذلك لا يصدر تديره إلا عن تفكر ، ولا يمتشى فيه إلا على أثره ؛ وأنت فيه الفقيه ابن الفقيه الذى سرى إليك حلمه نفساً ودرسا ، وثمره وغرسا ؛ فهذا كتاب عهدنا إليك : نفذه بقوة الأمانة التى أبت السموات والأرض حملها ، وما أطاقت تحملها ؛ والله يسلك بك سدا ، ويتحذى بك رشا ، ويلزمك التوفيق قلباً ولساناً ويذا ، إن شاء الله تعالى .



ومن ذلك نسخة توقيع باعادة النظر بتغر الإسكندرية لابن بصاصة فى شهر سنة ثمان وسبعين وستائة ، وهى :

الحمد لله الذى أمحك الثغور بعد عبوسها ، ورد لها جمالها وأثار أفتقها بطلوع شموسها ، وأحيا معالم الخير فيها وقد كادت أن تُشرف على دروسها ؛ وأقام لمصالح الأمة من يُشرق وجه الحق بياض آرائه ، وتلشد الابصار بتلاوة أوصافه

الجميلة وأبنائه ؛ حمد من أُسِفَتْ عليه النعماء ، وتهادَتْ إليه الآلاء ، وخطبته لنفسها العلياء .

وبعدُ ، فأحق من ماس في أندية الرئاسة عطفًا ، وأمتجلى وُجوه السعادة من مُجِبِّ عزِّها فأبدت له جمالًا ولطفًا ؛ وأصطفته الدولة القاهرة لمهامها لما رآته خيرَ كافل ، وتثقل في مراتبها السنية تثقل الثِّرات في المنازل ^(١) .

ولما كان المجلس السامى القاضى ، الأجل ، الصدر ، الكبير ، الرئيس ، الأورحد ، الكامل ، المجتبى ، المرتضى ، الفاضل ، الرشيد ، جمال الدين ، نغر الأثام ، شرف الأكابر ، جمال الصدور ، قدوة الأئماء ، دُخر الدولة ، رضى الملوك والسلاطين ، الحسين ابن القاضى زكى الدين أبى القاسم - إدام الله رفعتَه - ممن أشارت إليه المناقب الجليله ، وصارت له إلى كل سؤل نعم الوسيله - رُسم بالأمر العالى ، المولى ، السلطان ، الملكى ، العادلى ، البدرى - ضاعف الله علاه ونفاده - أن يقوِّض إليه نظر ثمر الإسكندرية المحروس ونظر متاجره ، ونظر زكواته ونظر صابره ؛ ونظر قوة والمزاحمتين ، فيقدم خيرة الله تعالى ويباشر هذا المنصب المبارك ، بعزماته الماضيه ، وهيمه العاليه ؛ برأى لا يساهم فيه ولا يسارك ، ليصبح هذا الثغر بباشيرته باسمًا حاليًا ، وتعود بهجته له بجمل نظره ثانيا . ويتصحب لتدبير أحواله على عادته ، ويقتر قواعده بحالى هيمته ، ويحتشد في تحصيل أمواله وتحصين ذخائره ، واستخراج زكاته وتنمية متاجره ؛ ومعامله التجار الواردين إليه بالعدل الذى كانوا ألفوه منه ، والرفق الذى نقلوا أخباره السارة عنه ؛ فلنهم هذا يا البحور ، ودوالة

(١) لم يذكر خبر الجندا ولعله سقط من قلم النسخ وأمله « من اشترى بحاسن الخلال ، ومحمد انخصال ،

وساس الأمور برأيه الراجح ، ودبرها بسية الناجح ، وما » الخ أو نحو ذلك فنه .

الثغور، ومن استهم يطلع على ما يجنيه الصدور، وإذا بذر لهم حب الإحسان
نشروا له أجنحة مرايكهم وحاءوا عليه كالطيور . وليتمد معهم ما تضمنته المراسم
الكرمة المستقرة الحكم إلى آخر وقت ، ولا يسلك بهم حالة توجب لهم القلق والتظلم
والمقت ، وليواصل بالمحول إلى بيت المال المعمور ، ويملأ الخزان السلطانية
من مستملات الثغر وأمتعته وأصنافه بكل ما يستغنى به عن الواصل في البرور
والبحور ، وليصرف همته العالية إلى تدبير أحوال المتأخر بهذا الثغر بحيث ترتفع
رؤوس أموالها وتنشئ ، ويوجد صحائب فوائدها وتنبئ ، وليراج أحوال المستخدمين
في مباشراتهم ، ويكشف عن باطن سيرهم في جهاتهم ، ليتحققوا أنه مهيم عليهم ،
وفاطر بعين الرأفة إليهم ، فتتكف يد الخائن منهم عن إتيانه ، وتغفل أنامل الأمين
بجائمن الصيانة ، وليتفق فيما يأتيه ويذره ، ويقدمه من المهمات ويؤخره ، مع المجلس
الساحى ، الأمير ، الأجل ، الكبير ، المجاهد ، المقدم ، الأوحى ، النصير ، شمس الدين ،
متولى الثغر المحروس - أدام الله نعمته - فإنه نعم المعين على تدبير المهمات ، ونعمت
الشمس المشرقة في ظلم المشكلات . وليطالع بالمتجددات في الثغر المحروس ، ليرد
الجواب عليه بما يشرح الصدور ويطيب النفوس ، وليتناول من الإلمامية
والحرابة عن ذلك في غرة كل شهر من استقبال مباشرته ما يشهد به الديوان المعمور
لن تقدمه من النظر بهذه الجهات ، وحى نظر الثغر وما أضيف إليه على ما شرح
أعلاه .

المرتبة الثانية

(أن تفتح الولاية بلفظ « أما بعد حمد الله » أو « أما بعد فإن كنا »

ويؤتى بما يناسب من ذكر الولاية والموتى ، ثم يذكر ما منع

من الوصايا ، ثم يقال « وسبيل كل واقف عليه »)

فإن المكتتب لأرباب السيف من هذه المرتبة ما كان يكتب لبعض الولاة .

وهذه نسخة بولاية الشرقية ، وهي :

أما بعد ، فإننا بآية منحة الله لنا من معجزات النصر المستنطق الأمانة بالتسبيح ،
وآثانه من تفكر حى ناصر عيش الأئمة من التصويح ، والبنانة من ثياب العقلمة
المخصوصة بأحسن التوشيع والتوشيع ، ووفقنا له من أصحاباء من قبل عليه بوجه
التأهيل للهمات والترشيح ، وقواه من عزائنا التي ترج بها أرض الكفر وتكفر ،
ووسعه لنا من الفتوح التي أنباؤها خير ما تصدر به السير وكفر - لا تزال نبالي فيما
صان الحوزة وحاطها ، ومد رواق الأمانة ومهد بساطها ؛ وقرب نوازيح المصالح
وجمع أشتاتها ، وأوجب أنصرام جبال اختلال الأمور وأقتضى آتيتها .

ولما كانت الأعمال الشرقية جديرة بمتابعة الاعتناء ومولاته ، وإعراق كرم التمهيد
فيما يحفظ نظامها بمفالاته ؛ وأحقها بأن تصرف إلى صونها وجوه المهتم الطوايح ،
ويوقف عليها حسن الاحتفال الجامع دواعي تذليل الجامع ؛ إذ كانت أجدر الأعمال
بكلاءة الفروع من أوضاعها والأصول ، والباب الذي لا يجب أن يدخله إلا من
أذن له في القدوم إليها والوصول ؛ ويتعين التحرز على الطرقات التي منها إليها
الإفضاء ، ويؤكل بما دونها من المياه عيون حفظة لا يلزمها النوم والإغضاء ،

— وكنت أنى الأمير أشد الأمرء بامسا، وأوفاهم لحسن الذكر الجميل لباسا؛
وأكثرهم لمهج الأعداء اختلاسا، وأجمعهم للحاسن المختلفة ضروبا وأجناسا؛ وقد
تناصرت على قصودك الحسنة وإخفات الدلائل، وتملت أجياد خلاك من جواهر
المنافس بقلائد غير قلائل؛ واستطار لك أجمل سمعه، وفطمت سيوفك أبناء الكفر
عن ارتضاعها من الملة الإسلامية قدى طمعه؛ ولا استهمت طرق السياسة
الإلهيت إلى مجاهلها، ولا حلا التقصير سواك عن شرائع النعم إلا غدت بكفائتك
وإرد مئاهلها؛ وكم شهدت مقام جلاد، وموقف جهاد؛ فزقت ثوب مارقته أسنجا،
وأدلت فى ليل قسطله عوادى صواريخ شرجا، وثقت فيها وكل إيلك من أمور
الفاقوسية وقلتى صدر وأيلة حرمها الله تعالى قياما أحظاك بالثناء والثواب،
وأستنبت فى كل منها من أجرى أمورها على الصواب — خرج أمر الملك الناصر بكتب
هذا السجل بتقليدك ولاية الأعمال الشرقية المقدم ذكرها .

فاعتد مباشرة عاملًا بتقوى الله التى مَنَعَهَا خَيْرُ مَا أَقْتَادَهُ مَسْتَشْعِرُهَا لِأَنْفَعِهِمْ
وَأَسْتَأْفُوهُ . قال الله تعالى : ﴿ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاكُوهُ ﴾
وَأَبْسُطِ الدُّعَى عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْوِلَايَةِ ، وَأَخْصِصْ أَهْلَ السَّلَامَةِ بِمَا يُسَبِّلُ عَلَيْهِمْ
بِئْرَ الْحَيَاةِ وَالْجَنَّةِ ؛ وَتَطْلُبِ الْمُسْلِمِينَ أَمَّا تَطْلُبُ ، وَأَحْظُرْ عَلَيْهِمُ التَّنَقُّلَ فِي هَذِهِ
الْبِلَادِ وَالتَّقَلُّبَ ؛ وَمَنْ ظَلَمْتَ بِهِ مِنْهُمْ فَقَابِلْهُ بِمَا يُوجِبُهُ حُكْمُ جَرِيرَتِهِ ، وَبِقَضِيَةِ
مَوْقِعِ جَرِيرَتِهِ ، وَيَحْمِلْهُ مُزْدَجْرًا لِسَالِكِي طَرِيقَتِهِ . وَثُدَّ مِنَ الْمُسْتَخْلَفِ عَلَى الْحُكْمِ
الْعَزِيزِ شِدَا يَنْصُرُ جَانِبَ الشَّرْعِ وَيُعِزُّهُ ، وَيَكُزُّ بِهِ عَلَى الْبَاطِلِ تَرْوِيعُ الْحَقِّ وَأَزْهَ ؛
وَأَعِنِ الْمُسْتَخْلَفِينَ فِي الْمَالِ عَلَى أَسْتِيفَاتِهِ مِنْ وُجُوهِهِ عِنْدَ وُجُوهِهِ ، وَبَلِّغْ كُلَّاهُمْ
مِنَ الْإِعَانَةِ عَلَى تَحْصِيلِهِ أَقْصَى مَطْلُوبِهِ ؛ وَقَوِّ أَيْلِيَهُمْ فِي تَحْضِيرِ الْبِلَادِ وَتَعْمِيرِهَا ،

وَأَبَيْتِ الْمُزَارَعِينَ عَلَى مَبَاشَرَةِ أَحْوَالِ الزَّرَاعَةِ وَتَقْرِيرِ أُمُورِهَا ؛ وَفِيهَا يُسْتَرْعَوْنَ مِنْ مَصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَيُعَوَّدُ عَلَيْهِمْ فِي مَوْجِبَاتِ الرِّجَاءِ بِمَنَاجِجِ الْأَمَالِ . وَرَاجَ أَمْرِ السُّبُلِ وَالطَّرِيقَاتِ ، وَأَجْعَلَ احْتِرَاسَكَ عَلَيْهَا الْآنَ مُوْفِيَا عَلَى الْمُتَقَدِّمِ مِنْ سَالِفِ الْأَوَاقَاتِ ؛ وَلَا تَرَى فِي لِمَافِذِ الْمُتَخَبِّرِينَ إِلَى بِلَادِ الْعَدُوِّ ، وَتَحْتَلِبِهِمْ فِي الرُّوَاغِ وَالْفُتُوِّ ، بِمَا يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْمُسَدِّقِ ؛ وَكَشَفِ أَخْبَارِهِمْ ، وَتَتَّبِعِ آثَارَهُمْ ، وَتُسَيِّرِ الْجَوَاسِمِ إِلَى دِيَارِهِمْ ؛ حَتَّى لَا تَخْفَى عَنْكَ مِنْ شُؤْنِهِمْ خَافِيَةٌ ، وَلَا يَجِدُوا سَبِيلَ غَرَّةٍ يَتَوَكَّلُونَهَا . وَالْعِيَادَةُ بِاللَّهِ - بِالْجُمْلَةِ الْكَافِيَةِ . وَطَالِعْ بِمَا يَتَجَدَّدُ لَكَ وَمَا يَرِدُ مِنَ الْأَنْبَاءِ عَلَيْكَ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يُحْتَاجُ إِلَى ظَهْرِهِ مِنْ جِهَتِكَ ، وَمَا تَجْرَى عَلَيْهِ أَحْكَامُ خِدْمَتِكَ ، فَاعْلَمْ هَذَا وَأَعْمَلْ بِهِ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة بولاية الغربية من هذه المرتبة ، وهي :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّا لِمَا آتَانَا اللَّهُ مِنْ سَعَادَةٍ لَطَرَقِ الْإِرَادَاتِ فِيهَا تَعْيِيدُ ، وَأَسْبَغَهُ بِنَا مِنْ نِعَمٍ لَا يَمْلِكُهَا التَّحْدِيدُ . ، وَلَا يَحْكُمُهَا التَّعْيِيدُ ؛ وَأَهْبَجْنَا بِهِ مِنْ أَكْتِنَافِ الْمَطَالِبِ بِمَنَاجِجِ لَا يُعْقَبُهُ تَعْسِيرٌ وَلَا يَسْمُرُهُ تَعْقِيدُ ؛ وَأَمْضَاهُ مِنْ عِزِّائِنَا الَّتِي مَا قَسَّكَتْ قَطُّ بِالْأَعْدَاءِ قَقِيدَ مِنْهُمْ قَقِيدُ ؛ وَلَقَاهُ الْأَمْنَةُ بَنَظَرْنَا مِنْ نَفْثَةِ عَيْشِ جَانِبِ الْجَفَافِ دَوَّحَهُ الْمُخْضَلُ ، وَأَهْدَاهُ بِتَبْصِيرِنَا مِنْ أَنْوَارِ الْهَدَى الْمُتَقَدِّمَةِ كُلِّ ذِي جَهْلٍ ظَلَّ مِنْ ضَلٍّ - لِاتِّزَالِ نَسْتَوْحِجُ أُمُورَ أَمْرَاءِ دَوْلَتِنَا مُتَصَفِّحِينَ ، وَنَبْلُو أَخْبَارَ الْمُؤَهَّلِينَ مِنْهُمْ لِسِيَامَةِ الرِّعَايَةِ الْمُرْتَجَيْنِ ، وَنَكْشِفُ شُؤْنَهُمْ غَيْرَ مُتَجَوِّزِينَ وَلَا مُتَمَسِّحِينَ ؛ وَنُظْهِرُ فِي أَحْوَالِهِمْ آثَارَ الْإِثَارِ لِرَفْعِ دَرَجَاتِهِمْ ، وَأَمَارَاتِ الرِّفْعِ مِنْهُمْ مَقَابِلَةً عَلَى حَيَاةِ أَمْوَالٍ مَنْ نَكُونُ عَلَيْهِ وَصُونَ مُنْتَظَمِينَ ، وَنَبْذَرُهُمْ مَبْذُورًا صَدَقَ مِنْ تَصَدِيقِ آثَارِهِمْ وَتَحْقِيقِهَا ؛ وَتَرْفُ الْهَيْسَمِ

عقائل المَنع المانع شُكْرهم من تسيب مَنِيها وتطرق تطليقها ؛ ومحل لكل منهم ما يؤمله من أجهاده ويُؤثِّره ؛ ولا تُلقى الاهتمام بما يُوطئ لهم مهَاد الطُول الجزيل ويُؤثِّره ؛ عملاً بأداب الله سبحانه في إبطال حُطوط الحسنيين من إحسان المجازاة ، وإيلاهم المزيّد الحاكِم بنقص اعتدادهم عن المُوازنة له والمُوازاة ، كما قال سبحانه وقوله هدى ونور وشفاء لى فى الصدور : ﴿ وَمَنْ يَتَرَفَّ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ .

ولما كان الأمير (والنصوت والدعاء) من أخصهم فالأ ، وأزبحهم مَصالاً ، وأصلحهم أعمالاً ، وأوصحهم كلاً ؛ وما زالت أخصانُ نُهَاء متتابعة في بُسوقها ، وضرائبه نافقة أعلاتُ الحماد يسوقها ؛ وعزائمُ في إذلال الفرق المبالغة في فسوقها ، مشيرة عن سُوقها ، وما يبرح في شوط الفخر راكضاً ولعقود مكروه الأمور التي تُزيغُ الأمانة رافضاً ، وبأعباء القيام بفرائض الآلاء ناهضاً ؛ وما أنفكت مناقبه تُضي بيان الواصف وبَنان العاد ، ومساعيه مُدركة وهى وادعة ما يَجْزُ عن أقله جدُّ الحاد ؛ ودأبه [يرتقى] كل متفتق ومنبتق من الأمور المهمة بسداد الرائق الساد ، وحيل ذكره يَفوق بما يفوق المسك فيثوب إليه من الثواب بالنائي الناد ؛ وما قي دأب شيمته الإعراض ، عن الموقب من الأعراض ، واختيار الرقيق ، والإحراق فيما يُدبمه إلى فلك اعتاق أسرى المسلمين من مرى العتق - نخرج أمر الملك الناصر بكتب هذا السجل له بتقليده ولاية الأعمال الغربية .

فليقلد ما قلده معتمداً على تقوى الله التي صَرَف عن معتمدها شرب التكدير ، ومنعه من الكارم عنده ما يوفى على التقدير ؛ وليَجِر على عادته في بسط ظل المعيلة ومدَّ رواقها ، وصون مساحى الرُيا عن إملاقها منها وإخفافها ؛ والمساواة بها بين

الأقوي والأضعف، والأدنى والأشرف؛ والبإدى والحضار، والمثاوين والنصار؛
والخاص والعام، والأجنبي وربّ الحرمة والقدّام : ليتم المستورون على مهاد الأمن،
ويسلم جانب سلامة أموالهم وأرواحهم من الوهن . وليعامل المستخلف على الحكم
العزيم بما يستوجه مثله من نصرة الأحكام « ووكّل إليه أمر الأمراء^(١) لمن آثرها
والإحكام » والإكرام الشامل لقدره، والاهتمام الشارح لصدره . ولينوخ المستخدمين
في الأموال بما يكون لهم منيحا، ليصل إليهم ما يروونه نجيحا . ويكرّم من
جرت عادته بلزوم الحدود وأجتناب تمثيها ، والتوقر على حفظ مسالكها والمتزدين
فيها ، وليطالع بما يتجدد قبلك من الأحوال الطارئة ، وما لم ترل الرسوم بإنهاء مثيها
جاريه ؛ إن شاء الله تعالى .

المرتبة الثالثة

(أن تفتح الولاية بلفظ «رسم» ثم يذكر أمر الولاية والمولى ويوضح ،

ثم يقال «وسيل كل واقف عليه»)

فن المكتتب لأرباب السيوف من هذه المرتبة نسخة مرسوم بشد ناحية ، وهي :
رسم - أعلى الله المراسم وأدام نقادها - بالإنعام على الأمير فلان بما يفيض عليه
ملابس الاصطفاء ويضيفها ، ويسعى لقدمه في الثبات مدارج الارتقاء ويسقيها ؛
ويغرب عن اختصاصه بالمتزلة التي يفضل بها على مباريه ، واستخلاصه للرتبة التي
يفوت بها شأوا مجاريه ؛ ويؤهله لتفر حريم المحروس وشده ، وتوليّه أموره بكفايته
وتنهضته وحزامته وجده ؛ وقد أمرنا بتسليم قلعة حريم وأعمالها وسائر ما ينخص
بها ويضاف إليها من ضياعها ومواضعها إليه ، والتمويل في ولايتها وتمجيرها وتغيرها

(١) كذا في غير نسخة ولا يعني له وقد تقدم لهذا المقام أمثال ونظائر فهم منها المقصود .

عليه ؛ بموجب ما فُصل من الديوان على ما كان جارياً فى الإقطاع المحروس للحال ،
وسبيل أهل الديوان - أيهم الله - العمل بالأمر العالى وبمقتضاه ، والاعتقاد على
التوقيع الأشرف به ، إن شاء الله تعالى .



ومن ذلك نسخة مرسوم يشد وقف ، وهى :

رسم - أعلى الله المراسم وأدام تقادها - بالتحويل على الأمير فلات فى تولية
الوقوف بالجامع المعمور بحلب المحروسة ، والبيارستان ، والمساجد ، والمشاهد
بالأماكن والمواضع ، وظاهرها وباطنها وأعمالها ، وتقويضها إليه ، والاعتقاد
فى جميعها عليه ؛ سكوناً إلى نهضته وكفايته ، وثوقاً بضرته ومعرفته وعلمها بنزاهته ،
وسداده وأمانته ؛ وذلك لاستقبال سنة سبع وثمانين وخمسةائة .

فلينزل ذلك بكفاية كافيته ، ونهضة وافيته ، وهمة لأدواء الأحوال شافيته ؛ ونظر
تام ، لشمل المصالح ضام ، وتدير جميل فى كل خاص من أسباب عمله وعام ؛
وتقوى الله عز وجل تقوى بها يده ، ويضع بالاستقامة على سلتها جلدته ؛ ناظراً
فى الوقوف ومصاريفها ، وتتبع شروط وأقفها ؛ بكل ما يعود بتعمير أعمالها ، وتخير
أموالها ، وتدير أحوالها ؛ مطالباً بحساب من تقدمه وتحقيق مبالغه تكيلاً وإضافة ،
وأحساباً ومباقة ؛ ولينظر شواهد ، ولينظر على الصحة قواعد ، ولينظر ما يصح
من بواقته من جهاتها ، وليكشف بما يوحى من سبل الأمانة وجوه شبهاتها ؛ وقد أذن
له فى استخدام من يراه من الثواب والمتصرفين والمشارفين ، والوكلاء والمستخدمين ؛
على ما جرت به العادة ، من غير زياده . وسبيل الثواب - أيهم الله - العمل بالأمر
العالى وبمقتضاه ، والاعتقاد على العلامة الشريفة ، إن شاء الله تعالى .

المرتبة الرابعة

(أن يفتح بلفظ : «إن أحق» أو «إن أولى» أو «من كانت صفته كذا» وما أشبه ذلك)

فمن ذلك نسخة منشور ب رقابة الأشراف ؛ وهي :

مَنْ كَانَتْ أَوْصَافُهُ شَائِعَةً بَيْنَ الْأَنَامِ ، وَتُحْفَ فُضَائِلُهُ مَنشُورَةً لَدَى الْخَاصِّ وَالْعَامِ ، مَعَ شَرَفِ نَسَبِ شَايخِ الْأَعْلَامِ ، وَتَقَى فَخْرُهُ عَلَى الْأَنَامِ ، وَعِلْمُ يُحْيِي بِهِ صَدَأَ الْأَنْفَامِ ، وَعِفَّةٌ مَرَاتِمُهَا عَمَكَةُ الْإِبْرَامِ - كَانَ جَدِيرًا بِإِفَاضَةِ سَيَالِ النِّعَمِ عَلَيْهِ ، وَقَبِيلًا بِإِرْسَالِ سَيَالِ الْمَوَاهِبِ إِلَيْهِ .

ولما كان الشيخ فلان متصفاً بهذه الصفات الجميلة ، ومتخصّصاً بمزاياها الجليلة ؛ وضارباً فيها بالنسب المعلي ، ونازلاً منها في الشرف الأعلى ، ومتقمّصاً ثوب الإخلاص والصفاء ، ومُشعِها بوشاح العفة والولاء - اختصصناه بزيادة التقدير والإجتهاد ، وجوّهناه بوقور الكرامة والإصطفاء ؛ وأجريناه على مستمّر رسمه بالرعاية على ذُرِّيَّةِ أَهْلِ الْعِبَادَةِ ، حَسَبَ عَادَتِهِ الْمُسْتَقَرَّةِ إِلَى آخِرِ عَهْدٍ مَنْ كَانَتْ الْإِبَالَةُ إِلَيْهِ وَإِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ مَضَى : لِيَسِيرَ فِيهِمْ بِكَلْبِ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ، وَيُسَلِّكَ جَدَدَ الْحَقِّ الَّذِي يُوصِّلُهُ مِنَ الزُّلْفَى إِلَى أَقْصَى مَنَاهِ وَسُؤْلِهِ ؛ وَيُحْضِرَهُمْ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، وَمَعْرِفَةِ مَا يَصْلُحُ لِلْأَدْيَانِ . وَلِيُسَوِّقَ الْحُكْمَ بَيْنَ الضَّعِيفِ فِيهِمْ وَالْقَوِي ، وَيُعَيِّنَ بِالْإِنْصَافِ الْفَقِيرَ وَالغَنَى . وَلِيُحْسِنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ ، وَلِيَجْزِيَ عَلَى فَضْلِهِ لِمُسِيئِهِمْ ؛ بَعْدَ أَنْ يَقْدِمَ إِلَيْهِ زَجْرًا وَوَعِيدًا ، وَيُؤَسِّمَهُ لِمَنْذَارًا وَتَهْدِيدًا ؛ فَإِنْ وَعَى وَأَزْعَوَى وَإِلَّا سَلَّطَ عَلَيْهِ أَسْبَابَ الْأَذَى ، وَقَوْلَهُ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الْجَزَاءِ ؛ وَبَعِيدُهُ إِلَى حَالَةِ الْإِسْقَامَةِ وَالْأَسْتَوَا ، وَيَكْفُفُهُ عَنْ دَوَاعِي الْهَوَى . وَمَنْ وَجِبَ عَلَيْهِ حَدُّ أَقَامِهِ فِيهِ ، وَبَادَرَ إِلَى اجْتِمَاعِهِ وَتَوْخِيهِ ، حَسَبَ مَا يَوْجِبُهُ حُكْمُ الشَّرْعِ وَيَقْتَضِيهِ .

وليكن رُؤوفاً بهم ما استقاموا، ومتيقاً منهم ما أعوجوا ومالوا، وإن وجب على أحدهم حق لىّ أو دنى، استخلصه منه ولم يمنعه تعلقه بنسب شريف على؛ وإن أقرئ منهم مفترى على أحد من الملل، قابله عليه بما يزجره عن قبيح العمل: فإنّ الناس في دار الإسلام ومن هومت اللّمام سواسية وأقربهم إلى الله تعالى من كانت سيرته في الإسلام رضىه، وطويته في الإيمان خالصة تقيه؛ ومن حكم عليه حاكم من الحكام، بحق ثبت عنده بالبينّة العادلة أو الإعلام، أقرّعه منه أو صجنه عليه، إلى أن يرضى خصمه أو يرد أمره إلى الحاكم ويفوضه إليه .

وليحرم أنسابهم بإثبات أصولها، وتحقيق فروعها؛ ومن رام دخولا فيه بدعوى يُبطل فيها نقب عن كشف حاله، وإظهار بحاله؛ وجازاه بما يستحقه أمثاله، ويرتدع فيما بعد مثاله: ليخلص هذا النسب الكريم، من دعوى المجهول، وأندماجه في أسرة الرسول؛ عليه أفضل الصلاة والتسليم . ويمنع من اتصال أيم من الأئمة إلى عامى، ولا يُفسح أن يُعقد عليها عقد إلا ليكفء ملى: ليبرأ هذا المجد الشريف من التكريه، ولا تُرفقه شوائب التضيير .

وليُنظر في الوقوف على المشاهد والذرية، نظرا يحمده عليه من يعتنه من البرية، ويُحفظه بالتواب عند مالك المشية . ويتبدى بجمارة أصولها واستكمال فروعها، وقسمه مغلها على ما تضمنته شرط الواقفين لها . وليحتط على التدور، وينفقه على عاداتها في المصالح والجمهور؛ عالما أنّ الله تعالى سائله عمّا توحاه في جميع الأمور، وأنه لا يغنى عليه كل خفى مستور . قال الله سبحانه: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ .

وَأَذَانُ لَهُ أَنْ يَسْتَنْبِ عَنهُ فِي حَالِ حَيَاتِهِ ، وَبَعْدَ وَفَاتِهِ - فَسَحَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْمُهَلِّ ،
وَحَوَّلَهُ صَالِحَ الْعَمَلِ - الْأُرْشَدَ مِنْ بَيْتِهِ ، وَمَنْ يَخْتَارُهُ لِهَذَا الْأَمْرِ وَلَهُ يَرْتَضِيهِ . وَقد
أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ بِإِجْرَاءِ مَا كَانَ بِاسْمِهِ مُسْتَمِرًّا إِلَى الْآنَ ، وَأَضَمْنَا إِلَيْهِ مَا يُبَيِّنُهُ عَلَى النِّظَرِ
فِي مَصَالِحِ الْأُمُورِ أَدَامَ اللَّهُ لَهُ عُلُوَّ الشَّانِ ؛ مِنْ تَمْلِكِ وَإِثْرَارِ وَتَسْيِيرِ ، وَجَعَلْنَاهُ لَهُ
مُسْتَمِرًّا ، وَعَلَيْهِ مُسْتَقَرًّا ؛ وَلَمَّا بَعَدَهُ مِنْ تَسْلَةِ وَالْأَعْقَابِ ، عَلَى تَوَالِي الْأَزْمَانِ
وَالْأَحْقَابِ ؛ وَحَفَظْنَا تَغْيِيرَهُ وَفُسَخَهُ ، وَتَبَدُّلَهُ وَتَسَخُّهُ : ﴿ قَنَّ بَلَاءَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ
قَائِمًا بِأَمْرِهِ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ وَهُوَ مَعْنِي مِنْ دِيْوَانِ الْأَسْتِغْنَاءِ
الْمَعْمُورِ ، بِهَذَا الْمَنْشُورِ الْمُسْطُورِ ، بِالْأَمْرِ الْعَالِي أَعْلَاهُ اللَّهُ وَأَمْضَاهُ ، عَمَّا كَانَ قَدِيمًا ،
وَمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِهِ آخَرًا ، وَهُوَ الْقَدِيمُ الَّذِي كَانَ لَهُ وَشَهِدَ بِهِ الدِّيْوَانُ الْمَعْمُورُ ، وَهُوَ
الْإِقْطَاعُ مِنْ نَاحِيَةِ كَذَا ، وَيُخْرِئُ عَلَى حَادِثِهِ فِي إِطْلَاقِ مَا قُرِّرَ لَهُ مِنْ نَاحِيَةِ كَذَا
بِشَهَادَةِ الدِّيْوَانِ الْفُلَانِي ، وَالْمُجَدِّدِ الَّذِي أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ لِأَسْتِقْبَالِ سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ
وَمَا بَعْدَهَا . وَسَبِيلُ كَافَّةِ الْأُمُورِ الطَّالِبِينَ بِمَدِينَةِ كَذَا الْاِقْتِيَادُ إِلَى تَبَاعُثِهِ ، وَالْاِمْتِنَالِ
لِإِشَارَتِهِ ، وَالتَّوَفُّرِ عَلَى إِجْلَالِهِ وَكَرَامَتِهِ ؛ فَإِنَّهُ زَعِيمُهُمْ ، وَمَقْدَمُهُمْ وَرَأْسُهُمْ ؛ وَمِنْ
خَالِفِهِ مِنْهُمْ قَابِلَتَاهُ ، وَبِأَلَمِ الْعِقَابِ جَازِيَتَاهُ ، وَالْاِعْتَادُ فِي ذَلِكَ أَجْمَعٌ عَلَى التَّوَقُّعِ
الْأَشْرَفِ الْعَالِي أَعْلَاهُ اللَّهُ ، وَالْعَلَامُ الدِّيْوَانِيَّةُ فِيهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة بولاية الشرقية ، وهي :

لَمَّا كَانَتِ الْأَعْمَالُ الشَّرْقِيَّةُ أَجْدَرُ الْبِلَادِ بِأَكِيدِ الْاِهْتِمَامِ وَأَخْلَقَ ، وَأَوَّلَاهَا بِإِضْفَاءِ
مِرْثَالِ الْاِهْتِمَالِ الَّذِي لَا يُخْلَقُ إِذَا رَتَّ سِوَاهُ وَأَخْلَقَ ، وَأَقْنَبَهَا بِحُسْنِ نَظَرٍ يُرْسَلُ
لِرَسُولٍ عَلَى الرِّسْمِ الْأَعْنَتِ فِي إِدَامَةِ نَضْرَةِ الْعَارَةِ عَلَيْهَا وَيُطْلَقُ ، وَأَحَقُّهَا بِأَنْ يُرْمَ هَا

سَبَبٌ تَقْدِيرٌ لَا يَلْتَصِقُ بِهِ رَهْنٌ وَلَا يَتَنَاقُ ، وَأَحْرَاهَا بِاعْتِنَاءٍ يَقْضِي لِأَمْرِهَا بِالْإِطْرَادِ ،
وَأَوَّلَاهَا بِتَعَمُّدٍ يَجْمَعُ مَصَالِحَ الشُّنُونِ أَلْفَةً لِلثَّوَاءِ بِهَا وَالْمَقَامَ مَائَةً لِلشُّوْزِ عَنْهَا
وَالشَّرَادِ ، لِأَنَّهَا بَابُ الشَّامِ ، وَإِلَيْهَا تَرْدُ الْقَوَائِلُ الْمُرْتَدَّةُ مِنْهُ عَلَى مَرَّةِ الْأَيَّامِ ، وَمِنْهَا
يَسْتَكْشِفُ الْأَخْبَارَ وَيَسْتَنْهَضُ الطَّوَالِغَ وَالْمُتَخَبِّرِينَ ، وَبِمَوَاصِلَةِ التَّفَقُّدِ تَعْلَمُ الْأَحْوَالُ
الطَّارِئَةَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينَ ، فَتَجِبُ الْمُبَالِغَةُ فِي حِفْظِ طُرُقَاتِهَا وَمِيَاهِهَا ، وَأَنْ تَصْرِفَ
الْهَيْمُ إِلَى ضَبْطِ أَحْوَالِهَا ، وَعَامَّةِ أَتْقَانِهَا وَأَتَجْمَاهِهَا ، وَيُوضَعُ بِنَاءُ الْحَزْمِ فِي صَوْنِ
أَطْرَافِهَا عَلَى أَثْبَتِ قَاعِدَةٍ وَيُؤَسَّسُ ، وَيَسَالُغُ فِي إِذْكَاءِ الْعِيُونِ عَلَى كُلِّ طَارِقٍ يَتَخَبَّرُ
لِلدَّعْوِ الْمَعْلُونِ وَيَتَجَسَّسُ ، وَكَتَبْتُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ مِنَ الْمَشْهُورِينَ بِالشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ ،
وَذَوِي الْكَفَايَةِ الْمُؤَيَّنِينَ تَرَاوَعَهُمْ فِيهَا [عَلَى] عَارِضِ الْإِعْدَامِ ، وَمَا زِلْتُ مَعْدُودًا مِنْ خَاصِّ
الْأَثَرِ الْأَعْيَانِ سِسْمِ (٩) ، الْمَقْصَرِ بِجَارِهِمْ إِلَى غَايَةِ الْبَسَالَةِ عَنْ التَّلَاقِ بِهِمْ وَالْإِدْرَاكِ
وَقَدْ تَقَدَّسَتْ وَلَايَتُكَ هَذِهِ الْأَعْمَالُ فَقَصَصْتُ مِنْهَا قِصَّةً سَدِيدًا ، وَأَلْحَقْتُ الرِّعَايَا
ظِلًّا مِنَ الْأَمْنَةِ مَدِيدًا - نَحْرُجُ الْأَمْرَ بِإِبْدَاعِ هَذَا الْمَشْهُورِ مَا أَنْتُمْ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ إِعَادَتِكَ
إِلَى وَلَايَتِهَا ، فَبَالِغٍ فِي اسْتِضْخَاحِ الْأَنْبِيَاءِ وَكُشْفِهَا ، وَرَفْعِ الْوَيْتَةِ فِي ذَلِكَ وَصَرَفِهَا ،
وَوَكَّلَ بِهِ عَزْمَةً لَا تُنْطَلِجُ سِنَّةً بِطَرَفِهَا ، وَأَنْتَ فِيهِ إِلَى غَايَةِ تَضْيِيقِ سَمْعِ الْقَوْلِ بِوَصْفِهَا ؛
وَتَوَاجِعُ فِي تَسْيِيرِ الطَّلَامِغِ وَتَنْتَبِهَا ، وَعَوَّلَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنَ الْعُرَبَانِ الْمُسْتَنْهَضِينَ عَلَى
تَنْهِيئِهَا وَتَنْتَبِهَا ؛ وَاجْتَبَدَ فِي حِفْظِ الطَّرِيقَاتِ وَالْمَنَاطِلِ ، وَاسْتَنْهَضَ لِلتَّحَرُّزِ عَلَيْهَا
مَنْ هُوَ عَالِمٌ بِهَا غَيْرُ جَاهِلٍ ، وَتَحَفُّظَ مِنْ جَلَلٍ يَتَطَلَّقُ - وَالْعِيَادَ بَاقِهِ - عَلَى الْبِلَادِ
وَحَلَّلَ يَتَحَلَّلُهَا ، وَأَتَنَضَ لِهَذِهِ الْمَهْمَاتِ بِصَارِمٍ حَدِّ تَسْلِمِ مَضَارِبُهُ مِنْ تَجَنُّزِ يَقْلَلُهَا ؛
وَلَا تَبْقَى مَحْكَأٌ فِي إِتْصَادِ الْمُتَخَبِّرِينَ ، وَإِرْسَالٍ مِنْ يُغَيِّرُ عَلَى بِلَادِ الْعُدُوِّ مِنَ الْخَطِيرِينَ ،
بِمَا [أَنْ] هَذِهِ سَبِيلُ التَّدْرِيبِ ، وَأُلْزِمَ أَرْبَابَ الْخُدُودِ مِنْ جَمِيعِ الْأَطْفَارِ حِرَاسَةَ
خُدُودِهِمْ ، وَخُلِّعَ بِاسْتِغْنَاءِ وَسْمِهِمْ فِي الْإِحْتِيَاظِ وَاسْتِغْرَاجِ مَجْهُودِهِمْ ، وَطَالَعَ

بما يُورد قبلك ، وأنه ما يُزجج بضرورة إجابتك عنه في الخدمة طلاك ؛ فاعلم هذا وأعمل به ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بولاية المُرَاحية ، وهى :

خرج الأمر بكتب هذا المنشور وتضمينه : إن من أظهر خلاصة جوهره السُّبُك ، وأرفع في إشكائه بالإنصاف عن كل شاك الشك ، وحصل عنده [من] الخلال الزكية نظم لا يحل وعقد لا ينك ، وأوفى على التقدير والظن في التدبير المبرج به عن الرعاية الضنك - أستوجب أن تُسند إليه حمايتهم ، وتجعل إليه كلامهم .

ولما كنت أيها الأمير من أحمَد عند تحز عزمه ، وتحرير نصلي حزمه ، واعتبار فصل مقالته ، واختيار أصل أبحاثه ؛ وشكر استناره على الإنصاف بمحض الولاء ، واستناره أخلاق غرر الآلاء ، واستناره أبحاث جنى الثناء ، واستناره أكتاف وهبى الاعتناء ؛ ولم تزل في رفعتك وجمها ، وما يرح جميل الرأى يديم بمنّا تُحف الإحسان نحوك وتوجيها ؛ وما أنفكت مجاهدتك مجاهدة في مهام إقدام تنويع ، وشجاعتك ملية على الكفار كل كفاح يلقون منه كلاً قتيلاً ويوماً كريهاً - أودع هذا المنشور ما رسم من استخدامك في ولاية الأعمال المُرَاحية .

فباشرها معتمدا على تقوى الله سبحانه التى تقوى بها أسباب توفيقك وتآله ، وتسلم أمور مباشرتك من خلل يكدر استبشارك وينكده . واعتمد العدل على من تشمل عليه هذه الولاية ونحوه ، وبالغ فيما يزيل عنهم الحيف ويؤويه ؛ وأقصد ما يقضى لسرهم بالأمين ، ويبلغهم من تحصين أوطانهم غاية التأميل . وأجعل أيدى المفسيدين مكفوفة عن كائنهم ، ووجوه المعتدين مصروفة عن إخطائهم ؛

وتطلب الأشرار، وتتبع الدُّعَاة؛ ومن ظفرت به منهم فلا تكن عن التنكيل به ناكلا، ولا تقصر في الحوطة عليه والمطالبة به عاجلا. وعامل النائب في الحكم العزيز بإنفاذه، وصون مديد باعه في تنفيذ الأحكام من انقباضه؛ وأعضده في إنفاذ قضاياءه، واختصاصه بكرام يقبل عليه مطلق مجيء. وشدد من الضامن في استيلاء حقوق الديوان واستنطاقها على أحسن حال من غير خروج عن الضرائب المستقره، وعوائد العدل المستقره. وتحوز أن يكون لناهضة العدو طروق إلى ناحيتك أو أيتياب، وشمر للتحفظ من مكائدهم تسميرا يزول عن حقيقته عارض الأرتياب، ولا تبقى شيئا يمكن لأهل ولايتك قواعد الأمانة منهم، وتبتل ليوقاتهم أذاهم تبتل من لا ينأى عنهم. وطالع بما يحتاج إلى علمه من جهتك إن شاء الله تعالى:



وهذه نسخة بولاية السمنودية، وهى :

إن أولى من ولي الأعمال، وتعلق بكفايته الآمال، وصدقته المهمات، وأُسندت إليه الولايات، من نظفت بمعدته الألسنة، وانتفت عن عين خبرته السنة؛ وكان حسن السياسة لرعيته، كثير العيارة مدة توليته؛ شهما في استخراج الحقوق من جهاتها، صارما في ردع المجرمين عن زلات النفس وهفواتها؛ حسنة سيرته، خالصة مناصحته ومبررته.

ولما كنت أيا الأمير فلان... أدام الله تأييدك وتسدلك، وحراستك وتميذك... أنت المتوخى بهذه الصفات الحسان، المتصف بما تهتم من الشرح والبيان؛ الذى نظفت شهما تلك بشهامةك، وشهدت محايك بنبأتهك... نرج الأمر الفلانى بأن لتولى مدينة سمنود وضواحيها، وما هو معروف بها وملسوب إليها؛ بشرط بسط

العذل ونُشره، وإعياق عَرف الحق ونُشره؛ وأن تُخَفِّف الوطأة عنهم وتُفَعِّل ما هو
أولى، وتُعلِّم أنك تُسأل من الله تعالى في الأخرى ومِنَّا في الأولى؛ وأن تصوِّن
الربا وتجتلب لنا أذمتهم، وتعلمهم بما يُطِيب قُومهم ويُبلغهم بُنيتهم؛ حتى
يتساوى في الحق ضعيفهم وقويهم، ورشيدهم وغويهم، ومليهم ودنيهم؛ وأن لا تُقيم
الحدود على مَنْ وجبت عليه إلا بمقتضى الشرع الشريف، والعذل المنيف؛ وأن
تُسَدِّد من ثواب الحكم العزيز، وتُفَعِّل في ذلك فعل المهذب ذى التمييز؛ وأن تُحَسِّر
عن ساعد الاجتهاد في الجمع بين استخراج جميع الحقوق الديوانية والعِمارة، وتُجَمِّل
تَهوى الله هى الإطاعة لك والظَّهارة؛ وأن تبدِّل النهضة فى استخراج الأموال،
وتُحَصِّل الغلال على الثَّمام والكمال؛ بحيث لا يتأثر منها الدرهم القرد ولا القسح
الواحد، وتُفَعِّل في ذلك فعل المُشْفِق المُشْمِر الجاهد؛ وأن تُدِيم مباشرتك للأقصاب
في حال برِّها وزداعتها وتربيتها وحماها، واعتصارها وطبخها، وتركيز أثمارها؛
بحيث لا تنكَل الأمر في شيء من ذلك إلى غير ذى ذِمَّة بمفرده، ولا إلى من ليس
بذى خبرة لا يعلم مُشَقِّ التصرف من مُسَعِّده. وقد جعلنا لك النظر على جميع النواحي
الجارية في ديواننا بالوجه البحرى خاصة لتُنظر في أمرها، وتزجر أهل الجنايات بها؛
وتُفَعِّل فيها كل ما يُعجِّد به الأثر، ويُطِيب بِسَماعه الخبر.

فَقَدْ لَمَّا قُلْت، وُقِّمَ حق القيام بما إليه نُبِت؛ وأُعْمِلَ فيه بِتَقْوَى الله في سِرِّكَ
وجَهْرِكَ، وقَدِّم الخوف من الله على جميع ما تاتيه أو تذرّه من أمرِكَ؛ وتَسَلِّمْهُ
شاكرا لما أَسَدَّيْنَاهُ إِلَيْكَ، مَتَسَكِّا بما أَوْجَبْنَاهُ عَلَيْكَ؛ فَإِنَّ الشكر يُوجب مزيديكَ،
وَيُكَثِّرُ عَيْدَكَ .



وهذه نسخة بولاية الشتراوية، وهى :

من عاديتنا فى التدير وشجيتنا، ومسلتنا فى السياسة وسيرتنا؛ إسباغ المواهب والنعم،
وتثقل عيديننا فى مراتب الخدم؛ استرشادا بأسلافنا الملوك وأقدياء، واستضاءة
بأنوارهم المشرقة وأهتداء .

ولما كنت أياها الأمير من عرفت بسائته، واشتهرت شجاعته وصرامته؛
وأستحق أن يلحظ بين الرتايه، وأن يشرف بالارتضاء للتعويل عليه فى ولاية، -
رأينا - وبالله توفيقا - استخدامك فى ولاية الأعمال الشتراوية، ونخرج أمرنا إلى
ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل بتقليدك ذلك، وتضمينه ماتعمد عليه، وتتمى
إلى المثل لك فيه .

تفقد ماقدته حاملا بتقوى الله فيما تُسِرُّ وتُعلنه، معتمدا فيها غاية مايسطيعه
المكلف ونهاية ما يمكنه؛ فالله تعالى يقول إرشادا للمؤمنين وتفهما : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَهُوَ يُطِيعُ
اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ . وساو بين القوى من هذه الولاية والضعيف،
ولا تجعل فى الحق فرقا بين المشروف والشريف؛ وأمدد على كافيتهم رواق السكون
والأمنه، وأجرهم فى المدة على العادة الجميلة الحسنة؛ وأقل فى إقامة الحدود على
من تجب عليه ما يوجب كتاب الله الكريم، وتقضى به سنة نبيه محمد عليه أفضل
الصلاة والتسليم؛ وأدأب فى حفظ السبل والمسالك، واجتهد فى ذلك الاجتهاد
الذى يجب على أنظارك وأمثالك؛ وفى ظفرت بمن يؤذى مسافرا، أو يخيف وإريدا
أوصادرا؛ فطالع بحاله يُمثل لك فى التمثيل بما تعتمد، وتؤمر فى شأنه بما تنهى

إليه وتخصه . وراع المستخدمين على الحكم والدعوة فهما يتوليان ما يباغزاه يقوم
متأثر الإسلام ، ويجري أمور الشريعة على أبجل وضع وأحسن نظام . وخذ
المستخدمين في الأموال الديوانية بالاجتهاد في العماره ، وحمل المعاملين على ما توجب
المسئله والحرص على ما وفر الارتفاع ، وحماه من أسباب التفریط والضیاع ،
واستنبض الرجال المستخدمين معك فيما ترى تدبهم إليه ، واستنصهم فيه ، فاعلم
هذا وأعمل به ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بولاية الإسكندرية، وهي :

أهتامنا بما حاطت بقر الإسكندرية - حماه الله تعالى وحسنه ، ومنحه أتم حظ
التفقد وأكمله وأجل وضع التمهيد وأحسنه ، وقوى سبب استقامة شؤونه وأتقن
أموره وممكنه ، ومدّ ظلّ الدعة والسكون على كافة من تديره وسكنه ، وحفظ
عليه نظام النضاره ، وأماط عنه مكروه الأحوال الضاره ، وأنام أهله على مضجع
الأمن ومهاده ، وحكم بإحلالهم تجود الاتحاد على المصالح وإجلالهم عن وهاده ،
وحمل سوام أموالهم من مشروب ورد أجاج ومرعى نبت وخيم ، وحباهم من
رسوم الإحسان وعوائده مالا يتطرق لسأ على زوائده بترخيم ، وملا آمال الأعداء
عن التطرق إليه إخفاقاً ، وردّ نصول سهام مكابدهم عنه على ما عهد من فضل الله
سبحانه أفوا - إذ كان من أجل الثغور الإسلامية أوزاراً ، وأسبغها إلى غاية
التفضيل آتداراً ، وأكثرها بمن حواه من صدور الدين وأئمة المسلمين افتخاراً ،
وأفضليها عملاً ولم يزل مفرغ السفار من كل جهة رسلاً وتجاراً - أوجب أن تسند
ولايته ، وردّ كلامه ، إلى من يجرى في التدبير على حكم سياسته المعلوم ، الحسن

الأخذ بيد المظلوم ، وقومُ بحسن التفويض والإيمان ، ويعطى بكل السلامة من حقوق انتقامه عهدة الأمان ؛ ويسلك فيما يُعَدَّق به طريق السداد ويلزم تهجه ، ولا يمكن أن يكون له على غير الصواب معاج ولا عرجه ؛ ويأخذ في كل أحواله بوثائق الحزم ، وتُحِلُّ له أعماله الصالحة من متوئ المنازل الرفيعة ما هو على غيره من الحرام الحزم .

ولما كان الأمير المعنى بهذا الوصف الواضح البيان ، المتكافئة في ذكر مناقبه شهادة السماع والبيان ؛ الكائى ما ينطأ به بقلب المعنى وطرف يقظان ، الحال من الورع في أسمى مكان وأعلى مظان ؛ الجامع في إقامة شرع الإخلاص بين الفرائض والسُنن ، الموفية عزائم على مضارب المهتدة التي لا تقي منها ما نعت الجن ؛ الفائح من نبطه ما تؤثر صحاح الأنباء عن خليل نسيمه ، الجدير بما يُرْف إليه من حقايل جزيل الإنعام وجسيمه ؛ وقد أبان في ولايته بمطابقته بين شدته ولينه ، وإقامة منار الإنصاف المُرَب عن امتداد باعه في الحرب وأقباض يمينه ؛ وإروائه كافة أهلها من تميز العون على استنباب الأمور ومعينه - خرج أمر الملك العادل بتقليده ولاية نهر الإسكندرية حماه الله تعالى والبحيرة .

فليقلد ما قلده إياه ، وبياشره منشراح صدره متبلاً بحياه ؛ وليعتمد على تقوى الله التي هي خير عتاد ، وأفضل ما اعتمد عليه في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ؛ وهي نجاة أهل اليقين ، وفوز المتقين ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

وليبلغ في نشر راية العدل ومبد جنتاه ، وتغية أذى الجور واجتياحه ؛ وليشمل الصغير والكبير من أهل هذه الولاية برداء النصفه ، ويعاملهم بالجميل الموقى على

الصَّيَّةَ ، وَفِيمَ الْجُلُودِ عَلَى مُسْتَوِجِيهَا ، وَيَنْتَهِي إِلَى الْغَايَةِ فِي تَجَنُّبِ إِضَاعَتِهَا وَتَوْقِيمِهَا ؛
وَلِيُذِلَّ عَلَى الْمُسْئِدِينَ عَيْنَ مَنْ يَتَّبِعُ وَقُوعَهُمْ فِي قَبْضَتِهِ وَيَتَطَلَّبُ ، وَيَقَابِلُ كُلَّاهُمْ مِنْهُمْ
بِمَا يَرَى مُتَعَقِبًا بِإِعْصَافِ بَرَقِ الْمُهَاقِبَةِ غَيْرَ خَلْبٍ ؛ وَلَا يُبْقِي مُمَكِّنًا فِي التَّقْيِيبِ عَلَى
مَرْتَكَبِي الْآثَامِ ، وَالْمُرْتَكِبِينَ عَلَى سَفْكَ الدَّمِ الْحَرَامِ ؛ وَمَنْ ظَفِرَ بِهِ مِنْهُمْ فَلْيَحْكَمْ فِيهِ
شَبَابَ ظَفَرِ الْإِسْتِقَامِ وَنَايِهِ ، وَيَقَابِلْهُ مِنَ الرَّدْعِ بِمَا يُؤْمِنُ مِنْ مُعَاوَدَةِ عَادَاتِ التَّعَدَّى
عَلَى كُلِّ حَصْرٍ وَنَايِهِ . وَلْيَجْرِ عَلَى مَادَتِهِ فِيمَا يَسِيرُ عَنْهُ أَحْسَنَ السَّمْعَةِ ، وَيَشْهَدُ لَهُ بِالنَّتَرَةِ
عَنِ خَيْبَةِ الطَّعْمَةِ وَفَيْحِ الطَّمَعِ . وَيُسَدِّدْ مِنَ الْقَاضِي مَتَوَلَّى الْحَكْمِ فِيمَا يُصْدِرُهُ
وَيُورِدُهُ ، وَيَحْلُلْ وَيُعْقِدْ ، وَيُضْيِضْ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ ، وَيَعْتَمِدْ فِي الْقَضَايَا بِمَا
لَدَيْهِ مِنَ الْأَلْعِيَّةِ . وَيَبَاضِدِ الْمُسْتَخْدِمِينَ فِي الْأَمْوَالِ مُعَاضِدَةً مُنْمَرَةً ، وَتَتَّى الْإِرْتِمَاعَ
وَتُوفَرَهُ ، وَتُعَوِّدْ عَلَى الدِّيَوَانِ بِالْحَقِّ الْوَاقِ ، وَتُعَرِّبْ عَنْ كَوْنِهِ بِمَثَلِ هَذِهِ الْوَلَايَةِ نَيْمَ
الْكُفِّ الْكَافِي . وَيَعَامِلِ التُّجَّارَ عَلَى تَبَايُنِ بُلْدَانِهِمْ ، وَأَخْتِلَافِ أَسْلِحَتِهِمْ وَالْوَلَانِيهِمْ ،
مُعَامَلَةً يُجِلُّ أَثَرَهَا وَيُحْسِنُ ؛ وَيَتَّقَهُمْ بِشَرِّهِمْ وَطَلَاقِهِ تَنْطِقَ بِشُكْرِ اسْتِشَارِهِمْ بِهَا
الْأُسُوسَ ؛ وَيَحْفَظْهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ وَبَضَائِعِهِمْ ، وَيَسْتَفِيدَ الْوُسْعَ فِي دَفْعِ مَضَارِهِمْ
وَرَوَائِعِهِمْ . وَيَعْتَمِدْ بِعَثْ رِجَالَهُ عَلَى الْإِسْتِعْدَادِ لِلْجِهَادِ ، وَالتَّاهِبِ لِقِرَاعِ الْأَضْدَادِ .
وَيَنْتَهِي إِلَى الْغَايَةِ فِيمَا يُزِيلُ مِنْهُمْ أَعْتَادًا وَيُزِيلُ أَعْتَادًا ، وَيُوجِبُ لَهُمُ الْاِقْتِدَارَ عَلَى
مُكَالَفَةِ عَمَلٍ إِنْ طَرَقَ التَّنَرُّ وَالْمِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى .



وهذه نسخة بولاية برقة، وهي :

مِنْ حَقِّ الْأَطْرَافِ الْمُتَنَاهِيَةِ فِي بُعْدِ أَطْفَارِهَا ، وَالْبِلَادِ الشَّامِعَةِ عَنْ نَوَاءِ الْمَمْلُوكَةِ
وَعَمَلِ اسْتِقْرَارِهَا ، الَّتِي آتَتْظَمَتْ فِي سِلْكِ أَعْمَالِ الْمَمْلُوكَةِ النَّاصِرِيَّةِ وَأَخْتَرَعَتْ ،

واستدركت ميعادها لمن حوته فوائت الفوائد التى سلفت وفوطت - أن يديم اركيد
الاهتمام لما التحصين والتحسين، ولا يُغيب أهلها ما يشاهم من الملاحظات مصيحين
ومُخسِنين ؛ وتزجى لها بحائب كرم التعهد عهادَه غَدَقًا ، ويُشمل الأولياء فى حياتها
من القمود السبنة ويذُكون دُونها من القنا حَدَقًا ؛ ويفوض أمورهم الى مَنْ تُخف
على يده كلفتهم ، ويجمع بحسن سيرته أَلْفَتهم ؛ ويشتمل من صانته عليهم أشتمال
الصدقة على القلوب ، وتليهم مهابة من كَف صَوْنِ العدا كل مؤثر مطلوب .

ولما كنت أيتها الأمير من أُمز سالكى هذه الطرائق ، وأمثل فُرسان الحروب
وحمة الحزائى ؛ وأشجع المجاهدين فى الله حق جهاده ، وأجسِرم على إصلاء الشراك
ضرام فنيك لا يُخفى إصلاذ زَناده ، ولك السياسة التى تُرتب بين الأُسود والظباء
أصطحابا ، والمخالصة التى لا تُناجى إذا وصفت بالتغالى فيها ولا تُحاجى - نخرج أمر
الملك العادل بكتب هذا المنشور لك بما أتم عليك بولايتِه وإقطاعِه ؛ وهو بركة
يجمع أعمالها وحقوقها : من العقبة الصغرى وإلى آخر حدودها ، وبما أمر به كافة
الربان المقيمين بهذه البلاد ، وجميع أهلها من حاضر وباد : من الإعلان لك بشعار
الطاعة ، وصون ما يلزمهم أدائه إليك من فروض النصح عن الإضاعة ؛ وأن يبدؤوا
فى موافقتك غاية الاجتهاد ، ويعتمدوا من أمثال مراسيك أحسن اعتماد ؛ ويحذروا
من العدول عن أمرك ، ويحتلبوا غفلة نيك وزجرك .

فاستمك بجبل التقوى الفائز من يعتصم به ويتعلق ، واستشعر من خيفة الله
ما يُشرك لأجله عليك نور الرضوان ويتألق ، قال الله تعالى فى كتابه المبكون :
(إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ عُسُودُونَ) . وعامل أهل هذه الولاية بالإنصاف ،
ولأنك ومكره العدول عن حجة العدل والإنحراف ؛ وتوق العسف بهم والحيف

عليهم ، وأجانب الترخيص لأصحابك في مد يد أحد منهم بئدوان إليهم ؛ وسرفهم
سيرة ترؤف بهم وترؤف ، وجانب سبيل من تقوم عنده أسواق أختلاق المتخربين
وتشقق ؛ ولا تخرج في تدبير الأمور عن قانون الشريعة ، ولا تجعل لك إلى فوز الآخرة
عن تقديم العمل الصالح من ذريعه . وغل عنهم أيدي حاضري المفسدين وبأديهم ،
وأينهم بالمهابة عن إصرارهم على المنكرات وتماديهم ؛ وكل بهم عزماً رادعاً لهم
وإزناً ، ونكل بمن ظفرت به منهم تنكيلاً يزجر من يظل بحر الضلال نازعاً . وشد
من خلفاء الحكم العزيز في تنفيذ قضاياه ، وخصهم من الكرامة بما تقتضيه إقامة
مناره وإنارة مزاياه . واعتد ما يعيد الحقائق بوجه ناضره ، ويرد الأباطيل
بصفية خاسره . وراعى أمور التجار والمحتاج مراعاة شملهم في السقر والإقامة ،
وتعيمهم من تطرق استهانة إلى أحد منهم واستصامه ؛ وطالب بما يتجدد من أحوال
خدمتك ، وما يحتاج إلى علمه من جهتك ؛ إن شاء الله عز وجل .



وهذه نسخة بولاية القرماء ، وهي :

نحن لما ضاعف الله لبيتنا من إحسانه وأجزله ، وصدق بنا من تدبير أمور الخلق
وأسنده إلينا ووكله ، نعتمد عبيدا بتوفير الرعاية لهم والإكرام ، ونحافظ على ما يفرهم
من شامل الإفضال وسابغ الإنعام ؛ فتقدم للخدم من خطبها بخلوص طاعته ، وتوكل
للرتب من أبانت شجته عن خبرته ومناصحته .

ولما كنت أيها الأمير ممن ظهرت مشايته وموالياته ، وحسنت في مكافئة
الأعداء مشاهدته ومقاماته ، ووضحت في أنفاله دلائل النصيح وبانت عليه سمائه ؛
ولك مساج مشكورة ، ومواقف مشهورة ، ومقاصد هي من ما ترك معلودة

وفى فضائلك مذكوره؛ رأينا - وبالله توفيقنا - استخداك فى ولاية الفَرَمَا والحَفَار :
 سكونًا إلى رضا منحك ، ووجهة بانتظام الحال فيما يرد إليك ويُسلط بك ؛ وخرج
 أمرنا إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل بتقليدك الولاية المذكورة وتضمينه
 مانأمر به ونزيمه ، مما يهديك إلى الصواب فتتسك به وتمكف عليه وتلزمه .

فتقلد ما قلده شاكرًا على هذه النعمى ، عاملا بطاعة الله تعالى ومراقبه فى السر
 والتجوى ، وأعدّها زادا إلى الآخرة تطمئن به القلوب وتقوى ، قال الله عز من
 قائل فى كتابه : ﴿ وَتَزِدُّوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ . وأعتد فى أهل هذه الولاية
 نصفة تُهمهم ومصلحه ، وسنهم سياسة تكون لسنة الخير مؤكدة لسنة الجور
 مبذلة . وماثل فى الحق بين قويهم وضعيفهم ، ولا تجعل منية فى الواجب
 لشرفهم على مشروفيهم ؛ وأنتصف للظلم من المتعدى الظالم ، وأعمل بالكتاب
 والسنة فى الحدود التى تُقيمها على ذوى الجرائر والجرائم ؛ وأنتصف لحفظ
 الطرقات ، وصون المبادرين والواردين فى جميع الأوقات ؛ ونكّل بمن تظفر به من
 المفسدين ، وأجعله عظة لأمثاله من الظالمين والمعتدين ؛ واطيّد النائب فى الحكم
 العزيز معاضدة تضى بإعزاز الجانب ، وساعده مساعدة تُفدّ بها أحكامه على قضية
 الواجب ؛ وكذلك متولى الدعوة المادية فهى مضباح الزمان ، وبإشادة ذكره تقوى
 دعائم الإيمان ، فاجتهد فى تمييز متولّيا وإكرامه ، وبلغه فى ذلك غاية مطلوبه
 وسرّامه . وتوقر على الشد من المستخدمين فى الأموال ، وراعى [ما يحسن] لدينا فيما
 تنظر فيه من الأعمال ، وأحرص على ما عاد بوقور ارتفاعها ، وأجر أحوالها على أفضل
 رؤسوها وأوضاعها ؛ بحيث يكون العدل منبسطا منبثًا ، والحيث متحصصا مستأصلا
 مجتًا ، وأجمل محبة الرجال المستخدمين معك ، وأحسن معاشرتهم مع مطالبتهم بملازمة

(١) كانت طلة ترى ومن مدنها الريش والورادة وريح وظلة وقس والرفقا . انظر معجم البلدان .

إنلخدمه ، وأستنهاضهم فى الأمور الشاقّة المهيّمة ؛ فاعلم هذا وأعمل به ، وطالع بما تحتاج إلى المطالعة به ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بولاية عسقلان ، وهى :

من شيئا التى غلّت للصالح ضوا من ؛ وعلت فكل متطاوّل عندها متطامن ؛
وهمنا الكافلة [للرعية] بما يُقرّ عيونها ، والقاضية للخاصة والعامة بما يوجب طمأنينتها
وسكوتها ؛ أنعمنا النظر فيما نزعها به ونسوسها ، وأعملنا الفكر فيما يستقيم به أمرها
ويزول معه بؤسها ؛ فيقف [بنا] الاجتهاد فى ذلك على حجة الصواب التى لا ضلال
فى سلوكها ، ويُففى منا الحرص إلى غاية لم يبلغها أحد من مدبرى الدول وملاكها ؛
فنتخب خطير الخدم من كان قسوما بها مستقلا بأصارها ، ونتجب لجليل الرتب
الاعيان من أمراء دولتنا وأنصارها ؛ حفظا لما أستحفظناه من أمور العباد والبلاد ،
ورقما لهداى الصلاح وحما لمواد الفساد .

ولما كنت أباها الأمير من الأولياء الذين صفت فى المخالصة صفائهم ، وحسنت
فى الطاعة عقائدهم وسرائرهم ؛ ونالوا من نبيه الحظ ما أطنب الواصف فيما يذكره منه
ويرويه ، وأحسدوا المناصحة فيما رَقُوا فيه من درج التنويه ؛ وقد استكفيت مهمات
من الخدم فكفيت همها وخففت ثقلها ؛ وأهلت لولايات سيئة خملت كلها ،
وكنت مستجبًا لها وأهلها ؛ فلك موات حيدة من حسن المقاصد ومشكور المساعى ،
وحرّمات أكيدة ظلت على أصطفائك من أوقى البواعث وأقوى الدواعى ؛ وكانت
مدينة عسقلان - حماها الله تعالى - مقر الإسلام الذى لا تقهره فى الشام سواه ،
والرباط الذى من كان به فقد نال الثواب الجزيل وأحرزه وحواه ؛ وهو فى عيون
الكفار - خلعهم الله - نُكته ، وأسباب طمعهم فيه منقطعة بمحاماته منته ؛ ونحن

تُوقَرُ أَهْمَانَا عَلَيْهِ رِغَابُهُ لِمَكَانِهِ الْمَكِينِ ، وَنَتَّصِي الْكَفَاةَ لثَوْبِهِ تَوْصِيلاً إِلَى التَّكَايَةِ فِي الْمَشْرِكِينَ ؛ وَهُوَ مَعْقِلٌ لِلْسَّامِينَ الْمُجَاهِدِينَ وَرِدَّ ، وَجُجَاوَرُهُ قَوْمٌ لَدُّ ، وَأَمْرُهُمْ أَمْرٌ إِذْ ؛ فَيَجِبُ أَنْ يُرَادَ لَضَبْطِهِ النَّسَبُ الَّذِي لَا تُهْتَبَلُ غَزْوُهُ ، وَيُسَامَ لِحَفْظِهِ الْمَضْبُ الَّذِي لَا تُتَّقَى ضَرْبُهُ ؛ وَيُخْتَارُ لِمَوْنِهِ الشَّهْمُ الَّذِي يَقِفُ عَلَى الْمَصَالِحِ هَمَّتْ ، وَتُقَدَّرُ فِيهَا عَزَمَتُهُ ؛

وَحِينَ كَانَتْ هَذِهِ الصِّفَاتُ فِيكَ مَوْجُودَةً ، وَظَلَّتْ مُحْصَوَةً مِنْ خِلَالِكَ مَعْدُودَةٍ ؛ رَأَيْنَا - وَبِاللَّهِ تَوْفِيقُنَا - مَانِعُجَ بِهِ أَمْرُنَا إِلَى دِيْوَانِ الْإِنْسَاءِ مِنْ كُتُبِ هَذَا السَّجِّلِ بِتَقْلِيدِكَ وَلَايَةِ هَذَا التَّغْرِوْضِوَايَةِ ، وَعَمَلِهِ وَنَوَايِحِهِ ؛ تَهْنِئَةً بِشَهْوَرِ مَضَالِكَ ، وَطَلَبًا بِإِبْرَارِكَ عَلَى تَقَرُّرِكَ .

فَقَدْ هَذِهِ الْخِدْمَةُ عَارَقًا قَدْرَ مَاخُولَتْ مِنْهَا ، وَعَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ وَخَيْفَتِهِ فِي جَمِيعِ مَا تَأْمُرُ بِهِ وَتَنْهَى ؛ فَإِنْ تَقَوَّاهُ الْجَنَّةُ الْوَاقِيَةُ ، وَإِنْ خَيفَتُهُ النَّارُ الْبَاقِيَةُ ؛ وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ الْمُتَّقِينَ بِتَسِيرِ الْأُمُورِ ، وَتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ وَإِعْظَامِ الْأَجُورِ ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ . ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ سُبُلًا مَخْرُجًا ﴾ . وَاسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ فِي جَمِيعِ مَنْ يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ عَمَلُكَ ، وَيَجْرِي عَلَيْهِ تَوَلُّكَ وَنَظَرُكَ ؛ وَسَاوِ فِي الْحَقِّ بَيْنَ الضَّعِيفِ وَالْقَوِي ، وَمَاثِلِ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ ؛ وَإِذَا ثَبِتَ عَلَى شَرِيفِ حَقٍّ فَلَا تُجَاهِدْ لِرُبْنَتِهِ ، وَإِذَا ثَبِتَ لَوْضِعِ نَفْسِهِ مِمَّنْ لَزِمَهُ وَأَسْتَقَرَّ فِي جِهَتِهِ .

وَأَعْتَمِدْ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مَا يَسْتَنْطِقُ بِالشَّيْءِ عَلَيْكَ أَلْسِنَةُ الْمَادِحِينَ ، وَيَنْظُمُكَ فِيمَنْ حَتَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

(١) فِي الْقَامُوسِ وَغَيْرِهِ «نَتَّصَيْتُ» أَيْ بِالصَّادِ الْمُهْمَلَةِ «الرَّجُلُ آخَرَتُهُ» فَتَبَهُ .

وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ .

وَأَقِمِ الْحُدُودَ عَلَى مَن لَّزِمَتْهُ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ لِإِقَامَةِ [تَجْرِى بِهَا] جَمَرَاهَا ، وَتَوْقُ الزِّيَادَةَ فِيهَا وَالنَّقْصَ تَوْقَى مِنْ يَتَمَثَّلُ الْمُبَازَاةَ كَأَنَّهُ يَرَاهَا . وَهَذَا الثَّغْرِ لِحَلِّهِ وَثُمَّ مَقْدَازُهُ ، وَقُرْبَ الْعِلْمِ مِنْهُ وَدُورَ دَارِهِ لَا يُقْنَعُ لَهُ بِمَرْكَزِيَّتِهِ ، وَلَا يُكْتَفَى فِي حَقِّهِ بِمَرَايَلِيَّتِهِ وَقَرَارِيَّتِهِ ؛ فَنَحْنُ نُسِيرُ إِلَيْهِ الْعَسَاكِرَ الْمُطَفَّرَةَ دَفْعَتَيْنِ فِي كُلِّ سَنَةٍ عَلَى حُكْمِ الْبَدَلِ : فَيُرِدُّهُ عَسْكَرٌ جَدِيدٌ مُزَاحُ الْعِلَّةِ ، كَثِيفُ الْعُدَّةِ ، وَافِرُ الْعُدَّةِ ، يُؤَثِّرَانِ يَظْهَرُ أَثَرُهُ ، وَيَحَافِظُ عَلَى مَا يَطِيبُ بِهِ ذِكْرَهُ وَخَبْرُهُ ؛ فُبْتُ السَّرَايَا وَشُنُّ الْفَارَاتِ ، وَضَبُّ عَلَى الْعُدُوِّ فَسِيحِ النَّوَاسِ وَالْجِهَاتِ ؛ وَجَهَّزَ إِلَيْهِ مِنْ يُخَفِّفُهُ فِي مَآئِنِهِ ، وَأَبْعَثَ عَلَيْهِ مِنْ يَطْرُقُهُ فِي أَحْرَزِ أَمَاكِنِهِ ؛ وَانْدَبَ مِنْ يَطَالِعُكَ بِخَفَى أَخْيَارِهِ ، وَيُظْهِرُكَ بِاطْنِ أُمُورِهِ وَمَسْتَوْرِ أَسْرَارِهِ : لَتَلْتَمِزَ فِيهِ الْفُرْصَةَ إِذَا لَاحَتْ عَاطِلُهَا ، وَتَبَادَرَ الْغَفْلَةُ مِنْهُ إِذَا ظَهَرَتْ دَلَالُهَا . وَأَجْمَلَ لِلتَّطَوُّعِينَ مِنَ الْكِفَانِيِّينَ نَصِيبًا مِنْ ثَوَابِ الْجِهَادِ ، وَأَجْمَلَهُمْ عَلَى اسْتِغْرَاقِ الْوَسْعِ بِنَآيَةِ الْحِرْصِ وَالْإِجْتِهَادِ ؛ وَأَفْضَلَ فِي هَذَا الْبَابِ مَا تَتَضَاعَفُ بِهِ مَوَادُّ الْأَبْرِ ، وَتَتَسَخَّرُ بِهِ الْأَوْزَارُ كَمَا يَتَسَخَّرُ الظَّلَامُ بِضِيَاءِ الْفَجْرِ ؛ وَأَعْضُدُ مَتَوَلَّى الْحَكْمِ الْعَزِيزَ عَضْدًا يُعَلِّي أَمْرَهُ ، وَيُشَدُّ أَزْرَهُ ؛ وَيُحَرِّصُ نِظَامَهُ ، وَيَنْفِذُ قَضَايَاهُ وَأَحْكَامَهُ ؛ وَكَذَلِكَ مَتَوَلَّى الدَّعْوَةَ الْهَادِيَةَ - ثَبَّتَهَا اللَّهُ تَعَالَى - فَاعْتَمِدَهُ بِمَا يَشْرَحُ صَدْرَهُ فِيهَا يَوْحَىهُ لِلْؤَمَيْنِ ، وَيَهْدِي بِهِ الْمُسْتَجِيبِينَ وَالْمُتَدَبِّتِينَ ؛ وَوَقَّرَ مَوْقَرَ أَهْتَامِكَ عَلَى مِرَافِدَةٍ مِنْ يَتَوَلَّى أَمْرَ الْمَالِ وَمَا يَجْرِي فِي الْخَاصِّ قَسْدَ أَخْلَافِهِ ، وَيَزُكُّ أَرْشَاقَهُ ، وَتَغْزُرُ مَادَّتُهُ ، وَيَتَوَقَّرُ مُسْتَخْرَجُهُ ؛ وَيَحْتَمَى مِنْ خِيَانَةِ وَخَيْفِ ، وَيَسْلُمُ اسْتِدْأُوهُ مِنْ تَرِيثٍ وَتَوَقُّفٍ . وَأَسْتَنْهَضَ الرِّجَالَ الْمُسْتَخْدِمِينَ فِي الْأُمُورِ السَّوَالِجِ ، وَصَرَّفَهُمْ فَمَا تَرَى تَصَرُّفَهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَسْبَابِ الْمَنَافِعِ وَالْمَصَالِحِ ؛ وَأَسْتَظْهِرُ

الإحسان لمن أهدت طريقته ، وقوم بالفأديب من دمت فعله وكرهت سيرته ؛
فأعلم هذا وأعمل به ، وطالع بما يحتاج إلى المطالعة بمثله ؛ إن شاء الله عز وجل .



ومن المكتب بالوظائف الديوانية من هذه المرتبة نسخة توقيع بنظر
الدواوين ، وهى :

أحق الأعمال بأن يتم فيها النظر الشافى ، ويُندب لجل عيبتها الأمين الكافى ،
ويُحال النظر فى تقليدها للقيم بأمرها ، ويُعمل الرأى لأرتياد القوى على ضبطها
وحصرها ، ما كان منها جامعاً لمصالح الدولة ، حائراً لمهام الملكة ، وهى أعمال
الديوان ، والنظر فى حفظ وجوه الأموال وما يُعين على استئنائها ، ويعود بالزيادة
فى أصول أبوابها ؛ إذ كان ذلك ملاك الأمور ، وزمام التدبير فى حفظ الجمهور ،
والمعونة العظمى على الاستكثار من الرجال الذين بهم يتم حفظ البلاد وحماية الثغور .

ولما سلطنا البحث على استصلاح من يؤهله لهذه المنزلة ، واستخلاص من يحل
بهذه المرتبة ، أذانا الاختبار والاعتقاد ، وأنهى بنا الاعتماد والأرتياد ؛ إلى اختيار
الشيخ فلان : حين سقرت له النباهة فى الكفاية ، والوجاهة فى الخبرة والدراية ؛
وجب ... (١) ... على اختصاصه بالفضل الذى تحل بأدبه ، والعفاف الذى أشتهر من
منه ؛ من انحصال الحميدة ، وإخلال الرشيدة ؛ والفضائل الموروثة والمكتسبة ،
وإخلاص المتقاة المهدبة ؛ ورأيانه أهلاً لإحلال هذه المكانة ، وعدلاً قيمياً باحتال
هذه الأمانة ؛ وعلينا أن الصنعة عنده زكية الفارس ، والنعمة المتأصلة عليه
ضافية الملابس ؛ فقلدناه أمر الديوان بحلب وما معها من البلاد المضافة إليها

(١) بياض بالأمل بقدر كلة .

والداخلية في حكمها : قاصي ذلك ودانيه ، وأواسطه وحواشيه ، مقدمين الاستخارة فيما يُبديه من قول ، ونزيم عليه من فعل .

وأمرناه أن يستشير تقوى الله سبحانه فلأنها الجنة الواقية ، والذخيرة النافعة الباقية ، ويعتق أسبأها فلأنها المنجية من المهالك ، الهادية إلى السبل الواضحة إذا أشتهت المسالك ، عققا ماتوسمناه فيه من تحايل الأصالة ، ودلائل الجزالة ، مصدقا ما استلمحنه من كفايته وغناؤه ، واستوسمناه من استغلاله واستقصائه .

وأن يبدأ فربب في كل معاملة أئينا من الثقات الكفاه ، مشهودا له بالنهضة والأمانة المستوفاه . وأن يزيم الأعمال القاصية والدانية ، والبلاد القريبة والنائية ، بالضبط المستقصى ، والحفظ المستوفي ، ومن يرتبه عليها من الكُتاب الأئمة ، ويستصلحه لها من الحفظة الصحاء . ويتبع حال من بها من الثواب : فمن شهدت له التجربة بالكفاية ، ودل الاختبار منه على العفة والأمانة ، استدامه في خدمه المنوطة به ، وطالع من حاله بما يقضى له حسن النظر بحسبه ، ومن ألقاه متنكبا سبيل الأمانة ، مقارفا طريق العجز والحيانه ، بادر إلى الاستبدال به ، وتجل قطع ما بينه من الخدمة وبين سبه . وأن يسترفع البواق من الأموال ، في سائر الجهات والأعمال ، إلى آخر التاريخ الذي تليه مباشرته ، ويتصل بأخوه مبدأ نظره وفاتحته ، موجهة أوراقي ذلك بخطوط الأمانة ، مفصلة جهاته بأسماء المعاملين والضمناء ، حتى إذا حلت إليه ،

وصارت حجة على رافعيها في يديه ، طالبه بموافقة من هو في ذمته ، وتقدم بعد تصديقه على ذلك بمضايقته بعد المطالبة بجلي الحال وحقيقته . ثم يسترفع من مستوفي الديوان وممثاله شروط الضمان ورسومهم ، وقواعدهم في الضمان وعوائدهم : ليكون علم ذلك عنده مبينا ، ووقت سئاس الحاجة إليه حاضرا . ويطلب بمجرائد الضياع خاصها ومقطعيها المشتعلة على ذكر رسومها وحقوقها ، وعدد قلنسها

ومَقَاسِهَا . وجرائد الخراج اللازم لأرباب الأملاك على أملاكهم ، وتحقيق المصنوع عنه والمسايح به والباقي على الأداء في جهته . وجرائد الجزية مفصلة في نواحيها ، وأسماء أربابها إلى حين رفعها . وأن يطالب ثواب الجزية في كل شهر بخمسة تتضمن ذكر مصارف ما يحول إليهم ، وإقامة وجوه المال الذى يجمع عليهم ؛ مفصلة بميزة الإتياعات عن الإطلاقات ، والضمانات عن السفرات والإصطبلات ؛ وكذلك ثواب الأهراء يسترفع منهم ما يئد على مثل ذلك ، وسائر المتولين في سائر الخدم يطالبهم بهذه المطالبه ، ويضيق عليهم في مثل ذلك سبيل المغالطة والمواربه ؛ ويعمل مؤاخذتهم بذلك من الأمور الراتبه ، والوظائف اللازمة الواجبه ؛ حتى يتبين له الكافى من العاجز ، والأمين من الخائن .

وليتأمل وجوه الإخراجات ، وبلغ الإطلاقات والإجراءات ؛ ويسترفعه من مظانه مفصلاً بجهاته ، منسباً إلى أربابه ؛ ويتقدم بكتب مؤامرة جامعة لذلك التفصيل ، دالة على المقدار المطلق في كل سنة محكم النظر الدقيق دون الخليل ؛ وليستمد إطلاق ما يطلق منها على سبيل ما يوقع به عند ذلك ، وليكن هذا من الأمور الجارية على العادة والرسم ، ويلزمه كل من ثواب الديوان .



ومن المكتتب منها بالوظائف الدينية نسخة تهلل بولاية الحسبة ، من إنشاء الوزير ضياء الدين بن الأمير ، وهى :

﴿ وَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

هذا أمرٌ يستعمل على معنى الخصوص دون العموم ، ولا يختص به إلا ذوو الأوامر المطاعة أو ذوو العلوم ؛ وقد منحنا الله هذين الوصفين كليهما ، وجعلنا من المستحقين عليهما .

فلنبداً أولاً بحمد الذي هو سبب الزيد ، ثم لناخذ في القيام بأمره الذي هو على كل نفس منه رقيبٌ حديدٌ ، ولا ريب أن إصلاح العباد يسرى إلى الأرض حتى تزكو بطوبىها ، وتتم عيونها ، ويسترك في بركات السماء ساكنها ومسكونها ؛ والأمر بذلك حمل إن لم تنوزعه الأكسف ثقل على الرقاب ، وإذا انتشرت أطراف البلاد فإنها تنفر إلى مساحته من مستناب ومستناب ؛ وقد اخترنا المدينة كذا رجلاً لم نال في اختياره جهداً ، وقد منّا فيه خيرة الله التي إذا صدقت يثبتها صادقاً رشداً ، وهو أنت أيها الشيخ فلان .

فأبسط بك [بقوة^(١)] إلى أخذ هذا الكتاب ، وكُنْ حسنةً من حسناتنا التي ثم يرجع بها ميزان الثواب ، وحقّق نظرنا فيك فإنه من نور الله الذي ليس دونه من حجاب .

وأعلم أن أمر الشريعة مبنى على التيسير لا على التعسير ؛ ولا يضع اللسان موضع السوط إلا من أوتي زيادةً في التفسير ؛ وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مندوحة لمن لم يزلها ، وهي هدى لمن عمل بها ونور لمن علمها ؛ ويكفى من ذلك قصة الأعرابي الذي أتى حاجته في المسجد فسارع الناس إليه ، فهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « إنما يُعْتَمَّ ميسرين ولم يُنْعَثُوا معسرين ، ثم دعا بذنوب من ما فيه عليه وقال : يا أخا العرب إن المساجد لم توضع لشيء من هذا وإنما وُضِعَتْ للصلاة وقراءة القرآن » .

(١) الزيادة من "المثل السائر" ص ٤١٦ .

فانظر إلى هذا الرِّقَّ النبوى الذى شَفَى وَكفَى، وَغَفَى على أُمِّ المعصية لَمَّا عَفَا؛
ولوعاد ذلك الأعرا بى لمثلها نُقِلَ عن لِين التَّهْذِيبِ ، إلى شِدَّةِ التَّأْدِيبِ ؛ وكذلك
فَكَنْ أَنْتِ فى الرِّقِّ الذى حَدَّثَتْ عَنْهُ ، وَمَنْ حَادَّ فَيَلْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ .

ونحن نأشرك أن نحسب أولاً بِلِينِ القول لا بِالْأَنْفِ [و] النكير ، وأن تترقق
فى الموعظة التى هى طريق إلى الخشية والتَّذَكُّيرِ ؛ وأن لا تكون باحْسَابِكَ مِدْلًا
بَأَنِّكَ على الصراط المستقيم ، وأن الناس يَنْ يَدِيكَ على سَنَنِ التَّشْطِيفِ والتَّقْوِيمِ ؛
فإن من أكبر الذنوب ذنب الإعجاب ، والأوَّلَى لك حينئذ أن تعودَ على نفسك
بِالاحْسَابِ ؛ ^(١) ومن أدبك وأدب أمثالك أن يقف فى أمره المعروف مع التقوى
لامع هَوَاهُ ، وأن لا يُفَرِّقَ فى إزالة المعصية أن تكون بيده أو بيد أحد سواه ؛
وإنما كنت كذلك قرئك الله بِنِزْلِ السَّكِينَةِ على لسانه وبِيدِهِ ، وقم له أَوْدُ الناس
لتقويم أودِهِ ، والله ينظر إلى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ لا إلى عَمَلِهِ ولا إلى جَسَدِهِ . وطبِكَ
بالمجاهدين الذين سَلَبَ عنهم ثوبُ العافيه ، وَمَنْ أَخَفَى مِنْكَ بِالاسْتِتَارِ فلا تَكْشِفْ
عن حاله الخافيه . وأما ذُورُ الهَيْئَاتِ فَإِنَّ عَقَابَهُمْ مُقَالٌ ، وأعراضهم لا تُدَالُ ، وَلَرُبَّمَا
كَانَ التَّجَاوُزُ عَنْهُمْ دَاعِيَا إلى الإِنْتِقَالِ ؛ وفى قصة أبى حَجَّجٍ وسعد ما يَنْبَغُكَ أَنَّ الحياءَ
أَخْفَى فى الإِزْدِجَارِ ، وفى الناس أَذْنَابٌ لا قَدْرَ لها تُدَبُّ عَنْهُ وَرُؤُوسٌ تُدَبُّ عَمَّا لَهَا
من الإِقْدَارِ . وهاتان من ضَرُورِيَّاتِ الوصايا مَا يُؤْتَى فى مثله بتوكيد الأقوال ، وأكثَرُ
ذَلِكَ يُلَوِّدُ فى الماملات التى أَلْفَهَا قَوْمٌ دون قوم ، واستمرُّوا عليها يوماً دونَ يومٍ ؛
وقد أتى منها مَا اتَّفَقَ على العمل به كُلُّ فريقٍ ، وأيسرُ ذلك إِزَالَةُ النُّظَامَةِ من المسجد
وإِطَاعَةُ الأَذَى عن الطريق .

(١) فى القاموس أحسب عليه أنكر دمه المحسب .

وهذه الوصايا كلها لا تفتقر فيها إلى التوقيف ، وأنت عالم بوضع كلمها في موضعه
وفيرك الذي يتعدى إلى التحريف ؛ فامض على السنن ، وأنت بالحسن ؛ وسو بين
حالتيك في السر والعلن ، وكن من خوف الله ووجاهته بين رحلة سفر وقرارة وطن .
وهذا عهدنا إليك تتقمص اليوم منه رداء جملا ، وستحمل غدا منه عبئا ثقيلا ؛
وقد فرضنا لك عن حق سعيك فريضة تجذبها كفافا ، وتمنك أن تمتد عليك إلى
غيرها استشرافا ، فإن العمل الذي توليته يستغرق أوقاتك أن تكون للدينا كاسبه ،
وتسفل نفسك بالعمل والنصب لا أن تكون عاملة ناصبه . وإذا نظرت إلى ما نيط
بك وجدته قد استحصى الزمن أو كاد ، وأنت فيه بمنزلة الباني وقواعده :
« وكل بناء على قدر بانيه وما شاد » . ونحن نأمر ولا نسا على اختلاف مراتبهم
أن يرفعوا من قدرك ، ويسددوا من أمرك ، وإذا استوعر عليك أمر من
الجوانب سهلوا من وعرك ؛ والله قد أمر أهل طاعته بأن يكون بعضهم لبعض
من الأعوان ، فقال جل وتعالى : ﴿ تَسَاوَوْا عَلَى الْإِيمَانِ وَالْقُوَى وَلَا تَسَاوَوْا عَلَى
الْإِيمَانِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ .

الحالة الرابعة

(مما يُكتب عن ملوك الديار المصرية من الولايات ما عليه مصطلح كتاب الزمان
بديوان الإنشاء بالديار المصرية مما يُكتب عن السلطان لأرباب السيوف
والأقلام وغيرهم من التقاليد والمراسم والتفاويض والتواقيع ،
على ما سياتى بيانه ، وفيه [ثلاثة^(١)] مقاصد)

المقصد الأول

(فى مقدمات هذه الولايات ، وفيه مهيمان)

المهيمع الأول

(فى بيان رجوع هذه الولايات إلى الطريق الشرعى)

قد تحتم فى أول الكلام على العهود أن السلطنة فى زماننا دائمة بين إمارة
الاستيلاء : وهى أن يخلده الخليفة الإمارة على بلاد ويُفوض إليه تديرها فيستولى
عليها بالقوة ، وبين وزارة التفويض : وهى أن يستوزر الخليفة من يفوض إليه
تدير الأمور برأيه وفصلها على اجتهاده ، وأنها بإطاعة الاستيلاء أشبه ، على ما تقدم
بيانه هناك . وقد صرح الماوردى فى "الأحكام السلطانية" أنه إذا جئ فى المستولى
على الأمر بالقوة بعد تولية الخليفة له مع اشتغاله على الصفات المتبعة فى الموئل
فى الولاية الصادرة عن اختيار الخليفة الإسلام ، والحرية ، والإمانة ، وصنق
اللهمجة ، وقسلة الطمع ، والسلامة من الميل مع الهوى ، والبراءة من الشحشاء ،
والدكاء ، والفطنة - جاز له ما يجوز لخليفة من تولية وزارة التفويض وغيرها من
سائر الثيابات ، وجرى على من أستوزره أو أستنابه أحكام من أستوزره الخليفة

(١) بياض بالأصل والتصحيح من الآتى .

أو استنابه ؛ وإن لم يستكمل الصفات المعتبرة في الولاية الصادرة عن اختيار الخليفة ،
استناب له الخليفة لكل ولاية من لتكامل فيه شروطها .

قلت : وقد كانت ملوك بني بويه وبني سلجوق مع ظببتهم على أمر الخلفاء
ببغداد وأسبلاهم يقتصرون في تصرفهم على متعلقات الملك في الجهاد والتصرف
في الأموال ، ويكون أمر الولايات إلى الخليفة يسرها بنفسه ، وتكتب عنه
المهود والتقاليد على ما تشهد به نسخها الموجودة من إنشاء الصابي وغيره . وكذلك
الخلفاء الفاطميون بمصر عند غلبة وراثتهم على الأمر من لئن خلافة المستنصر
وإلى أقراض خلافتهم من الديار المصرية ، كالصالح طلائع بن رزيك في وزارته
للفائز والعايد ، ونحو ذلك : فإن الخليفة هو الذي كانت الولايات تصدر عنه
تارة بإشارة الوزير ، وتارة بغير إشارته ، على ما تشهد به نسخ السجلات المكتوبة
في دولتهم ، على ما تقدم بيانه في الفصل الأول من هذا الباب . على أن أصحابنا
الشافعية وغيرهم من أئمة الفقهاء - رحمهم الله - قد صححوا الإمامة بغلبة الشوكة
والاستيلاء على الأمر بالقهر دون استكمال شروط الإمامة ، تصحيحا للأحكام
الشرعية الصادرة عن المستولي بالشوكة : من العقود والفسوخ وإقامة الحدود
وغيرها ، على ما هو مذكور في باب الإمامة . وحيث فتكون جميع الولايات الصادرة
عن السلطان صحيحة شرعا وإن لم يستبته عنه الخليفة ؛ وكذلك ما يترتب عليها ،
على ما الأمر جار عليه الآن .

(١) ضبطه المحيد في قاموسه فقال « كقيط » . وقيل من المحافظين حجر ضبطه بكسر الهمزة ومصر به
شارح القاموس وبه ضبطه ابن خلكان في تاريخه .

المجموع الثانى

(فيما يجب على الكاتب مراعاته فى كتابة هذه الولايات)

وأعلم أنه يجب على الكاتب فى ذلك مراعاة أمور .

الأمر الأول — براعة الاستهلال بذكر اسم المولى أوضته أولقبه أو الوظيفة ،
أحوال الولاية ، مع استصحاب براعة الاستهلال إلى آخر الخطبة ونحوها من
الافتتاحات ، كما أشار إليه الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله فى كتابه "حسن
التوسل" كما تقدم ذكره فى الكلام على البيعات والمهود .

الأمر الثانى — مراعاة قطع الورق فى الجملة لكل ما يكتب من ديوان الإنشاء
من المكاتبات والولايات وغيرها . والذي يختص بهذا المكان ذكر مقادير قطع
الورق فيما يتعلق بهذه الولايات خاصة ، وهى خمسة مقادير : — أحدها قطع الثلثين ،
ويختص فى الولايات بكبار التقاليد دون غيرها — وثانيها قطع النصف ، وفيه تكتب
صغار التقاليد ، والمراسيم المكبرة ، والتفاويض ، وصكبار التواقيع — وثالثها قطع
الثلث ، وفيه تكتب صغار المراسيم المكبرة ، والتواقيع المتوسطة — ورابعها قطع
العادة المنصورية ، وفيه تكتب صغار التواقيع والمراسيم التى لا يسميها بعض ميزية
لا تنتهى بهم إلى رتبة قطع الثلث — وخامسها قطع العادة الصغير ، وفيه تكتب
صغار التواقيع والمراسيم التى هى فى الرتبة الأخيرة .

الأمر الثالث — معرفة ما يناسب كل قطع من هذه المقادير من الأقلام .
وقد تقدم فى المقالة الثالثة نقلا عن "التعريف" ما لكل مقدار من الأقلام . والمتعلق
بهذا الموضوع من ذلك أن لقطع الثلثين قلم الثلث الثقيل ، ولقطع النصف قلم الثلث
الخفيف ، ولقطع الثلث قلم التوقيعات ، ولقطع العادة مطلقا قلم الرقاع .

الأمر الرابع — معرفة اللَّقب المطابق لرتبة كل ولاية وصاحبها من الألقاب
الأصول المتقدم ذكرها في الكلام على الألقاب من المقالة الثالثة . وهي المَقَرّ،
والجَناب، والمجلس، ومجلس كذا على الإضافة؛ وما يُناسب كل لقب من هذه
الألقاب من الفروع المرتبة عليها، كوصف المَقَرّ بالكريم العالی، ووصف الجَناب
تارة بالكریم العالی، وتارة بالعالی مجردا عن الكرم، ووصف المجلس تارة بالعالی،
وتارة بالسامی، وإضافة مجلس في حق أرباب السيوف إلى الأمير فيقال : مجلس
الأمير، وفي حق أرباب الإقلام من العلماء وأصحاب الدواوين إلى القاضي فيقال :
مجلس القاضي ، وفي حق الصُلَحاء إلى الشيخ فيقال مجلس الشيخ؛ وإن لَمِنْ دُونَ
هؤلاء الصُّدَر ويُوصَف بالأجل فيقال الصُّدَر الأجل ؛ وأن لكل أصل من هذه
الأصول فروعا شتى تترتب عليه . وتقتسم أيضا في المقالة الرابعة في الكلام على
المكتبات الصادرة عن الأبواب السلطانية بالذيار المصرية في زماننا إلى أهل المملكة
مكتبة كل واحد ممن جرت العادة بالمكتبة إليه، وما يختص به من الألقاب
الأصول والفروع .

وأعلم أن الولايات أهم من المكتبات : فقد يكون للشخص ولاية من الأبواب
السلطانية وليس له مكتبة، إذ المكتبات إنما تكون لقوم مخصوصين من أرباب
الولايات . إذا علم ذلك فكل من له مكتبة عن الأبواب السلطانية من أرباب
السيوف والإقلام ممن تقدم ذكره في الكلام على المكتبات إذا كُتبت له ولاية
نُعت بالقبه وتُؤويه التي بها يكتب عن الأبواب السلطانية، إلا أن الدماء المصترَ به
المكتبة يجعل في الآيَرْدُون الأول : فإذا كانت المكتبة إلى أحد « أعز الله تعالى
أنصار المَقَرّ الكريم » قيل في ألقابه في الولاية « المَقَرّ الكريم » إلى آخر ما يقتضيه
الحال، ثم يقال : فلان أعز الله تعالى أنصاره، وكذلك في البواقي . أمّا من لم يجر

العادة بمكاتبة إليه عن الأبواب السلطانية من يوتى عنها فإن لكل طبقة ألقاباً تخصهم ، ونحن نذكر الألقاب الأصول وما يتفرع عليها لكل طبقة من كل طائفة على الوضع الذى تقتضيه الولايات دون المكتبات ، ليُجرى كل من أبواب الولايات على ما يناسبه من الألقاب .

وقد علمت فيما تقدم فى الكلام على الألقاب فى المقالة الثالثة أن الألقاب على خمسة أنواع :

النوع الأول — ألقاب أرباب السيوف

والمستعمل منها بدنوان الإنشاء تسع مراتب :

المرتبة الأولى — المقر الكريم مع الدماء بمن الأنصار ، وهى : المقر الكريم ، العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ، المؤيدى ، الزعيمى ، القونى ، النبائى ، المتأخرى ، المراهبى ، المهدى ، المشيدى ، الظهيرى ، العايدى ، الناسك ، الأتابكى ، الكيفلى ، الفلانى ، معز الإسلام والمسلمين ، سيد أمراء العالمين ، ناصر الفزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، ممد الدول ، مشيد الممالك ، عماد الملة ، عون الأمة ، ظهير الملوك والسلاطين ، عضد أمير المؤمنين ، فلان (باسمه) الفلانى (بلقب الإضافة إلى لقب السلطان) أعز الله تعالى أنصاره .

المرتبة الثانية — الجنب الكريم مع الدماء بمن النصرة ، وهى : الجنب الكريم ، العالى ، الأميرى الكبيرى العالمى ، العادلى ، المؤيدى ، الزعيمى ، القونى ، النبائى ، المتأخرى ، المراهبى ، المهدى ، المشيدى ، الظهيرى ، الكافلى ، الفلانى ، عز الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء فى العالمين ، نصرة الفزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش

الموحدين ، مقدّم العساكر ، مهّد الأول ، مشيد الممالك ، عماد الملة ، عون الأمة
ظهر الملوكة والساطين ، سيف أمير المؤمنين ، فلان (باسمه) الفلاني (بلقب
الإضافة إلى لقب السلطان) أعزّ الله تعالى نصرته .

المرتبة الثالثة — الجانب العالي مع الدعاء بمضاعفة النعمة ، وهي : الجانب
العالي ، الأميري ، الكبير ، العالي ، العادل ، المؤيد ، العوني ، الرعي ،
المهدي ، المشيد ، الظهري ، الكافي ، الفلاني ، عزّ الإسلام والمسلمين ،
سيد الأمراء في العالمين ، نصرّة الفرقة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، مهّد
الدول ، مشيد الممالك ، عماد الملة ، عون الأمة ، ظهر الملوكة والساطين ، سيف
أمير المؤمنين ، فلان (باسمه) الفلاني (بلقب الإضافة إلى السلطان) ضاعف الله
تعالى نعمته .

المرتبة الرابعة — الجانب العالي مع الدعاء بدوام النعمة ، وهي : الجانب العالي
الأميري ، الكبير ، العالي ، المؤيد ، الأوحدي ، النصيري ، العوني ،
الهمامي ، المقدمي ، الظهري ، الفلاني ، عزّ الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء
في العالمين ، نصرّة الفرقة والمجاهدين ، مقدّم العساكر ، كهف الملة ، ذخّر الدولة ،
عماد المملكة ، ظهر الملوكة والساطين ، حسام أمير المؤمنين ، فلان الفلاني ،
أدام الله تعالى نعمته .

المرتبة الخامسة — المجلس العالي والدعاء بدوام النعمة ، وهي : المجلس العالي
الأميري ، الكبير ، العالي ، المجاهدي ، المؤيد ، العوني ، الأوحدي ، النصيري ،
الهمامي ، المقدمي ، الظهري ، الفلاني ، عزّ الإسلام والمسلمين ، شرف الأمراء
في العالمين ، نصرّة الفرقة والمجاهدين ، مقدّم العساكر ، كهف الملة ، ذخّر الدولة ،
ظهر الملوكة والساطين ، حسام أمير المؤمنين ، فلان الفلاني ، أدام الله تعالى نعمته .

المرتبة السادسة — المجلس السامى بالياء، والدعاء بدوام التأييد ونحوه، وهى :
المجلس السامى، الأمير، الكبير، الذخري، النصيري، الأوحدي،
المؤيدي، الفلاني، مجد الإسلام، بهاء الأئام، شرف الأمراء، ذخري المجاهدين،
عبد الملوك والسلاطين، فلان الفلاني، أدام الله تأييده .

المرتبة السابعة — السامى بغيرياء، والدعاء أدام الله رفعة ونحو ذلك، وهى :
المجلس السامى، الأمير، الأجل، الكبير، الغازي، المجاهد، المؤيد، الأوحدي،
المرتضى، فلان الدين، مجد الإسلام، بهاء الأئام، شرف الأمراء، زين المجاهدين،
عمدة الملوك والسلاطين، أدام الله رفعة .

المرتبة الثامنة — مجلس الأمير، والدعاء أدام الله سعده ونحوه، وهى : مجلس
الأمير، الأجل، الكبير، الغازي، المجاهد، المؤيد، الأوحدي، المرتضى، فلان
الدين، مجد الأمراء، زين المجاهدين، عمدة الملوك والسلاطين، فلان الفلاني،
أدام الله سعده .

المرتبة التاسعة — الأمير مجزدا عن المضاف إليه، وهى : الأمير، الأجل،
وربما زيد فيه قليل الكبير، المحترم، ونحو ذلك .

النوع الثاني

(ألقاب أرباب الوظائف الديوانية، وهى على ست مراتب)

المرتبة الأولى — الجنب العالي مع الدعاء بمضاخرة النعمة . وفيها أسلوبان :
الأسلوب الأول — ألقاب الوزير وهى : الجنب العالي، الصحابي،
الكبير، العالي، العادل، الأوحدي، الأكلبي، القواشي، النظامي، الأمير،

البليغي، المتقدي، المسدي، المتصرف، المهدي، العوفي، المديري، المشيري،
الوزيري، الفلاني، صلاح الإسلام والمسلمين، سيد الوزراء في العالمين، رئيس
الكبراء، كبير الرؤساء، أوجد الأصحاب، ملاذ الكُتّاب، قوام الدول، نظام الملك،
مفيد المناسج، معتمد المصالح، مرتب الجيوش، عماد الملة، عون الأمة، مشير
الملوك والسلاطين، ولي أمير المؤمنين، فلان الفلاني، ضاعف الله تعالى نعمته .

الأسلوب الثاني — ألقاب كاتب السر، عند ما استقر ما يكتب له تقليدا
في قطع الثلثين، وهي : الجناح العالي، القاضوي، الكيري، العالي، العادي،
العلوي، الأفضلي، الأكلبي، البليغي، المسدي، المتقدي، المشيدي، العوفي،
المشيري، اليميني، السفيري، الأصيلي، العريق، الفلاني، صلاح الإسلام
والمسلمين، مسيد الرؤساء في العالمين، قوة العلماء العالمين، جمال البلاء، أوجد
الفضلاء، جلال الأصحاب، كهف الكُتّاب، يمين المملكة، لسان السلطنة، سفير
الأمة، سليل الأكابر، مشير الملوك والسلاطين، ولي أمير المؤمنين، فلان الفلاني،
ضاعف الله تعالى نعمته .

قلت : وقد كان رتبته : المجلس العالي عند ما كان يكتب له توقيع في قطع
النصف .

المرتبة الثانية — المجلس العالي مع الدماء بدوام النعمة، وفيها أربعة أساليب .

الأسلوب الأول — ألقاب كاتب المرحلي ما كان الأمر عليه في كتابة توقيع
في قطع النصف، ويدعى له : أدام الله نعمته، وهي : المجلس، العالي، بالاعقاب
الملتزمة له مع الجناح العالي، علي ما استقر عليه الحال .

الأسلوب الثانى — ألقاب ناظر الخاص، وهى: المجلس العالى القاضى،
الكبرى، العالى، الفاضل، الأوحى، الأكل، الرئيس، البلى، البارى،
القوى، النظامى، المجدى، الأثرى، المنقى، المسدى، المنصرى،
الفلاى؛ جمال الإسلام والمسلمين، سيد الرؤساء فى العالمين، قوام المصالح، نظام
المنهج، جلال الأكابر، قدوة الكُتاب، رئيس الأصحاب، عماد الملة، صفوة
الدولة، خالصة الملوك والسلطين، ولى أمير المؤمنين، فلان الفلاى، أدام الله
تعالى نعمته .

الأسلوب الثالث — ألقاب وزير دمشق إذا صُرح له بالوزارة، وهى :
المجلس العالى، الصاحبى، الوزيرى، الأجل، الكبرى، العالى، العادى،
المؤيدى، الأوحى، القوى، النظامى، المجدى، الأثرى، المشرى،
الفلاى؛ صلاح الإسلام والمسلمين، سيد الوزراء فى العالمين، رئيس الكبراء، كبير
الرؤساء، بقية الأصحاب، ملاذ الكُتاب، عماد الملة، خالصة الدولة، مشير الملوك
والسلطين، خالصة أمير المؤمنين، فلان الفلاى، أدام الله تعالى نعمته .

الأسلوب الرابع — ألقاب ناظر النظار بالشام، إذا لم يكن وزيرا، وهى :
المجلس العالى، القضاى، الكبرى، العالى، العادى، الأوحى، الرئيس،
الأثرى، القوى، النظامى، المنقى، المنصرى، الفلاى : مجد الإسلام
والمسلمين، شرف الرؤساء فى العالمين، أوحى الفضلاء، جلال الكبراء، حجة
الكُتاب، صفوة الملوك والسلطين، خالصة أمير المؤمنين، فلان الفلاى، أدام الله
تعالى نعمته .

المرتبة الثالثة — المجلس السائى بالياء مع الدعاء بدوام الرفعة وما فى معناها ،
وهى : المجلس السائى ، القضاى ، الأجل ، الكيرى ، العالمى ، الفاضل ،
الكامل ، الرئيسى ، الأوحدى ، الأصيل ، الأثيرى ، البليغى ، الفلانى ، محمد
الإسلام ، شرف الرؤساء فى الأنام ، زين البلاء ، جمال الفضلاء ، أوجد الكتاب ،
نفر الحساب ، صفوة الملوك والسلطين ، أدام الله تعالى رفعتة .
فإن كان من كتاب الإنشاء ، أسقط منه « نفر الحساب » .

المرتبة الرابعة — السائى بغير ياء ، مع الدعاء بدوام الرفعة ونحوه أيضا ، وهى :
المجلس السامى ، القاضى ، الأجل ، الكير ، الصدر ، الرئيس ، الأوجد ، البارغ ،
الكامل ، الأصيل ، الفاضل ، فلان الدين ، جمال الإسلام ، بهاء الأنام ، شرف
الأكابر ، زين الرؤساء ، أوجد الفضلاء ، زين الكتاب ، صفوة الملوك والسلطين ،
أدام الله تعالى رفعتة .

المرتبة الخامسة — مجلس القاضى ، وهى : مجلس القاضى ، الأجل ، الكير ،
الفاضل ، الأوجد ، الأثير ، الرئيس ، البليغ ، العريق ، الأصيل ، فلان الدين ، محمد
الإسلام ، بهاء الأنام ، شرف الرؤساء ، زين الكتاب ، مرتضى الملوك والسلطين ،
أدام الله رفعتة .

المرتبة السادسة — القاضى ، وهى : القاضى الأجل . وربما زيد فى التعظيم
الصدر ، الرئيس ، الكير ، ونحو ذلك .

النوع الثالث

(ألقاب أرباب الوظائف الدينية - وهى أيضا على ست مراتب)

المرتبة الأولى - الجنبُ العالى - وهى لمن أستقر له كتابةٌ تقليدية فى قطع
الثلثين من قضاة القضاة بالديار المصرية وهو الشافعى ؛ وهى : الجنبُ العالى ،
القاضى ، الشيخى ، الكبيرى ، العالى ، العاملى ، الأفضلى ، الأكمل ، الأوحدى ،
البليغى ، الفريدى ، المفيدى ، النجيدى ، القدوى ، الحجى ، المحققى ، الورعى ،
الخاشعى ، الناسخى ، الإمامى ، العلماى ، الأصلى ، العريقى ، الحاكى ، الفلانى ؛
جمالُ الإسلام والمسلمين ، شرفُ العلماء العاملين ، أوجدُ الفضلاء المفيدين ؛ قنوة
البلاء ، حجةُ الأمة ؛ عمدةُ المحققين ، نخرُ المدرسين ، مفتى المسلمين ، جلالُ الحكم
بركةُ الدولة ، صدرُ مصر والشام ، معزُ السنة ، مؤيدُ الملة ، شمسُ الشريعة ، رئيسُ
الأصحاب ، لسانُ المتكلمين ، حَكَمُ الملوك والسلاطين ، ولىُّ أمير المؤمنين ؛ فلان
(بنسبه) أعزُّ الله تعالى أحكامه .

وكذلك قاضى القضاة الحنفى بالديار المصرية عند ما أستقر المكتوب له تقليدا .
المرتبة الثانية - المجلس العالى ؛ وبها كان يكتب لقاضى القضاة الشافعى
قبل أن يستقر ما يكتب له تقليدا ، بالألقاب والتعوت السابقة له مع الجنب ؛
وكذلك الثلاثة الباقون باختصار فى الألقاب والتعوت ؛ وهى : المجلس العالى ،
القاضى ، الكبيرى ، العالى ، العاملى ، الأفضلى ، الأكمل ، الأوحدى ، البليغى ،
الفريدى ، المفيدى ، النجيدى ، القدوى ، الحجى ، المحققى ، الإمامى ، الأصلى ،
العريقى ، الحاكى ، الفلانى ؛ جمالُ الإسلام والمسلمين ، سيدُ العلماء العاملين ،
أوجدُ الفضلاء المفيدين ؛ قنوةُ البلاء ، حجةُ الأمة ، عمدةُ المحققين ، نخرُ المدرسين ،

مفتي المسلمين، جلال الحكم، حكم الملوك والسلاطين، فلان القلافي (بتسببه)
أعز الله تعالى أحكامه .

المرتبة الثالثة — المجلس السامي بالياء، وهي : المجلس السامي، القضاة،
الكبير، العالم، الفاضل، الأوحدي، الرئيس، المفتي، البليغ، القدوي،
الأمير، جند الإسلام والمسلمين، جمال العلماء والعلماء، أوجد الفضلاء، صر
المدرسين، عمدة المفتين، خلاصة الملوك والسلاطين، فلان القلافي : أدام الله
تعالى تأييده .

المرتبة الرابعة — السامي بغيرياء، وهي : المجلس السامي، القاضي، الأجل،
الكبير، الصدر، الرئيس، العالم، الفاضل، الكامل، فلان الدين، جند الصلور،
زين الأعيان، مرتضى الملوك والسلاطين، فلان : أدام الله تعالى رفعة .

المرتبة الخامسة — مرتبة مجلس القاضي، وهي : مجلس القاضي، الأجل،
الكبير، العالم، الفاضل، الأوحيد، الصدر، الرئيس، جند الإسلام، بهاء الأنام،
زين الأعيان، غير الصلور، مرتضى الملوك والسلاطين، فلان : أعزه الله تعالى .

المرتبة السادسة — مرتبة القاضي، وهي : القاضي، الأجل . وربما زيد
في التعظيم نحو الكبير، الصدر، الرئيس، ونحو ذلك .

النوع الرابع

(القاب مشايخ الصوفية - وهي على خمس مراتب)

المرتبة الأولى — المجلس العالي، وبها يكتب لشيخ الشيوخ بالديار المصرية،
وهي : المجلس العالي، الشيخ، الكبير، العالي، العالي، السالك، الأوحدي،

الزاهدى، العابدى، الخاشعى، الناسكى، المقيدى، القدوى، الإمامى، النظامى،
 الملاذى، جلال الإسلام والمسلمين، شرف الصلحاء فى العالمين، شيخ شيوخ
 الإسلام، أوجد العلماء فى الأنام، قدوة السالكين، بركة الملوك والسلاطين، فلان،
 أعاد الله تعالى من بركاته .

المرتبة الثانية — المجلس السامى بالياء، وهى : المجلس السامى، الشيخى،
 الكبرى، الأوحدي، الأكل، العابدى، الخاشعى، الناسكى، جمال الإسلام،
 زين الأنام، صفوة الصلحاء، نقر العباد، بركة الملوك والسلاطين : أعاد الله تعالى
 من بركاته .

المرتبة الثالثة — المجلس السامى بغير ياء، وهى : المجلس السامى، الشيخ،
 الصالح، الزاهد، العابد، الورع، الخاشع، الناسك، السالك، فلان الدين،
 مجد الصلحاء، زين المشايخ، قدوة السالكين، بركة الملوك والسلاطين : نفع الله
 تعالى ببركته .

المرتبة الرابعة — مجلس الشيخ، وهى : مجلس الشيخ، الصالح، الزاهد،
 العابد، الناسك، السالك، فلان الدين، مجد الصلحاء، زين المشايخ، بركة الملوك
 والسلاطين : أدام الله تعالى بركاته .

المرتبة الخامسة — مرتبة الشيخ، وهى : الشيخ، الصالح، الورع، الزاهد،
 ونحو ذلك : نفع الله تعالى به .

النوع الخامس

(ألقاب من قد يكتب له بولاية من رؤساء العامة من التجار وغيرهم)

وفيه أربع مراتب :

المرتبة الأولى — المجلس السامي بالياء، وهي : المجلس السامي، الصدرى، الأجل، الكبير، الرئيسى، الفلانى .

المرتبة الثانية — المجلس السامى بغيرياء، وهي : المجلس السامى، الصدرى، الأجل، الكبير، الرئيس، المحترم .

المرتبة الثالثة — مجلس الصدر، وهي : مجلس الصدر، الأجل، الكبير، المحترم، المؤمن، فلان الدين . ويقال فى ألقاب المهتارية ونحوهم : الحاج فلان .

المرتبة الرابعة — مرتبة الصدر، وهي : الصدر، الأجل . فإن زيد فى تكميله قبل بعد ذلك : الكبير، المحترم .

النوع السادس

(ألقاب زعماء أهل الذمة، وهم ثلاثة)

الأول — بطرك النصارى الباقية، وهي : الحضرة السامية، الشيخ، الرئيس، المبجل، المكرم، الكافى، المبرز، المفضل، القديس، شمس الرئاسة، عماد نبي المعمودية، كنز الطائفة البليبية .

الثانى — بطرك الملائكية، وتختصر ألقابه عما يكتب به لبطرك الباقية بعض الاختصار .

الثالث - رئيس اليهود، وهى : الرئيس الأوحى، الأجل، الأخر، الأخس، الكبير، شرف الداوديين، فلان أبو فلان : سنده الله فى أقواله، وثبته فى أفعاله .

قلت : وما يجب التنبه له أن ما تقدم من الألقاب والتعوت المقررة على الألقاب الأصول ليست مما يوقف عند حد، بل محتملة للزيادة والنقص بحسب ما تقتضيه الحال، ويحتمله المقال . بل ربما وثى بعض المناصب من فيه صفات تستحق ألقاباً ونعوتاً خاصة، فيكتب له بذلك مراعاة لما يقتضيه حاله، ويستوجبه مقامه، ثم على ذلك المنصب بعده من لا يستحق الوصف بالألقاب والتعوت التى تحصى المتقدم، فيوثق بها للثانى : كما اتفق فيما كتبت به فى نيابة الشام حين وليها الأمير يديمر الخوارزمي رحمه الله، وكان من الديانة على ما لا يوجد فى غيره . فكتب فى ألقابه حينئذ : العائدى، الناسكى، الخاشعي . فليزمت فيمن بعده وصارت مما يكتب به إلى الآن، مسواء أنصف نائبيها يدين أم لا - وكما اتفق فى الصباح لم الدين بن زنبور حين أجمع له الوزارة ونظر الخصاص والجيش، فكتب له بالقباب ونعوت جامعة لألقاب تلك الوظائف ونعوتها، فاستمر ذلك فيما يكتب به لكل من وثى الوزارة بعده إلى الآن، حتى إنه يكتب فى ألقاب الوزير الآن « مرتب الجيوش » وهو من الألقاب الخاصة بناظر الجيش استطراداً لما كتب به لابن زنبور : لأنضمام نظر الجيش إليه على ما تقدم - وكما اتفق فيما كتب به للشيخ تقي الدين السبكي من الألقاب الجليلة المقدر، الرفعة المكانية، فى قضاء الشام لرفعة مقامه، واتساع بابه فى العلم، وعلو مكانته فى الخاصة والعامة فليزم كتابة ذلك لقاضى قضاء الشافعية بالديار المصرية، من حيث إنه لا يليق بالحال

أن يكون قاضي الشام أعلى رتبة من قاضي الديار المصرية . ثم سرى ذلك في كل من ولى المنصب بعد ذلك ، وهلمَّ جرّاً إلى زماننا .

ومما يلحق بذلك أنه قد حرت العادة في الزين المتقتم وهلمَّ جرّاً إلى زماننا أنه كان يكتب في الطرة لأرباب السيوف بعد الأميري « الكيرى الفلانى » بلقب الإضافة إلى لقب السلطان كالناصرى ونحوه ، بخلاف أرباب الأقاليم فإنه لم يجر العادة بأن يكتب لهم ذلك في شيء من طرة عقابهم ولا توقيعهم ، إلى أن ليس القاضي سعد الدين بن غراب الكلوة ، وأستقر إستاندارا في الدولة الناصرية فرج ابن رقوق ، ثم أستقر مشيرا وكتب له تليد بالإشارة كتب له في طرة تليده بعد الكيرى « الناصرى » لجمعه بين السيف والقلم . ثم جرى بعض الكتاب على مثل ذلك في غيره من أرباب الأقاليم الأكابر : كالوزير ، وكاتب السر ، وناظر الخاص ، وناظر الجيش ، ومن في معنهم من أرباب الوظائف الديوانية . والجهة فيه ظاهرة من حيث إن كلا من المذكورين إذا كتب عنه كتاب ، كتب في أعلاه تحت البسملة « الملكى الناصرى » وإذا كتب عنه قصة ، كتب فيها تحت البسملة « الملكى الفلانى » . ومقتضى ذلك أن يكتب لقب الإضافة إلى لقب السلطنة في تليده أو توقيعه على ما عهذمت الإشارة إليه من فعل بعض الكتاب .

الأمر الخامس — مما يجب على الكاتب مراعاته معرفة الوصف اللائق بصاحب الوظيفة .

فيجب عليه مراعاة ما يناسبه من الأوصاف التي يقع بها تخطيطه ومدحه :

فإن كان نائب سلطنة وصفه بالشجاعة، والتجدة، وقوة المزم، والشهامة،
 وشدة الشكيمة، ونصرة الدين، وكف [الأيدي] العادية، وإرهاب العدو، وقمع
 المفسدين، وإرغام أهل العدوان، وحماية الثغور - إن كان في نعر - ووقور الهيئة،
 وبعده الصيت، وطيران السمعة، مع بسط المعتدلة والرفق بالرعية، والرفقة بخلق الله
 تعالى، والشفقة عليهم، والإحسان إلى الكافة، والأخذ بقلوبهم، والوقوف مع
 أحكام الشريعة، وبذل الطاعة، والمناححة، والمخالصة، وقدم هجرته في الدولة - إن
 كان قديم هجرة - ومروءة النول عليه - إن كان قد مرت عليه دول - ، وأنه نشأ
 الدولة - إن كان ابتداء أمره فيها - ، ونحو ذلك .

وإن كان نائب قلعة وصفه بالحق، واليقظة، وقوة الحزم، وشدة
 التحرز، والمعرفة بأحوال الحصار وضروب القتال وطرق التحصين والمداخلة،
 ونحو ذلك .

وإن كان وزيرا وصفه بحسن التدبير، وبرالة الرأي، والإحاطة بالأمور،
 والقيام بمصالح الإسلام، وعمارة البلاد، والنهوض في المهمات، وكف الأيدي
 العادية، والأخذ على يد المتسدين، وتمية الأموال وتثريها، وتسهيل مايجرى من
 الأرزاق على يده، وبذل الجهود في معاضدة الشريعة، وشبه ذلك مما يجرى
 هذا القبر .

وإن كان كاتب سر وصفه بالقصاحة والبلاغة، وقيام أفعاله في التأثير
 في العدو مقام السيوف والرمح، وكتبه في تفريق الكائنات مقام الجيوش
 والعساكر، وسداد الرأي، وكنم الأسرار، وحماية الممالك بتأنيج أفكاره،
 وما شاكل ذلك .

وإن كان ناظر جيش وصفه بالمعرفة بأمر الجيوش وترتيبها ، وأصناف
الأمرء ، والجند ، والمستخدمين ، وترتيب مقاماتهم ، وما ينفرد في هذا السلك .

وإن كان ناظر الخالص وصفه بالمعرفة بأمر الحساب ، والنهضة في المهمات ،
والمعرفة بأحوال ديوان الخالص وجهاته ، والقُدرة على تحصيل الأموال وزيادتها ،
ومعرفة ما يحتاج إليه من أصناف الأقمشة والطُرُز وغيرها ، مع الأمانة والعفة ،
وما يجري تجرى ذلك .

وإن كان مستوفى الصُحبة وصفه بالمعرفة بفنون الكتابة ، ونظم الحُسنانات ،
والاحتياط في استرقاعها ، مع الضبط والاحتراز والأمانة والعفة وما هو من هذا
القبيل .

وإن كان ناظر خزّانة الخالص وصفه بالأمانة ، والعفة ، والمعرفة بأصناف
الخزّانة : من الأقمشة ، والتّشّاريف ، والطُرُز ، ومعرفة مراتب أربابها ، وما يناسب
كل واحد منهم من أنواع التّشّاريف من عاليها وهابطها ، وما يطابق ذلك .

وإن كان قاضيا وصفه بغزارة العلم ، وسعة الفضل ، ونصرة السّنة ، وقمع
البدعة ، والمعدل في الأحكام ، وإنصاف المظلوم من الظّالم ، والأخذ للضعيف من
القوي ، والتّزاهة عن المطاعم الوخيمة ، والمطامع الرديّة ، والبعد عن الأهواء
في الحكم ، وما ينفرد في هذا السلك .

وإن كان محتسبا وصفه بعد وصفه بالفضل بالعفة ، والأمانة ، وتؤلّوهمّة ،
وقوة العزم ، والصّرامة ، ووقور الهية ، والنّهوض بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،
والنظر في مصالح المسلمين ، وعدم تحابّة أهل الدّنيا وأرباب الجاه ، وأنه لا يفرّق
في الحق بين الجليل والحقير ، وما في معنى ذلك .

وإن كان كل واحد وكل بيت المال وصفه بعد العلم والديانة بالوقوف مع الحق ،
والثبوت فيه ، ومراعاته المصلحة العامة في كل ما يتعلق به ، والمعرفة بشروط الاعذار
ومواقف ابداء الدافع وفيه ، وأنه يقدم مصالح المسلمين على مصالح نفسه ،
وما يقارب ذلك .

وإن كان مدرسا وصفه بسعة العلم ، والتضلع بالفنون ، والأخذ من كل منها
بحفظ وإقر ، وطول الباع في البحث والمناظرة ، والوقوف مع الحق فيها ، وعدم
الجدال في الباطل ، وتربية الطلبة ، وتأديبهم ، والتقريب على من سسر على فهمه
شيء من المسائل ، وعدم الترفع عليهم ، وتزليلهم منازلهم في الفضل ، وتقديم من
برع منهم .

وإن كان خطيبا وصفه بالصحابة ، والبلاغة ، وقوة اللسان ، وشدة الشكيمة
في الكلام ، وتأثير وعظه في القلوب ، وأنسكاب السموع من وقع عظمته ، وما
أشبه ذلك .

وإن كان شيخ خانقاه وصفه بالورع ، والزهد ، والنسك ، وقطع العلائق من
الدنيا ، وتربية المريدين وتسليةهم ، والوقوف مع طريق السلف الصالح .

وإن كان رئيس الأطباء وصفه بالخلق في الطب ، والمهارة فيه ، وتقديمه على
غيره في الفن ، والمعرفة بالمقاير وما فيها من نفع وضرر ، والمعرفة بالأمراض والعِلل
وطرق العلاج ، وما يجري مجرى ذلك .

وإن كان رئيس الكمالين وصفه بالمعرفة في صنعة الكحل ، والتقدم على أبناء
صنعتهم فيه ، والمعرفة بحال العين وأعراضها ، وأصناف الأكحال ، وما يوافق كل
علم من ذلك ، وما يخف في هذا السلك .

وإن كان رئيس اليهود أو بطركا من بطاركة النصارى، وصفه بالمعرفة بأموار
مملكته، والوقوف مع قوانين شرعته، ومعاطاة العدل في جماعته، والقيام بشروط
الذمة، والوقوف عند حدّها، والدخول تحت الطاعة، والوقوف عند ما حدّله،
ونحو ذلك .

الأمر السادس — مما يجب على الكاتب مراعاته وصية رب كل ولاية من
الولايات المتبعة بما يناسبها .

وأعلم أن كل ما حسن وصية المولى به، حسن وصفه به . والصّايا مختلفة
باختلاف موضوعاتها، إلا أن الجميع يشترك في الوصية بتقوى الله، فهي الأمن
الذى ينشأ عليه، والركن الذى يستند إليه . وهذا الباب هو الذى يطول فيه سبّح
الكاتب، ويحتاج فيه إلى مئة الباع؛ فإنه ما لم يكن الكاتب حاذقاً بما يلزم رب
كل ولاية ليوفّيها في الوصية حقّها، وإلا ضلّ عن الطريق، وحادّ عن جادة
الصنعة . ولذلك يقال للكاتب : « القلم الأكبر » : لأنه بصدد أن يعلم كلّ واحد
من أرباب الولايات ما يلزمه في ولايته .

وحينئذ فإن كان المتولّى « نائب سلطنة » وصّى بتفقد المساكر، وعرض
الجيوش، وإنهاضها للخدمة ... (١) ... للوظائف من يليق بها، وتنفيذ الأحكام
الشريعية، ومعاونة حكام الشرع الشريف، وإجراء الأوقاف على شروط واقفيها،
وملاحظة البلاد وعمارتها، وإطابة قلوب أهلها، والتشدد من مباشرة الأموال،
وتقوية أيديهم، وملازمة العدل، وعدم الأفلاك عنه، وتحصين ما لديه من
القلاع، واستطلاع الأخبار والمطالعة بها، والعمل بما يردّ عليه من المراسيم

(١) يباض بالأسل بذكر كلمة مله « رانتهام » للوظائف الخ .

السلطانية، وأنَّ ما أَشْكَلَ عَلَيْهِ يَسْتَضِيءُ فِيهِ بِالْأَرَاءِ الشَّرِيفَةِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْخِنْدِ، وَتَعْيِينَ إِقْطَاعِ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ لَوْلَاهُ إِنْ كَانَ صَالِحًا، وَنَحْوُ ذَلِكَ .

وإنَّ كَانَ « نَائِبَ قَلْعَةٍ » وَصَّى بِحِفْظِ تِلْكَ الْقَلْعَةِ، وَعِمَارَةِ مَا دَعَتْ الْحَاجَةُ إِلَى عِمَارَتِهِ مِنْهَا، وَالْأَخِذِ بِقُلُوبِ مَنْ فِيهَا، وَجَمْعِهِمْ عَلَى الطَّاعَةِ، وَأَخِذِ قُلُوبِهِمْ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَتَحْصِينِهَا بِأَلَاتِ الْحِصَارِ، وَأَدْخَالِ أَلَاتِ الْحَرْبِ : مِنْ الْحَبَانِيقِ وَالْقَيْسَى وَسَائِرِ الْأَلَاتِ : مِنَ السَّهَامِ، وَاللُّبُوسِ، وَالسِّتَائِرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ . وَكَذَلِكَ أَلَاتُ أَرْبَابِ الصَّنَائِعِ، كَأَلَاتِ الْحَدَّادِينَ، وَصُنَائِعِ الْقَيْمَى وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ مِمَّا يُحْتَاجُ إِلَى عَمَلِهِ فِي أَلَاتِ الْقَلْعَةِ، وَالْإِعْتِنَاءِ بِتَلْقَى أَبْوَابِ الْقَلْعَةِ وَفَتْحِهَا، وَتَفْقُدِ مَعْجَدَاتِ أَحْوَالِهَا فِي كُلِّ مَسَاءٍ وَصَبَاحٍ، وَإِقَامَةِ الْحَرَسِ، وَإِدَامَةِ السَّسَسِ، وَتَعَرُّفِ أَخْبَارِ الْمُجَاوِرِينَ لَهَا مِنَ الْأَعْدَاءِ، وَإِقَامَةِ نَوْبِ الْحَتَمِ بِهَا، وَالْمُطَالَعَةِ بِكُلِّ مَا يَتَجَدَّدُ لَدَيْهِ مِنَ الْأَخْبَارِ .

وإنَّ كَانَ « وَزِيرًا » وَصَّى بِالْعَدْلِ وَزِيَادَةِ الْأَمْوَالِ وَتَثْمِيرِهَا، وَالْإِقْبَالِ عَلَى تَحْصِيلِهَا مِنْ جِهَاتِ الْحِلِّ، وَأَخْتِيَارِ الْكُفَّاءِ الْأَمْثَاءِ، وَتَجَنُّبِ الْخَوْنَةِ، وَتَطْهِيرِ بَايَةٍ، وَتَسْهِيلِ حُجَّابِهَا، وَالنَّظَرِ فِي الْمَصَالِحِ، وَأَنَّهُ لَا يَسْتَبْدِلُ إِلَّا بِمَنْ ظَهَرَ لَدَيْهِ عَجْزُهُ أَوْ خِيَانَتُهُ، وَالنَّظَرِ فِي أَمْرِ الرُّوَاتِبِ وَإِجْرَائِهَا عَلَى أَرْبَابِهَا .

وإنَّ كَانَ « كَاتِبَ مِر » وَصَّى بِالْإِعْتِمَادِ بِتَلْقَى أَخْبَارِ الْمَالِكِ وَعَرْضِهَا عَلَى الْمَوَاقِفِ الشَّرِيفَةِ، وَالْإِجَابَةِ عَنْهَا بِمَا تَبَرَّزُ بِهِ الْمُرَاسِمُ الشَّرِيفَةُ، وَتَعْرِيفِ النَّوَابِ فِي الْوَصَايَا الَّتِي تُكْتَبُ فِي تَهَالِيهِمْ عَنِ الْمَوَاقِفِ الشَّرِيفَةِ مَا لَبَّاهُمْ طَلِيمٌ، وَيَبَيِّنُ لَهُمْ مَا يَقْفُونَ

عند حُدّه ، والنظَر في تجهيز البريد والنَّجَابَة ^(١) ، وما بُيِّت فيه من المصالح ويتقدّ فيه من المهمّات والقُصَاد ، ومعرفة حُقُوق ذَوِي الخُدْمَة والنَّصِيحَة ، وإجرائهم في رُسُوم الرواتب وعوائد البر والإحسان على أتمّ العوائد ، وتأليف قلوبهم ، والأخذ بخواطيرهم ، والنظَر في أمر الكَشَافَة والذِّبَاب والنظارة والمناوِر والمُحَرِّقات وأبراج الحِصَان ، وصرف نظره إلى رسل المُسْلُوك الواردة ، ومعاملتهم بالإكرام ، والأخذ في صَوْن سِرِّ المَلِك وكتّابه حتّى عن نفسه ، وضبط ألواح البريد ، والاحتراز فيما تؤخّذ عليه العلامة الشريفة ، ومراعاة كُتُب ديوان الإنشاء ، والإحسان إليهم ، وأن لا يستكتب في ديوانه إلا مَنْ علم صلاحه لذلك وكفايته ، ووثق منه بكتّان السِّر كما يثق به من نفسه .

وإن كان « ناظر جيش » وصّى بالاحتياط في أمر ديوانه ، والوقوف على معالم هذه المباشرة ، وجرائد الخند ، والإقطاعات ، ومحرر الكُشُوف والمحاسبات ، واستيضاح أمر من يموت من أرباب الإقطاعات من ديوان الموارث أو من المقدمين والثّقَباء ، والاحتراز في أمر المربعات وجهات الإقطاعات وما يترتب عليها من المناشير ، والنظَر في أمر المقطعين : من الجند ، والعرب ، والثُرُكَّان ، والأكراد ، ومن عليه تقدمة أو درك بلاد أو غير ذلك .

وإن كان « ناظر خاص » وصّى بالاحتياط لِدِيوانه ، والأخذ في تحصيل أموال جهاته وتسميتها وتغييرها ، وزاداتها وتوفيرها ، والحرص فيما يرفع من حُساباتها ، والاحتكام بأمر التَّسَاريف والخلع ، وما يختص بكل ولاية وغيرها من التَّسَاريف ،

(١) جرى العامة في هذا الاستعمال .

وما جرت به العادة من الهدايا المحضرة إلى ملوك الأقطار ، والأخذ فى ذلك كله بالخط الأفوفى للديوان السلطانى ، وما يجرى بجرى ذلك .

وإن كان «مستوفى ضخمة» وصى بالزام الكُتَّاب بما يلزمهم من الأعمال وتحريرها ، وعمل المكلفات وتقدير المساحات ، وتمييز ما بين تسجيل القُدن فى كل بلد بحسب ما يصلح لها من الزراعة ، وتمييز قيم بعضها على بعض ، ومستجد الجرائد ، وما يقابل عليه من ديوان الإقطاعات والآخساض وغير ذلك .

وإن كان «ناظرًا لخزانة الخالص» وصى بتحصيل ما يحتاج إليه لتفصيل الخاص وشناريف أرباب السيوف والأقلام : العرب ، والتركان ، والأكراد ، وغيرهم ، وهدايا الملوك وما يجرى بجرى ذلك : من الثنائى والأطلس ، والمشرش ، والمُنشد والمتمر ، والطرقات على اختلافها : من الزركش ، والباهى ، وأنواع المستعملات ، وما يحمل من دار الطراز ، وما يتناع لخزانة العالية ، وما هو مرصد لها من الجهات التى يحمل إليها محصلها : يُنْفَق فى أئمان المبيعات ومصرف المستعملات ، والاحتراز فيما يُنْفَق من الأئمان وقيمة المبتاع ، وشهادات الرسائل المكتتبه إليه بالحمول وما يكتب بها من الرجعات ، وأن يحصل كل شئ هو بصدد الحاجة إليه قبل الاحتياج .

وإن كان «قاضيا» وصى بالتروى فى أحكامه قبل امضاها ، وأن يراجع الأمر مرة بعد أخرى ، واستشارة أهل العلم ، والرجوع إليهم فى أشكل عليه ، واستشارة الله تعالى قبل الإقدام على الحكم ، والقضاء بحق الخصم بعد وضوحه ، والتسجيل له به ، والإشهاد على نفسه بذلك ، والتسوية بين الخصوم حتى فى تقسيم النظر إلى الخصمين ، والتحرى فى أمثداء الشهادات ، وأن لا يقبل من الشهود الا من حُرف

بالمَدَالَة : من ربِّ قلم أو سيف ، والتقيب عما يصدر من العقود ، ولا يؤول من شهود القيمة إلا على كل عارف بالقيم خير بها ، والنظر في أمر الرُّسل والوكلاء ، والنظر في أمور أهل مذهب ، والاعتناء بشأنهم .

ويزاد « الشافعي » التوصية بالنظر في دعاوى بيت المال ومحاكماته ، والاحتراز في قضاياها ولا يقبل فيها بينة لوكل بيت المال فيها مدفع ، ولا يعمل فيها بمسألة ضعيفة ، والنظر في أمر أموال الأيتام وأمر المصدقين فيها بالإحسان إليهم ، وكذلك أموال الصدقات الجارية تحت نظره ، والتيقظ لإجرائها على السداد في صرفها في وجوه استحقاقها ، وأن لا يعمل في مسألة تفرد بها مذهب إلا بما نص عليه إمامه أو كان عليه أكثر أصحابه ، ولا يعتمد في ذلك مرجوحاً ولا ما تفرد به قائله ، وأن لا يولي في البرئاثا إلا من عُرف استحقاقه وأهليته لما يتولاه .

ويزاد « الحنفي » الوصية بالعمل بما اقتضاه مذهب من الأمور التي فيها صلاح لكثير من الناس : كترويح المعصرات ، وشقعة الحوار ، وفقة المعتدة البائن ، وعدم تجماع بينة الإفسار إلا بعد مضي المدة المعتبة في مذهب ، والإحسان إلى من ضمنه نطاق ولايته من نزح إليه من أهل الشرق وأقصى الشمال .

ويزاد « المالكي » الوصية بالتحزى في بينات السماء ، والإعذار إلى الخضم لبيدي مالدته من دافع ، والعمل بما تفرد به مذهب مما فيه فُسحة للناس : كالشبوت بالشهادة على الخط ، وولاية الأوصياء ، وإسقاط الرِّيع في الوقف المسترد بعد البيع ، والإحسان إلى من لديه من غرباء أهل مذهب ، لاسيما من أماء من بلاد المغرب .

ويزاد « الحنبلي » الوصية بالاحتياط في بيع مآثر من الأوقاف والاستبدال بها ، ورعاية المصلحة في ذلك لأهل الوقف بما أمكن ، والقسح على من غاب عن زوجته

الغنية المستوجبة للفسخ عندهم ، ووقف الإنسان على نفسه ، وأمر الجوائح التى يحصل بها التصفيف عن ضعفاء الناس ، والمعامل على الزرع بالحرث ونحوه ، وغير ذلك مما يجرى هذا الجزئ ، والوصية بأهل مذهبه الذين هم أقل المذاهب صدّة وأزهرهم وظائف وأوقافاً ، ومعاملتهم بالإحسان .

وإن كان « قاضى عسكر » وصى بنحو ما يوصى به [القاضى] وأن يتخذ معه كاتباً يكتب للناس ، وأن يقبل من الجند من كان ظاهره العدالة ، فإن الشهود المعدّين لحمل الشهادة يعزّ وجودهم فى العسكر ، وأن يكون له منزلٌ معروف يقصّد فيه إذا نصبت إليهم ، وأحسن ما يكون ذلك عن بين الأعلام السلطانية ؛ وأن يكون مستعدّاً للأحكام التى يكثر فضلها فى العسكر : كالغنائم ، والشركة ، والقسمة ، والبيعات ، والرّد بالقيّ ، وأن يُشرع فى فصل القضاء بين الخصوم : لئلا يكون فى ذلك تشاغل عن مواقع الحرب ومقدماته ، وغير ذلك مما يجرى هذا الجزئ .

وإن كان « محاسباً » وصى بالنظر فى أمر المكاييل والموازين وسائر المقادير ، والتحذير من الفسّ فى الطعام والشراب ؛ وأن يتعرف الأسعار ، ويستعلم الأخبار فى كل سوق من غير علم أهله ، وأن يقيم على الأسواق وأرباب المعاش من يُنوب عنه فى النظر فى أمورهم من الأمناء المأموين ؛ وأن لا يمكن أحداً من العطارين من بيع غرائب العقاقير إلا بمن لا يُستَراب به بخط متطبب لمريض ؛ وأن يمنع المتجولين على أكل أموال الناس بالباطل : من الطرّيقية وأهل النجامة وسائر الطوائف المنسوبة إلى بنى ساسان من تماطى ما يتماطونه من ذلك ، ويقصّم مادّتهم ، والتصدّى للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والمنع من الفسّ

(١) أى المتجسّمين الذين يتحدّون سرعة الغييات بمقتضى النظر فى النجوم .

وإخبار المشتري بأزيد مما أشتري به ، والنظر في أمر فقهاء المكاتب والعلماء من النساء، ولا يمكن منهم أحدا [أن] يتعاطى ذلك إلا من عُرفت أمانته، وأُثِرَت صيانتُه ، وأن لا يستنيبَ إلا أهلَ الحِفَّةِ والأمانة والتزاهة من بعد عن الطمع ، وثائى عن مطاعم السوء .

وإن كان «وكيل بيت المال» وُصِّى بالعمل بالشرع الشريف في جميع أحكامه ، وأن من مات وله ورثة تستوعب ميراثه لا يكلفهم ثبوتاً فيه ثمنٌ ومداغةٌ عن حقهم؛ والتشديد في أمر من كانت قصته منكراً ، والتحرُّز من شهود الزور في مثل ذلك ، وأن يرجع في كل ما يُسَاع ويؤجر إلى العوائد ، وأن يتحرَّز في شهادة شهود القيمة ، ولا يرجع فيها إلا لمن يُوثق به من يكون عنده معرفة بقيمة الأشياء ، وبيته على أنه له أن يدعى بحق المسلمين حيث شاء عند من يشاء من أصحاب المذاهب ، وأن الدعوى عليه لا تكون إلا في مجلس الحكم العزيز الشافعي ، على ما جرت به العادة القديمة ، والاحتياط في حق بيت المال ، وليحترز الاستنابة في الأعمال من يصلح لذلك .

وإن كان «مدرساً» وُصِّى بأن يقبل على جماعة درسه بطلاقة وجه ، وأن يستميلهم إليه جُهداً استطاعته ، ويربهم كما يرى الولد ولده ، ويستحسن نتائج أفكارهم التي يأتون بها في درسه ، ويقدم منهم من يجب تقديمه ، ويُزِيل كل واحد منهم منزلة ، ليُزهم ذلك إلى الإكباب على الاشتغال والازدياد في التحصيل . ثم يأتي [في] كل مدرّس بما يناسبه من أمور العلم الذي يدرّس فيه إن كان يدرّس في علم خاص .

وإن كان «خطيباً» وُصِّى برعاية حق رتبة الخطابة والقيام بحق ازدواجها ، وأن يأتي من المواعظ بما يقرع الأسماع بالومد والوعيد ، ويُليِّن القلوب القاسية ،

وَأَنْ يُسَدَّ لِكُلِّ مَقَامٍ يَقُومُهُ مَقَالًا يَقُولُهُ ، وَأَنْ يُخَفَّفَ الْخُطْبَةُ ، وَيَأْتَى بِهَا بِلِغَةٍ
مفهومة ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَتَعَلِّقَاتِ الْخُطَابَةِ .

وإن كان «شيخ خاقاه» وُصِيَ بِالْاجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ ، وَالْمَشْيِ عَلَى طَرِيقِ السَّلَفِ :
مِنَ الزُّهْدِ ، وَالْوَرَعِ ، وَالْعَفَافِ ؛ وَأَنْ يَأْخُذَ جَمَاعَتَهُ بِمَآخِذِهِ فِي الْأُمُورِ ؛ وَأَنْ يَعْرِفَ
بِلِجَامَةِ مَكَانِهِ حُقُوقَهُمُ الْوَاجِبَةَ لَهُمْ وَيُتَرَلِّمَ مَنَازِلَهُمْ خُصُوصًا أَوْلَى السَّابِقَةِ مِنْهُمْ ،
وَيَأْخُذَ فِي الرِّفْقِ بِهِمْ وَمُدَارَاتِهِمْ ، مَعَ تَرْتِيبٍ مِنْ أَسْتَجَابَةِ مِنْهُمْ ، وَإِحْرَاسِهِمْ عَلَى طَرِيقِ
الصُّوْفِيَّةِ ، وَتَعْرِضِهِمُ الطَّرِيقَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَدْرِيجِ الْمُرِيدِينَ عَلَى قَدَرِ مَا تَحْتَمِلُهُ
أَهْلَامُهُمْ ، دُونَ أَنْ يَسْجُمَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَحْوَالِ الطَّرِيقِ بِمَا لَا تَحْتَمِلُهُ حُقُوقُهُمْ . وَ[اتِّبَاعِ]
سَبِيلِ الْكَلْبِ وَالسُّنَّةِ الَّذِينَ مِنْ حَادٍ عَنْهَا ضَلَّ ، وَمَنْ نَحْرَجَ عَنْ جَانِبِهَا زَلَّ ،
وَكَلَّهْمُ مِنْ أَرْكَابِ الْبِدْعِ وَالْجُرْئِ عَلَى مَنَاجِحِهَا ؛ وَمَنْ أَتَى ذَنْبًا نَفْسُهُ بِالتَّوْبَةِ
وَالِاسْتِغْفَارِ ؛ وَالْإِنْكَارِ عَلَى مَنْ أَخَذَ فِي الشُّطُوحَاتِ ، وَالْخُرُوجِ عَنْ قَانُونِ ظَاهِرِ
الشَّرِيعَةِ ، وَمَتَّعَ مِنْ نَحَا هَذَا النُّحُوًّا أَوْ جَرَى عَلَى هَذِهِ الْحِمَاةِ ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى مَنْ
يَقْدَمُ عَلَيْهِ مِنَ الْآفَاقِ ، وَحُسْنِ التَّلَقُّيْ لَهُ ، وَإِكْرَامِ نُزُلِهِ بَعْدَ أَنْ يَعْمَلَ لَهُ بِالْإِذْنِ ،
وَالْأَمْرِ بِأَخْذِ عِكَاةٍ ، وَفَرَشِ تَجَادَةٍ ، وَمَا يَنْفَرِطُ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ .

وإن كان «رئيس الأطباء» وُصِيَ بِالنَّظَرِ فِي أَمْرِ طَائِفَتِهِ ، وَمَعْرِفَةِ أَحْوَالِهِمْ ،
وَيَأْمُرُ الْمَعَالِجَ أَنْ يَعْرِفَ أَوَّلًا حَقِيقَةَ الْمَرَضِ وَأَسْبَابَهُ وَعِلَامَاتِهِ ، ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى السَّنَنِ
وَالْقَصَصِ وَالْبَلَدِ ، وَحِيلَتُهُ يَشْرَعُ فِي تَخْفِيفِ الْحَاصِلِ ، وَقَطْعِ الْوَاصِلِ ، مَعَ حِفْظِ
الْقُوَّةِ ؛ وَأَنْ لَا يُهَيِّجَ الدَّاءَ ، وَلَا يَسْتَرْغِبِ الدَّوَاءَ ، وَلَا يُقَدِّمَ عَلَى الْأَيْدَانِ إِلَّا مَا يَلَائِمُهَا ،
وَلَا يَخْرُجُ عَنْ عَادَةِ الْأَطْبَاءِ وَلَوْ غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ الْإِصَابَةُ حَتَّى يَتَبَصَّرَ بِهِ بِرَأْيِ أَمثَالِهِ ؛
وَيَتَجَنَّبُ النَّوَاءَ ، مَا أَمَكَّتَهُ الْمَعَالِجَةُ بِالْفُضَاءِ ، وَالْمَرْكَبَ مَا أَمَكَّتَهُ الْمَعَالِجَةُ بِالْمَقَرِّ ؛

ويتجنب القياس إلا ما صحَّ بتجريب غيره في مثل من أخذ في علاجه، وما عرض له،
وسنّه، وفصله، وبلده، ودرجة الدواء؛ وأن يحذر التجربة فإنها خطر، مع الاحتراز
في المقادير والكيفيات، وفي الاستعمال والأوقات، وما يتقدم ذلك الدواء أو يتأخر
عنه؛ ولا يأمر باستعمال دواء ولا ما يستغرب من غذاء حتى يحقق حقيقته، ويعرف
جديده من عتيقه، ليُعرف مقدار قُوته في الفعل .

وإن كان «رئيس الكمالين» وُصِيَ بالنظر في حال جماعته أيضا، ومعرفة
أحوالهم، وأن لا يُصَرَّف منهم إلا من عُرف بحُسن المُدَاراة والملازمة في العلاج،
ويأمر كلُّهم أن لا يُقَدِّم على مداواة عين حتى يعرف حقيقة المرض، وأن
يُلاحظها بما يناسبها من الغذاء، وأن يتخير من الكحل ما فيه شفاء العين وجلاء
البصر، وأن يستشير الأطباء الطبايعية فيما أمّر، مما لا يستغنى عن رأى مثلهم فيه،
من تخفيف المسادة بالاستفراغ أو نقص ديم أو غير ذلك .

وإن كان «رئيس اليهود» وُصِيَ بضمِّ جماعته، ولمَّ شملهم، والحكم فيهم بقواعد
مِلّته، والنظر في أمور الأئمة عندهم، وما يعتبر عندهم فيها على الإطلاق، وما يقتصر
إلى الرضا من الحائنين في العقد والطلاق، والنظر فيمن أوجب حكم دينه عليه
التحريم، والتوجه في صلاتهم بقاء بيت المقدس إلى جهة قبّلتهم، وإقامة حدود
التوراة على ما أنزل الله تعالى من غير تحريف ولا تبديل للكلمة بتأويل ولا غيره،
وأتباع ما أعطوا عليه العهد مع إزمائه لهم [ما التزموه] من حكم أمثالهم من أهل الامة
الذين أقرّوا في دار الإسلام على الصغار والإنعان لأهل الإسلام، وعَمَّ مضايقتهم
للمسلمين في الطُّرُق، وتبزيهم بشعارهم في الحُجَّام، كي لا يحصل اللبس بالمسلمين، وحمل
شعار الامة على رؤوسهم؛ وهى البهائم الصُّفْر؛ ويأخذهم بتجديد صبغه في كل حين،
وعدم التظاهر بما يقتضى المناقضة: من ذكر الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم

بُسوء، أو إظهار النمر أو معتدِّهم في العزير عليه السلام . وله أن يرثب طبقاتهم على ما تقتضيه مراتبهم عنده، وكذلك له التصدث في كتائب اليهود المستمرة إلى الآن بأبيهم، من حين عقد الذمة، من غير تجديد متخرب، ولا فعل مالم تُعقد عليه الذمة ويقزم عليه السلف الأول .

وإن كان « بطرك النصارى المليكانيّة » وصى بما عليه بناء شرطته من المساحة والاحتياط والصبر على الأذى، وعدم الاكتراث به، وأخذ نفسه بهذه الآداب، وأنه يُقدم المصالحة بين المتحاربين إليه قبل فصلها على البت فإنه قاعدة دينه المسيحى، ولم تخالف فيه الملة الإسلامية، وأنه ينقّ صدور إخوانه من الغل، ويخلق بكل خلق جميل، ولا يستكثر من الدنيا، ويتنزه عن أموال جماعته والتوسل إلى أخذها، وأن إليه أمر الكتائب والبيع، وعليه أن يتفقد في كل وقت، ويرفع ما فيها من الشبهات، ويحذر رهبان الديار من جعلها مصيدة لال، وأن يتجنبوا فيها الخلوة بالنساء، ولا يؤوى إليه أحدا من الغرباء القادمين عليه يكون فيه رية، ولا يكتّم ما أطلع عليه من ذلك عن المسمع الشريفة السلطانية، ولا يُخفى كتابا يرد عليه من أحد من الملوك، أو يكتب له جوابا، ويتجنب البحر وما يرد منه من مظان الرب .

وإن كان « بطرك اليعاقبة » قيل في وصيته نحو ما تقدم في وصية بطرك المليكانيين، إلا أنه لا يقال : وأعلم أنك في المدخل إلى شريعتك طريق الباب، بل يقال : وأعلم أنك في المدخل إلى شريعتك قسم الباب، ومساو له في الأمر والنهى والتحليل والتحريم . ويقال بدل قوله « وليتجنب البحر » : « وليتوق ما يأتيه سرا من تلقاء الجبشة » .

قلت : وهذه الوصايا متخذة إلى ما يرضى به أصحاب الولايات ممن تقدم ذكره والأمر في الزيادة والنقص في ذلك بحسب المناسبة راجع إلى نظر الكاتب . على أن المفتر الشهابي ابن فضل الله رحمه الله قد ذكر في "التعريف" عدة وصايا ليست مما يكتب الآن ، فأضربنا عن ذكر مقاصدها هنا : لتورد برمتها في الكلام على ما يكتب في متن التقاليد والوقائع ونحوها ، مع النسخ التي تورد هناك على صورة ما أوردها ، ليُتَسَّح على منوالها إن أمر بكتابة شيء منها .

المقصد الثاني

(في بيان مقاصد ما يكتب في الولايات ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في بيان الرسوم في ذلك ، ومقادير قطع الورق لكل صنف منها)

على سبيل الإجمال

وهي على أربعة أنواع :

النوع الأول

(التقاليد)

جمع تقليد . يقال : قلده أمر كذا إذا وليته إياه . قال الجوهرى : وهو مأخوذ من القلادة في العنق ، يقال قلدت المرأة فتقلدت ، قال : ومنه التقليد في الدين أيضا .

ثم التقاليد تشتمل على طرة ومتن ، فاما الطرة فقد أشار إليها في "التعريف" بقوله : وعنوانها «تقليد شريف لفلان بكذا» . وأوضح ذلك في "التحقيق" فقال :

وصورته : ان يكتب : تقليد شريف بأن يفوض إلى المقر الكريم ، أو إلى الجنب الكريم ، أو إلى الجنب العالى الأميرى الكبيرى ، الكافلى ، الفلانى ، أعز الله تعالى أنصاره ، أو نصرته ، أو ضاعف الله تعالى نعمته ، نيابة السلطنة الشريفة بالشام المحروس ، أو بحلب المحروسة ، أو بطرابلس المحروسة ، أو نحوها ، على أجل العوائد فى ذلك وأكمل القواعد على ما شرح فيه .

قلت : وتفصيل هذا الإجمال : إن كان المكتوب له التقليد هو النائب الكافل ، كُتب فى طرزة تقليده : تقليد شريف بأن يفوض إلى المقر الكريم العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، الكفيل ، الفلانى ، فلان الفلانى ، بلبق الإضافة إلى لقب السلطان ، كالناصرى مثلا ، كغالة السلطنة الشريفة بالمالك الإسلامية ، أعلاها الله تعالى على أجل العوائد فى ذلك وأكمل القواعد ، على ما شرح فيه .

وإن كان التقليد بكغالة السلطنة بالشام ، كُتب : تقليد شريف بأن يفوض إلى المقر الكريم العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، الكفيل ، فلان الناصرى ، مثلا كغالة السلطنة بالشام المحروس على أتم العوائد فى ذلك وأكمل القواعد ، على ما شرح فيه .

وإن كان التقليد بناية السلطنة بحلب ، كُتب : تقليد شريف بأن يفوض إلى الجنب الكريم العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، الكافلى ، الفلانى ، فلان الناصرى ، أعز الله تعالى نصرته ، نيابة السلطنة الشريفة بحلب المحروسة ، على أجل العوائد فى ذلك وأكمل القواعد ، على ما شرح فيه .

وإن كان التقليد بناية طرابلس ، كتب : تقليد شريف بأن يفوض إلى الجنب العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، الكافلى ، الفلانى ، فلان الناصرى : ضاعف الله

تعالى نعمته، نيابة السلطنة الشريفة بطرابلس المحروسة، على أجل العوائد في ذلك
وأكل القواعد، على ما شرّح فيه .

وإن كان التقليد بنيابة السلطنة بمجاعة، أبداً لفظ طرابلس بمجاعة .

وإن كان نيابة السلطنة بصفد، أبداً لفظ طرابلس وحماة بصفد، والباقي على
ما ذكر في طرابلس .

وإن كان التقليد بنيابة السلطنة بفزة - حيث جعلت نيابة - كتب : تهليلة
شريف بأن يفوض إلى الجناب العالي، الأميري، الكبير، الكافلي، الفلاني،
فلان الناصري : أدام الله تعالى نعمته، نيابة السلطنة الشريفة بفزة المحروسة، على
أجل العوائد، وأكل القواعد، على ما شرّح فيه .

فإن كان مقدم السكر كما هو الآن، أبداً لفظ نيابة السلطنة الشريفة بلفظ
« تقديم السكر المنصود » والباقي على ما ذكر .

وإن كان التقليد بنيابة السلطنة بالكرك، كتب : تهليلة شريف بأن يفوض إلى
المجلس العالي، الأميري، الكبير، الفلاني، فلان الناصري : أدام الله تعالى
نعمته، نيابة السلطنة الشريفة بالكرك المحروس، على أجل العوائد، وأكل القواعد،
على ما شرّح فيه .

وإن كان التقليد بالوزارة، كتب : تهليلة شريف بأن يفوض إلى الجناب العالي
الصاحبي، الفلاني، فلان الناصري : ضاعف الله تعالى نعمته، الوزارة الشريفة
بالملاك الإسلامية أصلاً ما الله تعالى، على أجل العوائد، وأكل القواعد، بالمعلوم
الشاهد به الديوان المعمور، على ما شرّح فيه .

وإن كان التقليد بكتابة السر، كُتِبَ : تقليدٌ شريفٌ بأن يفوض إلى الجنباب العالى، القاضى، الكبيرى، اليمنى، الفلانى، فلان الناصرى : ضاعف الله تعالى نعمته، سمحاً دواوين الإنشاء الشريفة بالمالك الإسلامية، أعلاها الله تعالى، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور، على ما شرّح فيه .

وإن كان التقليد بقضاء قضاة الشافعية بالديار المصرية، كُتِبَ : تقليدٌ شريفٌ بأن يفوض إلى الجنباب العالى، القاضى، الكبيرى، الفلانى، فلان : أعز الله تعالى أحكامه، قضاء قضاة الشافعية بالديار المصرية، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور، على ما شرّح فيه .

وإن كان التقليد بقضاء قضاة الحنفية، كتب كذلك، إلا أنه يُبدل لفظ الشافعية بلفظ الحنفية .

وإن كان التقليد لأمر مكة، كتب : تقليدٌ شريفٌ بأن يفوض إلى المجلس العالى، الأميرى، الكبيرى، الشريفى، فلان الفلانى : أدام الله تعالى نعمته إمرة مكة المشرفة، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، على ما شرّح فيه .

وإن كان بإمرة المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، والتحية والإكرام، كتب كذلك إلا أنه يُبدل لفظ مكة المشرفة بلفظ المدينة الشريفة .

وإن كان بإمرة آل فضل، كتب : تقليدٌ شريفٌ بأن يفوض إلى المجلس العالى، الأميرى، الكبيرى، الفلانى : أدام الله تعالى نعمته إمرة آل فضل، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، على ما شرّح فيه .

هذه جملة ما عهدت كاتبته من التقاليد المكتبة من ديوان الانشاء بالأرباب الشريفة، فإن حذت كتابه ما يستحق أن يكتب له تقليد، كالأنابكية ونحوها، كتب بالألقاب اللائقة بصاحبه .

ثم وراء ذلك أمران : أحدهما - أنه قد تقدم قولا عن "التعريف" أنه يكتب في العنوان الذى هو الطرة : «تقليد شريف لفلان بكذا» فإن كتب تقليد بكفالة السلطنة مثلا، كتب : «تقليد شريف لقر الكريم، العالى، الأميرى، الكبيرى، الفلانى»، بكفالة السلطنة الشريفة بالملك الإسلامية، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، على ما شُرح فيه .

الثانى - أنه اقتصر فى "التتقيف" على قوله فى آخر الطرة، على أجمل العوائد فى ذلك وأكمل القواعد، وليس الأمر منحصرًا فى ذلك، بل لو عكس بأن قيل : تقليد شريف بأن يفوض إلى فلان كذا ، أو تقليد شريف لفلان بكذا على أكل القواعد وأجمل العوائد على ما شُرح فيه ، لكان سائغا .

فإن كان صاحب التقليد على الرتبة : كالثائب الكافل ، ونائب الشام، ونائب حلب، والوزير، وكاتب السر، ونحوهم، كُتب على أجمل العوائد وأتمها، وأكمل القواعد وأتمها، أو بالعكس : بأن يكتب على أجمل العوائد وأتمها، وأكمل القواعد وأتمها، على ما شُرح فيه .

وأما متن التقليد، فقد قال فى "التعريف" إن التقاليد كلها لا تفتح إلا بالمدقة وليس إلا، ثم يقال بعدها : أما بعد، ثم يذكر ما ستح من حال الولاية وحال الموئى، وحسن الفكر فيمن يصلح، وأنه لم يَرَأ حق من ذلك الموئى ويسمى، ثم يقال ما يفهم أنه .

هو المتقدم الوصف أو المتقدم إليه بالإشارة؛ ثم يقال: رُسم بالأمر الشريف العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، الفلانى (ويدعى له) أن يَقد كذا، أو أن يفوض إليه كذا، والأوّل أجمل؛ ثم يؤصّى بما يناسب تلك الولاية بما لا بد منه تارةً جُملياً وتارةً تفصيلياً، ويُنَبّه فيه على تقوى الله تعالى؛ ثم يَختمُ بالدعاء للوى، ثم يقال: وسبيل كل واقف عليه العمل به بعد الخطّ الشريف أعلاه.

قال: ولفضلاء الكتاب فى هذا أساليب، وتفنّن كثير الأعاجيب، وكلّ ما لوف غريب، ومن طالع كلامهم فى هذا وجد ما قلناه، ونجى له ما أهمناه.

وذكره فى "التتيف" بأوضح معنى وأبين، فقال: ويكتب بعد الصدر بخطبة مناسبة أولها الحمد لله إلى آخرها، ثم أما بعد، ويدّكر ما يرى ذكره من حال الولاية والوى، ويدّكر اسمه، وهو أن يقال: ولما كان المَقوّ، أو الجناّب، وأقابه ونعوته إلى آخرها، ويدّعى له: أعزّ الله أنصاره أو نصرته، أو نحوه، على ما جرت به عادته، ولا يُزاد على دعوة واحدة؛ ثم يقال ما يُفهم أنه المراد بهذه الأوصاف، أو المعنى بهذه الإشارة أو نحو ذلك؛ ثم يقال: اقتضى حُسن رأينا الشريف، ويدّكر ما يقتضى تكميمه وتعظيمه؛ ثم يقال: فلذلك رُسم بالأمر الشريف العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، الفلانى، (ويدّعى له بما يناسب الحال ثلاث دعوات أو أربعا) أن يفوض إلى المشار إليه كذا؛ ثم يقال: فليقلّد ذلك، أو فليتلّق هذا التفويض، أو نحو هذا؛ ثم يؤصّى بما يناسب تلك الولاية بما لا بد منه، ويحرص أن يَنبّه فيه على العمل بالتقوى؛ ثم يَختمُ بالدعاء للوى بالإحانة والتأييد ونحو ذلك ثلاث دعوات، وأكثرها أربع، وأقلّها اثنتان؛ ثم يقال: بعد الخطّ الشريف شرفه الله تعالى وأعلاه أعلاه إن شاء الله تعالى؛ ثم التاريخ

والمستند، والمحمدية، والحسبيلة على العادة . ولم يقل فيه : وسبيل كل واقف عليه ، كما قال في "التعريف" .

وأعلم أن التقاليد على اختلافها لا تخرج في مقادير قطع الورق عن مقدارين :
الأول — قطع الثلثين بقلم الثلث الثقيل . وفيه يكتب لنواب السلطنة بمصر
والشام مطلقا ، وكذلك الوزير ، والمشير ، وكاتب السر ، وقاضي قضاة الشافعية
والحنفية بالديار المصرية .

الثاني — قطع النصف بقلم الثلث الخفيف . وفيه يكتب لنوى التقاليد من
أمرأء العرب : وهم أمير مكة المشرفة ، وأمير المدينة الشريفة ، وأمير آل فضل
من عرب الشام على ما تقدم ذكره . ولا يكتب من التقاليد شيء فيما دون
هذا المقدار من قطع الورق بحال . وسيأتى الكلام على نسخ التقاليد فيما بعد ،
إن شاء الله تعالى .

النوع الثاني

(مما يكتب في الولايات السلطانية المراسيم)

جمع مرسوم ، أخذًا من قولهم : رنمت له كنا فارسه إذا آمتله ، أو من
قولهم : رسم على كنا إذا كتب ، ويحتمل أن يكون منهما جميعا .
وهى على ضربين :

الضرب الأول

(المراسيم المكبرة)

ولم يتعوض لها المقتر الشهابي آبن فضل الله في "التعريف" لأنها لم تكن مستعملة
في زمنه وإنما حدثت بعده :

قال فى "التعريف" : وهى على نمط التقاليد ليس بينهما اختلاف إلا فى أمرين : أحدهما - أنه لا يكتب شئ من المراسيم فى قطع الثلثين بل فى قطع النصف أو الثلث . الثانى - أنه لا يقال فيها «تقليد شريف» بل «مرسوم شريف» .

قلت : ويفترقان من أربعة وجوه . أحدها - أنه يقتصر فى طرة المرسوم على «الأميرى» دون «الكبرى» بخلاف التقاليد فإنه يقال فيها «الأميرى الكبرى» . الثانى - أنه يقال فى المرسوم : «أن يستقر» ولا يقال : «أن يقوض» ولا : «أن يُقْلَد» . الثالث - أنه لا يقال : «على أجمل العوائد وأتم القواعد» بل يقال : «على عادة من تقدمه وقاعدته» . الرابع - أنه لا يقال فى الصدر : «أما بعد» بل «وبعد» .

قال : وهى تختص بتؤاب القلاع المنصورة بالممالك الإسلامية، وأمراء العربان^(١) أو من بالشام وحلب، وشاذى مراكز البريد وغيرهم .
ثم هى على طبقتين :

الطبقة الأولى - ما يكتب فى قطع النصف بقلم خفيف الثلث . وذلك للتؤاب بالقلاع : من مقدمى الألوף والطبقات : كاتب حص، والرجة، والديرة، وقلمة المسلمين، وملطية، وطرسوس، وأذنة، وبهسنى، والفنوحات الجاهانية وغيرها ممن يكتب له المجلس العالى والسامى بالياء أو بغيره على ما تقدم بيانه فى المكتوبات إليهم . وكذلك بعض أمراء العربان وهم أمير آل على، وأمير آل مرأ، وأمير بنى عُبَبة . قال فى "التعريف" : وصورة ما يكتب فى الطرة أن يكتب :

(١) لاه عن الشام الخ . تأمل .

« مرسومٌ شريفٌ بأن يستقر المجلسُ العاليُ أو الساميُّ الأميريُّ ، الفلانيُّ ، فلانٌ (ويدعى له بما يناسبه) في النيابة في الجهة الفلانية على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته على ما شرح فيه » .

فإن كانت النيابة مقدمة ألف : كنيابة الرجة ونحوها ، كُتب في طرزة مرسومٍ نائبها : « مرسومٌ شريفٌ بأن يستقر المجلسُ العاليُ الأميريُّ الفلانيُّ فلانٌ ، أدام الله تعالى نعمته ، في المكان الفلانيُّ على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته » .

وإن كانت النيابة طبعًا كُتب : « مرسومٌ شريفٌ بأن يستقر المجلسُ الساميُّ الأمير فلانٌ ، أدام الله تعالى تأييده في النيابة بمكان كذا ، على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته » ، أو كُتب : « مرسومٌ شريفٌ أن يستقر المجلسُ الساميُّ الأمير فلان الدين فلانٌ ، أدام الله تعالى تأييده في النيابة بمكان كذا ، على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته » .

وإن كانت نيابة قلعة دِمَشْقَ ، كُتب : « مرسومٌ شريفٌ بأن يستقر المجلسُ العاليُ ، الأميريُّ ، فلانٌ ، أدام الله تعالى نعمته في النيابة بالقلعة المنصورة بِدِمَشْقَ المحروسة ، على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته ، على ما شرح فيه » . وكذلك كلُّ قلعة بحسب ألقاب نائبها التي يكتب بها .

ثم يكتب في الصدر بعد البسملة خطبةً مفتحةً بالحمد لله ، ثم يقول : وبسند ، ويأتي بنحو ما تقدم ذكره في التقاليد ، ثم يقال : ولما كان المجلسُ العاليُ أو الساميُّ إلى آخر ألقابه ، ثم يقال : فلانٌ ، ويدعى له بما جرت به عادته ، ويقال ما يفهم منه أنه المقصود بما تقدم ذكره من المدح والأوصاف السابقة ، ثم يقال : فلذلك رُسم

بالأمر الشريف إلى آخره أن يستقر المشار إليه في كذا على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته، فليتأق ذلك ونحوه . ثم يوصى بما يناسب وظيفته التي تولّاها ، ويختتم بنظير ما تقدم ذكره في ختم التقاليد .

الطبقة الثانية — من المراسيم المكتوبة ما يكتب في قطع الثلث بقلم التوقيعات . قال في "التقيف" : وصورته في الطرة والصدر على ما تقدم في الطبقة الأولى ، إلا أن خطبته تفتتح بأما بعد حمد الله ، وتختتم بما تقدم ذكره . قال : وقد تكتب لثواب القلاع من أمراء العشرات : مثل نائب بقراس ، ونائب الدر بساك ، ونائب كركر ، ونائب الكختا ، ونحوها . قال : وكذلك أرباب الوظائف غير النيابات ، مثل شاد الدواوين بالشام وحلب ، وشاد مراكر البريد بهما ، ونحو ذلك ؛ وبعض أمراء العرب : كأمير بني مهدي ، ومقدم عرب جرم ، ومقدم عرب زبيد على ندره فيه . فإن كان المرسوم بناية من النيابات المذكورة وغيرها ، كتب : «مرسوم كريم بأن يستقر المجلس السامى ، الأمير فلان الدين أعزه الله تعالى ، في النيابة بقراس ، أو بالدر بساك ، أو بكركر ، وما أشبه ذلك على عادة من تقدمه وقاعدته» . وإن كان بشد الشام أو بحلب ، كتب : «مرسوم كريم أن يستقر المجلس السامى ، الأمير ، فلان الدين : أعزه الله تعالى في شد الدواوين بالمكان الفلانى ، على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته على ما شرح فيه» . وإن كان بشد مراكر البريد ، أبذل لفظ «شد الدواوين» بلفظ «شد مراكر البريد بالمكان الفلانى» . وإن كان بإمرة بني مهدي ، كتب : «في إمرة بني مهدي ، على عادة من تقدمه وقاعدته» . وإن كان بتقدمة عرب جرم ، كتب : «في مقدمة عرب جرم ، على عادة من تقدمه وقاعدته» . وإن كان بتقدمة عرب زبيد ، أبذل لفظ جرم بزبيد ، وعلى ذلك .

الضرب الثاني

(من المراسيم التي تكتب بالولايات المراسيم المصغرة)

وهي ما يكتب في قطع العادة، وبها يكتب لأرباب السيوف بالولايات الصغيرة مثل نظير الأوقاف ونحوه . وهي صفتان :

الصنف الأول — ما يترك فيه أوصالٌ بياض بين الطرة والبسملة، وهي أعلاها، ويكتب بالسامى بغير ياء أو مجلس الأمير :

وصورتها أن يكتب في الطرة : « مرسومٌ شريفٌ أن يستقر المجلس السامى الأمير فلان الدين ، أو مجلس الأمير فلان في كذا وكذا بما لذلك من المعلوم الشاهد به ديوانُ الوقف ، أو نحو ذلك ، على ما شرح فيه » ثم يكتب في الصّدر بعد البسملة ماصوره : « رُسِمَ بالأمر الشريف العالى، المولوى، السلطاني، الملكى، الفلاني » (باللقب الخاص ولقب السلطنة) ويُدعى له بما فيه براءة الاستهلال بذكر الوظيفة أو اسم صاحبها أو لقبه ونحو ذلك ، وأقلها ثلاث فقرات فما زاد « أن يستقر المجلس السامى، الأمير، الأجل » (إلى آخر القاب)، أو أن يستقر مجلس الأمير، الأجل (إلى آخر الألقاب) لما له من كذا وكذا (ويأتى من صفات المُلح بما يناسب المقام) ثم يقال : فليأشُرْ ذلك، أو فليَنالِ ذلك، أو فليَقابل صدقَاتنا الشريفة بكذا ونحو ذلك . ثم يُوصى بما يليق به ، ويدعى له بدعوتين فقط ، ثم يقال : بعد الخط الشريف العالى أعلاه الله تعالى .

قلت : وهذا الصّنف إن رُوِى صاحبُه، كتب في قطع العادة المنصوري، وإلا ففي قطع العادة الصغير . قال في « التثقيف » : وما ينبّه عليه أنه لا يكتب

مرسومٌ شريفٌ فى قطع العادة إلا بمثل نيابة الشقيف بصفد وصرخد وبعجلون^(١) والصبيبة ، فإنه لا يؤتى فيها إلا مقدّم حقة او جنسدى ، ومثل هذا لا يكتب عن المواقف الشريفة إلا نادرا ، فإن كُفّال الممالك يستبدون بالتولية فى ذلك .

الصفحة الثانى — ما يكتب فى هيئة ورقة الطريق ، ويكون فى ثلاثة أوصال ، وصورته أن يكتب فى الطرة ماصورته : «مرسومٌ شريفٌ أن يستقر فلان ، أو أن يرتب فلان فى كذا وكذا ، على ما تشرح فيه» ويكون ذلك فى سطرين ، ولا يكتب فى أعلاه الاسم الشريف كما يكتب فى غيره : لأن من المعلوم أنه لا يكتب فى هذا إلا الاسم الشريف فيستغنى عن ذكره ، ثم يكتب فى آخر ذلك الوصل : «رسم بالأمر الشريف» على نحو ما تقدم ، إلا أنه لا يحتاج فى الدماء إلى ما يكون فيه براعة استيهال ، بل يكفي «أعلاه الله وشرفه ، وألقده فى الآفاق وصرفه» ونحو ذلك «أن يستقر فلان فى كذا أو يرتب فى كذا ، فليعتمد ذلك ويعمل بحسبه ومقتضاه ، بعد الخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه ، إن شاء الله تعالى» .

النوع الثالث

(مما يكتب فى الولايات السلطانية المتفاوض)

جمع تقويض ، وهو مصدر فوض الأمر إلى زيد إذا ردّه إليه ، ومنه قوله تعالى : (وَأَفْوُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ) أى أركده إليه . قال فى «التعريف» : وبه يكتب لعامة القضاة ، يعنى ممن تكون أرباب التقاليد ، وهى من تخط التقاليد ، غير أنها يقال فى تعريفها «تقويض شريف لفلان بكنا» . ومقتضى ما ذكره أنه إذا

(١) لله زمفد براوالسلف . تأمل :

كتب « نفويض شريف بقضاء قضاة الديار المصرية مثلا » يكتب في الطزّة :
 « نفويض شريف للجلس العالي ، القاضوي ، الكبيرى ، بقضاء قضاة المالكية
 بالديار المصرية ، على أجمال العوائد ، وأكمل القواعد ، بالمعلوم الشاهد به الديوان
 المعمور على ما شُرح فيه » ثم يأتى بنحو ما تقدّم ترتيبه في التقاليد ، إلا أنه
 يكون أخصر .

قلت : ولم أقف على نسخة نفويض غير نسخة واحدة من إنشاء المقرّ الشهابي
 ابن فضل الله لبعض قضاة دمشق . وقد أنشأت أنا نفويضا بقضاء قضاة المالكية
 بالديار المصرية لقاضى القضاة جمال الدين يوسف البساطي ، حين ولى على أثر
 ولاية قاضى القضاة جلال الدين البلقيني^(١) قضاء قضاة الشافعية ، آتتحتّه بلفظ :
 « الحمد لله الذى شفع جلال الإسلام بيماله » وكتبت له به ، وكتبت في طزته :
 « نفويض شريف للجلس العالي ، القاضوي ، الجمالى ، يوسف البساطي المالكي ،
 أعز الله تعالى أحكامه بقضاء قضاة المالكية بالديار المصرية ، على أجمال العوائد ،
 وأكمل القواعد ، على ما شُرح فيه » . وقرأته بالمجلس العام بالمدرسة المنصورية .
 وسيأتى ذكر نسخه في الكلام على النسخ في المقصد الثانى من هذا الطرّف ،
 إن شاء الله تعالى .

(١) بَلْقِينَة بضم الباء وسكون اللام وكسر التاء كما في المعجم والقاموس .

النسوع الرابع (التواقيع ، جمع توقيع)

قد تقدم في مقدمة الكتاب عن ابن حاجب النعمان في ذخيرة الكتاب : أن التوقيع معناه في اللغة التأثير الخفيف ، ومنه قولهم : نافقة موقعة الجنبه اذا أثر فيها الرجل تأثيراً خفيفاً ، وأنه يشمل غير ذلك . وفي اصطلاح الأقدمين من الكتاب أنه اسم لما يكتب في حواشى القصص بخط الخليفة أو الوزير في الزمن المتقدم ، وخط كاتب السر الآن ؛ ثم غلب حتى صار علماً على نوع خاص مما يكتب في الولايات وغيرها . قال في " التعريف " : وهى على أنموذج التفاوض . قال : وقد يقال : أن يرتب ، وأن يقدم ، ثم قال : وعنوانها " توقيع شريف لفلان بكنا " ولا يقال فيها على اختلافها : « وسبيل كل واقف عليه » كما في التقاليد ، بل يقال : « فليتمد ما رسم به فيه بعد الخط الشريف أعلاه » . وقد ذكر في " التعريف " أنها تكون لعامة أرباب الوظائف جليلها وحقيريها ، وكبيرها وصغيرها ، حتى الطبليغات اللاحقين بشاؤ الكبار فن دونهم . وقال في " التثقيف " : لأنها مختصة بالمتعممين من أرباب الوظائف الدينية والدنيوية ، ولا يكتب لأرباب السيوف منها إلا القليل : مثل نظر البيارمتان ، ونظر الجامع الجديد ، ونظر الحرمين الشريفين ، معنى حرم القدس وحرم الخليل عليه السلام .

قلت : والجامع بين كلاميهما أنه في زمن صاحب " التعريف " كانت التواقيع تكتب بالوظائف لأرباب السيوف من الثيابات وغيرها قبل أن تحدث المراسيم المكتوبة المقدمة الذكر ؛ ثم خصت التواقيع بعد ذلك بالمتعممين دون أرباب

السيوف . ومضى الأمر على ذلك في زمن صاحب "التتيف" بقرى على حكمة ولم يبق ممن يكتب له توقيع من أرباب السيوف سوى نُظَّار الجهات الثلاث المتقدمة الذكر : من البهارستان المنصوري، والجامع الجديد الناصري بمصر، ونظر الحرمين : حرم القدس الشريف، وحرم الخليل عليه السلام . والحكم باق على ذلك إلى الآن .

ثم التواقيع على اختلافها لا تخرج عن أربع طبقات :

الطبقة الأولى

(ما يفتح بحُطْبَة مفتحة بالحمد لله، وفيها مرتبتان)

المرتبة الأولى — ما يكتب في قطع النصف بقلم خفيف الثلث . قال في "التتيف" : وصورته يعني ما يكتب به لأرباب الأقلام أن يكتب في الطرة : « توقيع شريف بأن يفوض إلى المجلس العالي، القاضوي، الكبير، الفلافي (ويُدعى له دعوة واحدة) بما جرت به عادته، على أجل الموائد، وأكمل القواعد، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت على ما شرح فيه .

قال : فإن كان حاكماً، كتبت له بعد الكبير، الحاشي . وإن كان كاتب السر، كتب له بعد الكبير، اليميني، لا غير . ثم يكتب في الصدر حُطْبَة مفتحة بالحمد لله ثم يقال : أما بعد، والتتمة على نظير ما ذكر في التقاليد إلا فيما يليق بالوظيفة والمتولى لها مما يناسب الحال . وقد ذكر في "التتيف" أنه كان يكتب بذلك للقضاة الأربعة بالديار المصرية، والقضاة الأربعة بالشام، وكاتب السر بمصر

(١) لم يذكر المقوض به إليه العلم به من نظائره والأصل أن يفوض إلى المجلس نظر الجامع الجديد الناصري مثلاً بما جرت به الخ فنه .

والشام ، وناظر الجيش بهما ، وناظر الدواوين المعمورة والصَّحْبَة الشريفة ، وهو ناظرُ الدولة .

وحينئذٍ فإن كتب بذلك لقاضى القضاة الشافعية بالديار المصرية على ما كان الأمر عليه أولاً، كتب فى الطرزة « توقيع شريف بأن يستقر المجلس العالى ، القاضوى ، الكبيرى ، الفلانى ، فلان : أمر الله تعالى أحكامه ، فى قضاء قضاة الشافعية بالديار المصرية ، على أجل العوائد وأتمها ، وأكمل القواعد وأعمها ، بما لذلك من المعلوم الشاهد به الديوان المعمور ، على ما شرَّح فيه » .

وإن كتب به لقاضى القضاة الحنفية ، على ما كان الأمر عليه أولاً أيضاً ، كتب له نظير قاضى القضاة الشافعية إلا أنه يُبدل لفظ الشافعية بـ «الحنفية» .

وإن كتب لقاضى القضاة المالكية ، على ما الأمر مستقر عليه الآن ، كتب له كذلك ، وأبدل لفظ الشافعية والحنفية بـ «المالكية» .

وإن كتب لقاضى القضاة الحنابلة فكذلك ، ويقال فيه «الحنابلة» .

وإن كتب به لأحد من القضاة الأربعة بالشام ، فكذلك ، إلا أنه يقال قضاء قضاة الشافعية أو الحنفية أو المالكية أو الحنابلة بالشام المحروس .

وإن كتب به لكاتب الممر على ما كان الأمر عليه أولاً ، كتب : « توقيع شريف بأن يهوض إلى المجلس العالى ، القاضوى ، الكبيرى ، اليمينى فلان ، ضاعف الله تعالى نعمته ، صحابة دواوين الإنشاء الشريف بالمالك الإسلامية أعلاها الله تعالى ، على أجل العوائد ، وأكمل القواعد ، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور ، على ما شرَّح فيه » .

وإن كتب به لكاتب السر بالشام، أبدل لفظ الممالك الإسلامية: «الشام المحروس» .

وإن كتب به لناظر الجيش بالديار المصرية، كتب: «توقيع شريف بأن يفوض إلى المجلس العالي، القاضى، الكبيرى، الفلانى: ضاعف الله تعالى نعمته، نظراً لجيوش المنصورة بالممالك الإسلامية، أعلاها الله تعالى على ما شِرح فيه» .

وإن كتب به لناظر الجيش بالشام، أبدل لفظ الممالك الإسلامية: «الشام المحروس» .

وإن كتب به لناظر الدولة، كتب: «توقيع شريف بأن يفوض إلى المجلس العالي، القاضى، الكبيرى، الفلانى، فلان، ضاعف الله تعالى نعمته، نظراً للدواوين المعمورة والصحة الشريفة، على أجل العوائد، وأكمل القواعد، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور على ما شِرح فيه» .

وإن كتب به لناظر البيارستان لصاحب سيف^(١)، كتب: «توقيع شريف أن يفوض إلى المقر الكريم، أو الجناب الكريم، أو العالي (على قدر رتبته) الأميرى، الكبيرى، الفلانى، فلان الناصرى مثلاً: أعز الله أنصاره، أو نصرته، أو ضاعف الله تعالى نعمته (بحسب ما يليق به) نظراً للبيارستان المعمور المنصورى، على أجل العوائد، وأكمل القواعد، بما لتلك من المعلوم الشاهد به الديوان المعمور على ما شِرح فيه» . وكذلك نظراً للجامع الحديد ونظر الحرمين الشريفين كل بما يناسب الألقاب . وعلى ذلك .

(١) لله ودان صاحب سيف .

المرتبة الثانية من التوقيع — ما يكتب فى قطع الثلث بقلم التوقيعات ، وهو لمن مرتبته السامى بالياء . قال فى "التتيف" : وصورته فى الطرة والصدر على ما تقدم شرحه لكن بأخصر مما تقدم . قال : وبذلك يكتب لنقيب الأشراف ولقضاة القضاة بحلب وطرابلس وحماة وصفد والكرک ، وكذلك لقضاة العسكر بالمالك المذكورة والمفتين بدار العدل بها ، وكلاء بيت المال بها ، والمحسنيين ، ونظار الجيش بها ، وكاتب الدست بمصر والشام ، وناظر البيوت بالديار المصرية . وكذلك ناظر خزان السلاح ، ومستوفى الصلحة ، وناظر بيت المال ، وناظر الخزانة الكبرى وخزانة الخصاص ، وناظر الأحباس ، ومشايخ الخواص الجار : كسعيد السعداء ، وبيبرس بالقاهرة ، والشميمصانية بدمشق . وكذلك تخدمه الترجمان بالشام ، وتقدمه الأكراد به ، ومشبعة العائد .

فإن كتب بذلك لنقيب الأشراف ، كتب «توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى ، الأميرى ، الفلانى ، فلان : أدام الله تعالى علوه ، فى رقابة الأشراف بالديار المصرية ، على عادة من تقدمه وقاعدته ، على ما شرح فيه» .

وإن كتب لقاضى قضاة الشافعية بحلب ، كتب «توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى ، القضاة ، الفلانى ، فلان : أيد الله تعالى أحكامه ، فى قضاء قضاة الشافعية بحلب المحروسة ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته على ما شرح فيه» .

وإن كتب لخصى بها كتب كذلك ، وأبدل لفظ الشافعية بـ«الحنفية» وكذا فى المالكية والحنابلة .

وإن كتب لأحد قضاة القضاة بنيرها : كطرابلس ، وحماة ، وصفد ، والكرک ، أبدل لفظ حلب بلفظ تلك المدينة ، والباقي على حكمه .

وإن كتب لأحد من قضاة العسكر بالممالك المذكورة، كتب «توقيع شريف» بأن يستقر المجلس السامي، القضاة، فلان الشافعي، مثلا أو نحو ذلك: أيده الله تعالى أحكامه، في قضاء العسكر المنصور بالمكان الفلاني، على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته».

وإن كتب بإتقاء دار العدل بشيء من هذه الممالك، أبدل لفظ «قضاء العسكر» بلفظ «إتقاء دار العدل» والباقي على حكمه.

وإن كتب لأحد من وكلاء بيت المال بها، كتب «توقيع شريف» بأن يستقر المجلس السامي، القضاة، الفلاني، فلان: أدام الله تعالى رفعتهم، في وكالة بيت المال المعمور بالمكان الفلاني، على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته».

وإن كتب لأحد من المحتسبين بهذه الممالك، كتب «توقيع شريف» بأن يستقر المجلس السامي، القضاة، الفلاني، فلان: أدام الله تعالى رفعتهم، في نظر الحسبة الشريفة بالمكان الفلاني، على عادة من تقدمه وقاعدته».

وإن كتب لأحد من وكلاء بيت المال بها، كتب «توقيع شريف» بأن يستقر المجلس السامي، القضاة، الفلاني، فلان: أدام الله تعالى رفعتهم، في وكالة بيت المال المعمور بالمكان الفلاني، على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته».

وإن كتب لأحد من نظار الجيش بها، كتب «توقيع شريف» بأن يستقر المجلس السامي، القضاة، الفلاني، فلان: أدام الله تعالى رفعتهم، في نظر الجيوش المنصورة بالملكة الفلانية، على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته».

وإن كتب لأحد من كُتَّاب الدِّيار المصرية، كتب «توقيع شريفٌ بأن يستقر المجلس السامى، القضائى، الفلانى، فلان : أدام الله تعالى رفعتَه، فى كتابَة التَّست الشريف بالأبواب الشريفة» . ثم إن كان عن وفاةٍ عيَّنه أو بترول عيَّنه .

وإن كان بالشام، أبدل لفظ «بالأبواب الشريفة» بلفظ «بالشام المحروس» .

وإن كتب بذلك فى نظر البيوت بالديار المصرية ، كتب « توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى ، القضائى ، الفلانى : أدام الله رفعتَه ، فى نظر البيوت المعمورة » .

وإن كُتِبَ لأحد بنظر خزانة السَّلاح بالديار المصرية ، كتب « توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامى، القضائى، الفلانى : أدام الله رفعتَه، فى خزانة السَّلاح المنصورة، على عادة من تَقَدَّمه فى ذلك وقاعدته» .

وإن كتب باستيفاء الصُّحبة، كتب «توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى، القضائى، الفلانى : أدام الله رفعتَه ، فى استيفاء الصُّحبة الشريفة ، على عادة من تَقَدَّمه فى ذلك وقاعدته» .

وإن كتب بنظر بيت المال ، كتب « توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامى، القضائى، الفلانى : أدام الله رفعتَه ، فى نظر بيت المال المعمور ، على عادة من تَقَدَّمه فى ذلك وقاعدته» .

وإن كتب بنظر الخزانة الكُبرى ، كتب « توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى ، القضائى ، الفلانى : أدام الله رفعتَه ، فى نظر الخزانة العالية الكُبرى ، على عادة من تَقَدَّمه وقاعدته» .

وإن كتب بنظر خزانة الخالص ، أبدل لفظ الخزانة العالية الكبرى بلفظ خزانة الخالص الشريف ، والباقي على ما تقدم .

وإن كتب بنظر الأحباس ، كتب « توقيع شريف » أن يستقر المجلس السامي ، القضائي ، الفلاني ، فلان : أدام الله تعالى رفعتَه ، في نظر الأحباس المبرورة ، على عادة من تهتمه في ذلك وقاعدته .

وإن كتب بمشيخة الخاتاه الصلاحية (سعيد السعداء) كتب « توقيع شريف » أن يستقر المجلس السامي ، الشيخي ، الفلاني : أدام الله تعالى من بركاته ، في مشيخة الخاتاه الصلاحية ، على عادة من تهتمه وقاعدته . .

وإن كتب بمشيخة خاتاه بيبرس ، أبدل لفظ « الخاتاه الصلاحية » بلفظ « الخاتاه الركنية بيبرس » والباقي على ما تقدم .

وإن كتب بمشيخة الشميصاتية بدمشق ، أبدل ذلك بلفظ « الخاتاه الشميصاتية بالشام المحروس » .

وإن كتب بتقدمة التركان بالشام ، كتب « توقيع شريف » أن يستقر المجلس السامي ، الفلاني : أعزه الله تعالى ، في تهمة التركان بالشام المحروس ، على عادة من تهتمه وقاعدته .

وإن كتب بتقدمة الأكراد ، أبدل لفظ « التركان » بلفظ « الأكراد » .

وإن كتب بمشيخة العائد ، كتب « توقيع شريف » أن يستقر المجلس السامي ، الفلاني : أعزه الله تعالى ، في مشيخة العائد ، على عادة من تهتمه وقاعدته .
وعلى ذلك .

الطبقة الثانية

(من التواقيع ما يُفتَح بلفظ «أما بعد حمد الله» وهو لمن رُتبه

السامى بغيرياء ، وهى على مرتبتين)

المرتبة الأولى — ما يُكْتَب فى قَطْع الثلث ، وهو الأصلُ فيما يُكْتَب فى الثلث ثم تَرُقُّ عنه إلى رُتْبة الافتتاح بالحمد . ألا ترى أن المناشيرَ التى تُكْتَب فى قَطْع الثلث بقلم التوقيعات تَهْتَج كلها بلفظ «أما بعد» على ما سياتى بيانه فى المقالة السادسة ، فى الكلام على المناشير ، إن شاء الله تعالى .

وصورته أن يُكْتَب فى الطزوة «توقيع شريف» بأن يستقر المجلس السامى ، القضاى ، فلان الدين أو الشيخ فلان الدين فى كذا ، على عادة من تَهْتَم فى ذلك وقاعدته ، على ما شِرح فيه «ثم يُكْتَب فى الصدر «أما بعد حمد الله» ويصلَّى على النبی صلی الله علیه وسلم ؛ ثم يقول : «إِنَّ أَوْلَى الأمور بكذا مَنْ هو بصفة كذا» أو «إِنَّ أَوْلَى الناس بالتقديم من هو مُتَصِف بكذا» ونحو ذلك ؛ ثم يقال : «ولما كان المجلس» ويؤتى بنحو ما تقدم فى المفتَح بالحمد لله .

قلت : وقد قلَّ استعمال هذا الصُربِ بديوان الإنشاء الشريف وإن كان هو الأصلُ فيما يُكْتَب فى هذا القَطْع ، حتَّى لا يكاد يُكْتَب به إلا فى النادر ، تعالیا فى رِفْعة المكتوب لهم ، مع المسامحة لهم فى مثل ذلك .

المرتبة الثانية — ما يُكْتَب فى قَطْع العادة المنصوري .

والأمرُ فيه على ما تهتم فيما يُكْتَب من هذه الطبقة فى قطع الثلث . قال فى «التشيف» : وهو قليلٌ جدًا لا يكون إلا فى تدريس كبير ، أو نظيرٍ وقِف

كبير، أو مشيخة الحرم الشريف بالقدس الشريف، إن لم يكن في قطع الثلث؛
أو لرجل كبير قديم الهجرة في الخلسة الشريفة، إلا أن الوظيفة صغيرة لا تقتضى أن
تكون في قطع الثلث .

الطبقة الثالثة

(من التواقيع ما يفتح بلفظ «رسم بالأمر الشريف» وهي على مرتبتين)

المرتبة الأولى — ما يكتب في قطع العادة المنصوري بقلم الرقاع، وهو لمن
رتبته السامي غير ياء من لم تبلغ رتبته قطع الثلث . قال في «التتيف»: «وصورته
أن يكتب في الطرة «توقيع شريف» بأن يستقر المجلس السامي القاضي فلان الدين:
أعزه الله تعالى في كذا، أو أن يُرتب، أو أن يُقَسَّم» ويذكر ما تضمنه الشاهد
من قصة أو قائمة من ديوان الوزارة أو الخاص أو غير ذلك «على ما شرح فيه». قال:
ثم يكتب في الصدر بعد البسملة «رسم بالأمر الشريف العالي، المولوي»،
السلطاني، الملكي، الفلاني، الفلاني، باللقب الخاص، ولقب السلطنة»:
مثل الناصري، الزنبي، ونحو ذلك (ويدعى للسلطان بأدعية تناسب الوظيفة
والمثولي لها، وأقلها ثلاث فقرات فما زاد) «أن يستقر المجلس السامي، القاضي،
فلان الدين فلان، أو يجلس القاضي فلان الدين فلان: أعزه الله تعالى في كذا،
لما له من صفات هي كذا وكذا (ويأتي من صفات المدح بما يناسب المقام)
ثم يقال: فليباشر ذلك، أو فليباشر هذا الإحسان، أو فليقابل صدقاتنا الشريفة»
ونحو ذلك؛ ثم يوصى بما يليق بتلك الرتبة، ويدعى له بسجنتين فقط . ثم يقال:
«بعد الخط الشريف أعلاه». ثم قال: وبذلك يكتب لكاتب القُرج، ومستوفي

الدولة ، وناظر الأهرء ، وناظر المطابخ ، ومشايخ الخواثق الصغار ، والتدريس الصغار ، وأنظار الأوقاف الصغار ، ونحو ذلك مما لا يأخذه حصر .

وحيثذ فإن كُتب بذلك لكتاب درج ، كتب فى الطرة « توقيع شريف أن يستقر مجلس القاضى فلان الدين فلان : أعزّه الله تعالى فى كتابة الدرج الشريف » .

وإن كتب به لمستوفى من مستوفى الدولة ، كتب « أن يستقر المجلس السامى ، القاضى ، فلان الدين فلان : أدام الله نعمته ، فى استيفاء الدولة الشريفة على عادة من تقدمه » .

وإن كُتب لناظر الأهرء ، كُتب « أن يستقر المجلس السامى ، القاضى ، فلان الدين فلان : أدام الله رفته ، فى نظر الأهرء السعيدة » .

وإن كتب بنظر مطابخ السكر ، كتب « أن يستقر المجلس السامى ، القاضى ، فلان الدين فلان : أدام الله تعالى رفته ، فى نظر المطابخ السعيدة » .

وإن كتب بمشيخة خاقاه صغيرة ، كتب « أن يستقر المجلس السامى ، الشيخى ، فلان الدين فلان ، أو مجلس الشيخ فلان الدين فلان : نفع الله تعالى بركته ، فى مشيخة الخاقاه الفلانية ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته » .

وإن كُتب بتدريس صغير ، كتب « أن يستقر فى تدريس المدرسة الفلانية ، على عادة من تقدمه وقاعدته » .

وإن كتب بنظر وقف ، كتب « أن يستقر فى نظر الوقف الفلانى » ونحو ذلك .

ثم إن كان لشيء من ذلك معلوم يشهد به الديوان السلطاني ككتابة الدرج وآستيفاء الدولة، كُتِبَ بعد قوله وقاعدته : « بما لذلك من المعلوم الشاهد به الديوان المعمور » .

وإن كان الشاهد بالمعلوم كتاب وقف، كتب « بما لذلك من المعلوم الشاهد به كتاب الوقف المبرور » . ويقول في آخر طرقة كل ولاية من التقاليد، والتفاويض، والمراسيم، والتواقيع على اختلافها : « على ما شُرح فيه » .

الطبقة الرابعة

(التواقيع الصغار، وهي لأصغر ما يكون من الولايات :
من نظر وقف صغير ونحو ذلك ، وتكون في ثلاثة أوصال ونحوها)
وهي على ضربين

الضرب الأول — ما يكتب على مثال أوراق الطريق .

وصورتها أن يكتب في أعلى الدرج : « توقيف شريف بأن يستقر فلان في كذا ، على ما شُرح فيه » . ويكون ذلك في سطرين ؛ ثم يكتب في آخر ذلك الوصل : « رُسم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني » إلى آخر ما تقدم في الطبقة الثالثة . ويقال في الدعاء : « أعلاه الله وشرفه ، وأنفذه وصرفه » ونحو ذلك . ثم يقال : « أن يستقر فلان في كذا » ويشرح ما تضمنته الجواب في هامش القصّة . ثم يقال : « فليتم هذا المرسوم الشريف كل واقف عليه ، ويعمل بحسبه ومقتضاه ، من غير ملول عنه ولا خروج عن معناه ، بعد الخط الشريف أعلاه » .

الضرب الثانى - ما يكتب على ظهور القيصص .

وكيفيته أن تُلصق القيصّة التي تَميلها جوابُ كاتب المِرْ أو غيره على وَصلين من ورق العادة الصغير . قال في "التتقيف" : وصورتها أن يكتب في ظاهر القيصّة بغير تسملة قبل الوصل الذي وصله بنحو أربعة أصابع ماصورته : « رُسم بالأمر الشريف العالى المولى السلطان » على نحو ما تقدم . ويدعى له : « أعلاه الله وشرقه » ، وأهذه وصرقه « على ما تهدم في الضرب الأول . ثم يقال : « أن يتأمل ما أنهاء رافعها باطنا ، وليتقنم بكذا وكذا » ويشرح ما تضمنه الجواب في هامش القيصّة . ثم يقال : « فليتمد هذا المرسوم الشريف كل واقف عليه ، ويعمل بحسبه ومقتضاه ، بعد الخط الشريف أعلاه » . قال : وإن كان رافع القيصّة من هو متميز بعض التميز قيل : « مترجمها » بدل « رافعها » . فإن زيد في قدره ، قيل : « ما ذكره مجلس القاضى أو المجلس السامى القاضى » إن كان من هذه الرتبة ، وتذكر بعض ألقابه . ثم يقال : « أدام الله علوه » أو « أعزه الله ، فليتقنم » ويكمل إلى آخره .

وأعلم أن المقر الشهابى ابن فضل الله رحمه الله قد ذكر في "التعريف" افتتاحات أخرى للتواقيع بين رتبة «أما بعد حمد الله» ورتبة «رُسم بالأمر الشريف» فقال : بعد الاكتتاح بأما بعد حمد الله : وقد تستفتح بقول : «أما بعد فإن أولى ما كان كذا» أو ما هذا معناه ، وقد تستفتح بقول : « من حصلت طرائقه ، ومحمدت خلايقه » أو ما هذا معناه ، وجعلها رتبة بعد رتبة .

قلت : وهذه الافتتاحات كانت مستعملة في الدولة العباسية ببغداد ، وفي الدولة الفاطمية بالديار المصرية والبلاد الشامية ، ثم في الدولة التركية إلى زمن المقر الشهابى

المشار إليه في النولة الناصرية محمد بن قلاوون؛ ثم رُفِضَتْ بعد ذلك، وتُركَ استعمالُها بالديار المصرية البتَّة، فلم يكن أحدٌ من كُتَّاب ديوان الإنشاء يستعمل شيئاً منها .

المَقْصِدُ الثَّالِثُ

(في بيان كيفية وضع ما يكتب في هذه الولايات في الورق ،
ويتعلَّق به عشرة أمور)

الأمر الأول — الطُّزَّة ، وهي في اصطلاحهم حِبابَةٌ عن طَرَف الدَّرَج من أعلاه ، ثم أطلقوه على ما يكتب في رأس الدَّرَج مجازاً ، تسميةً للشيء باسم محله .

قلت : وليس صحيحاً من حيث اللغة ، فإنه في الأصل مأخوذٌ من طُرَّة الثوب . وقد ذكر الجوهريّ وفيه أن طُرَّة الثوب هي طُرْفُه الذي لأهْذَب فيه ، والذي لأهْذَب فيه من الثوب هو حاشيته ، بخلاف أعلاه وأسفله . نعم يجوز أن تكون مأخوذة من الطَّر بمعنى القطع ، لأن الطُّزَّة مَقْتَلَعَةٌ عن كتابة المتن ، يفصل بينهما بياض ، ومنه سُمِّيَ الشَّعْرُ المرسل على الصُّدغ طُرَّة . وقد جرئت العادة في كل ما يكتب له طُرَّة أن يكتب في أعلى الدَّرَج في الوَسْط بقلم الرِّقَاع بكل حال ماصورته « الاسم الشريف » ثم تكتب الطُّزَّة تِلْوَ ذلك من أول عَرْض الدَّرَج إلى آخره ، دون هامش عن يمين ولا شمال ؛ بحيث تكون أطراف المتصبات من أول السطر الأول ملاصقةً لأسفل ما كُتِب في أعلى الدَّرَج مما تهتم ذكره . ويأتى بالطُّزَّة المناسبة : من تقليد ، أو مرسوم ، أو توقيض ، أو توقيع ، بالقلم المناسب لمقدار قَطْع ذلك الورق على ما تهتم ببيانهُ ، ويأتى على ما يكتب في الطُّزَّة على ما تقتضيه

الحال، على ما سبق ذكره إلى أن ينتهى إلى آخره . فإن انتهى فى أثناء سطري، ترك باقيةً بياضاً، وكتب فى آخره «على ما شرح فيه» بحيث يوافق آخر ذلك آخر السطر . وإن انتهى ما يكتب فى الطرة فى آخر السطر، كتب تحت ذلك السطر على حيال آخره «على ما شرح فيه» كما تقدم، لا يختلف الحال فى ذلك فى مكتوب ولاية، إلا فيما يكتب على ظهور القصص : فإن العادة جرت فيه أن لا يكون له طرة، ولا يكتب فى أعلاه الأسم الشريف : لأنه قد علم أنه لا يكتب فيه إلا الأسم الشريف، فلم يحتج إلى تبينه على ذلك .

الأمر الثانى — البسملة الشريفة . ومن شأنها أن تكتب فى أول كل ولاية لها شأن، عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم : «كُلُّ أَمْرٍ ذِى بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِحَمْدِ اللَّهِ فَهُوَ أَجْزَأُ» . يعنى ناقص البركة . ومحلها من كُتِبَ الولايات فى أول الوصل الرابع بعد أوصل اللياض . أما مالا بال له من كُتِبَ الولايات : كالتواقيع التى على ظهور القصص وما هو منها على صورة أوراق الطريق، فقد جرى الاصطلاح على أنه لا يكتب فى أولها بسملة أصلاً، بل تفتح «رُسم بالأمر الشريف» .

قلت : وقد كان القاضى علاء الدين على الكرعى حين ولى كتابة السر الشريف بالديار المصرية فى أول سلطنة الظاهر برفوق الثانية أمر أن تكتب فى أول هذه التواقيع بسملة لطيفة المقدار، طلباً للتبرك؛ ثم ترك ذلك بعد موته وانتقال الوظيفة إلى غيره . ولا يخفى أن ما عليه الاصطلاح هو الوجه : فإن النبى صلى الله عليه وسلم قد قيد ما يبدأ بالبسملة بما يكون له بال من الأمور، ومقتضاه أن مالا بال له لا يبدأ فيه ببسملة . على أنه قد كان أمر أن تجعل البسملة قبل قوله «رُسم بالأمر

الشریف» ومقتضى ذلك أن تقع العلامة فوق البسملة، وفيه ما لا يخفى . بخلاف غيره من الولايات الكبار فإن العلامة تكون فيها تحت السطر الثانى من البسملة ، على ما سيأتى بيانه .

الأمر الثالث — الافتتاح الذى على البسملة . وقد علمت مما تقدم أن الذى أستقر عليه افتتاح كتب الولايات على اختلافها من أعلى وأدنى لا يخرج عن ثلاثة أصناف :

أحدها — الافتتاح بالحمد لله، وهو أعلاها . ثم تختلف رتبته بعد ذلك باختلاف ما يكتب فيه من مقادير قطع الورق : إذ هو تارة تفتتح به التقاليد ، وتارة تفتتح به المراسيم المكبّرة ، وتارة تفتتح به التفاويض ، وتارة تفتتح به بأر التواقيع .

الثانى — الافتتاح بأما بعد حمد الله . وهو المرتبة الثانية من المراسيم المكبّرة ، والتواقيع الكبار . وتكون فى قطع الثلث تارة ، وفى قطع العادة المنصورية أخرى .

الثالث — الافتتاح برسم بالأمر الشريف . وهو المرتبة الثالثة من المراسيم والتواقيع ، وهى أدنى رتبها . وتكون فى قطع العادة الصغير ، وربما كتبت بها فى قطع العادة المنصورية .

الأمر الرابع — البعديّة فيما يفتتح فيه بالحمد لله، وهو على ضربين .

الأول — أن يقال بعد التمجيد والتشهد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : أما بعد، وهو الأعلى . وتكون فى التقاليد خاصّة .

الثانى — وبعد، وهى دون أما بعد . وتكون فى التفاويض وكرار المراسيم والتواقيع . وقد نثر القول على ذلك مستوفى فى الكلام على القوافح فى المقالة الثالثة .

الأمر الخامس — وصفُ المتوفى بما يُناسب مقامه ومقامُ الولاية من المتحضر والتعريض . وقد مرَّ القولُ على ذلك في المقصد الأول من هذا الطَّرف، في الكلام على مقدمات الولايات .

الأمر السادس — الألقابُ المختصةُ بصاحب الولاية . قد تقدّم أنه يذكر في الطَّوة بعضُ الألقاب التابعة للقب الأصلى : من المقر والجناب وغيرهما، مع التصريح باسم المولى والدعاء له بما يُناسبه، على ما تقدّم بيانهُ هناك . أما في أثناء الولاية، فإنه يُستوعب جميعُ ألقابه ويعاد ذكرُ الاسم والدعاء المذكور في الطَّوة . وقد تقدّم ذكرُ الألقاب مستوفى في المقصد الأول من هذا الفصل في الكلام على مقدمات الولايات .

الأمر السابع — وصيةُ صاحب الولاية بما يُناسب ولايته . وقد تقدّم التنبيهُ على ذلك في الكلام على مقدمات الولايات أيضا .

الأمر الثامن — الدعاءُ لصاحب الولاية بما يناسبه إذا كان مستحقاً لذلك . وقد ذكر في " التعريف " أن من استُصغر من المولَّين لا يدعى له في أول ولاية ولا آخرها، وربما قيل بذلك الدعاء أو بعده : « والخير يكون » .

الأمر التاسع — الخواتم : من كتابة « إن شاء الله تعالى » والتاريخ، والمسند، والحمدلة، والتصلية، على نحو ما تقدّم في المكتبات .

فأما المشيئة، فإنه يكتب في آخر مكتوب كلِّ ولاية : « إن شاء الله تعالى » في سطرٍ منفرد .

وأما التاريخ، فإنه يكتب في سطرين كما تقدّم في المكتبات، فيكتب « كُتب في يوم كذا من شهر كذا » في سطر، ويكتب « سنة كذا وكذا » في سطر تحته .

وأما المستند، فإنه يكتب تحت التاريخ، كما تقدم في المكاتبات . وإن كان بتلق
 كاتب السر، كُتِبَ في سطر واحد « حَسَبَ المرسوم الشريف » . وإن كان
 برسالة الدوادار، كتب « حَسَبَ المرسوم الشريف » في سطر، ثم كتب
 في سطر تحته « برسالة الجنب العالي الأميري، الكيرى، الفلاني الدوادار،
 الناصري » مثلا . وإن كان بخط السلطان، كتب « حَسَبَ الخط الشريف » .
 وإن كان بإشارة النائب الكافل، كتب « بالإشارة العالية الأميرية الكيرية
 الفلانية » في سطر، وكتب « كافل الممالك الشريفة الإسلامية أملاها الله تعالى »
 في سطر تحته . وإن كان بإشارة الوزير، كتب « بالإشارة العالية الصحابية الوزيرية
 الفلانية » في سطر، ثم كتب في السطر الثاني « مذكر الممالك الشريفة الإسلامية
 أملاها الله تعالى » . وإن كان الوزير صاحب سيف، أسقط منها « الصحابية » .
 اللهم إلا أن يكون مرسوما صغيرا أو توقعا صغيرا مما كُتِبَ في هيئة ورقة
 الطريق أو على ظهر القصة، فإنه إن كان بتلق كاتب السر، كُتِبَ المستند على
 حاشية التوقيع على تمت ما بين السطر الأول والثاني . وإن كان بإشارة النائب
 الكافل كُتِبَ هناك « بالإشارة العالية » سطرين، على نحو ما تقدم فيما يُكْتَبَ تحت
 التاريخ . وإن كان بإشارة الوزير، فالأمر كذلك . وإن كان برسالة الدوادار،
 كتب على الحاشية هناك « حَسَبَ المرسوم الشريف »، ثم كُتِبَ تحت التاريخ
 « برسالة الجنب العالي » إلى آخر المستند .

وأما الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ففى سطر تحت المستند،
 كما في المكاتبات، يكتب فيها « الحمد لله وحده » ثم يخلّ بياضا، ثم يكتب « وصلواته
 على سيدنا محمد وآله ومحبيه وسلامه » .

وأما الحسبلة، ففى سطر تحت ذلك يكتب فيه « حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » على ما تقدم فى المكاتبات .

الأمر العاشر — البياض الواقع فى كُتُب الولايات، وله ستة مواضع :
الأول — فيما بين الطَّوَّة والبسملة، وهى ثلاثة أوصال بالوصل الذى فيه الطَّوَّة، لا يتجاوز ذلك فى مقدار قطع كبير ولا صغير . إلا أنه ربما أقتصر على وصلين فيما استُصغر شأنه من الرتبة الثالثة من التواقيع .

الثانى — الحاشية فيما على يمين البسملة وما بعدها . وأهل زماننا يعبرون عن ذلك بالهامش، ولم أجد له أصلاً فى اللغة . وقد تقدم القول عليها فى المقالة الثالثة، فى الكلام على متعلقات قطع الورق وما يخرط فى سلكه . أما آخر الأسطر فإنه لا بياض فيه ؛ على أن ملوك الروم يجعلون لكتبهم حاشية من أول الأسطر وحاشية من آخرها ، على ما تقدم القول عليها فى الكتب الواردة عن صاحب القسطنطينية .

الثالث — بيت العلامة؛ وهو فيما بين السطر الأول : وهو الذى يلى البسملة، وبين السطر الثانى : وهو الذى يكون فى آخر وصل البسملة . وقد تقدم فى الكلام على مقادير الورق فى المقالة الثالثة أن مقداره فى الزمن القديم كان قدراً شبر، وقد شاهدناه دون ذلك بقليل فيما كتب به فى الدولة الناصرية "محمد بن قلاوون" على ما يشهد به الموجود من تواقعهم؛ ثم تناقص قليلاً . فلما غلا الورق وقُصرت الأوصال قصص مقداره حتى صار نحو شبر، وهو على ذلك إلى الآن . ويزيد ذلك وينقص باعتبار قطع الورق فإنه فى القطع الكبير يكون الوصل أطول منه فى القطع الصغير .

(١) له نحو "صف شبر" كما لا يخفى .

الرابع — ما بين الأسطر في متن الولاية . وهو على مقدار النصف من بيت العلامة في القطع الكبير والقطع الصغير ، لا يكاد ذلك يختلف إلا في التواقيع والمراسيم التي هي على هيئة أوراق الطريق ، والتي على ظهور القصص فإن ما بين السطرين منها يكون متضابقاً حتى يكون بقدر ثلاثة أصابع مطبوعة .

الخامس — ما بين أسطر اللواحق فيما بعد «إن شاء الله تعالى» فإنه يكون ما بين كل سطرين من ذلك قدر نصف ما بين السطرين في متن الولاية ، إلا في المستند إذا كان سطرين ، مثل أن يكون رسالة النوادر ونحوها ، فإن السطرين يكونان متلاصقين .

السادس — ما بعد اللواحق في آخر الكتاب ، وهو قدر يسير يكون قدر إصبعين مطبوعين أو ثلاثة أصابع مطبوعات وما قارب ذلك .

المبحث الثاني

(في ذكر نسخ مما يكتب في متن الولايات من التقاليد والمراسيم المكتبة والتفاويض والتواقيع)

قلت : وقد كنت همت أن أجعل ابتداء التقاليد ، والتفاويض ، والمراسيم ، والتواقيع : من الاقتراح «الحمد لله» أو «أما بعد حمد الله» أو «رسم بالأمر الشريف» في فصل مستقل ، ومقاصدها المتعلقة بالوظيفة (١) ... الكاتب الذي لا يحسن الإنشاء ما أحب من الابتداء آت المناسبة للاسم أو اللقب ونحوها ثم يبين القصد المتعلق بالوصف . ثم أضريت عن ذلك وأتميت بالنسخ على صورتها لأمر : منها — أن في تضييع النسخة إفساداً لصورتها وضياًع فضيلة المنشئين

(١) يراض بالأصل في غير نسخة ولله في فصل على حدة لينتار الكاتب الذي لا يحسن الإنشاء ما أحب الخ .

واشاعة ذكرهم . ومنها - أن يعرف أنَّ الصورة التى تُورَد مما كُتِب به فى الزمن السابق ، وأنها مصطلح قد اصطلح عليه أهل ذلك الزمان . ومنها - أن يعرف المنشئ ترتيب من تهتمَّ لبسج على منواله . وإذا أراد من لأدربة له بالإشياء أخذ تمجيداً من تقليد أو توقيع وضيها ونقلها إلى مقصد من مقاصد الولاية لم يُعِزه ذلك .

ثم قسمته على ثلاثة أقسام .

القسم الأول

(ولايات وظائف الديار المصرية ، وهى على نوعين)

النوع الأول

(الولايات بالحضرة ، وهى على ستة أضرب)

الأضرب الأول

(ولايات أرباب السيوف ، وهى على طبقتين)

الطبقة الأولى

(ذوات التقاليد ، وهى ثلاث وظائف)

الوظيفة الأولى

(الكفالة ، وهى نيابة السلطنة بالحضرة)

وقد تهتم فى الكلام على ترتيب وظائف المملكة فى المقالة الثانية أن الكفالة هى أعلى رتب نيابة السلطنة ، وأنَّ النائب الكافل يحكم فى كل ما يحكم فيه السلطان ، ويعلم فى التقاليد والتواقيع والمنشئ وضيها ذلك ؛ بخلاف ضيه من التواب فإنَّ كل نائب لا يعلم إلا على ما يختص بخاصة نيابته . وقد تهتم فى مقدمة الولايات أن لقبه «المقرِّ الكريم» على ما استقر عليه الحال .

وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة، كُتِبَ بها من إنشاء الشهاب محمود الحليّ
رحمه الله، وهي :

الحمد لله الذي جعل رُكْنَ الدولة في دولتنا القاهرة ثابت القواعد، على فَرْقَد
الفرّاقَد، راقياً في رَبِّبَ العُلُوّ الآخِذَةِ من أَفْقِ التأييد بالمطالع ومن نُطْقِ العزِّ بالمعاند؛
حالياً بِسُقُودِ المَهَابَةِ التي لا تَزَالُ رُحْبُهَا على الأعداء طلائع خيل في المَرَاقِبِ وورائع
خَيْالٍ في المَرَاقِدِ، حاوياً من أنواع المفاخر ما لو كثرته الدارارى غدت وهي
لمجموعه قَرَاقِدَ، أو فَاخِرَتِهِ الدَّرَرُ تَهْبِئُهَا الأفكارُ النواقد، مقلداً من سُيُوفِ الظُّفْرِ
مَالاً تَلْبُو في نُصْرَةِ الإسلام مَضَارِبُهُ وكيف تَلْبُو وأواصرنا لمقود حمايلها على عَوَاتِقِ
بَجْدِهِ عَوَاقِدَ .

نحمده على نِعَمِهِ التي صَدَقَتْ أُمُورَ دولتنا بمن يَتَّقِ بأُسِهِ مَنَارَهَا، وَصَدَقَتْ قَوَائِدَ
مَمْلَكَتِنَا بمن يُوَالِي فَضْلَهُ أُنُورَهَا، وَصَدَقَتْ هِمَمَ أَوْلِيَانَا بمن إِذَا تَحَمَّيْتُ أَعْدَاءَ الدِّينِ
مَوَاقِعَ صُورِهِ كَانَ أَمْنٌ صُورُنَا إِسَارَهَا وَأَتَمُّ سِلَاحُهَا فِرَارَهَا .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُشْرِقُ أَهْمَهُ، بِأَوَامِعِهَا، وَتُشْرِفُ
الْكَلِمَ، بِمِوَامِعِهَا، وَتَزْكُو الأُمَمَ، بِمَا تَسْقُلُ الأَلْسِنَةُ مِنْهَا عن القلوب إلى مَسَامِعِهَا ؛
ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أقامنا الله لنصر دينه ، وألهمنا تفويضَ مصالح
أُمَمِهِ إلى كَلِّ وَلِيٍّ مَا رُفِئَتْ رَأْيُهُ نَصْرُهَا لِقَائِهَا عَرَابُهُ بِمِجْدِ بَيْعِنِهِ، وَوَعْدِنَا
فِي جِهَادِ أَعْدَائِهِ بِأَعَزِّ صَفَى بُنُوبِ بِأُسِهِ لِلجَيْشِ عن طليعته ويقوم رأيه في الحرب
مَقَامَ كَيْبِنِهِ ؛ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ أَخْتَارَهُمْ لُصْحَبَتِهِ وَأَرْقَضَاهُمْ،
وَأَرْهَقَهُمْ لِإِقَامَةِ مَلَّتِهِ وَأَتَتْصَاهُمْ ، فَهُمْ مَنْ فَازَ بِمِزْنِ مِسْقِهِ وَتَصَدِيقِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ
كَانَ الشَّيْطَانُ يُكَيِّبُ عَنْ طَرِيقِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخْتَارَ الشَّهَادَةَ عَلَى الْاِسْتِمَارِ بِقَرِيَقِهِ

ورقيقه، ومنهم من أقامه بشرف الأخوة معه مقام شقيقه، صلاة يبلغه إخلاص
تقديمها، ويعرض عليه إيمان مديهما، وسلم .

أما بعد، فإننا من حين أو رثنا الله ملك الإسلام لاعتن كلاله، وألبسنا في مواقف
الذب عن دينه حُلل العز المعلقة بالخلالة، ومكن لنا في أرضه، وأنهننا بمسئون
الجهاد وقرضه، ونشر دعوة ملكنا في طول الوجود وعرضه - لم نزل نزايد لكفالة
الممالك الإسلامية من تأوى منه إلى ركن شديد، ورأي سيد، وتحريم يقرب من
مواهب النصر كل بعيد، وعزم إذا أدهف صوارمه من أذى الصعيد، وجف طول
مواقعها باب الحديد، فهو المطوى في أثناء ضمائرنا وإن تقلدنا قبله سواه، والمنوى
في أحناء سرائرنا وإلما لأمرى مانواه؛ قد حلب قدم هجرته، النهر أسطره، وكتب
حسن خبرته، من عنوان السير أسطره، وتمثلت مرآة الزمان ليفكره فاجتلى صور
الوقائع في صفاتها، وترددت تجارب الأمم على سمعه فعلم ما يأتى وما يذر في تركها
وأقفائها؛ وأستقبل دولة أسلافنا الشريفة من فوائدها : فكان لسان تحاسنها، وبنان
ميامنها، وخرانة سرها، وكثانة نهى وأمرها ؛ وطلعة تأييدها، وذريعة أولياتها إلى
عوارفها وجوهرها، وعنوان أخبارها، وعنان موابقها التي لا تترك ما أثر من سلف
شق أخبارها، ويمين قبضتها المصرفة بين الباس والندى، وأمين آرائها المؤيدة
بالنوفيق اللدنى على العدا ؛ وركنها المشيد بالأسل وهو ما تبنى عليه الممالك،
وحصنها المصفح بالصفاح فلا تستطيع الأهواء أن تنقل إليه تلك المسالك؛ وزعيم
جيوشها التي اجتنت من قصب قواضيه ثمر النصر غير مره، ومقدم عساكرها التي
اجتنت به وجوه الظفر الحلوة في أيام الكريمة المرة .

ولما كان المقرّ الكريم (الفلاّني) هو معنى هذه الصفات المبهمة، ومعنى هذه القواعد المحكمّة، وطراز حُلّل هذه الأحوال المعلومه، وسر المقاصد الظاهره، وسلك هذه [البحر] الزاهية بل فلّك هذه الدراريّ الزاهره، تُحقّق صَوادِحُ البراعة، فتقع دُونَ أوصافه بمراحل، وتفوض سِوَايَ البراعة، فيلقبها العجْز عن استخراج دُور نُعُوتِه بالسواحل، فأوصافه تُدَكِّر على وجه الإجمال لضيق نطاق الفصاحة عن تفصيلها، ومناقبه تُشكّر بلسان الإجماع لعجز ألسنة الأقلام عن بلوغها إلى غايتها ووضوئها؛ فلذلك اقتضت أرائنا الشريفة أن نُفَسِّح مجال الهدى، بتفويض إمالة الممالك إليه، وأن نُقَطِّع آمال العدا، بالاعتقاد في زمامة الجيوش الإسلامية عليه، وأن نُفَرِّج حيون الرعايا بالتقاء مفايل العُدل والإحسان إلى يديه، وأن نُصَوِّن عقائل الممالك من مهاتبة بما يفند سُورًا لِعَواصِمِها، وسُورًا لِعَاصِمِها؛ وشَبَّاهُ قَهْرُ قُوَّرها عن بُرُوقه، أو لُجْأ يَقَطِّع طريق أمل العدا عن تحيّل خيالها في طُروقِه، : ليعتضدّ الذين منه برُكنه، ويتغلب [على] الشُرك في حائلِ حربه ووفنه، ويتقلب كل من رجاياها بين وهادٍ يُمْنِه ومهادٍ أُمْنِه - رُسم بالأمر الشريف - لا زال مُلكه على الأركان، راقياً من أفق النصر إلى أعلى مكانة وأرفع مكان - أن تُفَوِّض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالديار المصرية، والممالك الإسلامية؛ على أكمل العوائد، وأجمل القواعد؛ تفويضاً تَمَيُّض أحكامه في الممالك الإسلامية شرقاً وغرباً، وبُعْدًا وقُرباً؛ فلا يخرج منها شيء عن أوامره وأحكامه، ولا يُعَدِّل في سُلْطَمِها وحربها عن حُكْمِ سيوفه وأقلامه .

فليستَقَرّ في هذه الرتبة العالية استقوار الأركان المَواكِث، والأَطْوَاد اللّوَابث؛ والأُصُول الثَّوَابث، والنجوم الثَّوَابث، مؤثلاً قواعدها برأيه السديد ورائته، معوّداً كالمَلَأ بنسب النصر وآيته، مبتدئاً في إعلاء منارها من العدل بإقصاء

ومن الإحسان بناؤه ؛ مكثراً أعداد الجيوش الإسلامية برأيه السعيد ، مقرباً من مطامح النصر النائية كل بعيد ؛ مؤكلاً بحركات العدو وسكاته جفناً لا يأنف^(١) الفرار ، وسيقاً لا يعرف القرار ، وعزماً لا يرضى من عدوه دون اصطلامه الفيرار ؛ فلا تزال جيوش الإسلام يجيل تماهده مراحة الموائق ، مُزالة الملاقي ، لامانع لها عن الركوب ، ولا قاطع عن الوثوب ؛ قد أعدتها عزائمها ، فكل زمانها بالتأهب للقاء وقت إمكانه ، وأملت بأسها صوارمه ، فهي لاتسال عن صد مدوها بل عن مكانه ؛ مقيماً منار العدل الذى هو أساس الملك وديمائته ، ورأس الحكم بأمر الله فى خلقه وهامتة ، وتور الخصب الكائل بمصالح العباد والبلاد وعامتة ، ناشراً^(٢) له [فى] أقطار الممالك ، ماحياً بنور إقامته آية ليل الظلم الحالك ؛ معاضداً أحكام الشريعة المطهرة بالاعتقاد إليها ، والاعتقاد فى الحل والمقد عليها ، والاحتفال برفع منارها ؛ فإن ذلك من أفضل ما قدمته الدول الصالحة بين يديها ، مقتناً عمارة البلاد على كل مهم ؛ فإنها الأصل الذى تنفزع عنه المصالح على اقتراحها ، والمادة التى تستعمل الجيوش الإسلامية على العدا بتوسعها فى إيقادها وإنفاقها ، والأسباب التى تبين الفيوت على نماء ما بسط الله لعباده من أرواقها ؛ وأكسد مصالحها الرقى الذى ما كان فى شيء إلا زانه ، والعدل الذى ما أنصف به ملك إلا حفظه وصانه ، فقد جعلنا أمره فى ذلك جميعه من أمرنا المطاع ، واقتصرنا عن ذكر الوصايا بما فى خصائصه الكريمة من حسن الإخطلاع وجبل الأطلاع ، واكتفينا بما فى خلايقه الجميلة من عاس لو تخير نفسه لم يزدها على ما فيه من كرم الطباع ؛ والله تعالى يؤيده وقد فعل ، ويعمل ركنه من أثبت قواعد الدين وقد جعل ؛ إن شاء الله تعالى .

(١) أنذار الترم القليل أو القليل من كل شيء . - انظر السانج ج ٦ .

(٢) العامة قبض المصد إذا اجتمعت بعد حصدها ورجعها عام . كذا فى غز من اللسان .



وهذه نسخة تخليد بكفالة السلطنة أيضا ، وهي :

الحمد لله الذى زانَ دولتنا القاهرة من حُسابها بشقيسده ، وصانَ حِمى ممالكنا
الشريفة من أولياتنا بمن تَقَلُّو مواقعُ سيوفه من كل عُلُو قلائد جيده ، وزاد جلالته
الملك بمن إذا ركب في مواكب نيابته أوردَ جِسادَ رُعبه من كل مُتَوَجٍّ من ملوك
العِدا مَنَاهِلَ وِريدِه ، وفوضَ تَقْدِمة جُيوشنا المنصورة إلى مَنْ تُضَاعِفُ مهابتَه
في عُيون العِدا عَدَدَ جُنُودِه ، وتقزوه سرايا خيله في يَقْظتِه وتطلُعُ عليه طلائعُ خياله
في جُجُودِه ، وإذا صَلَّتْ سيوفُه في مَوْقِفٍ ونحى أغرت رأس كل مستكبر لم يعرف الله
قبل رُكُوعه بسُجُودِه ؛ مُشْرِفٌ أقدار أولياتنا من المراتب بما تُشْرِفُ به أقدارُ المراتب
في نفسها ، ومُقْضِلٌ أيام دولتنا على النول بما أَلْفَتْه من جلالته مُلْكًا في أمسيها ،
ومُجْمِلٌ سِيرَ أَصْفِيائنا من المَعْلَلة بما إذا غرستَه في قلوب الرعايا كان الدماءُ الصالحُ
ثمرة غرسها ، ومَقْلِدٌ خواصنا من إِيالة المُلْك ما إذا خَطَبَتْ به الأَقْلَامُ على منابر
الأنامل قَلتِ البلاغة في تلك الأوصاف عن قُصِّها ، ومُفِيضٌ حُللُ الأنبياء المرقومة
بأسنى الرُتب على مَنْ إذا زانت حبرها اللابسَ زانها بلبسها ، وإذا أشرقت به هالة
المواكب لوعى سقطت فوارسُ ملوك العِدا عن مراكبها واضطربت الأسيرة بملوك
فُرسها ، وإذا كتمته الإعداءُ أنباءها نطقت السنةُ رِياحه بأسرار أهل الشرك ولا يرى
أَسْمَعُ من ضَمِّها ولا أَفْصَحُ من نُحرِيسها ، وإذا تطاولت أبطالُ الوقائع لِلسَّامَةِ انقَرَّتْ
نفورُ سيوفه عن شَنبِ النصر لِألفِها بمعاينةِ الأعناقِ وأُنْسِها .

نَحْمَدُه على نِعَمه التى أعادتُ شرقَ أمماتنا إلى أَسْماعِ المنابر ، وأنطقت بمضاغة
الأنبياء لأوليائنا السَّنةَ الأَقْلَامِ في أفواه المنابر ، وأعادت بسيف النصر حَقُوقَ مُلْكنا
الذى تلقيناه مع الأولى والأُولوية من أسلافنا الكلامَ كابرًا عن كابر .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال سيوفنا بإعلاء مآثرها
 ناهضة، ويجابد جهادنا لنشر دعوتها فى الآفاق راكمه، ومواد نعما ونقمة لآمال
 حاملها باسطة ولأرواح جاجديها قابضة؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى
 أبده الله تعالى بنصره، وآتاه من معجزاته ما يحول البصر دون حصره، وجعله أمام
 الأنبياء وإمامهم مع تأنر عصره، ونصره بالرغب الذى زخر كل ملك عن سريره
 وأنزل كل متوج من قصره؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هجروا فى نصرته،
 ما لوف الأوطان والأوطار، وركبوا فى إقامة ملة، تحوف الأهوال والأخطار،
 وقصوا بمن دعوته، ما أشتت عليه المشارق والمغارب من الأرجاء الممتدة والأقطار؛
 صلاة لا يزال سيف جهاد لدوامها مقيما، وحكم جلادنا لإقامتها مديما؛ وسلم
 تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من سميت التقاليد بأوصافه، وصرفت أمور الممالك بين يديه
 وانصافه؛ وحليت مواقف الخلدمة الشريفة من جواهر مهابة، بما هو جدير بحل
 السيف، وزينت مجالس العدل من إياته، بما هو مبرأ من الميل والهوى منزعة عن
 الظلم والحيثف، وملئت القلوب من مخافته، بما يمنع ذا القوة فى الباطل من توهم
 البطش وذا الصبوة فى الهوى من استزاره (؟) ويحسن لها الفرار، ويهون عليها
 فى جنب ما تتوقفه من مواقع سيوفه السي والإسار، وعُدق به من مصالح الأقاليم
 ما يصرفه بيمين دأبها الثمين ويسار شأنها اليسار؛ وقوضت زمامة الجيوش منه إلى مهام
 يقوم بأمرها على ما يجب، وليث لو لم ينهض بالوفها المؤلفة فى الوقائع لكان من
 تقبسه وحدها فى بحفل لحب؛ ومقدام آلاف العدا فى شجاعته آحاد، وضرظام
 قسور أهل الكفر بين يدي وتباته وثباته وأسودهم نقاد؛ من لم نزل نعهده فى أركان
 البيت الشريف المنصوري بالحناصر، ونعده للواقف التى ليس للدين فيها غير تأييد

الله وحده السيف ناصر، وتذكره من معادن أولئنا الذين تمسكوا من الانتماء إلينا
بأمكن الأسباب وأقوى الأواصر، ونقلد أعطاف الأواصر منه ميقاً يرى منه يئس
العبد ومعاقلهم بأفك حاصد وأقل حاصر، فكمن من مواقف شفع فيها الشجاعة
بالخضوع لربه، ومواطن ليس فيها قلبه على الشرع إذا ليس غيره الشرع على قلبه،
ومسالك سلكها في طاعة الله وطاعتنا والسيوف تنفر من قريبا، ومشاهد شهدها
في طاعة الله وطاعتنا والقلوب تنفر من محبها، وليكال قطعها في خدمتنا لم يصحب
غير السنة أسلته وأعين شهبها، ومقاصد الدين بأنفها والسهام لا يحملها من الفرق قوايد
النسور، وسرايا وقف بينها وبين العدا فضرب بينهم من شيعاته بسور، وبحار
حرب لم تتجاسر السوايح على قطعها حتى مد عليها من موجات سيوفه قناطر
ومن مقومات دوايله جسور، وكما أنام الرأيا في مهاد عدله فلم يطررهم طيف ظالم
في الكرا، ولا روع سربهم خيال مغير أوهمهم السرى، بل كانوا محفوظين
بمهايتهم محفوظين بمواهبه، وادعين في ظله الذي ماذجا عليهم ليل خطب إلا أطلع
لم بدور الأمن في قيايه .

ولما كان (فلان) هو الذي صار يذكر مهايته المثل، وصار له في قلوب الأعداء
من الرعب ما تشابه فيه القاتلان الوجل والجل، وجمع محاسن الصفات في أخذ
عنه أو يثق به أو يُنظر إليه إلا ويجد (ملء المسامع والأفواه والمقل)، ولا جرد على
العبد سيفا إلا وودعت أرواحهم الأجساد، ولا أرهف في مجالس العدل
والإحسان قلب إلا وضمت له الأجام التي نشأ بها (كرم السيول وسقوط الآساد)،
ولا طلع في أفق مواكب إلا وهالت العدا هالة بذره، ودلت على عظم سلطاننا
رفعة قدره، وشهدت له بحسن طاعتنا طاعة أمرائنا لأمره، وأسلمت من خدمة
والدنا السلطان الشهيد ما لم تزل له به عندنا حقوق مرعية، وسوابق مرضية،

ورتبةٌ تَهْدِمُ سِنِيهِ ، ومزينةٌ تَقْرِبُ جَعْلَهُ مُشَاهِدًا بِالْبَيَانِ مَقْدَمًا فِي النَّيِّ - أَتَمَنَّتْ
 آرَافُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ تُرَوِّجَ الْعِدَا بِسَيْفِهِ ، وَتُرِيَهُمْ مِنْ تَقْدِمَتِهِ عَلَى الْجِيُوشِ بِقَطْعَةٍ
 مَا كَانُوا يَرَوْنَهُ حُلْمًا مِنْ طَيْفِهِ ؛ وَلْيَعْلَمْ الْأَعْدَاءُ مَعَاجِلَةَ أَخَذِهِم بِالْعَنْفِ وَالْحَيْفِ ،
 وَأَنَّا لَا نَأْخُذُنَا فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَأَنَّمْ فَلَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَرُسُولِهِ (صلى الله عليه
 وسلم) إِلَّا السَّيْفُ .

فَلَذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتْ مِمَّا لَكَ الْإِسْلَامُ بِهِ مُقْتَرَّةَ الْمَيَّاسِ ، عَالِيَةِ
 مَدَى الْمَهَابَةِ إِذَا طَرَقَتْهَا عَوَاصِفُ رِيَّاحِ الْعِدَا وَقَفَتْ دُونَ بُلُوغِهَا دَائِمِيَةَ الْمَنَاسِمِ -
 أَنْتَ تُفَوِّضُ إِلَيْهِ نِيَابَةَ السُّلْطَانَةِ الشَّرِيفَةِ بِالْمَعَالِكِ الْإِسْلَامِيَةِ عَلَى الْعَادَةِ فِي ذَلِكَ
 وَالْقَاعِدَةِ تَقْوِيضًا يَهْيِضُ عَلَى الْمَسَالِكِ حُلُلَ الْمَهَابَةِ ، وَيَسْلُبُ أَعْدَاءَ الدِّينِ رِذَاءَ
 الْأَمْنِ فَلَا يَنْفَعُهُمُ الْخُضُوعُ وَلَا الْإِثَابَةُ ، وَيُضَاعِفُ لَنَا أَدْعِيَةَ الرَّاغِبِ الصَّالِحَةِ بِإِجْرَائِهِمْ
 عَلَى مَا أَلْفَوْهُ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ فَهَنَّهُمُ الدَّعَاءُ الصَّالِحُ وَمِنْ كَرَّمَ اللَّهُ الْإِجَابَةَ .

فَلْيَعْلَمْ هَذِهِ الرُّتْبَةُ الدَّالَّةُ عَلَى أَرْتِفَاعِ قَدْرِهِ لَدَيْنَا ، الشَّاهِدَةُ لَهُ بِاحْتِفَالِنَا بِمَا أَوْجَبَهُ
 لِإِخْلَاصِهِ مِنْ حَقُوقِ الطَّاعَةِ وَالْوَلَاءِ عَلَيْنَا ؛ الْمُنْهَبَةُ عَلَى أَنَّهُ سَيَفْنِي الَّذِي نَصَوْنَا الْمَالِكِ
 بِحَدِّهِ ، وَنَصَوْنَا عَلَى الْعِدَا بِمَضَائِهِ الَّذِي تَهَلَّلَ وَجْهُهُ النَّصْرُ كُلَّمَا أَصْفَرَ مِنْ غَمِّهِ ؛
 وَلْيَسْتَفْرِ فِي ذَلِكَ نَافِذًا فِي الْمَصَالِحِ الْإِسْلَامِيَةِ أَمْرُهُ ، مُغْبِرًا عَلَى جِيُوشِ الْأَعْدَاءِ
 ذِكْرُهُ ، مَعْمَلَةٌ فِي حِمَايَةِ الدِّينِ بِضَمِّهِ الْمُرَهَّقَةِ وَتُمْمَرُهُ ، بِجَمَلَةٍ بِإِشْرَاقِ طَلْعَتِهِ مَطْلَعُ
 الْمَوَاقِبِ ، مُسَبِّحَةٌ نُجُومِ اسْتِثْنَاهُ إِلَى قُلُوبِ أَعْدَاءِ الدِّينِ مَسِيرِ الْكَوَاكِبِ ، غُفْقَةُ
 بِحُفُوقِ رَايَتِهِ مَسَاعِي الْكُفْرِ الصَّادِرَةِ عَنْ آمَالِهِمُ الْكَوَاذِبِ ؛ لِيَعْلَمَ عَدُوُّ اللَّهِ أَنَّهُ أَشَدُّ
 طَلَبًا لَهُ مِنْ أَجَلِهِ ، وَأَزْمُ لَمَعُهُ مِنْ عَمَلِهِ ؛ وَأَسْبَقُ إِلَيْهِ مِنْ رَجْعِ صَوْتِهِ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ
 مِنْ مُتَاجَاةِ مَوْتِهِ . وَلْيُجَمِّلِ النَّظَرَ فِي مَصَالِحِ الْجِيُوشِ الْإِسْلَامِيَةِ بِمَا يُضَاعِفُ عِدَّتَهُمَا ،

ويُنقِ على توالى الأحقاب حِلَّتْهَا وَجَلَّتْهَا ؛ وَيَأْخُذْهُمْ بِإِدَامَةِ التَّزَنِّ فِي الْحُرُوبِ ،
وَإِطَالَةِ عِنَانِ النَّاهِبِ لِلرُّكُوبِ ؛ وَيُعَيِّنُ كُلًّا مِنْهُمْ بِمِلَاحِظَةِ حَالِهِ عَلَى اسْتِدَامَةِ قُوَّتِهِ
وَإِمْكَانِهِ ، وَيَعْمَلُهُم بِالْإِقْتِبَاسِ مِنْ شِجَاعَتِهِ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ لَا يَسْأَلُونَ عَنْ عَدَدِ عَدُوِّهِمْ
بَلْ عَنْ مَكَانِهِ . وَلِيَكُنْ لِكَلِمَةِ الشَّرِيعَةِ الشَّرِيفَةِ رَافِعًا ، وَلِشُبِّهِ مِنْ يَمْتَنِعُ عَنِ الْإِقْيَادِ
إِلَى الْأَحْكَامِ دَافِعًا ؛ وَبَلَى يَدٍ مِنْ يَتَطَوَّقُ إِلَى الْخُرُوجِ عَنْ أَحْكَامِهِ آخِذًا ، وَلَنْ لَمْ
يَسْلُكِ الْأَدَبَ بَيْنَ يَدَيِ حُكْمِهِ بِمَا يَقْتَضِيهِ تَعْظِيمُ الْحُكْمِ الْعَزِيزِ مُوَآخِذًا . وَلِيَأْمُرِ
النُّوَابَ بِإِقَامَةِ مَنَارِ الْعَدْلِ الَّذِي يَوْمٌ مِنْهُ خَيْرٌ لِلْأَرْضِ مِنْ أَنْ تُمَطَّرَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ،
وَيَصْرِفَ إِلَى مَصَالِحِ الثُّغُورِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَحَامَيْتِهَا فِكْرًا لَمْ يَخْتَرِدْهُ وَنَظَرًا يَأْنِفُ أَنْ
يَأْتَلَ نَوْمًا ؛ وَيَلِذَّ الْوَصَايَا تَقْوَى اللَّهِ وَهِيَ مِنْ خَصَالِصِ نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ ، وَرَاحَةً
رُوحِهِ الَّتِي هِيَ لِلْفِكْرِ فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ مُبْدِيَةٌ ؛ فَلْيَجْتَهِدْ فِي الْمَحَافَظَةِ عَلَيْهَا مَا اسْتَطَاعَ ،
وَيُضَيِّضْ بِهَا فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ أَمْرَهُ الَّذِي جَسَلَتْهُ مِنْ أَمْرِنَا مُطَاعٌ .



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة أيضا ، كُتِبَ بِهِ عَنِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ أَبِي بَكْرٍ
أَبْنِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ لِلْأَمِيرِ طُغْزُدُمُرْ أَمِيرِ مَجْلِسِ ، فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ
وَسَبْعِمِائَةٍ ، بَعْدَ أَنْ بَطَلَتْ النِّيَابَةُ فِي دَوْلَةِ أَبِيهِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ عَمَّةِ سِتِينَ ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَصْطَفَى لِسُلْطَانَتِهِ الْمَنْصُورِ مَنْ يَنْوِبُ عَنْهُ فِي رِيَاسَةِ الْجُمْهُورِ
أَحْسَنَ مَنَابٍ ، وَأَضْفَى عَلَى مُلْكِهِ الْمَعْمُورِ مِنْ رِيَاسَتِهِ أَسْرَمَ رِيَالٍ وَمِنْ حِرَاسَتِهِ
أَجَلَ جِلْبَابٍ ، وَكَفَى دَوْلَتَنَا الشَّرِيفَةَ بِسِيَاسَتِهِ مُهِمَّاتِ الْأُمُورِ قَلْتًا يُبِيدُهَا بِقِيَامِهِ دَوَامَ
وَلِتَشِيدُهَا بِاهْتِمَامِهِ اسْتِصْحَابَ ، وَشَقَى الصُّدُورَ بِصُورِ إِشَارَتِهِ الْمُبَارَكَةِ الَّتِي لَهَا
بِأَوَامِرِنَا الْعَالِيَةِ اقْتِرَانٌ وَمِنْ ضَمَائِرِنَا الصَّافِيَةِ اقْتِرَابٌ ، وَأَوْفَى لَهُ مِنْ رِنَا الْعَمِيمِ بِحَقِّهِ

الذى [له] بعنده استحقاق للتقديم وإيجاب ، وسبقه القديم الذى له من سعيد المصاهرة أكرم أنشاج ومن حميد المظاهرة ألزم أنساب .

نحمده على أن بصر آراءنا بطرق الوفاق وسبل الصواب ، ونشكره على أن نغفر راياتنا فى الآفاق : فقلوب العدا من خوفها لإرهاق وإرهاق .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة منزّهة عن الشك والارتباب ، موجهة إلى قبيلتها التى ترضاها الألباب ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى أنقذ عزيمته بالثبات وقهر خصمه بالثياب ، ووفر قسمه من الإنجاد ويسر حربه للإنجاح ، وأظهر اسمه بعد اسمه خلافاً فى الأنواء ذكره وطاب . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا من بعده فى رعاية عهده أحسن الآداب ، صلاة متصلة الأسباب ، موصلة إلى خير مآل متكفلة بنعم باب (٩) لا يزال لشعب جوده فى الوجود أنصباب ، ولقترّب وفودها ورود إلى مظان الرضوان من غير إغباب ، ما جرد انتقامنا على الأعداء سيف سطا يقدر الرقاب ، وأورد إناعنا الأولياء بحر ندى زانير العباب ، وجدّد قيامنا بعلم هدى مرت عليه الأعوام وما ليح له أثر ولا تفتح له باب ، واعتمد مقامنا الشريف ، فى الجمع للقلوب والتأليف ، على أعلى ولى وأعلى جناب ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فإن أولى من أعتمدنا فى الإنجاح والإنجاح على دينائته ، وأعتمدنا فيما أردنا من الاستصحاب للصالح بإعانتته ، وأعتمدنا فى تهطيل المسالك وتأمين المسالك بصياليه وصيائنه ، ورعينا عند الدنا الشهيد - سقى الله عهده صوب الرضوان - على علو مكانه ودنو مكانته ، فاكفينا فى كفالة الأمة وإيالة النعمة بخشيته من ربه واستكاثته - من حشد تحجايه ، وتملكت مرآياه ، واستندت

إلى ما أمر الله تعالى به من العدل والإحسان في الأحكام قضائاه ، ووجدت منه الزهد والرفق رعاة الإسلام ورعاياه ؛ فهو الممدوح فعله ، من جميع الألسنة ، المنحوح فضله ، في سائر الأزمنة ، الملموح عليه آثار القبول الظاهر من عناية الله لما نواه من الخير لخلاق الله وأبطنه ؛ فهو عاضد السلطنة الذي حل من العلياء موطنه ، وكافل الملكة ، الذي سبق إلى كل مجد فأدركه ؛ وسيف الدولة ، الحامي الحوزة البادية الضمونه ؛ ومن له أشتمال على العلياء ، ومن يقدّر التحقيق له رأيا ، ولا يباين التوفيق سعيًا ، ويعاون الهدى والنهى على طول المدى له أمرا ونهيا ، ويعين الورى لسلطاننا المنصور منه مهديا ينجي لدولتنا حفظا ويحسن للكل رعا .

وكان فلان هو الذي لم يزل متعين الحسن ، متين الميادين ، متمكن الرئاسة في كل الأمكن ، فعلمه إذا اضطربت الجبال الرواسي ثابت ساكن ، وعلمه الزائد بأوضاع السياسة وأنواع التفاسد للوجود من بهجته زائن ، ورأيه الصائب للبلاد والعباد صائب ، ورعيه الخلق بالحق : القوى منه خائف والضعيف إليه راكن ، وبشره هاد للرأي وباد للعائن ، وذكره الجميل سائر في الآفاق والأقطار والمدائن ؛ حتى أظهر الله تعالى بإمداد نيرنا الأعظم من إشراق بثره الكامل ما هو في مير الغيب كامن ، وشهر سيفه الذي يهدو الإيمان من مهابة في كنف متيع وحرم آمين .

ولما مضت على منصب النيابة الشريفة في أيام والدنا الشهيد بضع مسنين ، وأقضت الأيام والليالي والدهر بموحياتها ضنين ؛ ولا وطئت لها ربوة ، ولا امتطيت لها صهوة ؛ وكانت في سلك ملكه مندرجه ، وبصفو سلطته مترجى ، إلى أن قفى عليه الرضوان العجب ، وأفضى من الحنان إلى أهل الرحب ، رأينا بسده بن كان يحقق وده أن تستأنس ، وأمضينا وصيته المباركة في اختيار عمرة الإخلاص بن

كان له الاختصاص بفرس ، وأفضينا إليه بالكتاب عما لما كان من أنوار والدنا الشهيد فى كل تسلید يقتبس ، ومن الاستثناء بمجالسته يفوز فيحوز حكم الحكم لأنه كان أمير ذلك المجلس ، وقضينا باعتماد أمره الكريم بعد أمرنا الشريف : لأنه الخير الذى لا ينهم عليه شئ من خفايا القضايا ولا يلتبس - أقتضى حسنُ الرأى الشريف إلقاء ما فى أيدينا من مقاليد الممالك إلى يده ، وإبقاء ودبة هذا الأمر العظيم إلى صوته وعونه وتسنده ، وإبقاء جنابه إلى حميد هذه الغاية التى هى للنسابة مناسبة لسؤده .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال يجمع شتى الإسلام بتعيينه وتفريده ، ويرجع أمر الأنام منه إلى ماؤن الرأى رشيد سفايح السيف مهتدة ، منصور العزم مؤيده ، ويوسع الخليفة إذا وليهم بالرافة والرحمة ومن أولى من أبى بكر بان يخص أصحاب عهد عند اختلافه بإعذاب مهتل الجود ومورده - أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالممالك الإسلامية - أعلاها الله تعالى - نيابة شاملة محيطه ، كاملة بسيطة ، تعنى كل أمير ومأمور ، وتدنى أمرها الذى يعامل بالإجلال ويقابل بالسُور ، برأ وبحراً ، وسهلاً ووعراً ، غوراً ونجداً ، بُداً وقرباً ، شرقاً وغرباً ، وما منعه الله تعالى لوالدنا الناصر من الممالك ويدخر لسلطاننا المنصور ويُنحى : تستوعب أمر ما نأى من هذه الأقاليم ودنا ، وتجب طاعته فيها على كل من كان مؤمناً ، ويمتثل فى ذلك كله أمره ، وتعمل فيه الروية فيجمل فكره ، ويُؤمل فيه فتحة ونصره ، وينقل به مدحه وشكره ، ولا ينفصل منه وره ، ناظر فى هذه النيابة الشريفة بفكره التام ، سائر فيها السير الجليل من الدربة والإلهام ، ناشراً لظلال المعللة على من سار أو أقام ، مظاهراً بجنابه منا أجل مقام . ونحن وإن كنا نتحقق من خلاله الحسنى ، كل وصِف يُسنى ، ويتيق منه بذى الصدر السليم الذى هو على .

المقاصد يُمان وبالحامد يُعنى ، فلنستأجل بالوصية التي تعلم أنَّ له عنها استغناء ؛
ولكننا لا نترك بها التبرُّك ولا ندع ماسنَّ الله تعالى منها وشرع ، ولا نغفل ، مايجب به
أن يحتفل ؛ فقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، وأمضى أمره
المسموع كل ذى رجوع إلى الله تعالى منهم وإنا به ؛ فقد أولاه الله تعالى كل جميل
قبل أن ولّاه ، وحلّاه بالسيات والمكرّمات قبل أن رقع علاه ؛ وأعطاه ما أوجب
العبد من سطاء ، وهداه إلى كل رشد تامم به الهداه .

فأهم ذلك تقوى الله تعالى وهو عليها مجبول ، وأمرها عنده متلقى بالقبول .
والعدل فهو منه مأمول ، والاتصاف بالإتصاف فهو دأبه فيما يفعل ويقول ؛
والجهاد ؛ فعزائمه في ميدانه تجول ، وصوارمه بها من قراع فرسانه قلول ، والزعامة
والأكابر فلهم من محافظته اعتناء وبملاحظته ثُمول . والعساكر الإسلامية فينا بيده
تبتّش أيديهم بالعدا وتصول . وزعماء البلاد فلهم إلى ظلّ رحمة إربوا وبكتف
نعمته ظلول . وبمالك الإسلام لما منها لإلعمور بما أوتته كفايته مأهول ؛ وتقومه
فكلها بسام بفتكاته التي ألقي رُعبها في البحر فهويين كل فاجر وبين البحر يحول ،
وما هو بذلك من حميد المسالك موصول ، وعمله الملقم لأنه أهم الأصول : من إكرام
الحكام ، وإبرام الأحكام ، واستيفاء الخُدود ، واقتفاء السنن الممهود : من إنجاز
الوعود ، وإحراز الشعوب ؛ والإجهاز على كل كفور وبخود ، والاعتزاز من فظاظه
الناس بإفاضة الخُود ؛ فكل ذلك على خاطره مسرود ، ولما أثره موزود ؛ وفي ذخائره
موجود ، ومن خبرته معلوم مهود ، وعن فكرته مشهور ومن فطرته مشهود ، فليسع
أمرنا هذا جميع الأمراء والخُود ، وليرجع إليه كل من هو من جملة الملة معنود ؛
ويقابل مرسومنا بالسمع والطاعة ، أهل السنة والجماعة ؛ ساعة الوقوف عليه وحالة
الورود ؛ والله تعالى يُصلح ببقائه الوجود ، ويمتّع باهتمامه المقصود ، ويمتّع بالمعاقل

باعتباره الذى ليس يردود عن مراده ولا مقصود ، بل يصبح الكفر من خوفه محصورا ويمسى وهو بسيفه محصور ، والعلامة الشريفة أعلاه ، حجة بقتضاه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية لنائب سلطنة ، أوردها فى " التعريف " قال :

يوصى بتقوى الله تعالى وتنفيذ الأحكام الشرعية ، ومعاودة حكمائها ، واستخدام السيوف لمساعدة أعلامها ، وتقصد العساكر المنصورة وعرضها ، وإنهاضهم لنواقل الخدمة وقرضها ، والتخير للوظائف ، وإجراء الأوقاف على شرط كل واقف ، والملاحظة الحسنى للبلاد وعماره أوطانها ، وإطابة قلوب مسكنها ، ومعاودة مباشرى الأموال مع عدم الخروج عما ألف من عمل هذه الأيام الشريفة وإحسانها ، وتحسين مآلده ، وتحسين كل ما أمره إليه ، واستطلاع الأخبار والمطالعة بها ، والعمل بما يرد عليه من المراسم المطاعة والتمسك بسببها ، وأنه مهما أشكل عليه يستغنى فيه ، بنور آرائنا العالية فهو يكفيه ، ومن قتل من الجند أو مات وخلف ولدا يصلح لإقطاعه يعين له ليقوم بخلفيه ، ويقال من هذا ما يقوم بتمام الغرض ويوفيه .

الوظيفة الثانية

(الوزارة لصاحب سيف)

وأعلم أن أول من أطلق عليه لقب الوزارة فى الإسلام " أبو حفص الخلال " وزير أبى العباس السفاح أول خلفائهم كما ذكره القضاعى فى " عيون المعارف فى أخبار الخلائف " ثم صارت الوزارة بعد ذلك للخلفاء والملوك دائرة بين أرباب السيوف

والأفلام ، تارةً يليها صاحبُ سيف وتارةً يليها صاحبُ قلم ، إلا أنها في أرباب الأفلام أكثر . وعلى ذلك جرى عُرف الديار المصرية من ابتداء الأمر وإلى الآن .

ومما يَنبَغ عليه أنَّ الوزير إذا كان صاحبَ سيف ، كان في مجلس السلطان قائماً في جملة الأمراء القائمين . وإذا كان صاحبَ قلم ، كان جالساً كما يجلس أرباب الأفلام : من كاتب السرِّ وضيعة .

وهذه نسخة تقليد بالوزارة ، كتب به للأمير سيف الدين بُكْتُمُر . وهي :

الحمد لله الذي شدَّ أزرَ دولتنا القاهرة ، من أولياتنا بامضى سيف ، وعصده أيماننا الزاهرة ، من أصفبائنا بأعدل ولي لا يوجد في حكمة حيف ، وعقد تدبير أمور ممالكنا الشريفة بمن تحجب مهابته ذوى الأطماع الطاغية عما لا يجب فلا يلطم بهم فيها خاطر [ولا] يطرقهم بها طيف ؛ جاعل التأييد لأرائنا مصاحباً ، والتوفيق موافقاً لأوامرنا التي لا تهمل من مصالح الإسلام مندوباً ولا تدع من مهمات الملك واجباً ، والإقبال تالياً لمراسمينا في آرتياد من يثوق قلب الحق من حيفه سائكاً وقلب المبطل من خوفه واجباً ، واليمن تابعا لاستخارتنا في انتخاب من لم يزل في خدستنا الشريفة للأدعية الصالحة جالياً ، ولمنافع الإسلام والمُلك طالبا ، ولمضاهما حاجباً .

نحمد على نعمه التي عصىلت أيماننا بمن جمع أدوائه ، رتبي السيف والعلم ، وعقدت تدبير ممالكنا بمن أحرزت [صفاته] ، منزهى العلم والعلم ، وشدَّ أزرَ دولتنا بمن يبيض بمعدته من صفائف أيماننا ما هو أحب إلينا من حُرِّ النعم .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نُعدها للقائه ، ونؤمن بها في اعتقاد من نعتضد به في مصالح أهلها وأتقائه ، وقدمها أمام كل أمر تدخره لاعتلاء ولينا بالقي وأرقائه ؛ ونشهد أن هذا عبده ورسوله الذي أرسله إلى الأمم

طُرًا، وخصَّه بالأئمة التى جعلَ أمارَةَ سبقها إلى الخيرات أنْ غَدَتْ حَجَلَةً غُرًا،
وأَيَّدَه بنصره وبالمؤمنين الذين ما منهم إلا مَنْ أَعْرَضَ عن زُخْرَفِ الدنيا وإنْ كان
حُلُوًّا وقال الحقُّ وإنْ كان مُرًّا؛ صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وصَحْبِهِ الَّذِينَ وَلَّوْا أَمَّتَهُ
فَعَدَّلُوا، والذين تَمَسَّكُوا بِسُنَّتِهِ فَمَا حَادُّوا عَنْهَا وَلَا عَدَّلُوا؛ صَلَاةً لَا تَزَالُ الْأَلْسُنُ
لِإِقَامَتِهِ مَدِيحَةً، والقُلُوبُ لِإِدَامَتِهِ مُقْبِحَةً؛ وَسَلَامٌ تَسْلِيًا كَثِيرًا .

وبعد، فإنَّ أَوَّلِيَّ مَنْ أُبْرِزَتْ الضَّائِرَةُ فِي الْأَعْتِضَادِ بِهِ مَكْنُونٌ طَوِيلُهَا، وَأَعْتَمِدَتْ
الْخُطَاوِرُ، فِي تَصْرِيحِ عِلَالِيَّتِهَا بِأَوَّلِيَّتِهِ لِمَصَالِحِ الْإِسْلَامِ عَلَى نِيَّتِهَا، وَلَشَوْفِ الْبَلَاغَةِ
لَرْقَمِ مَقَانِرِهِ، وَتَنَافَسَتْ الْمَعَانِي فِي تَحْلِيدِ مَا تَرَاهُ؛ وَهَنَاتِ الْمُعَلَّلَةِ فَسَحَا، بِرَافِعِ لَوَائِهَا،
وَأَبَدَتْ الدَّوْلَةَ أَنْسَهَا، بِنَاشِرِيَّهَا فِي الْأَقْطَارِ وَالْأَلْيَا؛ وَأَقَرَّتْ ثَمُورُ الْأَقَالِيمِ الْحُرُوسِ
بِمَنْ تَلَهَّجَ بِمَصَالِحِهَا أَلْسِنَةُ أَقْلَامِهِ، وَأَخْضَرَّتْ رَبِّي أَمَالَ الْأَوَّلِيَاءِ بِمَا يُسْفِرُ عَنْهُ مِنْ
تَهْلِيلِ بَهَاءِ غُرَرِ أَيَّامِهِ؛ مَنْ هَزَزْنَا مِنْهُ لِمَصَالِحِ الْإِسْلَامِ سَيْفًا يَصُلُّ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ
يُوصَلَ، وَيُفَصِّلُ مِنْ مِهْمَاتِ الْمَسَالِكِ مَا يَقْتَضِي الْحَقُّ أَنْ يُفَصَّلَ؛ وَيُؤَيِّزُ مِنْ مَعَادِنِ
الْعَمَلِ وَالْإِحْسَانِ مَا هُوَ فِي مِيزَانِ خَلْقِهِ كَامِنٌ، وَيُنْزِلُ مِنْ أَسْتَقَامَتِ سِيرَتِهِ فِي الْحِمَى
الْمُخْصَّبِ وَالْحَرَمِ الْأَمْنِ؛ وَيَصُونُ الْأَمْوَالَ بِمَهَابَتِهِ فَلَا تَمْتَدُّ إِلَيْهَا هَوَاجِسُ الْأَطْلَاعِ،
وَلَا تَجَسَّأُ أَبْصَارُ غَيْرِ الْأَمْنَاءِ أَنْ تَقْصُ نَبَأَ رُؤْيَيْهَا عَلَى الْأَسْمَاعِ؛ وَيُضَاعَفُهَا بِخَبَرَتِهِ
الَّتِي تَهْلِيهَا الْأَمَانَةُ إِلَى مَعَادِنِهَا، وَتُدَلُّهَا الزَّاهَةُ عَلَى مَوَاطِنِهَا، وَتُبْدِي لَهَا ظَوَاهِرُ
الْأَعْمَالِ أَسْرَارَ يَوَاطِنِهَا، وَتُعَمِّرُ بَيُوتَ الْأَمْوَالِ بِعَارَةِ الْبِلَادِ، وَيَقْمَرُ فُرُوعَ الطَّوَارِفِ
مِنْ مَصَالِحِهَا بِحِفْظِ أَصُولِ التَّلَادِ؛ وَيَكْفُفُ أَكُفَّ الظُّلْمِ عَنِ الرِّيَايَا فَلَا يَنْحَسِرُ حَقُّ
عَلَى حَقِّهِ، وَلَا يَخَافُ مُسْتَقِيمٌ عَلَى مَا قَسِمَ لَهُ مِنْ رِزْقِهِ؛ وَلَا يَطْمَحُ قَوِيٌّ إِلَى مَنْ
يُسْتَضْعَفُ جَانِبُهُ، وَلَا يَطْمَحُ بَاغٌ فِي الْحَيْفِ عَلَى أَحَدٍ خَالِطُهُ فِي نَسَبٍ كَانَ أَوْ مُجَانِبُهُ.

ولما كان الجَنَابُ العَالِي (الفَلَانِي) هو الَّذِي أُشِيرَ إِلَى مَنَاقِبِهِ ، وَأَعْتَصِدَ مِنْهُ بِمَطْبَعِ قَه فِي الْمَرِّ وَالْعَلَنِ وَمَرَاقِيهِ ؛ وَقُوِّضَ تَدْيِيرُ الْمَمَالِكِ مِنْهُ إِلَى مَنْ لَا تَأْخُذُهُ فِي الْحَقِّ لَوْمَةٌ لَأَثَمَ ، وَأَعْتَمَدَتْ أَيْمَانُ الزَّاهِرَةِ مِنْهُ عَلَى مَنْ طَالَمَا سَرَى فِي مَصَالِحِهَا عَلَى جِيَادِ الْعِزَائِمِ ؛ وَشَدَّ أَزَرَ الْمَلِكِ مِنْ مَوَازِرِهِ بِمَنْ يَكْشُودَنْتَ الْوِزَارَةَ أَبْهَةً وَجَلَالًا ، وَيُلَيْسُ مِنْصِبُهَا سَنًا لَوْ مَلَكَتْهُ الشَّمْسُ مَارَامَتْ عَنْ بُرُوجِ شَرْفِهَا أَنْتَقَلَا ؛ وَيُمَدُّ عَلَى الرِّعَايَا لَوَاءً مَدْلٌ لَا يُقْلَصُ لَهُ هَجِيرُ الظُّلَمِ كَمَا تَقْلَصُ الظُّلَالُ ظِلَالًا ؛ وَتَطْلُعُ بِهِ شَبُوسُ الْأَرْزَاقِ عَلَى أَوْلِيَاءِ دَوْلَتِنَا لَكِنْ لَا تَرْهَبُ كَالشَّمُوسِ غُرُوبًا وَلَا زَوَالًا ؛ مَعَ مَهَابَةِ تُخَيِّفُ الْأُسْدَ فِي أَجْحَاقِهَا ، وَمَعْدِلَةَ تُعِينُ النِّيُوثَ عَلَى رَفْعِ مُحُولِ الْبِلَادِ وَدَفْعِ أَرْزَاقِهَا ؛ وَدِيَانَةَ زَانِهَا الثُّبَى ، وَخَيْرِيَةَ صَانِهَا الْوَرَعُ وَهِيَ أَفْضَلُ مَا بِهِ يُرْتَقَى .

وَكَانَتْ الْوِزَارَةُ الشَّرِيفَةُ نِظَامَ الْمَمْلَكَةِ وَقِيَامَهَا ، وَذِرْوَةَ الدَّوْلَةِ وَسَنَامَهَا ؛ وَتَاجَ الْمَرَاتِبِ وَإِكْلِيلِهَا ، وَتَعَادَلَ خِزَانَتِهَا الْجَامِعَ دَقِيقَ الْمَصَالِحِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَجَلِيلِهَا - أَقْصَصَتْ آرَافُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ تُرَى هَذِهِ الرِّتَبَةُ بِجَوْهَرِ فِرِيدِهِ ، وَأَنْ يَصْدُرَ مِنْصِبُهَا عَنْ مَنَاقِبَ لَا تَصْدُرُ إِلَّا عَنْ جِهَتِهِ وَمَفَاحِرَ لَا تُرَدُّ إِلَّا مِنْ عِنْدِهِ ؛ وَأَنْ يَطْلُقَ فِي مَصَالِحِهَا قَلَمُهُ ، وَيُعِصَى فِي قَوَاصِدِهَا إِشَارَاتُهُ وَكَلِمَتُهُ ؛ وَيُطْلِعَ فِي أَقْصَا شَمْسِ تَدْيِيرِهِ ، وَيُعْتَقَ بِهِ مَا يَرَاهُ مِنْ أُمُورِهَا مِنْ صَغِيرِ الْأَمْرِ وَكَبِيرِهِ ؛ وَأَنْ يَجْعَلَ مَسَامِعَ الْأَقَالِيمِ عَلَى سَمْعَتِهَا إِلَى أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ مُصْتَبِنَةٍ ، وَأَنْ تَصَدَّ بِسَمْعَتِهِ عَمَّنْ بَعْدَ عَوَارِضِ الْإِهْمَالِ الْمَلْهُمَةِ وَمَوَاقِعِ الْإِهْمَالِ الْمُطْغَنَةِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِأَزَالَتِ مَحَاطِبُ رِيَّ مَسْتَهْلِهِ ، وَرَكَائِبُ الْحَمَادِ إِلَى حَرَمِ نِعْمَةِ مَوْلَاهُ - أَنْ تَقْوُضَ إِلَيْهِ الْوِزَارَةُ الشَّرِيفَةُ بِالْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى أَكْمَلِ الْقَوَاعِدِ ، وَأَجْمَلِ الْعَوَائِدِ ؛ تَخْوِيفُضًا بِعَلَى مَرَامِهِ ، وَيُخْمَضُ مَضَاءُ أَلْسِنَةِ الْأُسْنَةِ أَقْلَامِهِ ،

ويُسْطُ في مصالح الأقاليم المحروسة يَدَه ولسانَه ، ويلقى إليه من مهمات كل قُطْر
أزمنته ليصرف على ما يراه من المصالح عتاته .

فليستقر في هذه الرتبة السنية استقرار الدُرر في أسلاكها ، والدَّرارى في أفلاكها ،
نافذ الأمر في مصالح شَرْقها وغَرْبها ، مُطاع القول في بُعد أماكنها منه وقُربها ،
ناشر كلمة العدل في أرجائها ، محققا بالإحسان آمال أُمم قَصرت على كَرَمنا مملوءة
رَجائها ، مُعلِّيا منارَ الشرع الشريف بمعاوضة حُكَّامه ، والوقوف عند أوامره المطاعة
وأحكامه ؛ حافظا أقدار الرُتب بأكفائها ، معتمدا على دوى البيوت المحافظين على
أُتباع سِرِّ أسلافهم وأَقْبائهم ؛ معولا على دوى الحِبرة الثامة مع الديانة ، مُراييا
مع ظُهور المعرفة جانبَ العِفَّة والتَّزاهة والصَّيانة ؛ مُوَكَّلًا بمصالح بيوت الأموال
والخزائن المعمورة موادَّ الأموال ومِيعِنها ، صارفا إلى عِمارة البلاد جميل تدبير تعاضد
البحار والسُّحب منه مُساعدِها على رى الأرض ومِيعِنها ، ميسرا موادَّ أرزاق خَدَم
دولتنا القاهرة وأولياتها بجميل بَشرة وحُسن رُوائه ، مسهلا مطالب أرباب الرواتب
والصَّدقات بطلاقة وَجْهِه لو تأمله آخرُ صَادى الجوانح لأرتوى من مائه ؛ ليتوقَّر
أهل الوظائف على خَدَمهم بقلوب منبسطة الآمال ، ويتناضل عنها الفقراء بِسهام^(١)
الليل التي لا تَطيش إذا طاشتِ النَّبال ؛ فقد جعلنا أمره في ذلك جميعه من أمرنا
فليكتبَ يَمْتَل في مصالحتنا بما يراه يسر كلامه يسرى الزمان ويسر قوله
يسر المثل ؛ ولا يُخَصَّ عقد ولا حل ، ولا ولاية ولا عزل ؛ ولا رفع ولا خفض ،
ولا إبرام ولا تقض ؛ إلا عن رأيه وإشارته ، وبنص خطه وعبارته .

وفي سيرته السَّريَّة ، وديانته التي هى من أسباب الهوى عَريَّة ، ما يُثْنى عن وصايا
تُحلى على فكره ، وقواعد تُجلى على دُرِّه ؛ وملاكها تقوى الله ؛ وهى من أخص

(١) المراد دعوات السَّحرا كالإيجاز .

أوصافه ، ونشر العدل والإحسان ومهما من نتائج إنصافه لأمر الرعايا وإنصافه ؛
 لكن على سبيل الذكرى التى تنفع المؤمنين ، وترفع درجات المتقين ؛ فليجعلها نجيحة
 خاطره ، وقبلة ناظره ؛ والله تعالى يثلي قدره وقد فعل ، ويجعله من عباده المتقين
 وقد جعل ؛ بمنه وكرمه . والاعتقاد [على الخط الشريف أعلاه] إنشاء الله تعالى .

الوظيفة الثالثة

(الإشارة) ، وهى وظيفة قد حدثت كاتبها ولم يُعهد بها كتابة فى الزمن القديم

وهذه نسخة تقليد أنشأته بالإشارة للأمير جمال الدين يوسف البشاش إستادار
 فى الدولة الناصرية فرج ، حين فوضت إليه الإشارة مضافة إلى الإستشارية ،
 وكتب له به المقر الشمسى العمرى كاتب الدست الشريف ، فى شعبان سنة تسع
 وثمانمائة ، وهى :

الحمد لله الذى جدد للديار المصرية بالمحسن اليوسفية روق جمالها ، وأعز جانبها
 بأجل منيز ملائت هيئته الوافرة فيسبح جمالها ، وأسعد جنتها بأسعد مشير أدارت
 آراؤه الصائبة متفاحس الأمور ما بين يمينها وشمالها ، وأكرم ما بها بأمثل كاف عاد
 حسن تدبيره بضروب من المصالح أنام الخلق فى ظلالها ، وأجاب سؤلها بأكل
 لم تعدل عن خطبتها له وإن أطال فى مطالها .

نحمده على أن أغاث الدولة القاهرة بمن أخصب به بعد الإعمال ربحها ، وطال
 بطوله بعد القصور فرحها ، وحسن فى المناظر بحسن تأتية لدى التأمل ينعها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذى شرع المشورة وحث عليها ،
 وصدق أمور السيف والقلم بها فردهما عند اختلاف الراى إليها ؛ شهادة ترفع قائلها إلى
 أسنى المراتب وتعليه ، وتقرب المخلص فى آتمالها من مقام الاستخلاص وتذنيه .

ونشهد أنَّ هذا عبده ورسوله الذى وردَّ وأردَّ الأمة من منهل شرعته المطهرة
 ما عُنِبَ مَشْرُوعُهُ وَرَدَا وَصَدَرَا ، وَأَلْقَطَتِ السَّيَّارَةُ أَحَادِيثَ فَضْلِهِ فَصَّيَّرَتْهَا لِلرَّفَاقِ
 سَمَرًا ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ تَهَيَّلُوا مَسَاحِبَ أَذْيَالِهِ فِي الْعَدْلِ فَعَدَّلُوا ،
 وَلَزِمُوا مَنَهِجَ سُنَّتِهِ الْوَاضِحِ فَمَا حَادَوْا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ وَلَا عَدَّلُوا ؛ صَلَاةً تَفُوقُ الْعَدَّ
 حَصْرًا ، وَتَرْفَعُ بَرَكَاتُهَا عَنْ الْأُمَّةِ حَصْرًا وَتَبْتَلِ الْعُسْرُثْرَا ، فَتُعِيدُ عِجَافَ الزَّمَانِ
 سِمَانًا وَسُبُلَاتِ الْوَقْتِ بَدَلَ الْيُسْرِ خُضْرًا ، وَسَلَمًا تَسْلِيًا كَثِيرًا .

أما بعدُ ، فَإِنَّ لِلْمَلِكَةِ قَوَاعِدَ ثَلَاثِيهَا ، وَأَرْكَانًا تَسْتَدِ لَهَا ، وَدَعَائِمَ يُسْتَدُ
 بِالْإِعْتِضَادِ بِهَا بُيُنَانُهَا ، وَعَمَدًا يَعْتَمِدُ عَلَيْهَا فِي الْمَهْمَاتِ سُلْطَانُهَا ؛ وَهَذِهِ الْمَبْنَى وَإِنْ
 أَلْسَعَ نِظَامُهَا ، وَآمَنَتْ بِامْتِدَادِ الْمَلِكَةِ رَوَاقُهَا ؛ فَإِنَّ بِالسَّيْفِ وَالْقَلَمِ قَوَامُهَا ، وَبِاتِّمَاعِ
 بِجِبَالِهَا بَقَاعُهَا وَدَوَامُهَا ؛ إِذْ كَانَ قُطْبَيْنِ عَلَيْهَا مَدَارَ فَلَكِهَا ، وَقَطْعَتَيْنِ عَنْهَا بِنَشَأِ
 الْخَطِّ الْمُسْتَقِيمِ فِي تَدْيِيرِ مُلْكِهَا ؛ وَزَعِيمَيْنِ يُرَافِعُ إِلَيْهِمَا عِنْدَ التَّخَاضُعِ ، وَحَكِيمَيْنِ يُرْجِعُ
 إِلَى حُكْمِهِمَا عِنْدَ التَّحَاكُمِ ؛ إِلَّا أَنَّهُمَا لَا يَسْتَقِلَّانِ بِأَنْفُسِهِمَا عِنْدَ التَّجَالُفِ ، وَلَا يَقُومُ
 أَحَدُهُمَا بِرَأْسِهِ لَدَى التَّخَالُفِ ؛ بَلْ لهما إِمَامٌ يَرْجِعَانِ إِلَيْهِ ، وَيَعُولَانِ عِنْدَ اضْطِرَابِ
 الْأُمُورِ عَلَيْهِ ؛ وَهُوَ الرَّأْيُ الَّذِي لَا يُقْطَعُ أَمْرٌ دُونَ حُكْمِهِ ، وَلَا يَتَّيَدَى سَارٍ فِي مَهَامِهِ
 الْمِهْمَاتِ إِلَّا بِحُجْمِهِ ؛ إِذْ كَانَ عَلَى الشَّجَاعَةِ مَقْدَمًا ، وَدَلِيلُهُ مِنَ الْمَعْقُولِ وَالْمُنْقُولِ
 مَسَامًا ، وَالْمُقَسَّمُ بِهِ لَا يَزَالُ عِنْدَ الْمُلُوكِ مَبْجَلًا مَعْظَمًا ؛ لَا يَقْدِمُونَ عَلَيْهِ وَلَدًا وَلَا وَالِدًا ،
 وَلَا يُؤْثِرُونَ عَلَى مُعَاضَدَتِهِ عَصْدًا وَلَا سَاعِدًا ؛ إِنْ أَشَارَ بِرَأْيِ تَمَسُّكِ الْمَلِكِ مِنْهُ بِالْحَبْلِ
 الْثَلَاثِينَ ، أَوْ عَمَضَهُ كَلَامَ نَصِيحٍ قَالَ : ﴿ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَنَبِيًّا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ .

ولما كان الجناب العالى ، الاميرى ، الكيبرى (الى آخر ألقابه) يوسف
 الناصرى : ضاعف الله تعالى نعمته ، هو الذى حنكته التجارب و « حَلَبَ الدَّهْرَ

أشطره» ، وعرف بتقلب الأمور على ممر الزمان تحببه ، مع ما أشتمل عليه من الرأى الصائب ، والفكر الذى اذا أبدت قريحته فى الاتيأ عجبا أنت فطرته السليمة بالعجائب .

هذا وقد علا فى الدولة القاهرة مقامه ، ورشقت أغراض مقاصدها بانقضاء الآجال فى الوقائع سبامه ، وساس العساكر فاحسن فى سياسيتها التدبير ، وبذل فى تقفاتها الأموال قال فيها إلى الإسراف دون التقير ، وأستجاب انلواطرا فأخذ منها يجامع القلوب ، وأقتاد النفوس الأيئة قهرا فأطاعه من بين الشمال والجنوب ؛ وقام من الهيئات الشريفة بما لم يسبقه إليه سابق ، وأتى من خوارق العادات فى التنفيذ بما لم يلحقه فيه لاحق ، وبادر إلى ترتيب المصالح قريبا ولم يعقه فى آتهاز الفرصة عن دفع المفساد طائق ، وأخذ فى حط الأسعار فوردها من المعروف صافيا ، وأمر بإبطال المعلمين فكان له عملا على توالى الأزمان باقيا ، ولازم بعد رضا الله تعالى رضا ملكه ففاز بأشرف المآثر فى الحديث والقديم ، وقاسى فى تعريفه بنفسه بيوسف عليه السلام فقال : ((أجمعني على تزيين الأرض إني حفيظ طيم)) - أقتضى حسن الرأى الشريف توينها بذكره ، وتقديمه على غيره ممن رام هذه الرتبة فخيب دونها ((والله غالب على أمره)) .

فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، الناصرى ، الزينى - لا زال يجمع لأوليائه شمل المعالى ، ويرقى أصفياه فى درجات العز على من الأيام والليالى - أن تفوض إلى المشار إليه الإشارة الشريفة التى هى أسنى المقامات . وأقصى المرامات لدينا وأغياها ، مع ما أنعم إلى ذلك من النظر فى الوزارة الشريفة التى جل قدرها ، وعلا فى المناصب ذكرها ، والخاص الذى آخض بمهماتنا

الشريفة ، والديوان المفرد الذى حُمر من ممالك السعيدة ذا الوظيفة وضيعدى الوظيفة ؛
وتعلقات المملكة شرقاً وغرباً ، ولوازمها المفترقة بُعداً وقرباً .

فلينلق ما فُوض إليه يمينه التى طالما رَيمت فى الطاعة صَفَقَتها ، ويقابلها بالقبول
الذى محله من القلوب مُهَجَّتْها ، نَقَلَتْها تهوى الله تعالى فيها خِيفَ من مقاصده وظَهَرَ ،
مُؤَثِّرًا رضاه فى كل ما يأتى ويَدْرُ ، معتمداً فى المصالح أَعْتَادَ ذى اليَقْظَةِ الساهر ،
أتينا من غرائب الرغائب بما يحقق قول القائل : « كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ لِلآخِرِ » .

والوصايا كثيرة ومن بَحْرِهِ تُسْتَخْرِجُ دُرَرُها ، ومن سِوَايَ آرائِهِ تُسْتَوْحَ أَوْضاحُها
وَعُرُها ، والله تعالى يُدِيمُ عليه نِعَمَ إقبالنا الباطنة والظاهرة ، ويتولاه من العناية
بما يحقق له دائم قوله : « أَنْتَ وَلِيُّىَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » . والاعْتَادُ عَلَى الخُطِّ
الشريف أَعْلَاهُ الله تعالى أَعْلَاهُ ، إِنْ شَاءَ الله تعالى .

الطبقة الثانية

(من يكتب له من أرباب السيوف ذوات التواقيع ، وفيها وظائف)

الوظيفة الأولى

(نظر البيارستان لصاحب سيف)

(١)

الحمد لله رافع قدر من كان فى خِدْمَتِنَا الشَّريفة كَرِيمَ الحِلَالِ ، ومُعَلِّى درجة من
أَضْفَى عليه الإخلاص فى طاعتنا العلية مَبِيدَ الظُّلَالِ ، ومَجْدِدِ نِعَمٍ من لم يُحْصِصْ
اعتنائًا بِنساية إِرْقَتِهِ هَمُّهُ فيها إلى أَسْنَى رُتَبِ الكِجَالِ ، ومَقْضُوسِ النظرِ فى قُربِ

(١) فى بعض نسخ الأصل بياض ولعله كان متروكا لنسبة القول الى منشه كما يأتى فى نظيره بعد .

الملوك السالفة إلا مَنْ لم يلاحظ من خواصنا أمرا إلا سرنا ما نشاهد فيه من الأحوال الخوال .

نحمد على نعمه التي لا تزال تسرى إلى الأولياء عوارفها ، ومناهلها التي لا ترحب
تستعمل على الأصفياء عواطفها ، والآلئ التي تُسَلِّد آراءنا في فويض القرب
إلى مَنْ إذا بأشرفا سر بسيرته الميرية مستحفظها وواقفها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة رفع الإخلاص ليوامها ، .
وأفاض الإيمان على وجوه حملتها إشراقها وضياءها ، ووالى الايقان إعادة أداها
بواقف الحق وإبداءها .

ونشهد أن عبدا عبده ورسوله المخصوص بعموم الشفاعة العظمى ، المخصوص
في السنة ذكر حوضه الذي من شرب منه شربة فإنه بمدها لا يظما ، المنصوص
على نبوته في الصحف المنزلة وبشرت به الموائف نورا ونظما ، صلى الله عليه وعلى
آله وصحبه الذين فازوا من طاعته ، بالربب للقاهرة ، وجازوا بالإخلاص في محبته ،
سعادة الدنيا والآخرة ، وأقبلوا على حظوظهم من رضا الله ورضاه فلم يلووا على
خدع الدنيا الساحرة ، صلاة دائمة الاتصال ، آمنة شمس دولتها من الغروب
والزوال ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى الأمور بالنظر في مصالحها ، وأحقها بتوفير الفكر على اعتباد مآلها
واعتقاد مآلها ، أمر جهات البر التي تقرب بها السلطان الشهيد الملك المنصور
(قدس الله روحه) إلى من أفاض نعمه عليه ، وتتوع في إنشائها فاحسن فيها كما أحسن
الله إليه ، ورغب بها فيما عند الله : لعلمه أن ذلك من أنفاس الذخائر التي أعطاها بين
يديه ، وحل منها في أكرم بقعة قلبه الله بها عن سريره إلى مقعد صدق عند ربه ،

وعمرها مواطن العادة في يوم ميله بعد أن صق بها معاقل الكفر في يوم حربه ؛ وأقام بها سائر الموم قعلا سناتها ، وأعد للضعفاء بها من مواد البر والإلطف مالو تعاطته الأغنياء قصرت عن التطلول إليه أموالها ؛ وأن نزلها من اذا فوضنا إليه أمرنا تحققتنا صلاحه ، وتيقنا نجاحه ، واعتقدنا تنمية أمواله ، وأعتمدنا في مضاعفة ارتفاعه وانتفاعه على أهواله وأفعاله ، وعلمنا من ذلك ما لا محتاج فيه إلى اختبار ولا اختيار ، ولا محتاج في بيان النتيجة فيه إلى دليل إلا اذا احتاج إليه النهار ، لتكون في ذلك بمثابة من ضاعف هذه القرب أسباب ثوابها ، أو جدد لها وقفا ؛ لكونه أنى بيوت الإحسان في ارتياد أكفاء النظر لها من أبوابها .

ولما كان فلان هو الذى نهت أوصافه على أنه ماولى أمرا إلا وكان فوق ذلك قدرا ، ولا أحمد عليه فيما يَضيق عنه همم الأولياء إلا رَحَبَ به صدرا ، ولا طلع في أُنق رتبة هلالا إلا وتاملته العيون لأجل رتب الكمال بدرا ؛ يدرك مائى من مصالح ما يليه بأذى نظر ، ويسوق في سداد ما يباشره على ما يجب سداد الآراء ومواقع الفكر . ونحن زداد غبطة بتديره ، ونصق أن كل ما عدقنا به إليه من أمر جليل فقد أسندناه إلى عارفه وفوضناه إلى خيريه . أقتضت آراؤنا الشرفة أن تدق بمجمل نظره هذا المهم المقيم لدينا ، وأن فوض إليه نظر هذه الأوقاف التى النظر في مصالحها من أكد الأمور المتعينة علينا .

فوسم بالأمر الشريف - لا زال فضله عميا ، ويره قدم في الرتب من كان من خواص الأولياء كريما - أن يهوض إليه كيت وكيت .

فليل هذه الرتبة التى أريد بها وجه الله وما كان لله فهو أهم ، وقصد بها النفع المتعدى إلى العلماء والفقراء والضعفاء ومراعاة ذلك من أخص المصالح وأهم .

وليتنظر في عموم مصالحها وخصوصها نظراً يسدّ خللها ، ويُريح عِلَلها ؛ ويعمّر أصولها ، ويحجّر محصولها ؛ ويحفظ في أمانتها أموالها ، ويقيم بها معالم العلوم في أرجائها ، ويستترل بها مواد الرحمة لساكنها باليسنة قرائنها ، ويستعيد صحة من بها من الضعفاء بإعداد الذخائر للاطّقة أسقامها ومعالجة أدوائها ؛ ويحافظ على شروط الواقف في إقامة وظائفها ، وأعتبر مصارفها ؛ وتقديم ما قدمه مع ملاءة تديره باستكمال ذلك على أكل ما يجب ، وتميز حواصلها بما يستدعي إليها من الأصناف التي يميز وجودها ويحتك ؛ وضبط تلك الحواصل التي لا خزائن لها أوفق ، من أيدي أمانته وبقائه ، ولا مودّع لها أوفق ، من أمانة من يتّقى الله حقّ ثقته ؛ فذلك وكلّناه في الوصايا إلى حسن معرفته وأطلاعه ، وبمن نُوضه بمصالحنا وأخطلاعه ، إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثانية

(نظر الجامع الطولوني)

من إنشاء المقرّ البدرى ابن المقرّ العلّاني بن فضل الله صاحب ديوان الإنشاء الشريف ، في الدولة الظاهرية برقوق ، كتب به المقرّ الشمسي العمري كاتب الدّست الشريف لأبي يزيد الدّوّاد ، وهي :

الحمد لله الذي أقام من أولياتنا خير ناظر ، يقرّ به كل ناظر ، وأدام بنا بناء المعروف الزاهر وحسنه الباهر ، وأنام الأنام في مهاد الأمن بانتقاء وليّ لسان الكون حامد له ومادح وشاكر ، وفتح أبواب السعادة باصطفاء صفيّ طاب بسفارته كلّ خاطر من مقيم خاطر ، ومنح أسباب السيادة بأوفى وفيّ عمر بوجوده

الوجودَ وعمرَ عبوده كُلِّ بادٍ وحاضرٍ ، وأبصرَ بالدينِ المتينِ والفضلِ المبينِ فأقنناه
للنظرِ على بُيوتِ الله تعالى لأولوئِته بذلك : ﴿ إِنَّمَا يَحْمَدُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ .

نحمدُه على نِعَمِهِ الَّتِي ظَهَرَتْ بِالزَّيْدِ فَسَرَّتِ السَّرَائِرَ ، وَظَهَرَتْ بِنُورِ الرُّشْدِ الْمَدِيدِ
فَأَشْرَقَ بِهَا الْبَاطِنُ وَالظَّالِمُ . وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْعَزِيزُ
الْقَادِرُ ، شَهَادَةً صَدَقَتْ فِي الْإِخْلَاصِ بِهَا الْأَلْسِنَةُ وَالضَّمَائِرُ . وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا
عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ مَعْدِنُ الْأَسْرَارِ ، وَبَحْرُ الْجُودِ الزَّانِرِ ، وَمَنْبَعُ الْأَنْوَارِ ، صَاحِبُ الْآيَاتِ
الظَّاهِرَةِ وَالْمُخِجَزَاتِ الْبَاهِرَةِ وَالْمَفَاحِرِ ، الَّذِي يَبْعَثُهُ اللَّهُ مَقَامًا مَجْهُودًا يَحْمَدُهُ الْأَوَائِلُ
وَالْآخِرُونَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ التَّجْوِيعِ الزَّوَاهِرِ ، الَّذِينَ جَاهَلُوا فِي اللَّهِ
حَقَّ جِهَادِهِ فَكَانَ كُلُّ مِنْهُمْ لِلَّذِينَ الْحَنِيفِ أَعْظَمَ مَحْتَدٍ وَمُؤَيِّدٍ وَنَاصِرٍ ، وَمَسَلَّمَ
تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَنْ أَتَيْتُ إِلَيْهِ مَقَالِدُ الْأُمُورِ ، وَصَرْفَانِ فِي جَمِيعِ مَصَالِحِ
الْجُمْهُورِ ، وَفَوْضُنَا إِلَيْهِ النَّظَرَ فِي بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى لِيَعْمُرَهَا بِنُظَرِهِ السَّعِيدِ وَتُضَاعَفَ لَهُ
الْأَجُوزُ ، وَمِثَالُهُ فِي دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ حَتَّى صَارَ قُطْبَ فَلَكُمَا عَلَيْهِ تَمُورٌ ، وَبَسْطُنَا
يَدَهُ وَلِسَانَهُ فَهُوَ يَنْطِقُ عَنَّا وَيَأْمُرُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ فِي الْوُرُودِ وَالصُّدُورِ ، وَقِيدْنَا
الْأَرْزَاقَ بِقَلَمِهِ ، وَالْمِهْمَاتِ بِكَلَمِهِ ، فَلَا فَضْلَ إِلَّا مِنْ قَيْضِهِ الْمُنْشُورِ - مِنْ أَمَانِ
عَلَى غَيْرِهِ بِفَضِيلَتِي السَّيْفِ وَالْقَلَمِ ، وَتَقَدَّمَ فِي الطَّاعَةِ الشَّرِيفَةِ بِأَثْبَتِ قَدَمٍ ، كَانَ بِهَا
مِنْ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْقَدَمِ ، وَأَنْصَفَ بِالشَّجَاعَةِ وَالشَّهَادَةِ وَالْمَعْرِفَةِ التَّامَةِ وَالْحِلْمِ
وَالْعَدْلِ وَالْحِكْمِ ، فَهُوَ التَّرْجَمَانُ عَنَّا النَّاطِقُ بِفَضْلِ الْخُطَابِ فِي السَّرِّ لِلتَّرْكِ وَالْعَرَبِ
وَالْعَجَمِ ، وَعُيِّنَ بِالرَّأْيِ السَّعِيدِ ، وَالنَّظَرِ السَّعِيدِ ، وَالتَّدْبِيرِ الْحَمِيدِ ، وَالْقَوْلِ الْمُحِيدِ ،

(١) ظَهَرَ بِالزَّيْدِ قَوِيَّتُ بِهِ وَظَهَرَتْ بِنُورِ الرُّشْدِ وَخَصَّتْ وَبَاتَتْ .

والجود والكرم ، وطُيِّعَ عَلَى الْخَيْرِ الْجَزِيلِ ، وَالَّذِينَ الْجَبِيلِ ، ثَمَرَهُ فِي الْحَقِّ قَائِمٌ ،
لَا تَأْخُذُهُ فِي الْحَقِّ لَوْمَةٌ لَائِمٌ ، طَالَمَا أَحْيَا بِحُسْنِ السَّفَارَةِ مِنَ الْعَدَمِ .

هو واحدٌ في الفضل والنظر السعيد لأبي سعيد .

فمن الذي يَحْكِيهِ فِي الشَّرَفِ الْعَتِيدِ بطل الوعنى أبو يزيد .

قد تَفَرَّدَ فِي الصِّفَةِ وَالذِّيَانَةِ ، وَالثَّقَّةِ وَالْأَمَانَةِ ، وَأَلْتَحَفَ بِالصَّبَا ، وَتَرَدَّى بِالْوَفَا ،
وَشَفَى بِالْخَيْرِ وَالْجَبَرِ مَنْ كَانَ بِالْفَقْرِ عَلَى شَفَا فَحَصَلَ لَهُ الشِّفَا ؛ وَوَقَّى بِالْهَيْدِ وَالْمَوَاقِيقِ
وَذَلِكَ أَمْرٌ مَاخُفَى^(١) ، وَلَحِقَ فِي الْجُودِ وَالَّذِينَ بِسَمِيَّةِ أَبِي يَزِيدَ الْبُسْطَامِيِّ الْوَلِيُّ :

قَالُوا : الْوَلِيُّ أَبُو يَزِيدٍ قَدْ مَضَى * وَهُوَ الْفَرِيدُ بِفَضْلِهِ وَالصَّادِقُ !
قُلْتُ : الْأَمِيرُ أَبُو يَزِيدٍ مِثْلُهُ * هَذَاكَ سَابِقُهُ وَهَذَا الْآلِاحِقُ !

ولما كان فلان هو المشار إليه بهذه الصفات الحسنة ، والمناقب التي تتوَعَّتْ
في مدائحها الأليسة ، وعُرفَ بِالْجُودِ فَلَيْكُ حُبُّهُ الْأَفْقَلَةَ فَارْتَضَعَتْ الْأَحْوَاتُ بِالْهَدَاةِ
لَهُ مُعَلِّنُهُ ، طَالَمَا أَنَالَ النَّيْمَ ، وَأَزَالَ النَّيْمَ ، وَجَبَرَ الْقُلُوبَ ، وَكَشَفَ الْكُرُوبَ ، وَجَلَّا
ظِلَامَ الْخُطُوبِ ، وَنَشَرَ الْمَرْوِفَ ، وَأَعَاثَ الْمَلْهُوفَ ؛ وَأَقْدَمَ مِنَ الْمَهَالِكِ ، وَعَمَرَ
بِتَسْديرِهِ الْمَسَالِكِ ، وَوَصَلَ الْأَرْزَاقَ ، وَأَجْرَى الْأَطْلَاقَ عَلَى الْإِطْلَاقِ - أَقْصَصْتُ
أَرَأُونَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نَعْتَمِدَ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِ ، وَنُلْقِيَ مَقَالِيدَ الْأُمُورِ إِلَيْهِ ، وَنَتَوَطَّأَ
بِهِ الْمِهْمَاتِ وَغَيْرَهَا : لِيَكُونَ الْعِلْمُ بِالْكُلِّيَّاتِ وَالْجُزْئِيَّاتِ لَدَيْهِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِأَزَالِ يَحْيَى بِالْمَزِيدِ مِنْ كَرَمِهِ ، وَيُسَبِّحُ جَلَالِيَّ
نَعْمَهُ ، وَيَجْرَى بِحُرِّ فَضْلِهِ الْوَاسِعِ ، وَيُمِمْ بِنَظَرِهِ الْمُقْزِينَ مِنْ أَوْلِيَانِهِ كُلِّ جَامِعٍ خَيْرِ
جَامِعٍ ، أَنْ يَسْتَقَرَّ^(٢)

(١) جرى على لغة طي - نظر السمع فذهب .

(٢) يباض بالأصل والمراد "في نظر الجامع الطولوني" الخ وكثيرا ما يفعل ذلك في مثل هذه المواضع .

فلتلق هذا التفويض الجليل بقبوله ، وبلغ الجامع المذكور ما يرتقبه من عمارته
التي هي غاية مأوله . ومنه تؤخذ الوصايا لآله لساننا الناطق ، وسفير مملكتنا العالم
بالحقائق والدقائق ، فلا يحتاج أن يوصى ولا أن نفتح معه في الوصية باباً ، وما يصلح
أن يقال لغيره لا يجوز أن يكون له خطاباً :

ومثلك لا يدل على صواب • وأنت تعلم الناس الصواباً !

والله تعالى يؤيده في القول والعمل ، ويُم بوجوده وجوده الوجود وقد فعل ؛
ويُقيمه مدى الدهر ، ويستخدم لسعوده الساعة واليوم والجمعة والشهر ؛ ويعمل
بأبه الطاهر مفتوحاً للقاصدين على النوم ، ويُقيمه واسطة عقد الملك فإنه مبارك
أيضاً كانت رحمة للأنام ، والاعتماد على الخط الشرف أعلاه حجة بمقتضاه ،
إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثالثة

(تَهَابَةُ الأشراف)

وقد تقدم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية في المقالة الثانية أن
موضوعها تحدث على الأشراف ، وهم أولاد أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضی
الله عنه ، من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت : وقد جرت العادة أن الذى يتولى هذه الوظيفة يكون من رؤوس
الأشراف ، وأن يكون من أرباب الأقلام ، وإنما أوردته مع أرباب السيوف
لأن المقر الشهابى بن فضل الله قد ذكر في بعض دساتيره الشامية أنه يكتب
لقبيب الأشراف « الإميرى » ولا يكتب له « القضاى » ولو كان صاحب قلم .

وقد رأيت له عدة نوافع على ذلك مكتبة من الأبواب السلطانية وعن نائب الشام وحلب وغيرهما، معبرا عنه فيها «الأميرى» وتوقيعه في قطع الثلث مفتتح بحُطبة مفتحة بـ«الحمد لله» .

وهذه نسخة [توقيع] بنقابة الأشراف، وهي :

الحمد لله مشرف الأشراف، ومو في الأحساب، حقوق ملاحظتهم بنير حساب ،
وجا حل أيامنا الشريفة محمد الأكتساب .

نعمه بحامد حسنة الإيجاد والإيجاب . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له شهادة لا شك في مقالها ولا آرتياب . ونشهد أن محمدا عبده ورسوله ونبيه
الذي أنزل عليه الكتاب، وشرف به الدراري من شجرته المباركة الأغصان ،
صل الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا تتوارى شمما بحجاب .

وبعد، فإن خير ما صرفت الهمم إلى تشييد مبانيه ، وتقعيد مهمل رواعيه
وملاحظة قاصيه ودانيه ، المحافظة على كل ما يقع قدر الآل ويعليه ، ويرد إليهم
عنان الاعتناء ويثنيه .

ولما كانت العرة الطاهرة النبوية وزات الوحي الذين آل إليهم ميزاته، وأهل
البيت الذين حصل لهم من السؤدد آياته؛ وقد سأل الله وهو المسئول لهم القربي،
وخصهم بمزايا حقيق بمثل مبصرتهم أنه بها يحيى وأنها لهم نجي : لما في ذلك من
بركات ترضى سيد المرسلين وتعيجه ، ويسطر الله [الأجر] لفاعله ويكتبه ، وكان لابد
لهم من رئيس يتخذ سلكهم وينظمه ، ويعظم نفهم ويفخمه ، ويحفظ أنسابهم ،

وَيَصْقُلُ بِمَكَارِمِهِ أَحْسَابَهُمْ ؛ وَيَمَيُّ بِتَدْيِيرِهِ رَجَعَهُمْ ، وَيَتَابِعُ تَحْتَ ظِلِّ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الزَّرَكِيَّةِ مَا زَكَّى يَتَمَعَهُمْ ؛ وَيَحْفَظُهُمْ فِي وَدَائِعِ النَّسْلِ ، وَيَصُدُّ عَنْ شَرَفِ أَرْوَمَتِهِمْ مِنَ الْأَذْعِيَاءِ الْمَدْعِينَ بِكُلِّ نَسْلِ^(١) ؛ وَيَحْرُسُ نِظَامَهُمْ ، وَيُوَالِي إِكْرَامَهُمْ ؛ وَيَأْخُذُهُمْ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، وَيُمَكِّمُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْإِرْفَادِ وَالْإِرْفَاقِ ؛ وَيَتَوَلَّى رَدْعَ جَانِبِهِمْ إِذَا لَمْ يَسْمَعْ ، وَيَتَدَبَّرُ فِيهِ قَوْلَهُ : « أَتُحْكَمُ مِنْكَ وَإِنْ كَانَ أَجْدَعُ » .

وَلَمَّا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الْمَشَارُ إِلَيْهِ مِنْ بَنِي هَذِهِ السَّلَالَةِ ، وَلَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ مِيرَةٌ بَاطِنَةٌ وَظَاهِرَةٌ وَإِنْ كَانُوا كُلُّهُمْ شَيْئًا وَاحِدًا فِي الْإِجْلَالِ وَالْإِعْظَامِ ، فَقَدْ تَمَيَّزَتْ مِنْ بَيْنِ الْأَنَامِلِ السَّبَابَةُ عَلَى الْإِنْخِصَرِ وَالْبَنْصَرِ وَالْوُسْطَى وَالْإِبْهَامِ ، وَكَمْ تَمَرَّ جَنِّي فَضَّلَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ وَهُوَ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ ، وَقَدْ آمَنَّا عَلَى بَنِي هَاشِمٍ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ - أَقْتَضَى حُسْنَ الرَّأْيِ الْمُنِيفِ ، أَنْتَ رَيْسُ الْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا بَرَحَ يَنْتَارُ وَيَنْتَقِي ، وَيَجْتَنِي مِنْ يَخْشَى اللَّهَ وَيَتَّقِي - أَنْ تَفُوضَ إِلَيْهِ نِقَابَةُ الْأَشْرَافِ الطَّالِبِينَ عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَهَنُّمِهِ مِنَ الثُّبَاءِ السَّادَةِ .

فَلْيَجْمَعْ لَهُمْ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَنْبَغِي الزَّهْرَاءِ الْبَتُولِ فَعَلَّهُ ، وَيَفْعَلْ مَعَ أَهْلِهِ وَقَرَابَتِهِ مِنْهُمْ مَا هُوَ أَهْلُهُ ؛ وَلْيَحْفَظْ مَوَالِدَهُمْ ، وَيُحَرِّرْ أَسَانِيدَهُمْ ؛ وَيَضْبِطْ أَوْقَاتَهُمْ ، وَيَتَمَيَّذْ إِنْصَافَهُمْ ؛ وَيَتَمَرَّ مَتَحَصِّلَاتِهِمْ ، وَيَكْتَرِ بِالتَّدْيِيرِ غَلَاتِهِمْ ؛ وَيَأْخُذْ نَفْسَهُ بِمُسَاوَاتِهِمْ ، فِي جَمِيعِ حَالَاتِهِمْ ؛ وَلْيَأْخُذْهُمْ بِالتَّجَمُّعِ عَنْ كُلِّ مَا يَشِينُ ، وَالْعَمَلِ بِمَا يَزِينُ ؛ حَتَّى يُضَيِّفُوا إِلَى السُّؤْدَدِ حُسْنَ الشَّيْمِ ، وَإِلَى الْمَقَافِرِ فَائِرَ الْقِيمِ ؛ وَكُلُّ مَا يَفْعَلُهُ مِنْهُمْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ غَيْرِهِ هُوَ لَهُ وَطِيئُهُ ، وَمِنْهُ وَإِلَيْهِ ، وَاللهُ يَحْفَظُهُ مِنْ خَلْفِهِ وَمَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ١ .

(١) البسل الشدة كما في اللسان . ووقع في الأصل «نسك» بالنون والكاف وهو تصحيف .



وهذه نسخة وصية لنقيب الأشراف أوردتها في "التعريف" فقال :

و نحن نُجِلك عن الوصايا إلا ما تنبئك بذكره ، ويُسرُّك إذا أشحلت على سره ،
فأهلك [أهلك ؛ راقب] الله ورسوله جلَّك صلي الله عليه وسلم فيما أنت عنه من
أمرهم مستول ، وأرفق بهم فهم أولاد أمك وأبيك حيدرة والبَول ؛ وكُف يد من
صليت أنه [قد] استطال بشرفه فتد إلى العناد يدا ، وأعلم أن الشريف والمشروف
سواء في الإسلام إلا من اعتدى ؛ وأن الأعمال محفوظة ثم معروضة بين يدي الله
فقدّم في اليوم ما تفرّج به غدا ، وأزل اليدع التي يُنسب إليها أهل النُوف ولآتهم ،
والنُوف فيما يُوجب الطعن على آباؤهم ، : لأنه يعلم أن السلف الصالح رضى الله عنهم
كانوا متّهمين عما يدّعيه خلف السوء من أقران ذات بينهم ، ويتعرّض منهم أقوام
إلى ما يحزهم إلى مصارع حينهم ؛ فلهشعة عثرات لا تُقال ، من أقوال يُقال ؛ فسُد
هذا الباب سدّ لبيب ، وأعمل في حسم موادهم عمل أريب ؛ وقم في نهيمهم والسيف
في يدك قيام خطيب ، وخوفهم من قوارعك [مواقف] كل سهم مُصيب ؛ فما دُعي
« بجي على خير العمل » إلى خير من الكتاب والسنة والإجماع [فأنظّم في نادى
قومك عليها عقود الاجتماع] . ومن اعتدى إلى اعتال ، أو مال إلى الزيادة فزيادة
مقال ؛ أو ادعى في الأئمة الماضين ما لم يدعوه ، أو اقتفى في طرق الإمامية بعض
ما ابتدعه ؛ أو كذب في قول على صادقهم ، أو تكلم بما أراد على لسان ناطقهم ؛
أو قال : إنه تلقى عنهم سرا ضنوا على الأمة ببلاغه ، وذادوهم عن لثة [مساغ] ،
أو روى عن يوم السقيفة والجل غير ماورد أخبارا ، [أو تمثّل بقول من يقول :
عبد شمس قد أوقدت لني هاشم نارا] أو تمسك من عقائد الباطن بظاهر ، أو قال

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٣٠ وهي لازمة لاستقامة الكلام .

إِنَّ اللَّاتِ الْقَائِمَةَ بِالْمَعْنَى تَخْتَلِفُ فِي مَظَاهِيرِهَا ؛ أَوْ تَمَلِّقُ لَهُ بِأُتَمَّةِ السَّرَّارِجَاءِ ، أَوْ تَنْتَظِرُ مُقِيَا بَرَضُوئِ عِنْدِهِ عَسَلٌ وَمَاءٌ ، أَوْ رَيطٌ عَلَى السَّرْدَابِ فَرَسَهُ لِمَنْ يَقُودُ الْخَيْلَ يَقْدِمُهَا اللَّوَاءُ ؛ أَوْ تَلَقَّتْ بِوَجْهِهِ يَطْلُقُ عَلَيْهِا كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ فِي النِّعَامِ ، أَوْ تَقَلَّتْ مِنْ عِقَالِ الْعَقْلِ فِي اشْتِرَاطِ الْعِصْمَةِ فِي الْإِمَامِ . فَتَزْفَهُمْ أَجْمَعِينَ أَنَّ هَذَا مِنْ فِسَادِ أَنْهَانِهِمْ ، وَسُوءِ عَقَائِدِ أَذْيَانِهِمْ ؛ فَإِنَّهُمْ عَدَلُوا فِي التَّقَرُّبِ بِأَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ عَنْ مَطْلُوبِهِمْ ، وَإِنْ قَالَ قَائِلُ لَانِهِمْ طَلَبُوا فَقُلْ لَهُ : ﴿ كَلَّا بَلْ رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ .

وَأَنْظُرُوا فِي أُمُورِ أَنْسَابِهِمْ نَظَرًا لَا يَدَّعِ بَحَالًا لِلرَّيْبِ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ مَعَهُ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِمْ بِغَيْرِ نَسَبٍ ، وَلَا يَخْرُجَ مِنْهُمْ بِغَيْرِ سَبَبٍ ، وَسَاقِيقِ الْمُتَصَرِّقِينَ فِي أُمُورِهِمْ فِي كُلِّ حِسَابٍ . وَأَحْفَظْ لِمَنْ كُلَّ حَسَبٍ . وَأَنْتِ أَوَّلَى مِنْ أَحْسَنَ لِمَنْ طَعَنَ فِي أَسَانِيدِ هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ أَوْ تَأَوَّلَ فِيهِ عَلَى ضَرْمِ مُرَادِ قَائِلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَأْدِيَةً ، وَأَرَاهُمْ مِمَّا يُوَصِّلُهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَى رَسُولِهِ طَرِيقًا قَرِيبًا . وَنَكَلُ بَيْنَ عِلْمَتِهِ أَنَّهُ قَدْ مَالَ عَلَى الْحَقِّ أَوْ مَالَ إِلَى فَرِيقِ الْبَاطِلِ فَرَقًا ، وَطَوَى صَدْرَهُ عَلَى الْغِلِّ وَقَلْبَ مِنْ أَجْلِهِ عَلَى مَا سَبَقَ فِي مِلِّهِ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ تَقْدِيمِ مَنْ تَقَدَّمَ حَقًّا ؛ [وَجَارَ وَقَدْ] أَوْحَشَتْ لِمَنْ الطَّرِيقَةَ الْمَثَلِيَّ طَرَفًا ؛ وَأَرَدَعَهُمْ إِنْ تَمَرَّضُوا فِي الْقَدْحِ إِلَى نَضَالِ نَضَالٍ ، وَأَمْنَعَهُمْ إِنْ رَقَعَهُمْ كَلْمًا وَإِنْ كَثُرَتْ خَابِلَةٌ فِي ظِلَامِ ضَلَالٍ ؛ وَقَدَّمَ تَقْوَى اللَّهِ فِي كُلِّ عَقْدٍ وَحَلٍّ ، وَأَعْمَلَ بِالشَّرِيعَةِ الشَّرِيفَةِ فَإِنَّهَا النَّسَبُ الْمَوْصُولُ الْحَبْلُ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمُقَرَّرَ الشَّهَابِيَّ بْنَ فَضْلِ اللَّهِ قَدْ ذَكَرَ فِي "التعريف" عِدَّةَ وَصَايَا لِمَجَاعَةٍ مِنْ أَرْبَابِ السُّيُوفِ ، لَمْ يُكْتَبْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي زَمَانِنَا ، بَلْ رُفِضَ اسْتِعْمَالُهَا وَأَهْمَلُ . وَنَحْنُ نَذَكِّرُهَا حِفْظًا لِدَعْوَاهَا ، وَاحْتِيَاطًا أَنْ يَقْتَضِيَ الْحَالُ فِي زَمَنِ كِتَابَةِ شَيْءٍ مِنْهَا .

إحداها - وصية أتابك المجاهدين

وقد تقدّم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أن أصله أتابك بالطاء المهملة ومعناه الأتاب الأمير ، وأنّ أول من لقّب بذلك زكي أتابك صاحب الموصل ، ثم فُلبت فيه التاء المشددة بدل الطاء ، وهي :

وَأَنْتَ أَبْنُ ذَلِكَ الْأَبِّ حَقِيقُهُ ، وَلَدُ ذَلِكَ الْوَالِدِ الَّذِي لَمْ تَعْمَلْ لَهُ إِلَّا مِنْ دِمَاءِ
الْأَعْدَاءِ حَقِيقُهُ ؛ وَقَدْ عُرِفَتْ مِثْلُهُ بَبَيَاتِ الْجَنَانِ ، وَصَلَتْ بِيَدِكَ وَصَلَتْ إِلَى مَالِمٍ
يَصِلُ إِلَيْهِ رُخْ وَلَا قَدَرٌ عَلَيْهِ سِنَانٌ ؛ وَلَمْ يُزَاحَمْ مَدُونُ إِلَّا قَالَ لَهُ : أَيْهَا الْبَادِي الْمَقَاتِلِ
كَيْفَ تُزَاحِمُ الْحَدِيدَ ، وَلَا تُسَمِّيْ أَمَمَكَ لَجَبَّارٍ إِلَّا قَالَ لَهُ : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ
ذَلِكَ مَا كُنْتُ مِنْهُ نَجِيذًا ﴾ . وَأَنْتَ أَوَّلَى مَنْ قَامَ بِهَذِهِ الْوُظَيْفَةِ ، وَأَلْفَ قُلُوبٍ هَذِهِ
الطَائِفَةُ الَّتِي مَا حَلَمَ بِهَا حَالِمٌ إِلَّا وَبَاتَ يُرْعِدُ خِيفَةً ؛ فَلْيَأْخُذْ هَذَا الْأَمْرَ بِزِمَامِهِ ،
وَلْيَعْمَلْ لِنَفْسِهِ وَلِإِمَامِهِ ؛ وَلْيَتِمَّ فِي حُبِّ الْبَقَاءِ الدَّائِمِ بِنَفْسِهِ عَلَى الْمَنِيِّ ، وَلْيَتَادَمَّ عَلَى مُعَاقَرَةِ
الدَّمَاءِ زُهُورِ سَكَكِينِهِ الْحَقِيقَةِ ؛ وَأَطِيعْ مِنْهُمْ زُبْرًا تَطَاوَلَ السُّيُوفُ بِسَكَكِينِهَا ، وَتَأْخُذْ
بِهَا الْأُسُودَ فِي عَرِيدِهَا ؛ وَتَعْتَدْ كَانَتْهَا أَمَالٌ ، لِمَا تُرِيدُ ، وَتُرْسِلْ كَانَتْهَا أَجَالٌ ، وَلِهَذَا هِيَ
إِلَى كُلِّ عَبْدٍ أَقْرَبُ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ؛ وَأَذْكَ مِنْهُمْ شُعْلًا إِذَا دُعِيََتْ بِأَحْسَابِهَا لَا تَجِدُ
إِلَّا مُتَحَامِيًا ، وَأَرَمَ مِنْهُمْ سَهَامًا إِذَا دُعِيََتْ (؟) بِأَنْسَابِهَا الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ فَقَدْ جَاءَ أَنَّ إِسْمَاعِيلَ
كَانَ رَامِيًا ، وَفَرَّجَ بِهِمُ عَنِ الْإِسْلَامِ كُلِّ مَضِيْقٍ ، وَأَقْلَعَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْعَوَانِيَةِ
كُلَّ حَجَرٍ فِي الطَّرِيقِ ، وَصَرَفَ رِجَالَهُ الْيَأْمِينَ ، وَتَصَيَّدَ بِهِمْ فَلَانَهُمْ صُورٌ وَمَتَابِعُهُمْ
السَّكَاكِينُ ؛ وَأَخِطَفَ بِهِمُ الْإِبْصَارَ فَبَايَعَهُمْ كُلَّ مِسْكِينَةٍ كَانَتْهَا الْبُرْقُ الْخَاطِطُ ،
وَأَقْطَفَ الرُّؤُوسَ فَلَانَهَا عِمْرَاتٌ أَيْعَتُ لِقَاطِطُ ؛ وَأَعْرِفْ لَهُمْ حَقَّهُمْ وَضَاعِفْ لَهُمْ

تكريماً ، وأدبهم بنا برأعيماً ، وقدم أهل النفع منهم فقد قدمهم الله ﴿ وفضل الله
المجاهدين على القاعدین أجراً عظيماً ﴾ .

وأعلم أنهم مثل الوحوش فزِد في تأييسهم ، وأشكر إقدامهم فطالما أقصَحُوا على
الملوك وما هابوا بقطعة حرمهم ؛ وأرفع بعضهم على بعض درجات في نفقات تسافرهم
ومعود تجلسهم ، ولا تُسو بينهم فما هم سواء و ﴿ لَا يَسْتَوِ الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
غَيْرِ أُولَى الضَّرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴾ . وأصل هذه الدعوة
ما زالت تثقل بالآواريث حتى انتهت إلينا حقوقها ، وأومضت بنا حيث خلت
هياكلها بجرمها الجنى برؤفها ؛ والله تعالى يوفقه ويُرشده ، ويُطوّل بامه لما قصرت
عنه سواعد الرماح ووصلت إليه يده .



الثانية — وصية أستاذ الدار .

وَلْيَتَفَقَّدْ أَحْوَالَ الْحَاشِيَةِ عَلَى اخْتِلَافِ طَوَائِفِهَا ، وَأَنْوَاعِ ظَوَائِفِهَا ؛ وَلْيَرْتَبِّهَا
فِي الْخِدْمَةِ عَلَى مَا يَجِبُ ، وَيَنْظُرُ فِي أُمُورِهِمْ نَظَرًا لَا يَتَفَتَّى مَعَهُ شَيْءٌ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ
وَلَا يَحْتَجِبُ ؛ وَلْيَبْدَأْ بِهِمُ السَّاطِ الْمَقْدَمَ الَّذِي يُقْتَمُ ، وَمَا يَنْتَوِعُ فِيهِ مِنْ كُلِّ مَطْعَمٍ ؛
وَمَا يَمْتَدُّ مِنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ بُكْرَةً وَالصَّوْرَ ، وَمَا يُسْتَدْعَى مَعَهُ مِنَ الطَّوَارِئِ الَّتِي لَا يَحْتَدِثُهَا
الْحَسَدُ وَلَا يَحْصُرُهَا الْحَصْرُ ؛ وَأَحْوَالَ الْمُطْبِخِ الْكَرِيمِ الَّذِي مِنْهُ ظُهُورُ تِلْكَ الْخَفَافِ ،
وَوَفَاءُ ذَلِكَ الْكَرِيمِ الْوَافِي ؛ وَالتَّقَدُّمُ إِلَى الْأَمْنَاءِ وَالْمَشْرِفِينَ فِيهِ بِأَمَانَةِ الْإِنْفَاقِ ، وَصِيَانَةِ
الْمَالِكِ مَا يُعَابِدُ عَلَى الْإِطْلَاقِ . ثُمَّ أَمْرُ الْمَشْرُوبِ وَمَا تُفَلِّقُ عَلَيْهِ أَبْوَابُ الشَّرَابِ خَانَاهُ
السَّعِيدَةِ مِنْ لَطَائِفِ مَا كُوِلَ وَمَشْرُوبٍ ، وَشَيْءٍ عَزِيزٍ لَا يَوْجَدُ إِلَّا فِيهَا إِذَا

عزَّ المطلوب ؛ ومراجعة الأطباء فيما تجرى عليه قوانينها ، وتُسبَّب لطبخه من حُرِّ
 البواقيت كواينها ؛ وإفراز ما هو للخاص الشريف منها وما هو للتفرقة ، وما لا يصرف
 إلا بخط الطيب ولا يسلم إلا إلى تَقِه . ثم الطشت خاناه السعيدة التي هي خزانة
 اللباس ، وموضِع ما يبرز به من الزينة للناس ؛ وما يحتاج إليه من آلات الطيب ،
 وما يُعين لها من الصابون وماء الورد والطيب ، وغير ذلك من بقية ما هي مستقزة ،
 ويُؤخذ منها مستلذه ؛ ومن يُستخدم بها ممن يرى من الرِّب ، وعُرف بالعقاف
 والأدب ؛ وعلم أنه من أهل الصَّيانه ، وظلَّ ماسمًا إليه ومن خالطه الأمانه .
 ثم الفِراش خاناه وما يُنصب فيها من الحيام ، وما يكون فيها من فرش سقر ومقام ،
 وتُفتح بفضض كأفور كأفور^(١) آبتوس الظلام . ثم غلمان الإصطبل السعيد والتجاجة
 وإن كان إلى سواه استخدامهم ، ولدى غيره مستقرهم ومقامهم ، لكنهم ما خرجوا
 من عبيده ، ولا يروقهم ويروعههم إلا حسن ومده وخشن وعبيده . ثم المناجات
 السلطانية وما بها من جمال ، وما يسرح فيها من مال وجمال ؛ ومن يُستخدم فيها
 من سيروان ومهمرد ، وما فيها من قطار مُزدوج وفرد ؛ فيوفر لهذه الجهة نصيباً
 من النظر يشاهد أُمورها وقد غابت في الأقطار ، وتفرقت كالشَّحْب يلزمها القطار
 القطار ؛ وليكونوا على بالله فإنهم يسرقون^(١) الذرة من العين ومعهم الذهب العين محملاً
 بالقطار ؛ فيُحسِّن منهم الإزتياد ، وليتخير أرقهم أفئدة فإنهم بكثرة ملازميتهم للإبل
 مثلها حتى في غلظ الأكباد . وطوائف المماليك ، والأبقار ومن عليها من العاملين ،
 وزراريب الغنم وخولها وريعاتها ، وأصناف البيوت الكريمة وما تطلبه في استيعابها ؛
 وقفات الأمراء الممالك السلطانية في إهلال كلِّ هلال ، وما يُصرف في تحسام

(١) في "التبريف" « ذرة الكحل » .

على جارى عاديهم أو إذا دعت إليه ضرورة الحال ؛ وما يؤخذ عليه خطه من
 وصولات تُكتب ، وأستدعات تُحسب من لوازمه وهى للكثرة لا تُحسب ؛ فليكن
 لهذا كله مراعىا ، ولأمره وإعيا ، ولما يجب فيه دون ما لا يجب مستدعياً وإليه
 داعياً ؛ وهو كبير البيت وإليه يرجع أمر كل مملوك ومستخدم ، وبأمره يؤخر
 من يؤخر ويقدم من يقدم ، ومثله يتعلم منه ولا يعلم ؛ وعصاه على الكل محمولة
 على الرقاب ، مبسوطة فى العفو والعقاب ، ومكانه بين يدينا حيث نراه ويرانا ولدينا
 قاب قوسين أو أدنى من قاب .

وعليه بتقوى الله فيها تمام الوصايا وكإل الشروط ، والأمر بها فعصاه محبة
 وأمره مبسوط ، وكل ما يئباط بنا : من خاصة أمورنا فى بيتنا - عمره الله بقاءنا وزاد
 تميمه - بتدبيره منوط .

الثالثة - وصية أمير اخور .

وقد تقدم فى الكلام على الألقاب فى المقالة الثالثة أنه مرَّكب من لفظين :
 عربى وهو أمير ومعناه معروف ، وأخور فارسى ومعناه العلف ، والمعنى أمير العلف .
 وكأنه فى الأصل كان هو المتولى لعلوفة الخيل ، ثم أرتفعت وظيفته حتى صار صاحبها
 من أكابر الأمراء المقدمين ، وهو يتحدث فى الإصطبلات السلطانية وما حوته
 من خيل ويقال ودواب وجمال وأثاث ، وغير ذلك .

وهذه نسخة وصيته :

وليكن على أكل ما يكون من إزاحة الأعداء ، والتأهب لحركات الشريعة فى ليل
 كان أو نهار ، مقدماً الأهم فالأهم من الأمور ، والأبداً فالأبداً من [تقديم]^(١) مراكبنا

(١) الزيادة من "التأهب" وهى لازمة كما لا يخفى .

السعيدة ونهيةً موكبنا المنصور؛ وترتيب ذلك كله على ما جرت به العوائد، وتحصيل ما نحتاجه الحاجة إليه على قدر الكفاية والزوائد؛ والنظر في جميع إصطبلاتنا الشريفة، والجشارات السعيدة؛ وخيل البريد، والركائب المعلقة لقطع كل مدى بعيد؛ وما يجمع في ذلك ويتقسم، وما يركب منها ويختب مما يسم الأرض بالبُسُور والأهلة؛ من كل حافر ومنمٍ؛ وما هو برسم الإطلاق، وما يُعدُّ لمالك الطباقي؛ وخيل التلاد، وما يُجلب من قود كل قبيلة من القبائل ويحيى من كل بلد من البلاد؛ والمشتري مما يباع من الموارث ويُستعرض من الأسواق، وما يُعدُّ للوأكب والسباق؛ ولِيُبل رأيه في ترتيب ذلك كله في مراتبه على ما تقتضيه المهجات، والاحتراز في التلاد مما لعله يُبدل ويقال هو هذا أو يُخذ بحجة أنه مات؛ وليُجهد في تحقيق ما أتق، [وليُحرره على حكم ما يتحقق عنده لا على ما أتق]، وكذلك فليكن لخصه عن استخدام عنده من الغلمان، ولا يهمل أمورهم مع معاملتهم بالإحسان؛ ولا يستخدم إلا من تُسكّر سيرته في أخواله، وتُعرف خبرته فيما يُراد من أمثاله؛ وكذلك الركابة الذين تملك أبيسهم أئنة هذه الكرائم، والتحرز في أمرهم ممن لعله يأوى إليهم من أرباب الجرائم؛ والأوشاقية الذين هم مثل ممالكهم في الحقيقة لإخوانه، وجماعة المباشرين الذين هم في مباشرة الإصطبلات السعيدة ديوانه؛ وكل هؤلاء يلزمهم بما يلزم أمثالهم من السلوك، ويُعلمهم بما يجب عليهم أن يتعلموه من خدمة الملوكة؛ ولا يسمح لأحد منهم في أمر يُفضي إلى إخلال، ولا يقتضى قوط إذلال، ويُقيم أودهم بالأدب فإن الأدب مافيه إذلال؛ وكل هؤلاء الطوائف ممن يتجنب العامة مخالطتهم لما طار في أيام من تقدم عن أمثالهم من سوء السُّنعة،

(١) في اللسان من معاني "القول الخليل" وهو المناسب هنا .

(٢) الزيادة عن "التعريف" (ص ١٠٠) وهي لازمة كما لا يخفى .

وَيُخَوِّفُ مِنْهُمْ الشُّرْعَ ؛ فَلْيَكُنْ لِمَنْ مِنْكَ أَعْظَمُ ذَاخِرٍ ، وَمَنْ شُكِيَ إِلَيْكَ مِنْهُمْ فَسَارِعْ إِلَى التَّنْكِيلِ بِهِ وَبَادِرْ ؛ وَأَشْهَرُ مِنْ فَعْلِكَ بِهِمْ مَا يُوجِبُ مِنْهُمْ الطُّعْمَانَيْنِ ؛ وَلَا يَعُودُ أَحَدٌ بَعْدَهُ يُكَذِّبُ بِقِيَّتِهِ ؛ وَأَمْرَاهُ أَخَوْرِيهِ الَّذِينَ هُمْ أَتْبَاعُكَ ، وَبِهِمْ يَتَسَدُّ بِأُكِّ ، هُمْ بِحَسَبِ مَا تَجْعَلُهُمْ بِصَدَدِهِ ، وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ يَقْدِرُ [أَنْ] يَتَعَدَّى حُدَّهَ فِي مَقَامِ قَدَمِهِ وَبَسْطِ يَدِهِ ؛ فَاجْعَلْ لِكُلِّ مِنْهُمْ مَقَامًا مَعْلُومًا ، وَشَيْئًا تَجْعَلُ لَهُ فِيهِ تَحْكِيمًا . وَتَتَيْنِ الْخِيُولَ الْمَشْتَرَاةَ وَالتَّقَادِمَ قَوْمَهَا بِأَهْلِ الْخِبْرَةِ تَقْوِيمَ عَدْلٍ ، وَقُلِ الْحَقُّ وَلَا يَأْخُذُكَ فِيهِ لَوْمٌ وَلَا عَدْلٌ ؛ وَمَا يُصَرِّفُ مِنَ الْعَلِيقِ رِيسَ الْخِيُولِ السُّلْطَانِيَّةِ وَمَنْ لَهُ مِنْ صِدَقَاتِنَا الشَّرِيفَةِ عِلَيقٌ ، مُرُّ بِصَرْفِهِ عِنْدَ الْاِسْتِحْقَاقِ وَأَضْيِطْهُ بِالْعَلِيقِ ؛ وَتَصَرِّفْ فِي ذَلِكَ كُلَّهُ وَلَا تَصَرِّفْ إِلَّا تَصَرِّفَ شَفِيقٍ ، وَصُنْهُ بِأَقْلَامِ جَمَاعَةِ الدِّيَّوَانِ وَلَا تَقْتَعِ فِي غَيْرِ أَوْقَاتِ الضَّرُورَةِ بِرَفِيقٍ ؛ وَكَذَلِكَ الْبِرَاسِمُ السُّلْطَانِيَّةُ أَصْلًا وَزِيَادَةً ، وَلَا تَصَرِّفْ إِلَّا مَا نَأْمُرُ بِهِ وَإِلَّا فَلَا تَخْرُجْ فِيهِ غِنِ الْعَادَةِ ؛ وَزُلْزَلُكَ مِنْ أَمْرَاهِ الْعُرْيَانِ عَامِلُهُمْ بِالْجَمِيلِ ، وَزِدْ فِي أَخِيذِ خَوَاطِرِهِمْ وَلَوْ بَسْطَ بِسَاطُ الْأُنْثَى لِمَنْ فَمَا هُوَ قَلِيلٌ ؛ : لَتَضَاعَفَ رَغْبَتُهُمْ فِي كُلِّ عَامٍ ، وَلَيْسَتْ دُلُوكُ بِشَاشَةٍ وَجْهَكَ لِمَنْ عَلَى مَا بَعْدَهُ مِنَ الْإِنْعَامِ ؛ وَبِغَالِ الْكُؤُوسَاتِ السَّعِيدَةِ وَالْأَعْلَامِ الْمَنْصُورَةِ ، وَأَهْمَالِ الْخِزَانَةِ الْعَالِيَةِ الْمَعْمُورَةِ ؛ أَجْعَلْهَا مِنْ الْمَهْمَاتِ الْمَقْدَمَةِ ، وَالْمَقْدَمَاتِ لِنَتَائِجِ أَيَّامِ النُّصْرِ الْمُعْلَمَةِ ، وَرِزْقِهَا فِي مَوَاقِفِهَا ، وَأَتْمَمْ مَا يَكُونُ مِنْ وَظَائِفِهَا ؛ فَبِهَا تَبْتُ مَوَاقِفُ الْمُسْكِرِ الْمَنْصُورِ ، وَإِلَيْهَا يَأْوِي كُلُّ مُسْتَظِلٍّ وَرَحَى الْحَرْبِ تَدُورُ ؛ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ مُشَاشِ الْإِمْصِطْلَاطِ السَّعِيدَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَرِيرِ ، وَكُلِّ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ ؛ بِأَشْرَ مَبَاشَرَةٍ لَا يَتَحَيَّلُ ، وَأَحْيَاهُ تَجَرُّعًا وَدَخْلًا ؛ وَلِيَاكَ وَالْأَخَذَ بِالرَّخْصِ ، أَوْ إِهْمَالِ الْقَرْصِ ، أَوْ طَلَبِ قَائِمِ جُرْمِ أَهْمَلْتَهُ حَتَّى نَكْصِ .

الرابعة — وصية مُقَدَّم الممالك .

وقد تقدم في الكلام على أرباب الوظائف أنه يتحدث في أمر الممالك السلطانية والحكم بينهم ، ويركب خلقهم إذا ركب السلطان كأنه يحفظهم . والوصية هي :

وليحسن إليهم ، وليعلم أنه واحد منهم ولكنه مقدم عليهم ، وليأخذ بقلوبهم مع إقامة المهابة التي يُحِيل إليهم بها أنه معهم وخلقهم وبين يديهم ، وليُزِمَ مقدم كل طبقة بما يلزمه عند تقسيم صدقاتنا الجارية عليهم : من ترتيب الطباق ، وإجراء ساقية جارية من إحساننا إليهم ولا ينس السواق ؛ ولكن لأحوالهم متعدها ، ولأمورهم متفقدًا ؛ وليستعلم أخبارهم حتى لا يزال منها على بصيرة ، ويعرف ما هم عليه مما لا يخفى عليه فإنهم وإن لم يكونوا له أهلاً فإنهم جيرة ؛ وليأمر كلًا منهم ومن مقدميهم والبواقين لهم بما يلزمهم من الخدمة ، وليُرتبهم على حكم مكاتبتهم متاً فإن تساووا فليقدم من له قنسه ؛ وليعدل في كل تفرقه ، وليحسن في كل عرض وتقه ، وليفرق فيهم ما لهم من الكسوى ويُسبِل عليهم رداء الشفقة ؛ وليعد منهم لغاتنا الحمى سباعا تفترس العاديه ، وليجمل النظر في أمر الصغار منهم والجار أصحاب الطبقات العاليه ؛ وليأخذهم بالركوب في الأيام المعتاده ، والدخول إلى مكان الخدمة الشريفة والخروج على العاده ، وليُدِرهم في أوقات الياسير والأسفار نظاماً دائراً الدهلز المنصور ، وليأمرهم أمراً عاماً بأن لا يركب أحد منهم إلا بدستور ولا يتزل إلا بدستور ؛ وليحترز عليهم من طوائف الغلمان ، ولا يستخدم منهم إلا معروف بالخير ويقيم عليهم الضمان ؛ وليحرر على من دخل عليهم ونرج ، ولا يفتح لأحد منهم إلا من علم أنه ليس في مثله حرج ؛ ولا يدع للريبة بينهم مجالاً لاضطراب ، وليؤوص مقدميهم بتفقد ما يدخل إليهم فإن الفس أكثره من العام والشراب ؛ وليؤم مراجهتنا في أمرهم فإن بها يعرف الصواب ، ويعمل بما نأمره به ولا يجرد جوى في جواب .

الضرب الثانى

(مَنْ يُكْتَبُ لَهُ بِالْوِلَايَاتِ بِالدِيَارِ الْمِصْرِيَةِ أَرْبَابُ الْوُظَائِفِ الدِّينِيَةِ،
وَهُوَ عَلَى طَبَقَتَيْنِ)

الطبقة الأولى

(أَصْحَابُ التَّقَالِيدِ مَنْ يُكْتَبُ لَهُ بِالْجَنَابِ الْعَالِى)

وتشتمل على ستة وظائف

الوظيفة الأولى

(القضاة)

قد تقدمَ في المقالة الثانية في الكلام على ترتيب الوظائف أنَّ الديار المصرية كان عليها قاض واحد، إلى أنَّ كانت الدولة الظاهرية «بيس» في أوائل الدولة التركية، وقاضى القضاة يومئذ القاضى تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعرش الشافعى، فاضطرب الأمر لاختلاف المذاهب، فافتضى رأى السلطان تقرر أربعة قضاة من كل مذهب قاض، وقرَّر القاضى تاج الدين ابن بنت الأعرش في قضاء قضاة الشافعية على حاله، وكتب لكلِّ منهم تقليدًا بذلك، ثمَّ خُصَّ قاضى القضاة الشافعية بالولاية في بلاد الريف دون غيره من القضاة الثلاثة، واستمرَّ الأمر على ذلك إلى الآن. إلا أنه لما حدثت بديوان الإنشاء تنوع ما يكتب لأرباب الأعلام إلى تقاليد، في قطع التئين، وتواقيع، وقطع النصف، فنزَّ الحال على أنَّ يكتب للقضاة الأربعة تواقيع في قطع النصف بـ«المجلس العالى»، ولم يز، الأمر على ذلك إلى أن ولى القاضى عماد الدين احمد الكرکى الأزرقى قضاء قضاة

الشافعية في أول سلطنة الظاهر « برقوق » الثانية ، وأخوه القاضي علاء الدين عليّ كاتب السرّ ، فعني بأخيه عماد الدين المذكور ، فكتب له تقليدا في قطع الثلثين «الجناب العالي » . وبقى الثلاثة على ما كانوا عليه من كتابة التواقيع إلى أن وليّ القاضي جمال الدين محمود الثاني القيسريّ المعروف بالعجمي رحمه الله قضاء الحنفية في الدولة الظاهرية أيضا ، مضافا إلى نظر الجيش ، فكتب له تقليد في قطع الثلثين بالجناب العالي أيضا ؛ وبقى المالكي والحنبلي على ما كانا عليه من كتابة التواقيع في قطع النصف . ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن وليّ قاضي القضاة جمال الدين يوسف البساطي قضاء قضاء المالكية في الدولة الناصرية «فرج بن الظاهر برقوق » فأنشأت له تفويضا وكتبت له به ، ولم يكن أحدهم حاصرا له كُتب له تفويض غيره . ثم لما وليّ الشيخ جمال الدين عبد الله الأقفسي قضاء المالكية ، كتب له توقيع في قطع النصف ، إلا أنه كُتب له «الجناب العالي » كما يكتب لأصحاب التقاليد ، وجرى الأمر فيمن بعده على ذلك . ولم يبق من هو على النمط الأول سوى قاضي القضاة الحنابلة ، ويوشك أن يكتب لكل من المالكي والحنبلي أيضا تقليد ؛ لمساواتهم بغيرهم من الأربعة . وقد ذكرت ما يكتب لهم من تقاليد وتواقيع هنا جمعا للفتري وتقريرا للآخذ .

وهنا أذكر ما يكتب للأربعة على الترتيب .

الأول (قضاء القضاة الشافعية)

وهذه نسخة تقليد قضاء القضاة الشافعية ، كُتب به لقاضي القضاة تاج الدين ابن بليّ الأعزّ رحمه الله ، حين أسنقر أحد القضاة الأربعة بعد انفراده بالوظيفة على ما تقدم ، وهي من إنشاء القاضي محي الدين بن عبد الظاهر رحمه الله تعالى ، وهي :

الحمد لله مجرد سيف الحق على من أعتدى، وموسع مجاله لمن راح إليه وأعتدى،
وموضح طريقه لمن أقتاد وأقتدى، ومزين سمائه بنجوم تستمد الأنوار من شمس
الهدى ؛ الذى أعذب لشرمة الشريعة المحمدية بنبؤا ، وأقامها أصلا مديمار
الرشد فروعا .

نحمده على نعمه التى ألزمتنا تشييد مبانيها شروعا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة تعمربها من القلوب والأفواه ربوفا . ونصلى على سيدنا محمد الذى
أرسله الله إلى الخلق جميعا ، وقام بعبه الأمر يصنع حسنا ويحسن صديقا ،
صلى الله عليه وعلى آله صلاة لا يرح برقها لمبوعا ، ولا ينكث وثرها بالتسليم مشفوعا .

وبعد، فإن أحق من جدد له شرف التقرىض، وخدد له إرضاء الأحكام وإمضاء
التفويض ، وریش جناحه وإن لم يكن الميهض ، وفسح مجاله وإن كان الطويل
العريض ، ورفيع قدره على الأقدار ، وتسممت من صحابه الأنواء ومن أشعته
الأنوار، من غزروا منه بقرت منه فى رايض الحق الأنهار، وضاد تخشع لتقواه القلوب
وتصبت لقوله الإجماع وترويحياه الأبصار؛ قد أوقد من إرشاده للأمة لطفًا فلفظًا،
وأوقد من علمه جذوة لاحتبو وقسا بالهوى لا يطفى، وفات النظراء والنظار فلا يرسل
أحد معه طرفا ولا يمد إليه من حياته طرفا، وأحتوى من علوم الشريعة على ما تفرق
فى غيره ، وضاد خير دليل إلى الحق فلا يقتدى فى المشكلات إلا برأى أجهاده
ولا يبتدى فى المذاهب إلا بسيره؛ وكان لتلك الشريعة المحمدية قطبا، ولجئائها
قلب ويسورها قلبا ؛ ولدليلها برهانا ، ولإنسانها عينا ولعينها إنسانا؛ فكم أرضى نبي
الأنام عن الأيام، وكم أغضى حياء مع قدرته على الانتقام ؛ وكم أمضى الله حكما
لا انفصال لعروته ولا انفصام ، وكم قضى بالجور فى ماله وبالعسل فى الأيتام ؛

فلو استعداه الليل على النهار لأنصفه من تعديه، ولم يداجه لما ستره عليه من تعديه في دياجيته، فهو الصادع بما أمر الله به ولو على نفسه، والمسترد الحقوق الذاهية من غير عناية حتى لفده من يومه وليومه من أمسه .

ولما كان قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ممن هو في أحسن هذه السمات قد تصور، وكادت نجوم السماء بأنواره تتكثر، وتجوهر بالعلوم فأصبح حقيقة هو التاج المجوهر، وله مزايا السؤدد التي لا يسلك فيها ولا يرتاب، وبجاي الفضل التي إذا دخل [إليه] غيره من باب واحد دخل هو إليه من عدة أبواب، وهو شجرة الأحكام، ومصدر كل الحكم، ومطلع أنجم شرائع الإسلام، ومهبط وحى المفسمات والإرثاسام، ومجتمع رفاق القضايا في الحلال والحرام - نخرج الأمر الشريف بتجديد هذا التقليد الشريف له بقضاء القضاة بالديار المصرية : فليستصحب من الحق ما هو ملياً باستصحابه، وليستمر على إقامة منار الحق الذي هو موثق عراه ومؤكده أسبابه، وليحتلب من أخلاف الإنصاف ما حقله اجتباؤه ليد احتلابه؛ عالماً بأن كل إضاءة أنارتها من قبسه، وإن استضاء بها في دياجي المنى، وكل ثمرة من مغترسه، وإن مد إليها يد الاجتناء، وكل جدول هو من بحر وإن بسط إليه راحة الاعتراف، وكل منتهج هو من جاذبه وإن فتح إلى سلوكه عنان الانصراف لا الإنحراف؛ وهو بحمد الله المجتهد المصيب، والمائدة للعناصر وإن كان نصيبه منها أوفر نصيب، وبجاياته يتعلم منها، كيف يوصى ويعلم، ومزاياه تقوم الأد، كيف تقوم، والله الموفق بمنه وكرمه !

الثاني - قاضي قضاة الحقيقة على ما استقر عليه الحال من لدن القاضي جمال الدين محمود القيصري وإلى آخر وقت . وموضوعها النظر في الأجكام

الشرعية على مذهب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه ، ويختص نظره بمصر والقاهرة خاصة .

وهذه نسخة تقليد بقضاء قضاة الحنفية كُتِبَ به لمن لقبه شمس الدين ، وهى :

الحمد لله الذى أطلع فى أفق الدين الحنيف شمساً منيرة ، ورقع درجة من جعله من العلم على شريعة ومن الحكم على بصيرة ؛ ولقد أمور الأئمة لمن يعلم أن بين يديه كتاباً لا يُفادر صغيرة ولا كبيرة ، ووفق لفصل القضاء من مثلى على قديم أقدم الأئمة فسار فى مذهبه المذهب أحسن سيرة ؛ الذى أذخر للحكم فى أيامنا الشرف من نفائس العلماء أفضل ذخيرة ، وقضى بإرجاء أمره لتختار له من تحلى به بعد العطل وكُل قضاء غيره ، وأيقظ عنايتنا لمن رقد الدهر عن فضله فباتت عين الاستحقاق باستقرار رتبته قديره .

نحمد حمد من توافقت إليه النعم القزيرة ، وتوالت عليه المنن الكثيرة فى المند البسيرة ، وأخصبت فى أيامه رياض الفضائل فهى بكل عالم عديم النظر نصيره ؛ وأفتح دولته برفع منار العدل فآمال أهل الظلم عن تعاطيه قاصرة وأيدى أهل الباطل عن الاستناد إليه قصيرة ، وخير المناصب فى ممالكه بالكفاة فإذا تلبست بها همهم فغيرم عادت خاصة أو آمنتت إليها أبصار من كونهم رجعت جسيمة .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُصلح العلق والسريرة ، وتُصيح بها القلوب موقنة والألسن ناطقة والأصابع مُشير ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى بعث الله به الرسل محيرة وأنزل الكتب بمبعته بشيرة ؛ وأجتهاه فى خيرات من أكرم أرومة وأشرف عشيرة ، وأظهر أنوار مائه إلا لمن أعمى النور بصيرته وهل ينفع العمى شمس الظهيرة ؛ وخصه بالأئمة الذين وفقهم الاستعانة بالصبر

والصلاة وأنها لكثيره، وجعل علماءهم ورثة الأنبياء فلو أدّيت لأحكامهم العصمة لكانت بذلك جديده ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تقترب بدوامها إلى الله فيضاعفها لنا أضعافاً كثيرة، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد، فإن أولى الأمور بأن تُشاد قواعده ، وتُعهد معاهدته ؛ ويُعلّ مناره ، وتُفاض بطلوع شمسه أنواره ؛ ويُعلّى به بعد العطل جديده ، ويُنظم في سلك عقود الأمة قريده ، وتُكلّ به قوى الدين تكملة الأجساد بقوى الطبايع الأربع ، وتُسمّر به ربوع الملة التي ليس بعدها من مصيف للملة ولا مربّع ، وتُثبت به قوائم الشرع التي ما للباطل في إمالة بعضها من مطمع ؛ ويُجلى به عن ضائق عليه التّجّال في بعض المذاهب الغمّة ، ويستقرّ به عدد الحكماء على عدد الأئمة المستقرّ على عدد الخلفاء الراشدين من خلفاء الأمة ؛ ويُمدّ به على الخلق جناح الرحمة وإفرا القواديم وإرف الظلال ، ويجمع به عليهم ما جمع الله في أقوال أئمتهم من الحق وما ذاك بعد الحق إلا الضلال ، - أمر القضاء على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت رضى الله عنه الذي أشقّ الله له من الملة الحنيفة نسبة سرت في الآفاق ، وأفاض عليه من مواد القياس الجلي كنوزاً تمت على الإنفاق ، وعضد أيامه بوليّ عهد قولهما حجة فيما تفردا به من الخلاف أو اجتمعا عليه من الوقاف ؛ وعدّ من التابعين لقدم عهده ، وسُمّي « سراج الأمة » لإضاءة نوره بهما من بعده .

ولما خلا بانتقال مباشره إلى الله تعالى ، توقّف مدّة على آرتياد الأكفّاء ، وآرتيائه من هو أهل الاصطفاء ؛ واختيار من تكلّ به رفعة قدره ، ويعيد لدسته بتصدّره على بساط سلياته بهجة صدره ؛ ويندو لير إمامه بعد إماته هذه الفترة باعناً ، ويُصبح وإن كان واحد عصره لأبي يوسف ثانيّاً ولمحمد بن الحسن ثالثاً ؛

وَيُسَبِّحُ بِهِ الْبَلَّخِيُّ زُهْدًا وَمِلًّا ، وَالطَّحَاوِيُّ تَسْكًا بِالسَّنَةِ وَفَهْمًا ؛ وَيَعْتَرِفُ الْقُدُورِيُّ
 مِنْ بَجْرِهِ ، وَيَعْتَرِفُ الْخَصْرِيُّ بِالْخَصَرِ عَنْ أَحْصَاءِ فَضْلِهِ وَخَصَرِهِ ؛ وَيَقِفُ مِنْ
 مَذْهَبِ ابْنِ ثَابِتٍ ، عَلَى اثْبَاتِ قَدَمٍ وَيَتَنَبَّأُ مِنْ قِسْمِ النُّعْمَانِ إِلَى فَرْعِ زَاكٍ وَأَصْلِ
 ثَابِتٍ ، وَيُنْشُرُ مِنْ أَحْكَامِهِ مَا إِنْ وَافَقَ الْأَثَمَةَ فَهُوَ حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ وَحُجَّةٌ سَاطِعَةٌ ؛
 أَوْ خَالِفُهُمْ بِمَذْهَبِهِ فَهُوَ رَحْمَةٌ وَاسِعَةٌ ، وَنِعْمَةٌ [و] إِنْ كَانَتْ بَيْنَ الطَّرِيقِ فَارَقَةً فَلِئَلَّا عَلَى
 الْحَقِّ جَامِعَةٌ .

وَلَمَّا كَانَ فَلَانٌ هُوَ الْمُنْتَظَرُ لِهَذِهِ الرِّبَةِ أَنْتَظَارَ الشَّمْسِ بَعْدَ الْغَسَقِ ، وَالْمُرْتَقِبُ
 لِبُلُوغِ هَذِهِ الْمَتَلَةِ الَّتِي تَهْتَمُّ إِلَيْهَا بِوَادِرٍ اسْتَحْقَاقُهُ فِي السَّيِّ ، وَالْمُطَوِّفُ عَلَى مَنْ
 وَصِفَ مِنَ الْأَثَمَةِ وَإِنْ تَأَخَّرَ عَنْ زَمَانِهِ عَطَفَ السَّيِّ ؛ وَهُوَ الَّذِي مَادَامَ يَمْدِدُ دَمَ
 الشَّهْدَاءِ مَدَادُ أَقْلَامِهِ ، وَتَضَعُ الْمَلَائِكَةُ أَجْزِئَتَهَا رَضًا بِمَا يَصْنَعُ مِنْ نَقْلِ خَطَوَاتِهِ
 فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَسَعَى أَقْدَامِهِ ؛ وَدَخَلَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي زُمرَةٍ مِنْ حُصَرٍ بِأَلْمَاءٍ^(١)
 وَهَجَرَ الْمُضَاجِعَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ لِتَحْصِيلِ الْعِلْمِ فَلَوْصُنَّتْ هَجْمَاتُهُ لِقَابًا ؛ وَهَجَرَ فِي إِحْرَازِ
 الْفَضَائِلِ قَيْدَ أَوَائِدِهَا ، وَأَحْرَزَ شَوَارِدَهَا ؛ وَجَلَّجَ فِي بِحَارِ الْمَعَانِي فَنَاصَ عَلَى
 جَوَاهِرِهَا ؛ وَنَظَرَ نَظْرَةً فِي مُجُومِ الْعُلُومِ فَاحْتَوَى عَلَى زُهْرِهَا وَرَادَ نَحَائِلِ الْفَضَائِلِ
 فَاسْتَوْلَى عَلَى أَزَاهِرِهَا ؛ وَأَتَمَّ إِلَى عِلْمٍ مُذْهِبٍ فَبَرَزَ عَلَى مَنْ سَلَفَ ، وَجَارَى عِلْمَاءَ
 عَصَرِهِ فَوْقَتْ أَبْصَارَهُمْ عَنْ رُؤْيَا غُبَارِهِ وَمَا وَقَفَ ، وَتَحَا نَحْوَ إِمَامِهِ فَلَوْ قَابَلَهُ
 بِعُقُوبٍ مَعَ مَعْرِفَتِهِ فِي بَحْثٍ لَا تَنْصَرَفُ ؛ وَتَعَيَّنَ عَلَيْهِ الْفَضَاءُ وَإِنْ كَانَ فَرَضَ كِفَايَةٍ
 لَا فَرَضَ حَيٍّ ، وَقَدَّمَهُ التَّرْجِيحُ الَّذِي جَعَلَ رُبُوبَتَهُ هِمَّةَ اسْتِفْهَامٍ وَرَبِّيَّةَ غَيْرِهِ بَيْنَ
 بَيْنَ - أَقْتَضَى رَأْيُنَا الشَّرِيفُ اخْتِصَاصَهُ بِهَذَا التَّمْيِيزِ ، وَالتَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِهِ الْبَسِيطِ بِهَذَا
 اللفظ الوجيز .

(١) يُرِيدُ الْإِشَارَةَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » .

فلذلك رُسم أن يفوض إليه كيت وكيت . فليتولى هذه الرتبة التي أصبح فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نائباً وبشْرعه قائماً ، ويتقلدها تقلد من يعلم أنه قد أصبح على حكم الله مُقلداً وطى الله قايماً ، ويتثبت تثبت من يعتصم بالله في حكمه فإن أحد المتخصمين قد يكون الحنَّ بحجته وإن كان ظالماً ، وليتس لهذا المتصيب حُلة تمنع المبتطل من الإقدام عليه ، وتدفع الظالم عن التناول إلى أمر تزع الشرع من يديه ، وتؤمن الحق من أمداد يدي الجور والحيف إليه ؛ وليسوين المتخصمين في مجلسه ولحظه ، ويسدِل بينهما في انصافه ولفظه ، ليعلم ذو الجاه أنه مساوٍ في الحق لخصمه ، مكفوف باستماع حجته عن الطمع في ظلمه ؛ ولا ينقض حكماً لم يخالف نصاً ولا سنة ولا إجماعاً ، وليشارك فيما لا يحمله من القضايا غيره من العلماء ليتربّد بذلك مع اطلاعهم اطلاعا ، وليغنم في ذلك الاستعانة بأرائهم فإن الله تعالى لا يترع هذا العلم ابتزاعاً ؛ وليسد مسالك الهوى عن فكره ، ويصرف دواعي الغضب لغير الله عن المروءة بذكره^(١) ؛ وليجعل العمل لوجه الله نتيجة علمه ، وليحكم بما أراه الله (واقه يحكم لا معقب لحكمه) ؛ إن شاء الله تعالى .

الثالث - قاضى قضاة المالكية :

وهذه نسخة تقليد بقضاء قضاة المالكية ، لقاضى القضاة جمال الدين يوسف الإساطي المُقَسَّم ذكره ، في العشر الأخير من رجب الفرد سنة أربع وثمانمائة ، وهو :

الحمد لله الذى شفع جلال الإسلام بجماله ، وناط أحكامه الشرعية بمن أقرن بحميد مقاله جميل فماله ، وخص مذهب عالم المدينة بنجر حاكم ما جرى حديثه

(١) الذكر والذكر أى بالضم والكسر المذكور .

الحسن يوماً إلا وكان معنوداً من ربِّه ، وعلّق النظر في أحكامه بأجلِّ عالم
لو طُلب له في الفضل مثل لجزء الزمان أن يأتي بمثاله .

نجدُه على أن أخلف من النعمة الزكية صتوا زايكا ، وأدال من الأبخ الصالح أخابا
للعلوم شافيا ، ولتصبه العليّ ولله الحمد وإفيا . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له بمجود سيف الحق على كل مبطل معاند ، ومرهف حده الفاضل
لكل ملحد عن سواء السبيل حائد ؛ وأن سيدنا محمداً عبده ورسوله أفضل نبي فاق
الأنام بفضلِه وصم البرية ببدله ، وسد باب التوبة على متنقصة فلم تكن لتقبل توبه
مثله ، وكان إلى مالك مصيره فلا حرم قضى بإهدار دمه وتحتم قتله ؛ صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه الذين ذبوا عن حمى الدين وذادوا ، وسلكوا سبيل الملة إذ حكموا
فأصلوا عن سنن الطريق ولا سادوا ؛ صلاة تبقى بقاء الدهور ، ولا تروى
بهجة جمالها بتوالى الأعوام والشهور ، وسلم تسلياً كثيراً .

أما بعد ، فإن أولى ما قصر عليه النظر ، وأسفرقت فيه الفكر وعرا العيون فيه
السهر ؛ وصرفت إليه الهمم ، ورغبت في البراءة من تخلفه الذم - النظر في أمر
منصب الشرع الشريف الذى يأوى الملهوف إلى ظله ، ويلجأ المستجير إلى عدله ،
ويتعلق العفاة بوثيق عروته ومبين حبله ؛ وبرهته يكف الظالم عن ظلمه ،
ويتصف الخضم من خصمه ، ويذعن العاصى إلى طاعته ويتفاد الأي إلى
حكمه ، وأنتم به الحائر في دجى الجهل فيستضيئ بثورته ويتدى بنجمه ؛ لاسيما
مذهب مالك الذى لم يزل للدين من أهل الإلحاد مثيراً ، وللقصاص من أهل العناد
مبتدراً ، وبسل سيف الحق على الطغاة اشمزدين مشتهراً ؛ ففاز من سطوات
الإرهاب بأرفع المراتب ، وعلا رقاب المؤمنين بأرفع القواضب ، وخص من

سَفَكَ دِمَاءَ الْمُظْلِمِينَ عَلَى الْبَيْتِ بِمَا لَمْ يَشَارِكْهُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنَ الْمَذَاهِبِ ؛ فَوَجَبَ أَنْ يُخْتَارَ لَهُ مِنْ بَيْنِ الْأَخْتِبَارِ عَلَى أَنَّهُ أَهْلٌ لِلْإِخْتِيَارِ ، وَيَقْطَعُ الْمُنَافِسُ أَنَّهُ الرَّائِجُ وَزَنَا عِنْدَ الْأَعْتِبَارِ ، وَتَأْخُذُ مَنَاقِبُهُ الْبَسِيطَةَ فِي الْبَسْطِ فَلَا تَتَفَدُّ إِذَا تَقَلَّتْ مَنَاقِبُ غَيْرِهِ الْمُرَكَّبَةُ عِنْدَ الْإِخْتِصَارِ ؛ وَيَشْهَدُ لَهُ ضِدُّهُ بِالْتَّقَدُّمِ فِي الْفَضْلِ وَإِنْ لَمْ يَتَقَدَّمْ مِنْهُ دَعْوَى ، وَيَعْتَرَفُ لَهُ بِالْأَسْتَحْقَاقِ خَصْمُهُ فَيَتَمَسَّكُ مِنْ عِلْمِ الدَّائِعِ فِيهِ بِالسَّبَبِ الْأَقْوَى ، وَيَحْكُمُ لَهُ بِمِلْوِ الرُّبْعَةِ مُنَاوَرُهُ فَيَرْتَضِعُ الْخِلَافُ وَتَقْطَعُ الدَّعْوَى ، وَيَسْجُلُ لَهُ حَاسِدُهُ بِبُيُوتِ الْمَفَاحِرِ الْمَحْكُومِ بِصَحَّتِهَا فَلَا يَنْقُضُهَا حَاكِمٌ وَإِنْ بَلَغَ مِنْ تَدْقِيقِ النَّظَرِ الْغَايَةَ الْقُصْوَى ؛ وَتَتَفَذُّ أَحْكَامُهُ فِي الْبَرِيَّةِ فَلَا يُوجَدُ لَهَا مُخَالِفٌ ، وَتَعْتَدِرُ شَيْمَةُ الْبَاطِلِ سَطَوْتَهُ فَلَا يَرَى لِبَاطِلِ مُخَالِفٍ ، وَيَشْتَبِرُ عَنْهُ مِنْ نُصْرَةِ الْحَقِّ مَا يَأْتِي مَعَهُ الْمُسْتَضْمَفُ الْخَائِفُ ، وَيَتَحَقَّقُ فِيهِ مِنْ قِيَامِ الْعَدْلِ مَا يَرْتَدِعُ بِهِ الظَّالِمُ الْخَائِفُ ؛ وَيَسْتَوِي عِنْدَهُ فِي لُزُومِ الْحَقِّ الْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ ؛ وَلَا يُفَرِّقُ فِي لَازِمِهِ بَيْنَ الْمَشْرُوفِ وَالشَّرِيفِ ؛ وَلَا يُمَيِّزُ فِي حَمْلِ الْأَعْيَاءِ الشَّرِيعَةِ بَيْنَ الشَّاقِّ وَغَيْرِهِ وَلَا بَيْنَ التَّقِيلِ وَالْخَفِيفِ ؛ وَلَا يُجَاهِي قَرِيبًا لِقَرَابَتِهِ ، وَلَا جَلِيلًا لْجَلَالَتِهِ ، وَلَا ظَالِمًا خَوْفَ ظَلَمِهِ وَلَا ذَا أَسْطَالَةٍ لِأَسْطَالَتِهِ ، وَلَا يَسْتَرِلُهُ ذَوْلَسَنُ لِسَانِهِ وَلَا بُلُغُ لِبَلَاغَتِهِ ، وَلَا يُخَالِفُ بَيْنَ الصَّدِيقِ الْمَلَاطِفِ وَغَيْرِهِ إِلَّا فِي مَنَعَ قَبُولِ شَهَادَتِهِ .

وَلَمَّا كَانَ الْمَجْلِسُ الْعَالِي الْقَاضِيَّ ، الْكَبِيرِي ، الْإِمَامِي ، الْعَالِي ، الصَّدْرِي ، الرَّئِيسِي ، الْأَوْحَدِي ، الْعَلَامِي ، الْكَامِلِي ، الْفَاضِلِي ، الْمُقْبَدِي ، الْقَرِيدِي ، الْمُجْتَبَى ، الْقُدْوِي ، الْخَالِصِي ، النَّاسِكِي ، الْحَاكِمِي ، الْجَمَالِي ، بِجَمَالِ الْإِسْلَامِ ، شَرَفِ الْأَنْامِ ، حَاكِمُ الْحُكَامِ ، أَوْحَدُ الْأَتِمَّةِ ، مُفِيدُ الْأَتَمَّةِ ؛ مُؤَيِّدُ الْمِلَّةِ ، مُعِزُّ السُّنَّةِ ؛ شَمْسُ الشَّرِيعَةِ .

سَيِّفُ الْمَنَاطِرِينَ ، لِسَانُ الْمُتَكَلِّمِينَ ، حَكَمُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، خَالِصَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،

أبو الحسن «يوسف البساطى» المالكى - أدام الله تعالى نعمته - هو المراد من هذه الصفات، التى وقعت من محله الكريم موقعها، والمقصود من هذه السمات، التى ألفت من سيرته الفاضلة موضعها؛ وقارع صفة هذه الذروة التى ما كان ينبغى لغيره أن يقارعها؛ وشمس الفضل الحقيقى بمثلها أن لا يتوارى جلالها بحجاب الغروب، وفاصل مشكلات القضايا إذا اشتد إشكالها وعظمت فى فضلها الخطوب، ومتعين الولاية التى إذا كانت فى حق غيره على الإباحة كانت فى حقه على الوجوب؛ وقد درّب الأحكام وخبرها، وعرف على التحقيق حالها وخبرها، وورد من مشاربها الرائقة أصغى المناهل فأحسن وردّها وصنّدها؛ ونفست جواهر فوائده ففاقت جواهر المعادن، وغطت محاسن فضله فضائل غيره ولا تشكر المحاسن «يوسف» وهو «أبو الحسن»، فعلومه المدونة بالبيان والتحصيل كافله، ومقدمات تنبيهاته بنتائج النواذر الحسنة متواصله؛ وتهذيب ألفاظه المنقحة تؤدّن بالتحريز، وعيون مسائله المتواردة لا تتخلّ تحت حصر ولا تقدير؛ فلوراه «مالك» لقال: ما أعظم هذه المهمة، أو أدركه «أبْنُ القاسم» لو قرّ من الثناء عليه قسمه، أو عاصره «أبْنُ عبدالحكم» لحكم له بأنّ سهمه قد أصاب القرض وغيره أطاش الرمح سهمه؛ أو طينه «أشهب» لقال قد ركب هذا الثعبان أى يلحق، أو سمع «أبْنُ وهب» كلامه لقطع بأنه هبة ربّانية ويمثله لم يسبق؛ أو بلغ «أبْنُ حبيب» خبره لأحب لقاءه، أو بصّره «مُحنون» لتحقيق أنه عالم المنهّب ما وراءه؛ أو استشعر بقدمه «أبْنُ سيرين» لبشّره، أو جاوره «أبْنُ عوف» لصال مجاورة غيره أو مجاورة طنّيه؛ أو جالس «أبْنُ يونس» لتأنس بمجالسته، أو حاضره «أبو الحسين بن القصّار» لأشجى قلبه بحسن محاضرتة؛ أو جاوره «القاضى عبد الوهاب» لقضى بعلو مكانته، أو اتصل ذكره «بالمسازى» لرزى على «مازَرَ» لبئرها عن دار إقامته؛ أو أطلع

«القاضي عياض» على تحقيقاته لاستحسن تلك المدارك، أو ناظره «ابن عبد السلام»
 لسلّم أنه ليس له في المناظرة نظير ولا في تدقيق البحث مُشارك؛ أو مرّ به
 «ابن الجلاب» بلّج فوائده إلى بلاده، أو حضّره «ابن الحاجب» لتحقق أنه
 جامع الأمّهات على أقراده .

هذا وقد حُفّ بجلال لا عهد لأحد بمثله ، ولا طاقة لفاضل بمقاومة فضله ،
 ولا يَسَمَح الزمان بنظيره من بعده كما لم يَسَمَح به من قبله ؛ فاجتمع من بَجال الجلال ،
 وجلال الجمال ، ما لم يكن ليدخل تحت الإسكان ، وعُزّز عددُها من أعلام الأئمة
 بثالث ورابع فقام بناء الدين من المذاهب الأربعة على أربعة أركان ؛ ولا عِرة
 بما يذهب إليه الذاهبون من كراهة الترتيب تبعا للتجّمين في أعتقادهم الفاسد ، فقد
 ورد أن زوايا الخوض على الترتيب وذلك فيه أعظم دليل وأقوم شاهد .

وكان مُنْهَب مالك رحمه الله هو المراد من هذه الولاية بالتخصيص ،
 والمجلس الجَمَلِيّ المشار إليه هو المقصود بهذا التفويض بالتخصيص - أقضى حسنُ
 الرأي الشريف أن نُوفّي مرتبته السنية حقّها ، ونُبويّ النعم مستحقّها ، ونملك رقاب
 المعالي مسترقّها ، ونقدّم على طائفة المالكية من أعضا لم بجمالا ، ونُخفّهم بمن
 أمسى لِعِزهم كالا ، ونفوّض قضاء منّهم إلى من إذا جرى في ميدان حُكْمه قالت
 محاسن قضايها : (هكنا هكنا وإلا قلا) . وتُسند الأحكام الشرعية إلى من هو
 بها أعرف ، ونفّحها على من عُرف أنه على الحقائق ماض وعند السنة يتوقف ،
 ونُفدق أمرها بمن إلف الزاهة فنكرة المطامع عنده لا تنعرف ؛ وبكل النظر فيها
 إلى من أمسى لشروط الاستيجاب جامعا ، وتُتم في ولاية هذا المنصب من شفع
 له استحقاقه وكفى بالاستحقاق شافعا .

فذلك رُسم بالأمر الشريف - لازال يَسُطُّ لأوليائه من سِباط الأُنس ما كان مَطْوِيًّا ، ويُبلِغهم من رِغائب الآمل ما كان عنهم فى سالف الأزمان مَرْوِيًّا -
 أن يَفُوضَ إليه قضاءَ قُضاةِ مذهبِ عالمِ المدينة ، وإمام دارِ الهجرة ، مالك بن أنس
 الأصمَجى : قدس الله تعالى رُوحَه . فليتلَقَّ ما فُوضَ إليه بأفضل تلقٍّ يليقُ بمِثلِه ،
 ويتقبَّلَه تقبُّلاً يناسب رِفعةَ محلِّه ، ويتنهَّجَ أجَلَ تفويض لم يُسَمَحَ بمِثْلِه لآخر
 من قبَلِه .

ومن أهمِّ ما فُوضَ به ، ونوَّجَه القولُ إليه بسببِه ، تقوى الله تعالى التى هى ملاك
 الأمر كُلِّه ، وقوام الدين من أصلِه ؛ والاشتغالُ عليها فى سِرِّه وجهره والعملُ بها
 فى قوله وفعلِه ، هم رُ الخلق والإحسانُ إليهم ، والتجاوُزُ عنهم إلا فيما أوجبه الشرعُ
 من الحقوق عليهم ؛ ففى التقوى رضا الله وفى الرِّضا الخلقُ ونَاهيكُ بجمعهما
 من رُتبةِ فائزِه ، إذ لا شكَّ أنَّ من حصَّل رضا الله ورضا الخلق فقد حصَّل على
 خير الدنيا والآخرة ؛ ووراءَ ذلك قاعدةٌ فى الوصايا جامعُه ، وتذكُّرُ لذوى الذِّكرِ
 نافعُه ، وهى أن يتأمَّلَ أحوالَ غيره تأمُّلَ من جعلها لنفسه مثلاً ، ولنسجِه مِنوالاً ؛
 فاستحسنه منها أُنًى مثله ، وما استقبجه تجنَّبَ فصلَه ؛ وافقاً فى ذلك عند
 ما وردت به الشريعة المطهرة بنص صريح أو تأويل صحيح ، مُعرضاً عن العقليات
 المحضة فلا مجالَ للمقلِّ فى تحسين ولا تقييح .

وأما آدبُ القضاءِ الجارى ذكرُ مثله فى المُهود ، والنظرُ فى أمرِ الثَّوابِ وكُتابِ
 الحكم والثَّبرود ؛ فهو به أدربُ وأدرى ، وبمعونة ذلك لم وعليهم أحقُّ وأحرى ؛
 غيرَ أنَّا نُوصيه بالتثبت فى أمرِ الدِّماءِ وعَلاقِيتِها ، وتحقيقِ حكمِها قبلَ الحكمِ بِإِراتِها ؛
 فإنَّ ذلك لِمادةِ القَلقِ فيها أحسم ، ومن تَبعاتِها فى الدارين أسلم ، والوصايا كثيرةٌ

ولكنها منه تُستفاد، وعنه تؤخذ وإليه تُعاد؛ والله تعالى يتولاه، ويحوطه فيما
ولاه، ويُديم عليه هذه النعمة فما فوق منصبه منصبٌ يتناهى، والاعتناء
إن شاء الله تعالى .

وكتب لست إن يقين من شهر رجب الفرد عام أربع وثمانمائة، حسب
المرسوم الشريف، بمقتضى الخط الشريف .



وهذه نسخة توقيع بقضاء القضاة الحنفية بدمشق، من إنشاء القاضي ناصر الدين
أبن النشائي، وهي :

الحمد لله الذى جعل مَنارَ الشرع مستمراً على الدوام، وشَمَلَ منصب
الحكم العزيز للعالم بعد العالم على تَمَرِ الأيام؛ وأَجَلَ انتخاب من يقوم بأعباء القضايا،
ومن تَدوم به مَزايا السَّبايا، فيتخيرُ لذلك الإمام بعد الإمام؛ وأقبل بوجه أجتبايه
على ولئ تنأكد بإنصافه وإنصافه إحكام الأحكام، وعدل باعتناؤه إلى تعيين من
ترفع به فى العلوم أعلام الإعلام، ومن يتأيّد به الحق فى كل نقىض وإبرام .

نحمده على نعمه الوافرة الأقسام، السافرة [اللسان] عن وجوه الزيادة الوسام،
ونشكره على منته الحسام، ومواهبه التى لا تَبْرَحُ تُنَوِّدُ إحسانها لنوى المستحقاق
واحة الإيتسام .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة كفيلاً بالمرام، مُبَيِّلاً للإكرام،
جميلة التلطف والإيتنام، جزيلة الكنف والإعتصام؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله
الذى أقام الله به شعار الإسلام، وأظهر شرائع الدين الحنيف بحُسام نصره الحسام،

(١) أى إلى آخر ما يكتب فى مثله، وهذه من باب الاختصار .

وأوردت من أهله من أئمة كُنُوز العلوم التى لا تفسد فوائدها مع كثرة الإنفاق مدى السنين والأعوام، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هدوا المؤمنين بإلهام الكلام، وعدوا على المشركين بسهام الكلام، وأبدوا من إرشادهم إلى خفايا القضايا ما يظهر بهتديهم ظهور بدر النمام، صلاة دائمة باقية تمجزل لقائلها الأجر التام، وترسل إليه صحائب المواهب هائلة القام، وسلم تسليلا كثيرا .

وبعد، فإن أولى من تذهب به مذهبه، وتحل به محل الشرع الشريف ومنصبه، وأثار بنور إرشاده ليل الشك وغيبه، وسهل بتقريبه على فهم الطالب مطلبه، وهى به وإيل العلم وصيه، وأتبع به لاستيفاد كثر الفوائد التى يدنو بها أربه، وشيم من برق شيمه بالشام ما وجد فى الجود صادق وقصد حله - من علا فى العلوم نسبه، وتأكد فى الدين سببه، وشيد منبى المآلى مبره، وصقل مرآيا الإنفهام مهذب، وزاحم منكب الجوزاء فى ارتفاع القدر منكب، وجعل مواكب المباحث فى الأصول والفرع موكبه، وصحت بدقائق الحقائق محبه، وأشتاق إلى قربه موطن الحكم العزيز لما زال يرتقبه، وأرتاح الزمان إلى عفاقه وانصافه فارشد حيث تختاره لذلك ونتيجته .

(١) ولما كان المجلس العالى ... (١) ... أيد الله أحكامه هو الذى أرشد الطالبين فى البدايه، وأفاد المتبين درجات النهايه، وأفهم المستفيدين صواب الهدايه، وغدا سابقا [فى] حله العلماء إلى أقصى غايه . ثم قرب إلى الأذهان غامض المشكل وأوضح مفهومه، وتم أشاع فرائد فوائده التى طبقت الأرض بها علومه، وتم أباح لقطه ألفاظه المشحونه بالحكم فتحلى الناس بدورها المنثوره والمنظومه، مع ماله من دين

(١) ياض بالأصل مترك لتلكه الألقاب المعروفة كالأميرى الكبيرى الخ .

(٢) فى المصباح ماضه : "والبدايه بالياء مكان الهمز طوى" نص عليه ابن برى رحمه الله .

متين ، وأستحقاق للتقدم مئين ، وصلاحي يبلغ به درجات المتقين المرتقين ، وأتباع
لسن الحق في الحكم بين الخلق عن يقين - أقتضى حسن الرأي الشريف أن يُقرن
منصب القضاء بحاله ، وأن يُعوض عن إمامه المفقود بإمامه الموجود ليستمر
الأمر على حاله .

. فلذلك رُعم ... - لا زالت أئمة العلم الشريف في أيامه يختلف بعضهم بعضا ،
وأقدارهم تدوم رفعتها مدى المدة فلا تجد نقصا ولا تقصا - أن يُعوض ... (١)
فليأشرك ذلك بعلمه المأثور، وحُكمه المشهور، وإنصافه الذي يعُدُّ فيه ، وأنصافه
بالحق الذي ما يرحُّ يوفيه ؛ قاضيا بين الخصوم بما أمر الله عز وجل ، مرافقا
لخشية الله على عادته ، مُذيعا للألَّة الحنيفية أنواع إفادته ؛ قاطعا بنصل نصبه مُشكِّل
الإلباس ، جامعا في أحكامه المستدعة بمقتضى مذهبه بين الكتاب والسنة والقياس .
والوصايا كثيرة وملاكمها التقوى وهي مادته ، وطريقه المستقيم وجادته ؛ وما زالت
عُمدته التي يعمد عليها ، وعدته التي يستند في إسناد أمره إليها ؛ والله تعالى يجهل
الأيام بأحكامه ، ويبلغه من خير الدنيا والآخرة غاية مُرادِه ومَرامِه ؛ إن شاء الله
تعالى .



وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة المالكية أيضا، أنشأته لقاضي القضاة جمال الدين
البساطي المذكور عند عودِه إلى الوظيفة ، لأربع بقين من ذى القعدة مسنة
سبع وثمانمائة . وقد وافق عودُه عودَ شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن البُيِّنِي
إلى قضاء قضاة الشافعية أيضا ، وهي :

(١) ياض في الأصل والمراد واضح مما تقدم .

الحمد لله الذى أعاد لرتبة القضاء رَوْقَ «بَحَالِهَا» وأسعدَ جَدَّهَا بأسعدِ قرآنٍ
 ظهرت آثارُ مَنِّهِ بما آثرته من ظهور «جَلَالِهَا»، وأجاب سُؤْلَهَا بأجلِّ حاكمٍ
 لم تعدل عنه يوما فى سُؤْلِهَا ، وأسعدَ طَلِبَتَهَا بأكلِ كُفٍّ لم تنفك عن خطبته وإن
 أطال فى مطالِهَا ، وأكرم مآبَهَا بأكرمِ كافي ما فاتها منالٍ ماضٍ إلا أدرَكته به
 فى مآكِهَا .

نحمده على أن أعطيت القوسَ بارِئها ، وأعيدت مياه الاستحقاق إلى مجاريها ،
 ورُدَّتِ الشاردة إلى مالكٍ أَلَمَّتْ منه بالآخرة ما أَلَمَّتْ من خيره فى مباديها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يتحقق بالإخلاص منأطعها ،
 ويزداد مع طول الأمد تنأطعها ، ولا ينكوى على تمر الأيام - إن شاء الله تعالى -
 بسأطعها . ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أفضل نبي رَفَعَ قواعد الدين وشاد ،
 وقام فى الله حق القيام فحسم بسيف الشرع مادة الفساد ، وأحكم بسدِّ الدَّرَائِعِ
 سدادَ الأمور فجرت أحكامُ شريعته المطهرة على السداد ؛ صلى الله عليه وعلى آله
 وصحبه الذين استلشق من معدنهم أطيبُ عَرَفٍ ، وخُصُّوا من صفات الكمال بأحسن
 حِلْيَةٍ وأكل وَصَفٍ ؛ صلاةٌ تُوهِى عُرَا الإلحاد ، وتَقْصِمُهَا ، وتُبْكُ أعناق أهل
 العناد ، وتَقْصِمُهَا ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فلاحقَاء فى أن الأبصار متشوّف لرؤية الهلال مع قُرب الغيبة للأخذ منه
 بنصيبها ، والشَّمْسُ يَرْقُبُ طلوعها فى كلِّ يومٍ وإن قُربَ زمانٍ مَئِينِهَا ، والمسافر
 يُسرِّبُ يابه وإن تكرر قدومه من بعيد المسافة وقَرِيبِهَا ، والسَّهْرَانُ يتطلع من ليلته
 الطويلة إلى طلوع بقرها ، والمناصب السليّة تارِزُ إلى مستحقِّها كما تارِزُ الحية
 إلى بُحْرِهَا .

ولما كان المجلس العالى ، القاضى ، (إلى آخر القاب) أعز الله تعالى أحكامه هو الذى جُدت فى القضاء آثاره ، وسارت بحسن السيرة فى الاتفاق أخباره ، وحسن بحسن تأتية فى الورد والصدور إرادته وإصداره ؛ وثاقس فى جميل وصفه الطرس والقلم ، وظهرت فضائله (ظهور نار القرى ليلا على علم) ؛ ونشرت الأيام من علومه ما تطوى إليه المراحل ، وجادت مواطير فكره بما يحضب به جناب المريع الساحل ؛ وعمرت من منصب القضاء بولايته معاهدته ، وجرت بقضايا الخير إلى البدء والعود عوائده ؛ ونفذت بتفاد أوامره فى الوجود أحكامه ، ورقيت فى مهائف الأيام على توالى الدهور نقضه وإبرامه ؛ وسجل بدوت أحقيته فانقطعت دون بلوغ شأوه الأطماع ، وحكم بموجب فضله فانهقد على صحة هدمه الإجماع ؛ ففرائد نوائمه المدونة تؤذن بالبيان والتحصيل ، ومقدمات تنبيهاته المحققة ، تكفى نتائج إفصالها عن الإجمال والتفصيل ؛ وجواهر الفاظه الراقية ، نعم الذخيرة التى تفتنى ، ومدارك معانيه الفائقة ، حسبك من ثمرة فكر مجتنب ؛ وتهذيب إراداته الواضحة تفتنى فى إدراكها عن الوسائل ، وتحقيق مسائله الدقيقة محقق فيها أنها عيون المسائل - وكانت وظيفة قضاء قضاة المالكية بالديار المصرية فى رفيع رتبها ، وإفراح رتبها ، قد ألقت إليه مقاليدها ، ورفعت بالإنهاء إلى مجلسه تعالى أسانيدها ، وعمرت عمله الرفيع فتعلقت منه بأعز منال ، وحظيت بجماله اليوسفى المرة بعد الأخرى فثالث : لا أبرح لى عن هذا الجمال ؛ وعممت بتكرار العود عوده فأعرضت عن السوى ، وقررت بالإياب إليه عيتا « فألقت عصاها وأستقر بها النوى » - أقتضى حسن الرأى الشريف أن نعيد الوظيفة المذكورة إليه ، ونقول فى استكشاف مشكلات الأحكام على ما لديه ، إقرارا للأمر فى نصابه ، وردا له بعد الشراء إلى منابه ، وإسمافا للنصب بطلته وإن أتى غير نفسه فى طلايه .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال يُبدى المعروف ويُعيد ، ويُقر نصيب الأولياء ويُريده - أن يفوض إلى المجلس العالى المشار إليه قضاء القضاة بمذهب عالم المدينة وإمام دار الهجرة «مالك بن أنس الأصبحي» رضى الله عنه ، على جارى عادته المتقدمة فى ذلك . وأن يُضاف إليه تدريس قبة الصالح والأنظار الشاهد بها توقيعه الشريف ، وأن لا يقرر أحدٌ فى دروس المالكية من مدرّس ومُعيد إلا بتعيينه ، على أتم العوائد وأجملها ، وأتم القواعد وأكملها .

فليُعد إلى رُتبته السليّة برفع قدره وعلى هِمته ، ويقابل إحساننا بالشكر نُصفه بمزيد الإقبال إذ لا زيادة فى العلو على رُتبته . ثم أول ما نُوصيه به ، ونؤكد القول عليه بسببه ، هوئى الله التى هى ممالك الأمور كلها ، وأولى المقترحات فى عقد الأمور ومعلمها ، فهى العِصمة التى من لجأ إليها نجاة ، والوقاية التى ليس لمن حاد عنها من حقائق قوارع الله مُلتجأ . ونُتبع ذلك باللوج إلى الإحتياط فى المسائل التى تتوزد بها منجبه الشريف ضيقا وسعة ، وأختص بها إمامه الأصبحي دون غيره من الأئمة الأربعة ، وهى مسائل قليلة ، آثارها فى الورى كثيرة جليله ، منها سفك دم المتقّص والسائب ، ونحو قتل على البت وإن تاب ، فعليه أن يأخذ فى ذلك بالإهتمام ، ولا يعطى رُخصة فى حق أحد من الأتباء والملائكة عليهم السلام ، ليكون ذلك وسيلة إلى الخلوص عن القذى ، وذريعة إلى سلامة الشرف الرفيع من الأذى ، إلا أن نُوصيه بالتثبت فى الثبوت ، وأن لا يعجل بالحكم بإزاحة الدم فإنه لا يمكن تداركه بعد أن يقوت . ومنها : الشهادة على الخط وإحياء مامات من كُتب الأوقاف والأملاك ، وتقریب ماسط فلا يقبل فيه إلا البقظ الواقف مع تحقّقه دون حائسه ، ولا يطلق عنان الشهود فإن الكاتب ربما أشتبّه عليه خط

فَقَسِه - ومنها : ثُبُوتُ الولاية للأوصياء، فيُجْرِيها على اعتقاده، ولكن إذا ظهرت المصلحة في ذلك على وفق مراهده - ومنها : إسقاطُ غَلَّةِ الوقف إذا استُرِدَّ بعد بيعه مدة بقاءه في يد المشتري، تحذيرا من الإقدام على بيع الوقف وعقوبة رادعة لبايعه المجترى . إلى غير ذلك من مسائل الأفراد، وما شاركه فيه غيره من المذاهب لموافقة الاعتقاد، فيُمنحى الحكم فيه بأقوى العزائم، ويُزَم فيها بما استبان له من الحق ولا تأخذه في الله لومة لائم .

وأما غير ذلك من الوصايا الراجعة إلى آدب القضاء فلديه منها الخبر والخبر، ومنه تُستَملى فوصيته بها كقتل الثمر إلى حجر، والله تعالى يعامله بلطفه الجميل، ويحفظه بالعباية الشاملة في المقام والرجل؛ إن شاء الله تعالى؛ والاعتماد



وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة الحنابلة، وهي :

الحمد لله الذي أطلع في أفق الدين القيم شمساً منيرة، ورفع درجة من جملة من العلم على شريعة ومن الحكم على بصيرة، وقلد أمور الأئمة من يعلم أن بين يديه كتابا لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة، ووفق لفصل القضاء من مشى على قدم إمامه الذي أَدَّخَر منه الحكم في أمانا الشريفة من تهاوس العلماء أفضّل ذخيره، وقضى بإرجاء أمره لاختار له من تحلّى به بعد العطل وكل قضاء خيره، وأيقظ عايتنا لمن قد انهر عن فضله فباتت عين الاستحقاق باستقرار رتبته قديره .

محمد حمد من توافّت إليه التّم الغزيرة، وتوالّت عليه المنّ الكثيرة في المكدّ اليسير، وأخصبت في أيامه رياض الفضائل فهي بكل عالم عديم النظر نصيره،

وَأَتَتْحَ دَوْلَتَهُ بَرَفِ مَنَارِ الْعَدْلِ قَامَالُ أَهْلِ الظُّلَمِ عَنْ تَعَاطِيهِ قَاصِرَةٌ وَأَيْدَى أَهْلِ الْبَاطِلِ
عَنِ الْإِمْتِنَادِ إِلَيْهِ قَصِيرَةٌ ، وَخَصَّ الْمُنَاصِبَ فِي مَمَالِكِهِ بِالْأَكْثَنَاءِ فَإِذَا تَلَبَّسَتْ بِهَا
هَيْمٌ غَيْرُهُمْ عَادَتْ خَاسِئَةٌ أَوْ أَمْتَلَتْ إِلَيْهَا أَبْصَارُ مَنْ دُونَهُمْ رَجَعَتْ حَسِيرَةٌ .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةٌ تُصْلِحُ الْعَلَنَ وَالسِّرَّيْنِ ،
وَتُصْبِحُ بِهَا الْقُلُوبُ مُوقِنَةً وَالْأَلْسُنُ نَاطِقَةً وَالْأَصْبَاحُ مُشِيرَةً . وَنَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ الرِّسَالَ خَيْرَةً وَأَنْزَلَ الْكِتَابَ بِمَجْمَعَتِهِ بَشِيرَةً ، وَأَجَبَاهُ فِي خَيْرِ
أَمْنَةٍ مِنْ أَكْرَمِ أَرْوَمِيَّةٍ وَأَشْرَفِ عَشِيرَةٍ ، وَأَنْظَرَهُ أَنْوَارَ مِلَّتِهِ إِلَّا مَنْ أَعْمَى النَّيُّ بِصَبْرَتِهِ
وَهَلْ تَنْفَحُ الْعُمَى شَمْسُ الظُّلُمِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَوَجَّهَهُ صَلَاةً تَتَقَرَّبُ
بِدَوَامِهَا إِلَى اللَّهِ فَيُضَاعِفُهَا لَنَا أَضْعَافًا كَثِيرَةً ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَوَّلَى الْأُمُورِ بَانَ مُشَادَ قَوَاعِدُهُ ، وَتُسْتَهْدُ مَعَاهِدُهُ ، وَيُعْلَى مَنَارُهُ ،
وَيُقَاضَى بَطْلُوعُ شَمْسِهِ أَنْوَارُهُ ، وَتُكْمَلُ بِهِ قُوَى الدِّينِ تَكْمَلَةُ الْأَجْسَادِ بِقُوَى الطَّبَاعِ
الْأَرْبَعِ ، وَتُعَمَّرَ بِهِ رِبُوعُ الْمِلَّةِ الَّتِي لَيْسَ بَعْدَهَا مِنْ مَصْرِيفِ الْمِلَّةِ وَلَا مَرَجٍ ، وَتُسَبِّتَ
بِهِ قَوَائِمُ الشَّرْعِ الَّتِي مَا لِلْبَاطِلِ فِي إِمَالَةِ بَعْضِهَا مِنْ مَطْمَعٍ ، أَمْرُ الْقَضَاءِ عَلَى مَذْهَبِ
الْإِمَامِ الرَّبَّانِيِّ « أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ » رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ قَدْ خَلَا بِإِنْتِقَالِ مُبَاشَرِهِ
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَوَقَّفَ مَدَّةً عَلَى أَرْتِيَادِ الْأَكْثَفَاءِ ، وَالْإِرْشَادِ إِلَى مَنْ هُوَ أَهْلُ
الْإِسْطِفَاءِ ، وَاخْتِيَارِ مَنْ تَكْمَلُ بِهِ رِفْعَةُ قَدْرِهِ ، وَيُعِيدُ لَدُنَيْتِهِ عَلَى إِسَاطِ سُلَيْمَانِهِ
بِهَيْجَةِ صَدْرِهِ .

وَلَمَّا كَانَ فَلَانٌ هُوَ الْمُنْتَظَرُ لِهَذِهِ الرَّثِيَّةِ أَنْتَظَرَ الشَّمْسُ بَعْدَ النَّسَقِ ، وَالْمُرْتَقِبُ
لِبُلُوغِ هَذِهِ الْمُنْزِلَةِ الَّتِي تَقْتَضِي إِلَيْهَا يَوَادُّرُ اسْتِحْقَاقِهِ فِي السَّبْقِ ، وَالْمَعْطُوفُ عَلَى
الْإِثْمَةِ مِنْ أَصْحَابِ إِمَامِهِ - وَإِنْ تَأَخَّرَ زَمَانُهُ - عَطَفَ النَّسَقِ ، وَهُوَ الَّذِي مَا زَالَ

يَعِدُّ لَمْ الشَّهَدَاءُ مِدَادُ أَقْلَامِهِ ، وَتَضَعُ الْمَلَائِكَةُ أَجْنَحَتَهَا رِضًا بِمَا يَصْنَعُ مِنْ تَقْلِ
خُطُواتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَسَعَى أَقْلَامِهِ ، وَدَخَلَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي زُمرَةٍ مِنْ
حُصَرَاءِ بِلَاسٍ ، وَهَجَرَ الْمُضَاجِعَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ لِتَحْصِيلِ الْعِلْمِ فَلَوْ عَدَّتْ هَجْمَاتُهُ لِقَلَمٍ ؛
وَهَجَرَ فِي إِحْرَازِ الْفَضَائِلِ قَفَيْدَ أَوَائِدِهَا ، وَأَحْرَزَ شَوَارِدَهَا ، وَلَجَّ فِي بِحَارِ الْمَعَانِي
فَنَاصَ عَلَى جَوَاهِرِهَا ، وَنَظَرَ نَظْرَةً فِي مُجُومِ الْعُلُومِ فَاحْتَوَى عَلَى زُهرِهَا وَزَارِ نَحَائِلِ
الْفَضَائِلِ [فَاسْتَوَى] عَلَى أَزَاهِرِهَا ، وَاتَّهَى إِلَيْهِ عِلْمُ مَذْهَبِهِ قَبْرَ عَلَى مَنْ سَلَفَ ،
وَجَارَى عِلْمَاءَ عَصْرِهِ فَوَقَفَتْ أَبْصَارُهُمْ عَنْ رُؤْيَا غِيَابِهِ وَمَا وَقَفَ ، وَتَعَيَّنَ عَلَيْهِ
الْقَضَاءُ وَإِنْ كَانَ كَانَ فَرَضَ كِفَايَةٍ لِأَفْرَاضِ مَيَّنَ ، وَقَدِمَهُ التَّرْجِيحُ الَّذِي جَمَلَ رُبَّتَهُ هَمَزَةً
أَسْتَفْهَامَ وَرُبَّتَهُ غَيْرَهُ بَيْنَ بَيْنَ - أَقْتَضَى رَأْيُنَا الشَّرِيفَ اخْتِصَامَهُ بِهَذَا التَّمْيِيزِ ،
وَالْتَدْيِيَةِ عَلَى فَضْلِهِ الْبَسِيطِ بِهَذَا الْفِظِ الْوَجِيزِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ . فَلْيَتَوَلَّ هَذِهِ الرِّتَبَةَ الَّتِي أَصْبَحَ فِيهَا
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثَابِتًا وَبَشْرَةً قَائِمًا ، وَيَتَقَلَّدُهَا تَقَلُّدًا مَنْ يَعْلَمُ
أَنَّهُ قَدْ أَصْبَحَ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى مُقَدِّمًا وَعَلَى اللَّهِ قَائِمًا ، وَيَتَّبِعُ ثَبُوتًا مِنْ يَتَّبِعُ
بِحَبْلِ اللَّهِ فِي حُكْمِهِ فَإِنَّ أَحَدَ الْخُصَمَاءِ قَدْ يَكُونُ الْخُنَّ بِحُجَّتِهِ ، وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا ،
وَيَلْبَسُ لِهَذَا الْمَنَاصِبِ حُلَّةً تَمْنَعُ الْمِيطِلَ مِنَ الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ ، وَتَقَعُ الظَّالِمُ عَنْ التَّعَارُلِ
إِلَى أَمْرِ زَعَاةِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ مِنْ يَدَيْهِ ، وَيُؤْمِنُ الْحَقُّ مِنْ أَمْتِدَادِ يَدِ الْجَوْرِ وَالْخَيْفِ
إِلَيْهِ ، وَلْيُسَوِّ بَيْنَ الْخُصَمَاءِ فِي مَجْلِسِهِ وَلِحِظِهِ ، وَيَعِدِلْ بَيْنَهُمَا فِي إِنْصَائِهِ وَلَقِظِهِ :
لِيَعْلَمَ ذَوُ الْجَاهِ أَنَّهُ مَسَاوِي الْحَقِّ لَخُصَمَاءِهِ ، مَكْفُوفٌ بِاسْتِمَاعِ حُجَّتِهِ عَنْ الطَّمَعِ
فِي طُلَامِهِ ، وَلَا يَقْبُضُ حُكْمًا لِمُخَالَفَةِ نَصِّ وَلَا سُنَّةٍ وَلَا إِجْمَاعٍ ، وَلِيُشَارِكَ فِيهَا لَا يَمِيلُهُ
مِنْ الْقَضَايَا غَيْرِهِ مِنَ الْعِلْمَاءِ لِيَتَرَبَّعَ بِذَلِكَ مَعَ أَطْلَاعِهِ أَطْلَاعًا ، وَلِيَتَمَيَّنَ فِي ذَلِكَ الْإِسْتِمَانَةِ .

بآرائهم : فإن الله تعالى لا يَنْتَرِعَ هذا العلم انتزاعاً ؛ وليُسَدَّ مسالك الهوى عن فكره ،
ويَصْرِفَ دواعى الغضب لغير الله عن المرور بذكره ؛ وليجعل العمل لوجه الله
نتيجة عمله ، وليحكم بما أراه الله (والله يحكمكم لا معقب لحكمه) .



وهذه نسخة وصية أوردها في "التعريف" تشمل القضاة الأربعة ، قال :
وصية جامعة [لقاض] من أى منصب كان ، وهى :

وهذه الرتبة التى جعل الله إليها منتهى القضايا ، وإنهاء الشكاي ؛ ولا يكون
صاحبها إلا من العلماء ، الذين هم ورثة الأنبياء ؛ ومتولى الأحكام الشرعية بها
كما ورث عن نبي الله صلى الله عليه وسلم عمله ، كذلك ورث حكمه ؛ وقد أصبح بيده
زمام الأحكام ، وفصل القضاء الذى يعرض [بعضه] ^(١) بعده على غيره من الحكماء ؛
وما منهم إلا من ينقذ قعد الصبري ، وينفذ حكمه قنأ المشرقي ؛ فليتروى أحكامه
[قبل امضائها ، وفي المحاكمات إليه] قبل فصل قضائها ؛ وليراجع الأمر مرة بعد
مرة حتى يزول عنه الإلحاس ، ويُعاود فيه بعد التأمل كتاب الله وسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم والإجماع والقياس ؛ وما أشكل عليه بعد ذلك فليجئ ظلمه
بالاستخاره ، وفيلحل مشكله بالاستشارة ، ولا يرقصا عليه إذا استشار قد أمر الله
رسوله صلى الله عليه وسلم بالشورى ؛ ومن من أول السلف من جعلها بينه وبين
خلفاء الاجتهاد سورا ؛ فقد تسنح للره ما أعيا غيره وقد أكر في الدآب ، ويتفطن
الصغير لما لم يفطن إليه الكبير كما فطن ابن عمر رضي الله عنهما للنحلة [و] ما ماته
أن يتكلم إلا بصغر مسنه ووزوما مع من هو أكبر منه للأدب ؛ ثم إذا وسم له الحق

قضى به المستحقه ، ويجعل له به واشهد على نفسه بثبوت حقه ؛ وحكم له به حكما
يسره يوم القيامة أن يراه ، وإذا كتب له به ، ذكر بخير إذا بلى وبقى الدهر ما كتبت
يداه . وليسو بين الخصوم حتى في تقسيم النظر ، ويجعل كل عمله على الحق فيما
أباح وما حظر ، ويجيد النظر في أمر الشهود حتى لا يدخل عليه زيف ، وليتحرر
في استبداء الشهادات قرب قاض دمج بغير سجين وشاهد قتل بغير سيف ، ولا يقبل
منهم إلا من عرف بالعدالة ، وألف منه أن يرى أوامر النفس أشد العدا له . وغير
هؤلاء ممن لم تجر له بالشهادة عادة ، ولا تصلى للأرتاق بسحتها ومات وهو حي
على الشهادة ، فليقبل منهم من لا يكون في قبول مثله ملامه ، قرب صلي بين منطق
ومتيق وفاسق في فرجة وعامة . ولينقب على ما يصدر من العقود التي يؤسس
أكثرها على شفا جرف هار ، ويوقع في مثل السفاح إلا أن الحدود تدرأ بالشبهات
ويبقى العار . وشهود القيمة الذين يقطع بقولهم في حق كل مستحق ومال كل يتيم ،
ويقلد شهادتهم على كل أمر عظيم ، فلا يقول منهم إلا على كل رب مال عاريف
لا تخفى عليه القيم ، ولا يخاف معه خطأ الخدس وقد صقل التجرب مرآة فهمه
على طول القدم . ولينان في ذلك كله أناة لا تقضى بإضاعة الحق ، ولا إلى المطاولة
التي تفضي إلى ملل من استحق . ولينهذ لرمسه ، ولا يتعلل بأن القاضى أسير الشهود
وهو كذلك وإنما يسعى لخلاص نفسه . والوكلاء هم البلاء المبرم ، والشياطين
المسؤولون لمن توكلوا له الباطل ليضى لهم به وإنما تقطع لهم قطعة من جهنم ،
فليكنف بمباهته وساويس أفكارهم ، وساووى بقارهم ؛ ولا يدع لفتى أحد منهم
ثمرة إلا ممنوعه ، ولا يدأعتداء تمدد إلا مغلولة إلى عتقه أو مقطوعه . وليطهر بابه
من دنس الرسل الذين يمشون على غير الطريق ، وإذا رأى واحد منهم درهما ودلو
حصل في يده ووقع في نار الحريق ؛ وغير هذا مما لا يحتاج به مثله أن يوصى ،

ولا أن يُحصى عليه منه أفراد عَمَلَه وهو لا يُحصى، ومنها النظر في أمور أوقاف أهل مذهبه نظر العموم، فليعمرها بجبل نظره فرب نظرة أنفع من مواقع الشيوم؛ وليأخذ بقلوب طابقتة الذين خُص من بينهم بالتقديم، وتفاوت بُسْء ما بينه وبينهم حتى صار يُزيل طارض الرجل منهم النظرة [منه] ويأسو حراحه منه التكليم. وهذه الوصايا إنما ذُكرت على سبيل الذِّكْرَى، وفيه - بحمد الله - أضعافها ولهذا وليناه والحمد لله شكراً؛ وقد جعلنا له أن يستنيب مَنْ يكون بمثل أوصافه أو قريباً من هذه المتأبّه، ومن يرضى له أن يحمل عنه الكلّ ويتأسسه توابه؛ وتقوى الله تعالى هي جماع الخير ولا سيما لصاحب هذه الوظيفة، ولبن وليها أصلاً وفرعاً لا يستغنى عنها ربّ حكم مطلق التصريف ولا خليفة.

وزاد الشافعى :

وليعلم أنه صدر المجلس، وأنه أدنى القوم وإن كانوا أشباهه منا حيث يجلس، وأنه ذو الطليسان^(١) الذى يخضع له رب كل سيف ويئس؛ وليتحقق أنه إنما رفعه عليه ونهاه، وأن سبب دينه لأدنياه هو الذى رَقاه؛ فليقدر حق هذه النعم، وليقف عند حد منصبه الذى يود لو اشترى سواد مداده بجزء النعم.

ويقال فى وصيته : وأمر دُعاوى بيت المال المعمور، ومحاكماته التى فيها حق كل فرد فرد من الجمهور؛ فليحترز فى قضايها غاية الاحتراز، وليعمل بما يقتضيه لها الحق من الصيانة والإحراز؛ ولا يقبل فيها كل بينة للوكيل عن المسمين فيها مدفع، ولا يعمل فيها بمسألة ضعيفة يظن أنها ما تضر عند الله فإنها ما تنفع؛ وله حقوق فلا يجحد من يسعى فى تملك شيء منها بالباطل منه إلا الياس، ولا يلتفت إلى مَنْ رخص لنفسه وقال: (هو مال السلطان) فإنه مالنا فيه إلا ما لواحد من الناس.

(١) ذكر فى "القاموس" أن لام الطليسان مضافة.

وأموال الأيتام الذين حذر الله من أكل مالهم إلا بالمعروف لا بالشبهات، وقد مات أبؤهم ومنهم صغار لا يتدنون إلى غير الثدى للرضاع ومنهم حمل في بطون الأمهات، فلأمر المتحدين لهم بالإحسان إليهم، ويعرفهم بأنهم سيجزون في بينهم بمثل ما يعملون معهم إذا ماتوا وتركوا ما في أيديهم، وليحذر منهم من لا ولد له :
 ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ . وليقص عليهم في مثل ذلك أنباء من سلف تذكيرا، وليتل عليهم القرآن ويذكرهم بقوله تعالى :
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ .
 والصدقات الموكولة إلى تصرف قلبه، المأكولة بسلم أمانة المباشرين وهي في ذممه ، يتنقظ لإجرائها على السداد في صرفها في وجوه استحقاقها ، والعمل بما لا يجب سواه في أخذها وإفراقها . والمسائل التي تفرد بها مذهب وترجح عنده بها العمل ، وأعد عنها الجواب لله إذا سأل ، لا يعمل فيها بمرجوح إلا إذا كان نص مذهب إمامه أو عليه أكثر الأصحاب، وراه قد حكم به أهل العلم عن تقدمه لرجحانه عنده وللاستصحاب . وتواب البر لا يقلد منهم إلا من تحقق استحقاقه، فإنه إنما يوليّه على مسلمين لا علم لأكثرهم فهم إلى ذى العلم أشد فاقه، هذا إلى ما يعترف من ديانتهم ومن عقافتهم الذى يتوزع المرء منهم به مرارة الصبر من الفاقة وهو به يتقى ، ثم لا يزال له عين عليهم فإن الرجال كالتصاديق المقلدة لا يعرف الرجل ما هو حتى يتولى .

وزاد الحنفى :

ولعلم أن إمامه أول من دون الفقه وجمعه، وتقدم وأسبق العلماء من تبعه؛ وفي مذهبه ومذاهب أصحابه أقوال في المذهب، ومسائل مالقه فيها مالك وهو أول

مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ وَمَنْ يَتَدُّ مِنْ سَوَابِقِهِ أَشْهَبَ ؛ وَمِنْ أَهْمِهَا تَرْوِجُ الصَّغَايِرَ ، وَتَحْصِيئُهُنَّ بِالْإِكْفَاءِ مِنَ الْأَزْوَاجِ خَوْفًا عَلَيْهِنَ مِنَ الْكِبَارِ ؛ وَشُفْعَةُ الْحَوَارِ الَّتِي لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ رَأْسِهِمْ لَمَّا أَمِنَ جَارُ السُّوءِ عَلَى رَغَمِ الْأَنْوَفِ ، وَلَأَقَامَ الرَّجُلُ النَّهْرَ سَاكِنًا فِي دَارِهِ بَيْنَ أَهْلِهِ وَهُوَ يَتَوَقَّعُ الْخَوْفَ ؛ وَكَذَلِكَ نَفَقَةُ الْمَعْتَدَةِ الَّتِي هِيَ فِي أَسْرٍ مِنْ طَلْقِهَا وَإِنْ بُلَّتْ مِنْ حِبَالِهِ ، وَبَقِيَتْ لَا هُوَ بِالَّذِي يُنْفِقُ عَلَيْهَا وَلَا هِيَ بِالَّتِي تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَرَوَّجَ مِنْ رَجُلٍ يُنْفِقُ عَلَيْهَا مِنْ مَالِهِ ؛ وَمَنْ أَسْتَدَانَ مَالًا فَأَكَلَهُ وَأَدْعَى الْإِعْسَارَ ، وَلَفَّقَ لَهُ بِنْتٌ أَرَادَ أَنْ تُسْمَعَ لَهُ وَلَمْ يَدْخُلِ الْحَسَنَ وَلَا أَرَهَقَ مِنْ أَمْرِهِ الْإِعْسَارَ ، وَأَهْلَلَ مَذْهَبَهُ عَلَى أَنَّهُ يُسَجِّنُ وَيَكْتُمُ مُدَّةً ، ثُمَّ إِذَا أَدْعَى أَنَّ لَهُ بِنْتًا أَحْضَرَتْ ثُمَّ هَلْ تُقْبَلُ أَوَّلًا . وَهَذَا وَأَمثَالُهُ مِمَّا فِيهِ عَمُومٌ صِلَاحٍ ، وَعَظِيمُ نَفْعٍ مَا فِيهِ جُنَاحٌ ؛ فَلْيَقْضِ فِي هَذَا كُلِّهِ إِذَا رَأَاهُ بِمَقْضَى مَذْهَبِهِ ، وَلِيَهْتَدِ فِي هَذِهِ الْأَرْوَاحِ وَسَوَاهَا بِقَمَرِ إِمَامِهِ الطَّالِعِ أَبِي حَنِيفَةَ وَشُيْبَةَ ، وَلِيُحْسِنَ إِلَى فَقَهَاءِ أَهْلِ مَذْهَبِهِ الَّذِينَ أَذْنَى إِلَيْهِ أَكْثَرُهُمُ الْإِعْتِرَابُ ، وَحَلَّقَ بِهِمْ إِلَيْهِ طَائِفُ النَّهَارِ حَيْثُ لَا يَحِلُّ الْبَازِي وَجَنَاحُ اللَّيْلِ حَيْثُ لَا يَطِيرُ الْغُرَابُ ؛ وَقَدْ تَرَكَوْا وَرَاءَهُمْ مِنَ الْبِلَادِ الشَّامِ ، وَالْأَمْلَادِ الْوَاسِعَةِ ؛ مَا يُرَاعَى لَهُمْ حَقُّهُ إِذَا عُلْتُ الْحَقُوقُ ، وَيَجْمَعُهُ وَلِأَهْلِهِمْ بِهِ أَبُوهُ أَبُو حَنِيفَةَ وَمَا مِثْلُهُ مِنْ يُنْسَبُ إِلَى الْعُقُوقِ .

ويزاد المالكي :

وَمَذْهَبُهُ لَهُ السَّيْفُ الْمُصَلَّتْ عَلَى مَنْ كَفَرَ ، وَالْمَذْهَبُ بِدَمٍ مِنْ طُلِّ دَمُهُ وَحَصَلَ بِهِ الظُّفَرُ ؛ وَمَنْ عَدَا قَتْرَهُ الْوَضِيعُ ، وَتَعَرَّضَ إِلَى أَنْبَاءِ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِم بِالْقَوْلِ الشَّيْخِ ؛ فَإِنَّهُ لَأَمَّا يَقْتُلُ بِسَيْفِهِ الْمَجْرَدِ ، وَرِاقُ دَمِهِ تَعْزِيرًا بِقَوْلِهِ الَّذِي بِهِ تَقَرَّدَ ؛ وَلَمْ يَزَلْ سَيْفُ مَذْهَبِهِ لَمْ يَارِزَ الصِّقْمَ ، مَسْلَمًا لَهُ إِلَى الْمَالِكِ خَازِنِ النَّارِ مِنْ مَذْهَبِ الْمَالِكِ الَّذِي مَا فِيهِ قُسْمَعُهُ ؛ وَفِي هَذَا مَا يُصْرَحُ غُثْرُ الدِّينِ مِنَ الْقَدَى ، وَمَا لَمْ تُطَلِّ دُمَاءُ

هؤلاء (لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى)؛ وإنما توصيه بالتحري في الثبوت ،
 [والبينة التي لا يستدرك بها ما يفوت^(١)] وإنما هو رجل يحمي أو يموت ، فليتمهل
 قبل بث القضاء ، وليعذر إليهم لاحتمال ثبوت تفسيق الشهود أو بغضاء ؛ حتى
 لا يجعل تلافياً ، ولا يجعل بما لا يتلافى ، فكما أننا توصيه أن لا ينقض في شد الوثاق
 عليهم إرباماً ، فهكذا توصيه أن لا يصيب بغير حقه دماً حراماً ؛ وكذلك قبول الشهادة
 على الخطأ ، وإحياء مامات من الكتب وإدناء ماشط ؛ فهذا مما فيه فسخة للناس ،
 وراحة ما فيها باس ؛ إلا أنه يكون الثبوت بهذه البينة للاتصال ، لا لتزعم يد ولا لإلزام
 بجردها بال ؛ وهكذا ما يراه من ولاية الأوصياء وهو مما تفرد به هو دون البقية ، وفيه
 مصلحة وإلا لما معنى الوصية ؛ وهو زيادة احتراز ما تضر مراعاة مثلها في الأمور
 الشرعية ؛ وسوى هذا مثل إسقاط الربح في وقف أسترّد وقد بيع ، وعطل المشتري
 من التكسب بذلك المسال مدة لا يشتري ولا يبيع ؛ وهذا مما يثب قضاء في مثله ،
 ويعمل عقاب من أقدم على بيع الوقف لإحرامه مئة البيع من مثله ؛ وسوى ذلك
 مما عليه العمل ، وما إذا قال فيه قال بحق وإذا حكم مدل . وفقهاء مذهبه في هذه
 البلاد قليل ما هم ، وهم غرباء فليحسن مأواهم ، وليكرم بكرم متواهم ؛ وليسبق بهم
 النوى في كنفه فقد ملأوا طول الدرب ، ومعاناة السفر الذي هو أشد الحرب ،
 ولينسبهم أوطانهم بئر ولا يدع في مآقيهم دماً يفيض على القرب .

وزاد الخنبل :

والمهم المقدم - وهو يعلم ما حدث على أهل مذهبه من الشناعة ، وما رموا به
 من الأقوال التي نتركها لما فيها من الإشاعة ؛ ونكتفي به في تنقية آثارها ، وإمطة

أَذَاهَا عَنْ طَرِيقِ مَنَهِبِهِ لِتَأْمَنِ السَّالِكَةُ عَلَيْهِ مِنْ عَسَاوَرِهَا؛ فَتَعَالَى اللَّهُ أَنْ يُعْرِفَ
يَكْفَى، أَوْ يُجَاوِبَ السَّائِلُ عَنْ هَذَا إِلَّا بِالسَّيْفِ؛ وَالْإِنِّصَامُ إِلَى الْجَمَاعَةِ وَالْحَدُّ مِنْ
الْإِكْفَرَادِ، وَإِقْرَارُ آيَاتِ الصِّفَاتِ عَلَى مَا جَاءَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِعْتِقَادِ، وَأَنَّ الظَّاهِرَ غَيْرُ
الْمَرَادِ، وَالْخُرُوجُ بِهِمْ إِلَى النُّورِ مِنَ الظُّلُمَاءِ، وَتَأْوِيلُ مَا لَا بُدَّ مِنْ تَأْوِيلِهِ مِثْلُ حَدِيثِ
الْأَمَةِ الَّتِي مِثَّلَتْ عَنْ رَبِّهَا: أَيْنَ هُوَ فَقَالَتْ فِي السَّمَاءِ؛ وَإِلَّا فَيُفَى الْبَيْلَةُ بِإثبات الجهة
مَافِيَا مِنَ التَّكْوَارِثِ، وَيُزِمُ مِنْهَا الْحَدُوثُ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدِيمٌ لَيْسَ بِجَادِثٍ
وَلَا مُعَلَّأٌ لِلْهَوَادِثِ؛ وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي الْقِرْمَانِ وَنَحْوِ: نُحَدِّثُ مَنْ تَكَلَّمَ فِيهِ بِصَوْتٍ
أَوْ حَرْفٍ، فَمَا جِزَاءُ مَنْ قَالَ بِالصَّوْتِ إِلَّا سَوْطٌ وَبِالحَرْفِ إِلَّا حَتْفٌ؛ ثُمَّ بَعْدَ هَذَا
الَّذِي يَزْعُ بِهَ الْجُهْلَالِ، وَيُرَدُّ دُونَ غَايَتِهِ الْفِكْرُ الْجَوَالِ، يَنْظُرُ فِي أُمُورٍ مَنَهِبَةٍ وَيَعْمَلُ
بِكُلِّ مَا حَقَّ قَوْلُهُ عَنْ إِمَامِهِ وَأَصْحَابِهِ: مَنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي زَمَانِهِ وَمِنْ تَخَلَّفَ عَنْ أَيَّامِهِ؛
فَقَدْ كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ إِمَامًا حَقًّا نَهَضَ وَقَدْ قَعَدَ النَّاسُ تِلْكَ الْمُدَّةَ، وَقَامَ نَوْبُهُ الْخَيْرُ مَقَامَ
سَيِّدَتَيْمٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - نَوْبُهُ الرَّدُّ؛ وَلَمْ تَهَبَّ بِهِ زُمَارُغُ الْمُرَيْسِيِّ وَقَدْ هَبَّتْ
مَرِيَّسَا، وَلَا أَبْنُ ابْنِ دُوَادٍ وَقَدْ جَمَعَ لَهُ كُلُّ دَوْدٍ وَمَاتَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ قَطْرِ عَيْسَا؛
وَلَا تَكُنْتُ عُهُدَةً مَا قَدَّمَ لَهُ الْمَأْمُونُ فِي وَصِيَّةِ أَخِيهِ مِنَ الْمَوَاتِقِ . [وَلَا رَوْعَهُ سَوْطُ
الْمُعْتَصِمِ وَقَدْ صَبَّ عَلَيْهِ عَذَابُهُ وَلَا سَيْفُ الْوَاتِقِ] ^(١).

فَلْيَقِفْ عَلَى أَثَرِهِ، وَلْيَقِفْ بِمُسْنَدِهِ [عَلَى مَنَهِبِهِ] كُلَّهُ أَوْ أَكْثَرَهُ، وَلْيَقِضْ بِمُفْرَدَاتِهِ
وَمَا اخْتَارَهُ أَصْحَابُهُ الْأَخْيَارَ، وَلْيَقْلُدْهُمْ إِذَا لَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْهِ الْأَخْبَارُ؛ وَلْيَحْتَرِزْ لِدِينِهِ
فِي بَيْعٍ مَا دَثَرَ مِنَ الْأَوْقَافِ وَصَرَفَ ثَمَنَهُ فِي مِثْلِهِ، وَالِاسْتِدْبَالِ بِمَا فِيهِ الْمَصْلَعَةُ
لِأَهْلِهِ؛ وَالْقَسْخَ عَلَى مَنْ غَابَ مَتْنُهُ يَسُوعُ فِي مِثْلِهَا الْقَسْخَ، وَتَرَكَ زَوْجَةً لَمْ يَتْرَكْ لَهَا

تَفَقَّهَ وَخَلَّاهَا وَهِيَ مَعَ بَقَائِهَا فِي زَوْجَتِهِ كَالْمَلْقَةِ ؛ وَإِطْلَاقِ مَرَّاحِهَا لِتُتْرَجَ بَعْدَ ثُبُوتِ الْفَسْخِ بِشُرُوطِهِ الَّتِي يَبْقَى حُكْمُهَا بِهِ حُكْمُ الْمَطْلُوقَةِ ؛ وَفِيهَا يَمْنَعُ مُضَارَّةَ الْجَارِ ، وَمَا يَتَفَرَّجُ عَلَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ » ، وَأَمْرٍ وَقَفَ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ وَإِنْ رَأَى مِسْوَئَ أَهْلِ مَنْعِهِ ، وَطَلَعَتْ بِهِ أَهْلُهُ عِلَاءَ لَوْلَاهُمْ لِمَا جَلَا الزَّمَانُ جُنَحَ غَيْبِهِ ؛ وَكَذَلِكَ الْجَوَائِزُ الَّتِي يَخْتَفِ بِهَا عَنِ الضُّعْفَاءِ وَإِنْ كَانَ لَا يَرَى بِهَا الْإِجْزَامَ ، وَلَا تَجْرَى لَدَيْهِ إِلَّا تَجْرَى الْمَصَالِحُ بِدَلِيلِ الْإِجْزَامِ ؛ وَكَذَلِكَ الْمَاعِلَةُ الَّتِي لَوْلَا الرُّخْصَةُ عَنْهُمْ فِيهَا لَمْ أَكُلْ أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا الْحَرَامَ الْمُحْضَ ، وَلَا أَخَذَ قِسْمَ الْفِلَالِ وَالْمَاعِلُ هُوَ الَّذِي يَزْرِعُ الْبُنُورَ وَيَحْرُثُ الْأَرْضَ ؛ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مِنْ مَفْرَدَاتِهِ الَّتِي هِيَ لِلرَّفِيقِ جَامِعَةٌ ، وَلِلرَّطَايَا فِي أَكْثَرِ مَعَاشِهِمْ وَأَسْبَابِهِمْ نَافِعَةٌ ؛ فَإِذَا اسْتَقَرَّتِ الْفُرُوعُ كَانَتْ الْأَصُولُ لَهَا جَامِعَةٌ . وَقَفَّاهُ مِنْهُمْ هُمُ الْفُقَرَاءُ لِقَلَّةِ الْمَحْصُولِ وَضَعْفِ الْأَوْقَافِ ، وَهُمْ عَلَى الرَّقَّةِ كَالرَّمَاكِ الْمَسْتَنَةِ لِلتَّقَافِ ؛ نَحْسُذُ بِخَوَاطِرِهِمْ ، وَمُنْدُ آمَالِهِمْ فِي غَائِبِ وَقْتِهِمْ وَحَاضِرِهِمْ ؛ وَأَشْتَمَلُهُمُ بِالْإِحْسَانِ الَّذِي يُرْغَبُ بِهِمْ ، وَقِيلَ بِهِ طَلِبُهُمْ لَوْجُوهُ الْغَنَى وَيَكْثُرُ طَلِبُهُمْ .

(١) عبارة "العرف" « وإذا استقرت الأصول كانت الفروع لما تأم به » .

الطبقة الثانية

(من أرباب الوظائف الدينية أصحاب التواقيع ، وتشتمل على مراتب)

المرتبة الأولى

(ما كان يكتب فى النصف بـ «المجلس العالى» كما كان يكتب

للقضاة الأربعة أولاً ، وقد تهمد)

المرتبة الثانية

(ما يكتب فى قطع الثلث بـ «الساحى» بالياء)

وأعلم أن الأصل فيما يكتب من التواقيع أن يفتح بـ «أما بعد» إلا أن الكُتاب تساعوا فيه فافتحوا لمن علت رتبته حيث أقتضى الحال الكتابة له فى الثلث بـ الحمد لله ، وأبقوا من انحطت رتبته عن ذلك على ما كان عليه من الافتتاح بـ «أما بعد» وهنا أورد ما سنح من ذلك مما أنشأ الكُتاب فى ذلك من الافتتاحين جميعا . ويشتمل على وظائف .

الوظيفة الأولى

(قضاء العسكر)

وقد تقدم فى المقالة الثانية أن موضوعها التحدث فى الأحكام فى الأسفار السلطانية وأن له مجلساً يحضره بدار العدل فى الحضر . وقد جرت العادة أن يكون قضاء العسكر أربعة : من كل مذهب قاض .

وهذه نسخة توقيع شريف بقضاء العسكر المنصور بالحضرة السلطانية ، وهى :

الحمد الذى رَفَعَ للعِلم الشَّريف فى أَيْامِنَا الزَّاهرة مَنَارًا ، وزاد بِإِعلاء رُتب أهله
دَوْلَتَنَا القَاهِرة رِفْعَةً وَتَقَارًا ، وزان أَحكامَه الشَّرِيفَةَ بِحُكْمِهِ الَّذِينَ طَلَعُوا فى غِيَابِهِ
مُشْكَلَاتِهِ بِدُورًا وَتَدَقَّقُوا فى إِفَاضَتِهِ فى الأحكام الشَّرِيعَةِ بِحَارًا .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي حَلَّتْ خَلَّتْ ، وَمِنَنِهِ الَّتِي أَهَلَّتْ الْجُلُودَ فَاسْتَهَلَّتْ .

وَنُشْهِدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تَكُونُ لِقَائِهَا ذُخْرًا ، وَتُثَلِّمُ
لِلْمَسْكِ بِهَا فى الْمَلَأِ الْأَعْلَى ذِكْرًا ، وَنُشْهِدُ أَنَّ عِلْمًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي هُوَ أَسْبَقُ
الْأَنْبِيَاءِ رُبِّيَّةً وَإِنْ كَانَ آخِرَهُمْ عَصْرًا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ أُخْتِمُْوا
لِلتَّقْدِيرِ بِهِمْ شُؤْمًا مُنْبِرَةً وَلِلْهَتْدَى بِمُلُومِهِمْ نُجُومًا زُهْرًا ؛ صَلَاةٌ لَا تَزَالُ الْإِنْسَانُ
تُحْيِيهَا ، وَالْإِسْمَاعُ تَسْتَدِيرُهَا ، وَسَلَامٌ تَسْلِيًا كَثِيرًا .

وبعدُ ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَنْ نَوَّهْنَا بِذِكْرِهِ ، وَنَبَّهْنَا عَلَى رِفْعَةِ قَدْرِهِ ، وَأَطْلَقْنَا لِسَانَهُ الْإِقْلَامِ
فى وَصْفِ مَقَامِهِ وَشُكْرِهِ ، وَأَثَقْنَا قَوَاعِدَ مَجْدِهِ الَّتِي لَوْ رَامَ بَيَانُ الْبَيَانِ أَنْ يَسْتَقْبَلَهَا حَالُ
الْحَصْرِ دُونَ حَصْرِهِ ، وَنَقَدْنَا كَلِمَ حُكْمِهِ وَرَفَعْنَا فى أُنْدِيَةِ الْفَضَائِلِ الْوَيْةَ فَنُورُهُ وَأَعْلَامُ
نَصْرِهِ ؛ مَنْ لَمْ يَزَلْ دَمُ الشَّهِيدِ يَسِيلُ مِدَادَ أَقْلَامِهِ ، وَيُقِيمُ مَنَارَ الْهَدْيِ أَدْلَةً فُضَائِلُهُ
وَشَوَاهِدُ أَحْكَامِهِ ، وَتَوْصِيعُ الْحَقِّ حَتَّى يَكَادَ الْمُنَاطِلُ يَلْحُظُ الْحُكْمَ لَوْضُوهِهِ وَيُبَصِّرُهُ ،
وَيُنْصِرُ الشَّرْعَ بِأَمْدَادِ عِلْمِهِ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ؛ وَشَيْدَ مَذْهَبِ إِمَامِهِ الْإِمَامِ
الْفَلَاحِى فَاصْبَحَ فَسِيحَ الْأَرْجَاءِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فُسُوحُهُ ، وَجَدَّ قَوَاعِدَ الْعَدْلِ فى إِبْضَايَا
عَسَا كَرْنَا الْمَنْصُورَةَ فَهُوَ مُشَاهِدٌ مِنْ كَلِمَةٍ وَمِنْ نَظَرِهِ فى لَمَحَةٍ مَلَحَةٍ .

ولمَّا كَانَ فَلَانُ هُوَ الَّذِى نَعْتَنَّا بِمَا تَهْتَمُّ مِنَ الْخَطَابِ خِلَافَتَهُ الْحُسْنَى ، وَأَتَيْنَا
عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَى جَوْهَرِ الْعِلْمِ دُونَ التَّعَرُّضِ إِلَى الْعَرَضِ الْأَذْنَى ؛ مَعَ
مَا حَوَاهِ مِنْ مَوَادِّ فُضَائِلِ تَرْكُو عَلَى كَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ ، وَفَرَائِدِ فَوَائِدِ تَجَلُّبِ عَلَى أَيْدِي

الطَّلَبَةُ إِلَى الْآفَاقِ ؛ وَقُوَّةُ فِي الْحَقِّ ، الَّذِي لَا تَأْخُذُهُ فِيهِ لَوْمَةٌ لَّامٍ ، وَعَدْلُ أَحْكَامٍ فِي الْخَلْقِ ، اللَّهُ مِنْ سِنَةِ الْكَرَى فِي جَنِّ نَائِمٍ - أَقْتَضَى حُسْنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفُ أَنْ نَوَطِّدَ فِي عَسَاكِرْنَا الْمَنْصُورَةِ قَوَاعِدَ أَحْكَامِهِ ، وَنُوطِنَ كُلًّا مِنْهُمْ عَلَى أَنَّهُ تَحْتَ مَا يُمِضِيهِ فِي أَقْضِيَتِهِ النَّافِثَةِ مِنْ تَقْضِيهِ وَإِبْرَامِهِ .

فَلِذَلِكَ رُيِّعَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ قَضَاءُ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ الشَّرِيفَةِ : عَلَى أَجْمَلِ الْمَوَائِدِ ، وَأَكْلِ الْقَوَاعِدِ ؛ وَأَنْ تُبَسِّطَ كَلِمَتُهُ فِي كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ مِنْ أَحْكَامِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ . فَلِيَحْكُمَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِمَا أَرَاهُ اللَّهُ مِنْ طَلَبِهِ ، وَأَتَاهُ مِنْ حِكْمِهِ وَحُكْمِهِ ، وَيَبَيِّنَ لَهُ مِنْ سُبُلِ الْهُدَى ، وَعَيْنَهُ لِبَصِيرَتِهِ مِنْ سُنَنِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي مِنْ حَادِّئِهَا فَقَدْ جَارَ وَاعْتَدَى ؛ وَلِيَقِفَ مِنَ الْأَحْكَامِ عِنْدَ مَا قَرَّرْتُهُ الشَّرِيعَةُ الْمُطَهَّرَةُ مِنْ أَحْكَامِ اللَّهِ الَّتِي لَا يَعْطِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ ، وَيَأْمُرُ كُلًّا مِنَ الْمُتَقَاضِينَ بِالْوُقُوفِ عِنْدَ مَا حُدِّدَ لَهُ : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ . وَالْوَصَايَا وَإِنْ كَثُرَتْ فَمِنْ مِثْلِهِ تَعَادٍ ، وَإِنْ جَلَّتْ فَسَمْعُهُ فِي غَيْثٍ عَمَّا يُبْدَأُ لَهُ مِنْهَا وَيُعَادُ ؛ وَمِثْلُهَا هَوَى اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي هِيَ شِعَارُ النَّسَبِ ، وَحِلْيَةُ يَوْمِهِ وَأَمْسِهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَسْتَدِهِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَيُوقِّعُهُ لِمَا يَرْضَاهُ وَيُصَوِّتُهُ مِنَ الْخَطِّ وَالْخَطَلِ .



وهذه وصية لقاضى العسكر، أوردتها في "التعريف" وهى أن يقال :

وهو الحاكم حيث لا تستفد إلا أفضية السيوف ، ولا ترتدحُ الفرماء الا في مواقف الصفوف ؛ والماضى قلبه وكل حصى يمد بالسماء ، والمضى بجبله وقد طوى السجاج كالكتاب يحيل السماء ؛ وأكثر ما يتحكم إليه في الغنائم التي لم يحل لأحد قبل هذه الأئمة ، وفي الشُّرَكَة وما تطلب فيه القسمة ؛ وفي المبيعات وما يرد منها بمبيح ،

وفي الدين المؤجلة وما يُحْكَم فيها بَئِيبٌ؛ وكلُّ هذا مما لا يَحْتَمِلُ طُولُ الأناةِ في القضاء،
وأَشْتَغَالَ الجند المنصور عن مواقف الجهاد بالتردد إليه بالإمضاء؛ فليكن مستحضرًا
لهذه المسائل لِيُتَّ الحُكْمُ في وقته، ويُسَارِعَ السَيْفُ المُصَلَّتْ في ذلك الموقِفِ بِتَّه؛
وَلْيَعْلَمْ أَنَّ العسكر المنصورَ هم في ذلك الموطِن أهلُ الشهادَةِ، وفيهم من يَكُونُ جُرْحُهُ
تَعْدِيلًا لَهُ وزيادَةً؛ فَلْيَقْبَلْ منهم من لا تَخْفَى عَلَيْهِ سِيَمَا القَبُولِ، ولا يَرِدُ منهم من
لا يَبْضُرُهُ أَنْ يَرِدَهُ هو وهو عند الله مَقْبُولٌ؛ وَلْيَجْعَلْ لَهُ مَسْتَقَرًّا معروفًا في المُعْسكرِ يُقَصِّدُ
فيه إذا نُصِبَتْ الخِيَامُ، وموضِعًا يَمْشِي فيه ليقْضَى فيه وهو سائرٌ وأَشْهرُ ما كان
على يَمِينِ الأعلامِ؛ وَلْيَزِمْ ذَلِكَ طُولَ سفره وفي مُدَدِ المُقَامِ، ولا يَخَالِفْهُ لِيُيَمِّمَ على
ذَوِي الخَوَاجِ فما هو بالصَالِحِيَّةِ بِمَصْرَ ولا بالعَادِلِيَّةِ بالشَّامِ، وَلْيَتَّخِذْ مَعَهُ كُتَّابًا تَكْتُبُ
لِلنَّاسِ وإلا فإنَّ أَيْنَ يوجَدُ مَرْكَزُ الشُّهُودِ، وَلْيُسَجِّلْ لَدَى الحقِّ بِحَقِّهِ وإلا فما أَسَدُ
بَابُ المَجْهُودِ؛ وَهَوَى اللهُ هِيَ الَّتِي بِهَا تُنْصَرُّ الجُنُودُ، وما لم تكن أَعْلَى ما يَكُونُ على
أعلامِ الحَرْبِ وإلا فما الحَاجَةُ إِلَى نُشْرِ البُنُودِ .

الوظيفة الثانية

(إقتضاء دار العدل)

وموضوعها الجلوس بدار العدل حيث يجلس السلطان لفصل الحكومات،
والإقتضاء فيها لعلَّه يطرأ من الأحكام بدار العدل . وهي وظيفةٌ جليلةٌ ، لصاحبها
يُجْلَسُ بدار العدل يَحْلِسُهُ مع القضاة الأربعة ومن في معانهم .

وهذه نسخة توقيع لمن لقبه «جمال الدين» يُنَسِّجُ على منوالها، وهي :

الحمد لله جاعل الدِّينَ لِلدِّينِ بِحَمَالَا، ولِلدُّنْيَا عِصْمَةً وَتِمَالَا ، ولِلْأَسْبَابِ النِّجَاةَ
وَالنَّجَاحَ شَارَةً إذا تَحَلَّى بِهَا ذُو التَّمْيِيزِ كَانَ أَحْسَنَ ذَوِي المُرَاتِبِ حَالَا ، وَأَجْلَاهُمْ

فى الدارين مَبْدَأُ وَمَآلَا ، وَأَحَقُّهُمْ بِرَبَّةِ التَّفْضِيلِ الَّتِى ضَرَبَتْ لَهَا السَّنَةُ الْمَطْهُورَةُ
فَضْلَ الْبَدْرِ عَلَى الْكَوَاكِبِ مِثَالًا .

نَحْمَدُ عَلَى نِعْمَةِ الَّتِى خَصَّتْ دَارَ مَوْلَانَا الشَّرِيفِ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِأَكْثَفَائِهَا ، وَأَصْطَفَتْ
لِهَا قُرْبَ مِنْ مَجْلِسِنَا الْعَظِيمِ مَنْ دَلَّ عَلَى أَنَّ التَّائِيدَ قَرِينَ أَصْطَفَائِهَا .

ونشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة يَفْتَرُّ عَنْ شَنْبِ الصَّوَابِ ،
تَفَرُّهَا ، وَيَنْتَفِعُ مِنْ فَضْلِ الْخَطَابِ ، زَهْرَهَا ؛ وَنشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله
المخصوص بحكم التنزيل ، المنصوص فى السُّحُفِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى ذِكْرِ أُمَّتِهِ الَّذِينَ
عَالَمُهُمْ كَأَنْبِيَاءِ بَنَى إِسْرَائِيلَ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَتَحِيَّهِ الَّذِينَ هُمْ كَالنُّجُومِ
الْمُتَشْرِقَةِ ، مِنْ اقْتَدَى بِهِمْ أَهْتَدَى ، وَكَالْجُودِ الْمَحْرِقَةِ ، مِنْ أَعْتَدَى وَجَدَ مِنْهَا شَبَابًا
وَصَدًا ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَا آرْتَدُّنَا لَهُ مِنْ رِيَاضِ الْعِلْمِ مَنْ تَمَّا فِيهِ قِرْعُهُ ، وَرَحَّبَ بِتَلْقَى أَنْوَاعِ
الْعُلُومِ ذَرْعُهُ ؛ وَبَسَقَتْ فِي فُنُونِ الْفَضَائِلِ أَفْنَانُهُ ، وَتَسَقَّتْ فَرَائِدُ الْفَوَائِدِ فِي سُلُوكِ
الطُّرُوسِ بَنَانُهُ - فُتِيَا دَارَ عَدْلِنَا الشَّرِيفِ الَّتِى أَحْكَمْنَا لَهَا تَامَهُ ، وَأَغْصَانُ الْعَدْلِ
بِنَارِ فِتَاوَيْهَا مُورِقَةٌ بِإِنْسِهِ ، وَأَعْيُنُنَا إِلَى أَفْوَاهِ مُفْتِيهَا رَامِقَةٌ وَأَدَانُنَا لِمَقَالَتِهِمْ سَامِعَةٌ .

ولما كَانَ فُلَانٌ هُوَ ثَمَرَةُ هَذَا الْإِرْتِيَادِ ، وَنَجْمَةُ هَذَا الْاِسْتِقَادِ ؛ الْمَعْقُودُ عَلَيْهِ فِي اخْتِيَارِ
الْعُلَمَاءِ بِانْتِخَاصٍ ، وَالْعَرِيقُ فِي أَصَالَةِ الْعُلُومِ بِأَصَالَةِ ثَابِتَةِ الْأَوَاصِرِ ؛ وَالَّذِى إِذَا أَجَابَ
تَدَقَّقَتْ أَنْوَاءُ الْفَوَائِدِ ، وَتَأَلَّفَتْ أَصْوَاءُ الْفَرَائِدِ ، وَأُتِّخِذَتْ مَسَائِلُ فَقْهَةِ قَوَائِدِ
تَرْتَّبِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَيْهَا وَمَصَادِرُ وَحْيِهِ مَوَارِدُ - اقْتَضَتْ آرَاقُنَا الشَّرِيفَةَ
أَنْ تُزَيَّنَ بِهَيْجَةِ هَذِهِ الْوُظُفَةِ بِجَمَالِهِ ، وَنُتَرَّهَ إِشْرَاقُهَا بِنُورِ فَضَائِلِهِ الَّتِى لَوْ قَابَلَهَا بِدُرِّ الْأَفْئُقِ
فَازَعَتْهُ حُلَّةُ جَمَالِهِ .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زالت أحكامه مع أوامر الشرع الشريف
واقفه ، ومعدلاته الشريفة باقتفاء آثار الحق لُستجبات الظلم كاشفه - أن يهوض
إليه كذا : فليأشر هذه الوظيفة السنية مقعراً يناسب العلوم في أرجائها ، محققاً
للفتاوى بتسهيل مواردها وتقريب أوجاتها ، موضحاً طرقها بإقامة براهينه وأدلتها ،
مُبدِياً دقائقها التي يُشترق بها أفق الفكر إشراق المياء بنجومها والأفق بأهلتها ، مُطهِراً
من غوامضها ما يُقرب على الأفهام منالها ، وُضَّحَ لحياد القرائح بحالها ، وبتقّ
لكل ذى تروية ورويته ولكل مرتجل بديته وأرتجاله ، فإنه الكامل الذى قطع
إلى بلوغ الغاية مسالك الليالى ، والإمام الذى غاص فكره من كل بحر لُجج المعاني
فامستخرج منها مكنون الآلى ، مع أن علمه المهذب غنى عن تنبيه الوصايا ،
ملي بما يلزم هذه الوظيفة من الخصائص والمزايا ، فإن البحر يابى إلا تدققا ،
والبدلر إلا تألقا ، والله تعالى يزيد من فضله ، ويُزِن به أفق العلم ويزيد من أدوا
قرب محله .

الوظيفة الثالثة

(الحسبة)

وقد تقدم أن موضوعها التحدث على أرباب المعاش والصنائع ، والأخذ على يد
الخارج عن طريق الصلاح في معيشته وصناعته . وحاضرة الديار المصرية تشمل
على حصتين :

الأولى - حسبة القاهرة : وهى أعلامها قدرا ، وأغنيهما رتبة ، ولصاحبها
مجلس بدار العدل مع القضاة الأربعة وقضاة العسكر ومفتي دار العدل وغيرهم . وهو
يتحدث في الوجه البحرى من الديار المصرية في ولاية الثواب وعزهم .

(١) أى والثانية حسبة القسلاط التى سياتى لها توقيع بعد صفحات

قلت : ولم تزل الحسبة تُؤتى للتمميين وأرباب الأقاليم إلى الدولة المؤبدية شيخ ،
فولّاهم للأمير سيف الدين منكلى بها الفقيه أمير حاجب مضافة إلى الخويصة . على
أن فى سجلات الفاطميين ما يشهد لها فى الزمن المتقدم . وربما أُسندت حسبة
القاهرة إلى والى القاهرة ، وحسبة مصر إلى والى مصر .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، وهى :

الحمد لله مجتهد عوائد الإحسان ، ومجربى أولياء دولتنا القاهرة ، فى أيامنا الزاهرة ،
على ما ألقوه من الرتب الحسان ، ومضاعف نعمنا على من أجنى لنا بحسن سيرته
الدعاء الصالح من كل لسان .

نحمده على نعمه التى لا تحصى بعثها ، ولا تحصى بحدّها ، ولا تُسترد بغير شكر آلاء
المنعم وخبرها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تقيمها فى كل حكم ، ونحاول
سوقنا جاحديها فنهض فتتطلى بالجمعة عليهم وهم بكم ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله
أشرف من أئمة العدل والإحسان ، وأعدل أمر أمته بالوزن بالقسط وأن لا يحسروا
الميزان ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أحسنوا فى سبيل الله جلّ عتادهم ،
وأحسنوا أنفسهم فى مقاطعة أهل الكفر وجهادهم ؛ فلا تذهب جنائبها فى الوجود ،
وتسرى نجائيبها فى التهايم والتجود ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من دعاء إحساننا لرفع قدره ، وإنارة بدره ، وإعلاء رتبته ،
وإدناء منزلته ؛ وإعلام مخلص الأولياء بمضاعفة الإحسان إليه أن الله لا يضيع أجر
من أحسن عملا ، وأن كرمنا لا يُحِب لمن أسلف سوايق طاعته فى أيامنا الشريفة
أملا ؛ من لم تزل حلمه السابقة إلى الله مقربة ، وعن طرق الهوى منكبة ، وبالله

مَذْكُورُهُ، وَعَلَى الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ الْمَوْقَرَةِ؛ مَعَ مَا أَضَافَهُ إِلَى ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ
بِمَعْرُوفٍ، وَإِغَاثَةِ مَلْهُوفٍ؛ وَنَهْيٍ عَنْ مَنكَرٍ، وَاحْتِسَابٍ فِي الْحَقِّ أَتَى فِيهِ بِكُلِّ مَا تُحَمَّدُ
خَلَاقَتَهُ وَتُسَكِّرُ؛ وَاجْتِنَابٍ لِأَعْرَاضِ الدُّنْيَا الدِّينِيَّةِ، وَاجْتِهَادٍ لِمَا يُرِضِي اللَّهَ وَبِرَضِينَا
مِنْ أَتْبَاعِ مَسِيرَتِنَا الْعَمِيرَةِ؛ وَشِسْطَةٍ فِي الْحَقِّ حَتَّى يُهَالِ بِهِ وَيُقَامَ، وَرِفْقٍ بِالْخَلْقِ
إِلَّا فِي يَدِّجِ تَهْتِكِهَا بِهَا حَرَمَةُ الْإِسْلَامِ، أَوْ غِشٍّ إِنْ لَمْ يُحْصَ ضَرَرُهُ الْخَاصُّ فَإِنَّ ذَلِكَ
يَعْنِي الْعَامَ.

وَلَمَّا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي أَخْصَصَ مِنْ خِلْمَتِنَا، بِمَا رَفَعَهُ لِنَبْنِيَا، وَأَسْلَفَ مِنْ
طَاعَتِنَا، مَا اقْتَضَى تَهْرِيئَهُ مِنَّا وَامْتِلَاعَهُ إِلَيْنَا، وَنَهَضَ فِيمَا عَلَقْنَاهُ بِهِ مِنْ مَصَالِحِ
الرَّعَايَا وَكَانَ مَشْهُورَ الْمَسَاعِي فِي كُلِّ مَا عَرِضَ مِنْ أَعْمَالِهِ فِي ذَلِكَ عَلَيْنَا - اقْتَضَى رَأْيُنَا
الشَّرِيفُ أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ كَذَا، فَلَيْسَتْ قُوَّةُ ذَلِكَ جَعْدًا فِي كُلِّ مَا يَعْنِي الْبَرَايَا نَفْعُهُ،
وَيُجَلِّدُ لَدَيْهِمْ وَقْعُهُ؛ وَيَمْنَعُ مِنْ يَتَعَوَّضَ بِالْيَسَارِ، إِلَى مَا لَمْ يَغْيِرْ حَقُّهُ، أَوْ يَضِيقَ
بِالْإِحْتِكَارِ، عَلَى ضَعْفَاتِهِمْ مَا بَسَطَ اللَّهُ لَمْ مِنْ رِزْقٍ؛ وَيُنْبُ عَنْهُمْ بِإِقَامَةِ الْحُدُودِ شُبَّةً
تَعْطِيْلَهَا، وَيَعْرِفُهُمْ بِالْحَافِظَةِ عَلَى الْحَقِّ فِي الْمَعَامَلَاتِ قَوَاعِدَ تَحْرِيْمِهَا وَتَحْلِيلِهَا؛ وَيُرِيهِمْ
بِالْإِنْصَافِ مَنَازِلَ الْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ لَعَلَّهُمْ يُصَيِّرُونَ، وَيُؤَدَّبُ مِنْ يَجِدُ فِيهِمْ مِنْ
الْمُطَقِّقِينَ: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ زَوَّاهُم يُحْسِرُونَ﴾
وَيَأْمُرُ أَهْلَ الْأَسْوَاقِ بِإِقَامَةِ الْجَمَاعَاتِ وَالْجَمْعِ، وَيَقَابِلُ مِنْ تَحَلُّفٍ عَنْ ذَلِكَ بِالتَّائِيْدِ
الَّذِي يَرْدَعُ مِنْ أَصْرَفِهِ عَلَى الْخَافَةِ وَبَرِّجٍ، وَيُكَلِّمُ قَوِيَّ الْهَيْئَاتِ بِالصَّبَانَةِ الَّتِي تُتَائِبُ
مَنَاصِبَهُمْ، وَتَوَافِقُ مَرَاتِبَهُمْ، وَتَقَرُّ عَنْ الْأَدْنَسِ مَكَاسِبَهُمْ، وَتَصُونُ عَنِ الشَّوَابِ
شَاهِدَهُمْ وَغَايَتِهِمْ؛ وَلَا يَمَكِّنُ قَوِيَّ الْيُوعِ أَنْ يَغْنِيُوا ضَعْفَاءَ الرَّعَايَا وَأَغْيَاسَهُمْ،
وَلَا يَقْسَحَ لَمْ أَنْ يَرْفَعُوا عَلَى الْحَقِّ أَسْعَارَهُمْ وَيَحْضُوا النَّاسَ أَشْيَاتَهُمْ.

وليجعل كل منهم على المعاملات الصحيحة ، والعقود التى غدت لها الشريعة
 الشريفة مبيحة ؛ ويحتبهم العقود الفاسدة ، والحيل التى تفر بتدليس السلع الكاسدة ؛
 وهو أخبر باليوع المنصوص على فسادها فى الشرع الشريف ، وأدرك بما فى عدم
 تحريرهم المكاييل والموازين من الإخسار والتطفيف ؛ فليعمل ذلك فى كل
 ما يجب ، ويحتسب فيه ما يدينه عند الله ويحتسب ؛ ولتكن كلمته فى ذلك مبسوطه ،
 ويد تصرفه فى جميع ذلك محيطة وبما يستند إليه من أوامره محوطة ؛ ولْيُوص توابه
 بمثل ذلك ، ويوضع لهم بآثاره طريقته كل حال حالك ؛ ويقدم تقوى الله على كل
 أمر ، ويبلغ فيه رضا الله تعالى لارضأ زيد وعمرو ؛ وانلطف الشريف أعلاه .



وهذه نسخة توقيع من ذلك بحسبة القسطاط المعبر عنه الآن بمصر عودا
 إليها ، وهى :

الحمد لله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الشاهد بالعدل الذى تقوى به كلمة
 الإيمان وتُصبر ، والفاسر بالجوود الذى لا يُحصى والفضل الذى لا يُحصَر ، العاصر
 ربوع قوى البيوت بتقديم من أنعمت انلخاصر على فضله الذى لا يُحصَد ولا ينكر .
 بحمد على نعمه التى لا تزال ألسنة الأقلام تُرقم لها فى صحف الإنعام ذكرا ،
 وتجد لها بإصا به مواقع الإحسان العام شكرا .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تصدع بنورها ليل الشرك
 فيقول جفرا ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى قم الله به من أعز بالمعاصى
 وغرر ، وأقام بشريته لواء الحق الأطهر ومنازل العدل الأطهر ، وعلى آله وصحبه

الذين سلكوا من الهداية بإرشاده منحه الحق الأثور ، وأحتسبوا نفوسهم في نصرته
ففازوا من رضاه بالحظ الأوفى والنصيب الأوفر .

وبعد ، فإن الله تعالى لما جعل كلمتنا المبسوطة على العدل والإحسان مقصورة ،
وأوامرنا الشريفة بإقامة منار المعروف مؤيدة منصورة ، وأحكامنا المشهورة
بالإنصاف في صفائف الدهر بالمحاسن مسطوره ، وألهمنا من أتباع الشرع الشريف
ما غدت به قلوب الرعايا أمنة مسروره - قصدنا أن نختار لمراتب الديانة والمقاف
من لم يزل يته بالصدارة عليا ، ووصفه بأنواع المحامد والمناجح مليا .

ولما كان فلان هو الذي ورث السيادة ، عن سلف طاهر ، وتلقى السعادة ،
عن بيت فرومه التقوى فازرت بالروض الزاهي الزاهر ، وسرت سرأته بحسن سيرته
وسيره ، وأبطن من الديانة ما أظهرته أدلة خيره ، وتنقل في المراتب الدينية فازر
في حسن السلوك على غيره ؛ وسلك من الأمانة الطريق المثلى ، وأعتد ما عده به
مضاهيا ومثلا ؛ وجنى ما نطق بإنصافه بفضل الكيل والميزان ، ورجاه من أهل
الخير كل ذى إحسان وخشيه أهل الزين والبهتان ؛ وكانت الحسبة المباركة بمصر
المحروسة قد ألقت قضاياه وأحكامه ، وعرفت بالخبر معروفه وشكرت نفعه
وإبرامه ، وفارقها على رغبة منها اختيارا ، وعادت له خاطبة عقيمة ترأته التي
لا تجارى .

فلذلك رسم بالأمر الشريف العال أن يفوض إليه كذا . فليقيم خيرة الله
في مباشرة هذه الوظيفة ، وليقيم منارها بإقامة حدودها الشريفة ؛ ولينظر في الكيل
والميزان اللذين هما لسان الحق الناطق ، ولينشر لواء العدل الذى طالما خفقت
بؤوده في أيامنا حتى غدا قلب المجرم وهو خافق ؛ وليحصر النظر في المقام

والمشارب ، وليردع أهل البدع من هو مستخف بالليل وسارب ؛ وفيه - بحمد الله تعالى - من حسن الأئمة ما يغنى عن الإسهاب فى الوصايا ، ويعين على السداد فى نقاد الأحكام وفصل القضايا ؛ وكيف لا وهو الخبير بما يأتى ويذر ، والصدر الذى لا يصدو الصواب إن ورد أو صدر ؛ والله تعالى يعمره للعدل معلما ، ويكسوه بالإقبال فى أمانا الشريعة ثوبا بالنواب معلما ، والخط الشريف أعلاه ، حجة بمقتضاه .



وهذه وصية محاسب أوردناها فى "التعريف" وهى :

وقد ولى أمر هذه الأمة ، وكل بعينه النظر فى مصالح المسلمين لله حسبه ؛ فليتقن فى الدقيق والخليل ، والكثير والقليل ؛ وما يخصر بالمقادير وما لا يخصر ، وما يؤمر فيه بمعروف أو ينهى عن منكر ؛ وما يستترى ويُنَاع ، وما يقرب بقربه إلى الجنة ويُبْعِد من النار ولم يكن قد بقي بينه وبينها إلا قدر باع أو ذراع ؛ وكل ما يعمل من المعاش فى نهار أو ليل ، وما لا يعرف قدره إلا إذا نطق لسان الميزان أو تكلم فم الكيل . وليعمل لديه معدلا لكل عمل ، وعيارا إذا عُرِضَتْ عليه المعايير يعرف من جار ومن عدل ؛ وليتقن أكثر هذه الأسباب ، ويحذر من الفش فإن الداء أكثره من الطعام أو الشراب ؛ وليتقن الأسعار ويستعلم الأخبار ، فى كل سوق من غير إعلام لأهله ولا إشعار ، وليقيم عليهم من الأمانة من ينوب عنه فى النظر ، ويطمئن به . وإن غاب إذا حضر ؛ ويأمره بإعلامه بما أعضل ، ومراجعته مهما أمكن فإن رأى مثله أفضل . ودار الضرب والثقود التى منها تنبت ، وقد يكون فيها من الزيف ما لا يظهر إلا بعد طول اللبث ؛ فليصعد لمهمات ما بصدره الذى لا يحجج ،

وليُعرض منها على الحَكِّ من رأيه مالا يُحوز عليه بهرج ، وما يُبلى من الذهب
المكسوز ويروى من الفضّة ويُخرج ، وما أكلت النار كل لحامه أو بعضه فليقيم
عليه من جهته الرقباء ، وليقيم على شمس ذهبه من يُرَبُّ منه ما تُرَبُّ من الشمس
الحرباء ؛ وليقيم الضمان على المطارين والطرقية من يسع غرائب العقابر إلا ممن
لا يستراب فيه وهو معروف ، ويخط متطبب ماهير لمريض معين في دواء موصوف .
والطريقة وأهل النجامة وسائر الطوائف المنسوبة إلى سامان ، ومن يأخذ أموال
الرجال بالحيلة ويأكلهم باللسان ، وكل إنسان سوء من هذا القليل هو في الحقيقة
شيطان لا إنسان ؛ أمتهم كل المنع ، وأصدعهم مثل الزجاج حتى لا يتجر لهم
صنع ، وصب عليهم النكال وإلا فليجدي في تأديبهم ذات التأديب والصنع ؛
وأحيم كل هذه المواد الخبيثة ، وأقطع ما يجتد ضعفاء الناس من هذه الأسباب
الرئيسية ؛ ومن وجدته قد غش مسلما ، أو أكل بباطل درهما ؛ أو أخبر مشترا
بزائد ، أو خرج عن معهود العوائد ؛ أثمره في البلد ، وأركب تلك الآلة قفاه حتى
يضعف منه الجلد ؛ وغير هؤلاء من فقهاء المكاتب وطلمات النساء وغيرهما من
الأنواع ممن يُخاف من ذنبه العائث في سرب الظباء والجائذ ، ومن يقدم على ذلك
ومثله وما يُخادر ، أرشقهم بسهامك ، وزلزل أقدامهم بإقدامك ؛ ولا تدع منهم
إلا من اختبرت أمانته ، وأخترت صيانتته . والتواب لا ترض منهم إلا من يحسن
تفاننا ، ويحسب لك أجرا سناجته إذا قيل لك من استبنت فقلت هذا ؛ وتقوى
الله هي نعم المسالك ، وما لك في كل ما ذكرناه بل أكثره إلا إذا عمت فيه
بجنه مالك .

الوظيفة الرابعة

(وَكَّالَةُ بَيْتِ الْمَالِ)

وهى وظيفة عظيمة الشأن رفعة المقدار، وقد تقدم أن موضوعها التحدث فيما يتعلق بمبيعات بيت المال ومشترواته^(١) من أرض وأدرو وغير ذلك مما يجرى هذا التجارى، وأن متوليها لا يكون إلا من أهل العلم والديانة، وأن له مجلسا بدار العدل: تارة يكون دون مجلس المحتسب، وتارة فوق مجلسه، بحسب رفعة قدر كل منهما فى نفسه. وقد أضيف إليها فى المباشرة نظركسوة الكعبة الشريفة وصارا كالوظيفة الواحدة.

وهذه نسخة توقيع بوكالة بيت المال :

الحمد لله جامع المناصب الدينية، لمن خطبته لها رتبتان : العلم والعمل، ومكمل الرتب السنية، لمن وجدت فيه أهبتان : الورع والثقة وعُدت منه خلطان : الحرص والأمل، جاعل اختصاص الرتب بكفائهما حلية الدول، والنظر فى مصالحها الخاصة والعامة زينة إيماننا التى نتلفت إلى محاسنها أجياد الأيام الأول .

نحمد على نعمه التى عصمت آراءنا من اعتراض الخلل، وأمضت أوامرنا من مصالح الأمة بما تسرى به المحامد تسرى النجوم ويسير به الشكر سير المنل .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لم نزل نستنطق بها فى الجهاد، أئسنة الأسئل، ونوقظ لإقامتها عيون جلال، لها القمود جفون والسهام أهداب والسبوف مقل، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أظهر الله دينه على الأديان وشرف ملته على الملل، وأسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إلى سدره

(١) جرى على اللغة البامية والافصواب العربية مشتريا به بالياء .

المنتهى وعاد ولم يكمل الليل بين السير والقفل، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هجروا في المهاجر إليه الأحياء والحلل، وشقوا بأسنة مدته الليل والقفل، وتفرّدوا بكال المفاتح فإذا خلعت الأفلح على أوصافهم حلا غدت منها في أبي من الحل، صلاة تتوالى بالعتى والإبكار وتتواتر في الإشراق والطفل، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى الرتب بإتمام النظر في آرتياد أكفائها، واستفاد فرائد الأحيان لها وانتقائها، واستخارة الله تعالى في اختيار من يكون أمر دينه هو الميهم المقدم لديه، واستنارة التوفيق في اصطفاء من يكون مهم آخره هو المرنى المصورين عينه؛ مع ما أنصف به من محاسن تتجأ بجلب عليها طباغة، وخص به من سوابق مزايا ربح بها في تلقى المصالح الدينية صدره وباعه، ربتان يتم فعهما ويخص، ويحسن وفهما بما يئديه من أوصافه ويقص؛ ويتعلق كل منهما بمجاعة الأمة فردا فردا، ويستملان على منافهم على اختلافها بدأ وإطادة وعكسا وطردا، ويكون المتصدى لها مناقشا على حقوقهم وهم ساهون، ومفتشا عن مصالحهم وهم عنها لاهون؛ ومناضلا عنهم وهم غافلون، ومشغرا للسعى في مصالحهم وهم في حيرة الدعة راغفون، ومتكفلا لاستماع الدعوى عنهم جوب فلوات الجواب، ومتكفلا بالتحزى في المحاورة عنهم وإصابة شاكية الصواب، ومؤدبا في نصيحهم جهته تقربا إلى مرأضينا وله عندنا الرضا وأتفاء ثواب الله : (والله عنده حسن الثواب) ومما وكالة بيت المال المعمور والحسبة الشريفة بالقاهرة المحروسة : فإن منافع وكالة بيت مال المسلمين عائدة عليهم، آتلة بأحكام الشريعة المطهرة إليهم؛ راجعة إلى ما يمتهم مساره، معدة لما تدفع به عنهم من حيث لا يشعرون مضار؛ صائنة حقوقهم من تعدي الأيدي الفاصبه، حافظة بيوت أموالهم من اعتراض الآمال

العالمية الناصبه ؛ وكذلك نظر الحسبة : فإنه من أخص مصالح الخلق وأعماها ،
 وأكد الوظائف العامة وأكملها استقصائية للصالح الدينية والدنيوية وأتمها ، يحفظ
 على ذوي الهيئات أقدارهم ؛ ويبين بتجنب المناس في الصدر مقدارهم ، ويصون
 بتوق الشبهات إرادهم وإصدارهم ؛ ويتره معاملاتهم عن فساد يعارضها ، أو شبه
 تنافي كمال الصحة وتتأقضا ، ويحفظ أقواتهم من غش متلف ، أو غلو مجحف ؛
 إلى غير ذلك من أدوية لا بد من الوقوف على صحة ترتيبها وتركيبها ، وتتبع الأقوال
 التي تجري بها الثقة إلى غاية تجريها ، ولذلك لا يُجمعان إلا لمن أوقفه علمه على جادة
 العمل ، وأقتصر به ورثه على مادة الحق فليس له في التعرض إلى غيره أمل ؛
 وسنت به أوصافه إلى معالم الأمور فوجد التقى أفضل ما يُرتقى ، وعرضت عليه
 أدوائه جوهر النخار فوجد العمل الصالح أكل ما يُتقَد منها وما يُنتقى ؛ وتحمل
 بالإدانة ، فصار له خلقا وصحبه ، وأيس بالتراهة ، فكانت له في سائر الأحوال للنجاة
 نجيحه ؛ وأرته فضائله الحق حيث هو فتمسك بأسبابه ، وتبث بأهدابه ، وأنصف
 به في سائر أحواله فإن أخذَ أخذَ بحكمه وإن أعطى أعطى به ؛ وأحترز لدينه
 فهو به ضنين ، وأستوثق لأمانته وإن لم يكن فيها بحمد الله مئمتها ولا عليها بظنين ،
 واجتنى إمار الحماد الخلو من كلام الأمانة المره ، وعلم أن رضا الله تعالى في الوقوف
 مع الحق فوقف معه في كل ما ساءه للخلق وسره .

ولما كان فلان هو الذي أمسكت الفضائل بما كملها من آداب نفسه ونفاسة
 آداب ، وتجاوزته الرتب للتحلى بمكانته فلم تكن هذه الرتبة بأحق به من مجالس العلم
 ولا أولى به ؛ وشهدت له فضائله معنى بما شهدت له به الأئمة الأعلام لفظا ،
 وقوت بذكره العلوم الدينية التي أمتها بحثا وأكملها دراية وأثبتها حفظا ، فأوصافه
 كالأعلام المشتقة من طباعه ، الدالة بدوامها على انحصار سبب الاستحقاق فيه

وَأَجْتَنَاهُ ؛ الْمُنْبَهَةِ عَلَى أَنَّهُ هُوَ الْمَقْصُودُ بِهَذِهِ الْإِشَارَاتِ الَّتِي وَرَاءَهَا كُلُّ مَا يَجِدُ مِنْ أَصْطِلَاحٍ بِقَوَاعِدِ هَذِهِ الرُّتَبِ وَأَطْلَاعِهِ ؛ فَهُوَ سِرٌّ مَا ذَكَرَ مِنْ نَعْوَتِ وَأَوْصَافٍ ، وَمَعْنَى مَا تُشِيرُ مِنْ مَعْتَلَةٍ وَإِنْصَافٍ ، وَرُقُومٌ مَأْخُذٌ مِنْ جُلُلٍ أَفِيضَتْ مِنْهُ عَلَى أَجْمَلِ أَعْطَافٍ - رُبِمَ ^(١١) أَنْ يَفُوضَ ^(١٢) تَفْوِضًا يَقَعُ بِهِ الْأَمْرُ فِي أَحْسَنِ مَوَاقِعِهِ ، وَنَضَعَ بِهِ الْحُكْمَ فِي أَحَدِ مَوَاضِعِهِ ؛ وَيُحِلُّ مِنْ أَجْيَادِ هَذِهِ الْمَنَاصِبِ مَحَلَّ الْفَرَائِدِ مِنَ الْفَلَائِدِ ، وَيَقَعُ مِنْ رِيَاضِ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ وَقُوعَ الْحَيَا الَّذِي سَعِدَ بِهِ رَأْيُ الرَّائِدِ .

فَلْيَا شَرَّ هَاتَيْنِ الْوُظُفَتَيْنِ مُرْهَقًا فِي مَصَالِحِهِمَا هَمَّةٌ خَيْرٌ هِمَّةً ، مَجْتَهِدًا مِنْ قَوَاعِدِهِمَا فِيمَا تَبَرَّأَ بِهِ عِنْدَ اللَّهِ مِنَّا وَمِنْهُ الذَّمُّ ، عَمَاقِقًا عَلَى حُقُوقِ بَيْتِ الْمَالِ حَيْثُ كَانَتْ عَمَاقِقًا مِنْ يَلْمُ أَنْهُ مَطْلُوبٌ بِذَلِكَ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ ؛ مَتَحَرِّيًا لِلْحَقِّ فَلَا يَفْتَدُوا لِمَا يَحِبُّ لَهُ مُهْمَلًا ، وَلَا لِمَا يَحِبُّ عَلَيْهِ مُسَاطِلًا ، وَاقْفَاً مَعَ حَكَمِ اللَّهِ تَعَالَى الْجَلِيِّ - فِي الْأَخْذِ وَالْعَطَاءِ فَإِنَّهُ سَيَّانٌ مِنْ تَرْكِ حَقٍّ أَوْ أَخْذِ بَاطِلٍ ؛ مُجَرِّيًا عَوَائِدَ الْحِسْبَةِ عَلَى مَا أَلِفَ مِنْ تَدْيِيرِهِ ، وَعَرِيفٌ مِنْ إِتْقَانِهِ وَتَحْرِيرِهِ ، وَشَهِيرٌ مِنْ أَعْتَادِهِ لِلْوَاجِبِ فِي سَائِرِ أُمُورِهِ ؛ مَكْتَفِيًا بِمَا أَطْلَعَ عَلَيْهِ قَدِيمًا مِنْ مَصَالِحِهَا ، مُتَنَبِّيًا إِلَى مَا سَبَقَتْ مَعْرِفَتُهُ بِهِ مِنْ أَسْبَابِهَا وَمَنَاجِحِهَا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَوْفِقُهُ فِي أَجْتِهَادِهِ ، وَيُؤَيِّنُهُ عَلَى مَا يَذْخِرُهُ لِمَعَادِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه وصية وكيل بيت المال أوردتها في "التعريف" :

وهو الوكيلُ في جميعِ حقوقِ المسلمين وماله مهم الإلحاقُ رجلٍ واحدٍ ، والمكلفُ بالخاصةِ عنهم حتى يُقَرَّ الإلحادُ ؛ وهو القائمُ للدَّعْوَى لَهُمْ وَطَبِيعِهِمْ ، والمطلوبُ من الله (١) بياضُ في المزمعين والقرضِ من الأخصار والميضِ له مفهومٌ مما تقدّمَ مراراً . (٢) أى غير ضعیفہ .

ومما بما يُؤخذ لهم أو يُؤخذ من بينهم ، والمعد لتصحيح العقود ، وترجيح جهة بيت المال فى المقار المبيع والتمن المنقود ، والمتكلم بكتاب الوكالة الشرعية الثابتة ، والثابت القدم والأقدام غير ثابتة ، والمفسوح المجال فى مجالس الحكم ، والمجادل بلسان الحق فى الأحكام ، والموقوفة كل دعوى لم تُسمع فى وجهه أو فى وجه من أذن له فى سماعها ، والمرجوع إليه فى إمامة كل غاصمة حصل الضجر من طول نزاعها ، وإبداء الدوافع ، ما لم يحد بدا من الإشهاد عليه بعدم الدافع ، والانتباه إلى الحق كان له أوليه ولا يقف عند شقيل متقل ولا شفاعة شافع ، وبوقوفه تُحدد الحدود [ومُتمن الشهود^(١)] ويمشى على الطرق المستقيمة ، وتُحفظ لأصحابها الحقوق القديمة ، وبه يتم عقد كل بيع وإيجار إذا كانت المصلحة فيها لاسامة المسلمين ظاهره ، ولم يافيا يؤكل عنهم فيه الحظ والنيلة بحسب الأوقات الحاضرة .

ويمن توصيه فى ذلك كله بالعمل بما علم ، والانتباه فى مقتضى قولنا إلى ما فهم ، وتقديم تقوى الله فإنه متى قدمها بين يديه سلم ، والوقوف مع رضا الله تعالى فإنه متى وقف معه غنم ، والعمل بالشرع الشريف كيفما توجهت به أحكامه ، والحذر من الوقوف فى طريقه إذا تغلّت سيئاته ؛ ومن مات وله ورثة معروفة تستكمل بحقوق ميراثه ، وتحوز بحفظها زوائمه ؛ لا يكلفهم شيئا يكون من باب العنت ، والمدافعة بحق لا يمتنع [مستحقه^(١)] إلى زيادة ثبت ؛ وإنما أنت ومن كانت قضيته منكروه ، والمعروف من مستحق ميراثه نكره ؛ فأولئك شدد أمرهم ، وأوطأ شهادتهم فى الاستفسار منهم على جرمهم ؛ وتبع باطن الحال لعله عنك لا يستتر ، ولا يمشى عليك فيه الباطل ويمشى شاهد الزور بكجيه ويتبختر ؛ فإن تحققت صحة شهادتهم

(١) الزيادة من "الترغيف" ص ١٣٢ .

وإلا فأنشروهم في الدنيا ودعهم في الآخرة لا يُخفف عنهم العذاب ولا يقرّ؛ وكل ما يُباع أو يُوسر أرجح فيه إلى العوائد، وهؤلاء أمر الصغير، وجند لك أمرا منا في الكبير، وذلك بعد مراعاة ما يجب مراعاته، والثاني كل الثاني حتى يثبت ما ينبغي إثباته؛ وشهود القيمة عليهم المآثر، وبشهادتهم يُقدر المقدار؛ وما لم يكونوا من ذوى الاعتماد، ومن أهل الخبرة بالبرز والجدار، ومن أشرى العقار واستغله وبنى الدار؛ وإلا فاعلم أن مثله لا يرجع إليه، ولا يؤول ولا سيما في حق بيت المال عليه؛ فاتفق^(١) مع ولاية الأمور من أهل الأحكام، على تعيين من تمين لتقليد مثل هذه الشهاده، وتعرف منهم من له كل الخبرة حتى تعرف أنه من أهل الزهاد؛ ولك أن تدعي بحق المسلمين حيث شئت ممن ترى أن حقه عنده يترشح، وأن بيتهم تكون عنده أوسع؛ فإما الدعوى عليك فمن عادت أن لا تُسمع إلا في مجلس الحكم العزيز الشافى - أجله الله تعالى - ونحن لا نغير العوائد، ولا ننقص ما بنت الدول السالفة عليه القواعد؛ فليكن في ذلك المجلس سماعها إذا تعينت، وإقامة البنات عليها إذا تبيئت؛ والله الله في حق بيت المال، ثم الله الله في الوقت الحاضر والمآل؛ ومن تستليهم عنك بالأعمال لا تهتر منهم إلا من هتر به جيتك، ويوقى به عند الله لا بما تحصله من الدنيا دينك؛ ومن كان لعمله مصلحا، ولأمله منجحا، لا تغبر عليه فيما هو فيه، ودعه حتى يتبين لك خافيه؛ ولتستقص في كل وقت عنهم الأخبار، ولتستعلم حقائق ما هم عليه بمن تستصحبه من الأخيار، ولا تزال منهم على يقين، وعمل بما فيه خلاص دنيا ودين.

(١) كذا في الصريف أيضا والمراد أن الحقين يشترط فهم أن يكونوا بتلك الصفات والا فلا يؤخذ

بتقريبهم ولا يؤول على كلامهم.

الوظيفة الخامسة

(الخطابة)

وهى من أجل الوظائف وأعلها رتبةً فى نفس الأمر . وموضوعها معروف .
وتختص هذه الطبقة من الواقع بخطابة الجوامع .

وهذه نسخة توقيع بخطابة الجامع بقلمة الجبل المحروسة ، حيث مصلّى السلطان ،
من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحليّ :

الحمد لله الذى أثار بالذِّكر قلوب أوليائه ، وكشف بالذِّكر بصر أصفياه ،
وأناهل أهل العلم بالإبلاغ عنه إلى خلقه وراثته أنبيائه ، وأختار لإدكارنا بآلاء الله
من فُرسان المنابر من يُعاهد الأعداء بدُعائه ، ويُجاهر الأوداء من مواعظه بما يعلم
كلّ منهم أنّ فى مؤلّم صَوادِعه دواء دائه ، فإذا أفتَحَ بحمد الله أثنى عليه بوادِ عليه
حقّ ثنائه ، وزمّه بما يبنى لُسُجُحات وجهه وجلالِ قُدسه وتهدّس أَسْمائِه ، وأثنى
كما يجبُ على نبيه صلى الله عليه وسلم الذى آدمَ مَنْ بعده من الرُّسل تحت لوائِه ،
وإذا تليّت على خيل الله حُطْبَتَه تَشَوَّقَتْ بقاءِ أعداء الله إلى لقاءِه ، وحُطِبَتِ الحُناَنُ
من بذل نفوسها ونفاسها بما أفتته فى سبيل الله لأَهْلانِه .

تحمّده على أن جعلنا لذكّره مستمعين ، ولأمره ونبه متّبعين ، وعلى حمده فى كل
ملاّ من الأولياء مجتَمعين .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال تختال بذكرها أعطاف
المنابر ، وتضطّر السُنّة الأعلام بما تتقلّه منها عن أفواه المنابر ، ونشهد أن محمداً
عبده ورسوله الذى هدّى الله مَنْ تَحَمّم من الأُمّة بحُجْرِهِ ومن تأخّر بحُجْرِهِ ، وجعل
روضةً من رياض الجنة بين قبره ومبَرِّه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هم

أَوَّلُ مَنْ عَقِدَتْ بِهِمُ مِنَ الْجَمْعِ صَلَوَاتُهَا، وَأَكْرَمُ مَنْ زُهِيتَ بِهِ مِنَ الْجِهَادِ وَالْمَنَابِرِ صَهَوَاتُهَا؛ صَلَاةٌ لَا تَزَالُ تُقِيمُهَا عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ، وَتُنْدِيهَا فِي كُلِّ مُتَيْمٍ فِي الْأَفَاقِ وَمُنْجِدٍ، وَسَلَّمٌ تَسْلِيماً كَثِيراً .

وبعد، فإنَّ أَوَّلَ الْمَنَابِرِ أَنْ يُرَادَ لَهُ مِنْ أُمَّةِ الْعُلَمَاءِ عَلَامَةُ عَصَرِهِ، وَرُحْلَةُ مِصْرِهِ؛ وَإِمَامٌ وَقْتُهُ الَّذِي يَصْدَعُ بِالْحَقِّ وَإِنْ صَدَعَ، وَطَلَمُ زَمَانِهِ الَّذِي يَقُومُ فِي كُلِّ مَقَامٍ بِمَا يُنَاسِبُهُ مِمَّا يَأْخُذُ فِي الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَمَا يَدَعُ، مِنْهُرٌ تَذَكَّرُ بِآلَاءِ اللَّهِ عَلَى أَعْوَادِهِ وَإِنْ لَمْ تَزَلْ لَهَا مِنَ الدَّائِرِينَ، وَتُنَبِّهَ فِيهِ عَلَى شُكْرِ اللَّهِ بِالرَّافَةِ عَلَى خَلْقِهِ وَإِنْ لَمْ تَبْرَحْ لَهَا بِذَلِكَ وَغَيْرِهِ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَتُسَوِّقُ عَلَيْهِ إِلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ النُّصْرَةِ وَالْأَنْجَارِ وَإِنْ كُنَّا عَلَى الْإَبَدِ إِلَيْهِ مُبَادِرِينَ، وَإِلَى إِقَامَةِ دَعْوَةِ الْحَقِّ بِهِ مُبَاكِرِينَ .

وَلَا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي تَمَيَّنَ لِرُقِيِّ هَذِهِ الرُّتْبَةِ خُطْبَ لُحْطَابَتِهَا، وَتَيَّنَ أَنَّهُ كَفَّوْهَا الَّذِي تَشْتَوِي النَّفُوسُ إِلَى مَوَاعِظِهِ قَرَّغُبُ فِي إِطْلَاقِهَا لِإِطْلَاقِهَا - أَقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةُ أَنْ نَحْمِلَ بِفَضَائِلِهِ أَعْطَافَ هَذَا الْمُنْبَرِ الْكَرِيمِ، وَأَنْ نَخْتَصَّ نَحْنُ وَأَوْلِيَاؤُنَا بِسَمَاجِ مَوَاعِظِهِ الَّتِي تُرْغِبُ فِيهَا عِنْدَ اللَّهِ بِجِهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ (وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) .

فَإِذَا كَانَ رُؤْسُ الْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ يُطْلَعُ فِي أَفْقِ الْمَنَابِرِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ شَمْسًا مُنِيرَةً، وَيُقِيمُ شَعَائِرَ الدِّينِ مِنَ الْأُئِمَّةِ الْأَعْلَامِ بِكُلِّ مُشْرِقٍ مَلَانِيَّةٍ طَاهِرٍ السَّرِيرَةِ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ كَذَا : فَلْيَحْمِلْ هَذِهِ الرُّتْبَةَ الَّتِي لَمْ تُقَرَّبْ لغيرِهِ جَيَادُهَا، وَتُحْمَلْ هَذِهِ الْعَقِيلَةُ الَّتِي لَا تُزَانُ بِسُوءِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ أَجْيَادُهَا، وَتُرَقِّقْ هَذِهِ الْمُهْضَبَةُ الَّتِي يَكُولُ إِلَّا عَلَى مِثْلِهِ صُعُودُهَا، وَيَلْقَى تِلْكَ الْمَصِيبَةَ الَّتِي تَجْتَمِعُ لِلأَوْلِيَاءِ بِهِ (؟) حُشُودُهَا. وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ فِي مَوْقِفِ الْإِبْلَاحِ عَنْ اللَّهِ لِعِبَادِهِ، وَالْإِعْلَامِ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ لِمَنْ

جاهد في الله حقَّ جهاده ، والإنذار لمن قَصُرَ في إعدادِ الأهبة ليوم مَآئِهِ ، وهو
 بِمَحَضَرٍ من حُماة الإسلام ، ومَشْهَدٍ من قُلَدَّاهِ أَمْرَ أُمَّةٍ سَيَدِنَا عليه أَفْضَلُ الصَّلَاةِ
 وَالسَّلَامِ ؛ فَلْيَقْصُرْ خُطْبَهُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ بِحُضْرِ عَلَيْهَا ، وَعَزَمَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُشَوِّقُ
 إِلَيْهَا ، وَمَعْدَلُهُ يَصِفُ مَا عَدَّ اللَّهُ لَوْلَاةِ أَمْرٍ قَلَمْتَهَا بَيْنَ يَدَيْهَا ، وَتَوْبَةٍ يَبْعَثُ الْحَيَمَ ، عَلَى
 تَحْجِيلِهَا ، وَأَوْقَاتٍ مَكْرَمَةٍ يَذَنُّ الْأُمَمَ ، عَلَى احْتِرَافِهَا بِتَقْوَى اللَّهِ وَتَجِيلِهَا ، وَدُنْيَا يُنْذِرُ مِنْ
 خِذَائِهَا ، وَيَبَيِّنُ لَلْعَتَرَةِ مَا عُرِفَ مِنْ خَلَائِقِهَا الْمَذْمُومَةِ وَأَلْفَ مِنْ طِبَاعِهَا ؛ وَأُخْرَى
 يُوَضِّحُ لِلْعُرُضِ عَنْهَا وَشَكَ قُدُومَهَا ، وَيَحْذِرُ الْمَقْصَرِ فِي طِلَابِهَا مِنْ عَذَابِهَا وَيَبَشِّرُ الْمُسْتَمِرَّ
 لَهَا بِنَيْمِهَا . وَلْيَعْلَمْ أَنَّ الْمَوْعِظَةَ إِذَا خَرَجَتْ مِنَ الْأَلْسِنَةِ لَمْ تَعُدْ الْأَسْمَاعَ ، وَلَمْ
 يُحْصَلْ مِنْهَا عَلَى غَيْرِ تَعْمَلِ الْقَرَّائِنِ وَالْإِنْجِياعِ ؛ وَإِذَا خَرَجَتْ مِنَ الْقُلُوبِ وَقَعَتْ
 فِي مِثْلِهَا ، وَأَثْمَرَتْ فِي الْحَالِ بِالْمَحَافِظَةِ عَلَى فَرَضِ الطَّاعَةِ وَقِيلِهَا ؛ وَسَكَنَتْ فِي الصِّرَاطِ
 طِبَاعِ طَاعَةٍ تَأْتِي عَلَى مُحَاوِي تَقِيلِهَا ، وَقَدْ حَتَّ فِي الْبَصَائِرِ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَعْرِفَةِ مَا لَمْ يُعْهَدِ
 مِنْ قَبْلِهَا . وَلْيَجْعَلْ خُطْبُهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ مَنَاسِبَةً لِأَحْوَالِ مَسْمِعِيهَا ، مَنَاسِبَةً
 فِي وَضُوحِ الْمَقَاصِدِ بَيْنَ إِدْرَاكِكَ مِنْ يَمِينِ غَوَامِصِ الْكَلَامِ وَمِنْ لَا يَمِينُهَا ؛ نَغْيَرُ الْكَلَامِ
 مَا قَلَّ وَذَلَّ ، وَإِذَا كَانَ قِصَرُ خُطْبَةِ الرَّجُلِ وَطُولُ صَلَاتِهِ مَنِئِينَ عَنْ فِقْهِهِ فَمَا قَصَرَ
 مَنْ حَافِظًا عَلَى ذَلِكَ وَلَا أَخْلَ ؛ وَلْيُوَضِّحْ خُطْبُهُ مِنَ الدَّعَاءِ لَنَا وَاللِّسْلَمِينَ بِمَا يُرْجَى
 أَنْ يُوَافِقَ سَاعَةَ الْإِجَابَةِ ، وَإِذَا تَوَخَّى الْفَرَضَ بِدَعَائِهِ لِعُومُومِ الْأُمَّةِ فَسَدَ تَعَيَّنَتْ
 - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - الْإِسَابَةِ ؛ وَهَذِهِ الْوَصَايَا عَلَى سَبِيلِ الذِّكْرِ الَّتِي تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ،
 وَتَرْفَعُ الْحَسَنِينَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُهُ - وَقَدْ فَعَلَ - مِنْ أَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! ،
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه وصية خطيب أوردها في "التعريف" :

وليرق هذه الرتبة التي رُبعت له ذُرا أعواذها ، وقُلست له من المنابر مُقرَّبات
جِباذها ، وليصمَد منها على أعلى درَجه ، وليسعد منها بصهوة كأنما كانت له من
بُكرة يومه المُشرق مُسرَّجه ؛ وليترع حق هذه الرتبة الشرفه ، والذروة التي
ما أُعدت إلا لإمام فريد مثله أو خليفه ؛ وليقف حيث تُحفُّ على رأسه الأعلام ،
ويتكلَّم فخرس الألسنة وتُحِفُّ في قيم الذُرا الأعلام ، وليقرع المسامع بالوعد
والوعيد ، ويُدَّكر بإيام الله من (كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد) .
وليُئِن القلوب القاسية وإن كان منها ما هو أشدَّ قسوة من الحجارة والحديد ، وليُشكِّن
قد قدم لنفسه قبل أن يتقدم ، وليُسبِّل عليه درجَ التوبة قبل أن يتكلَّم ، وليجعل
لكل مقام مقالا يقوم به على رُوس الأشهاد ، ويقوِّق منه سهما لا يُحطى موقعه كلُّ
فؤاد ؛ وليُقيم في الحُراب مقام من يمشي ربه ، ويخاف أن يُخطف الوجَل قلبه ؛
وليُعلم أنَّ صدفة ذلك الحُراب ما أَفَلَقَتْ عن مثل دُرته المكنونه ، وصناديق
السُدور ما أَطْبَقَتْ على مثل جوهرته المخزونه ؛ وليؤمِّ بلك الجَمِّ الفقير ، وليتقدم
بين أيديهم فإنه السَّفير ؛ وليؤدِّ هذه الفريضة التي هي من أعظم الأركان ، وأولِ
الاعمال التي توضع في الميزان ، وأقرب القُرب التي يجمع إليها داعي كلِّ أذان ؛
وليُقيم بالصلاة في أوقاتها ، وليُرشح بها الناس في أول ميقاتها ؛ وليخفف مع الإتمام ،
وليستحمل عن وراءه فإنه هو الإمام ؛ وعليه بالتقوى في عقد كلِّ نيَّة ، وأمام كلِّ
قضية ؛ والله تعالى يجعله ممن ينقلب إلى أهله وهو مُرور ، ويُنبِّص له مع الأئمة
المُسطين يوم القيامة عن يمين الرحمن متار من نور ؛ بمنه وكرمه .

الوظيفة السادسة

(الإمامة بالجوامع، والمساجد، والمدارس الكبار التى تصبئ التولية
عن السلطان فى مثلها)

وهذه نسخة توقيع بالإمامة :

أما بعد حمد الله على نعمه التى جعلت أيامنا الشرففة تزيد أهل الفضائل إكراما،
ونخص بالسيادة والتقديم من أنشأه الله تعالى قوة أعين وجعله للتقن إماما، وقدمه
على أهل الطاعة الذين يؤتون لهم مهيئا وقياما .

والشهادة له بالوحدانية التى تكسو مخلصها جلالا وساما ، والصلاة والسلام على
سيدنا محمد الذى أم الناس وعلّمهم الصلاة وأظهر فى إقامة الدين مقالا محمودا
ومقاما ، وعلى آله وصحبه الذين تمسكوا بسنته توثقا واعتصاما - فإن خير الرتب
فى هذا العصر وفيما تقدم، رتبة الإمامة حيث تهتم سيد البشر فى محرابها على الأمة
وأمم، فاخترها من أتبع الطريق المحمدية وشرعها، وعلم سناها ورقيها؛ فزاد بذلك
شموأ إلى سموه، وحصل على تضاعف الأجر ونموه؛ وهو فلان .

رسم - لازالت أيامه الشرففة تشمل دوى الأصالة والمبادرة بيزيل فضيلها ،
وعوائد إنعامه تجرى بإتمام المعروف فتبقى الرتب الدينية بيد مستحقها وتسارع
إلى تخليد النعم عند أهلها - أن يستمر فلان فى كذا جاريا فيه على أجل العادات ،
إعانة له على اكتساب الأجور بما يعتمد من تأهيل معهد السادات ؛ ورعاية
لتكثير المبائر ، وتربيعا لما أشغل عليه من حسن النظر فى كل لإراد وإصدار ،
وتوفيرا للتأجج التى عرفت من بينه الذى كم ألف منه فعل جميل وعمل باز ، ووثوقا

بأنه يعتمد في عمارة مساجد الله سبحانه وتعالى أنه تشهد به الملائكة المتعاقبون بالليل والنهار، والله تعالى يجعل النعم عنده مؤبدة الاستقرار؛ إن شاء الله تعالى .

الوظيفة السابعة

(التدريس ، وموضوعه إلقاء المسائل العلمية للطلبة)

وهذه نسخة توقيع بتدريس كُتِبَ به للقاضي عز الدين ابن قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ، عوضاً عن والده ، في جمادى الآخرة سنة ثلاثين وسبعمائة ، وهي :

الحمد لله ثم فضله على كل أحد ، ويُقرّر النعمة على كل والد وولد ، الذي خص أوليادنا ببلوغ الغايات في أقرب المدد ، واستصحاب المعروف فما يُترج منهم خاتم من يد إلا ليده .

نحمده بأفضل ما يحمده به من حمد ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة باقية على الأبد ، ونصلي على سيدنا محمد نبيه الذي جعل شريعته واضحة الجدد ، قائمة بأعلام العاصم قيام الأمد ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين شبههم في الهدى بالنجوم وهم مثلها في كثرة العدد ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن نعمتنا الشريفة لا تحصى ، ومواهبنا الجزيلة (١) ... تحصى ، وكرمتنا يهد منازل السعد لكل بدر ينتقل ، وشيئنا الشريفة ترعى الذمم لكل من أتقى عمره في ولائها ، وتحفظ ماله من المآثر القديمة بإبقائها في نجباء أبنائها ، مع ما نلاحظه في استحقاق التقديم ، وانتخاب من ترقى منهم بين العلم والتعليم ، وحصل

(١) يياض بالأصل ولله لا تزال أولياتنا لنحصى . وفي اللسان "فنحصى التهذ وحسن الزماية" .

فى الزمن القليل العلم الكثير، واستمد من نور والده وهو البدر المير، وعلم بأنه فى الفضائل سر أبيه الذى شاع، وخليفته الذى لو لم ينص عليه لما انعقد [إلا] عليه الإجماع، والواحد الذى ساد فى رتبة أبيه وما حلت من مثله - لا أخلى الله منه اليقاع ! .

وكان المجلس السامى، القضائى، الفلانى، هو المراد بما قدمنا من صفاته الجمله، وتوهمنا أنه لعمدة البندوى لاختفى لأنها لا ترد العيون كيّله، ورأى والده المشار إليه من استحقاقه ما اقتضى أن يتوه بذكره، ويُنْبَه على المعرفة بحق قدره، فآثر التزول له عما باسمه من تدريس الزاوية بجامع مصر المحروسة ليقوم مقامه، ويحتر فوائده وينشر أعلامه، ويصلم أنه قد حلق فى العلاء حتى لحق البندوب وبلغ تمامه، فعلمنا أن البركة فيما أشار، وأن اليقين بحمد الله فيما ربحه من الاختيار .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف سزاد الله في شرفه، وجعل أقطار الأرض في تصرفه - أن يُرتب في هذا التدريس عوضاً عن والده، أطل الله بقاءه على عادته وقاعدته إلى آخر وقت لأنه أحق من استحق قدره الرفيع التميز، وأولى بمصر من سواه لما عرفت به مصر من العزيزم من عبد العزيز .

ونحن نوصيك أيها العالم - وفقك الله - بالمداومة على ما أنت بصديده، والمذاكرة للعلم فإنك لأنكائر العلماء إلا بمداومته، والعمل بتقوى الله تعالى في كل قصد وتصدير، وتقريب وتقير، وتأثيل وتأثير، وتقليل وتكثير، ونص وتأويل، وترتيب وترتيب، وفي كل ما تزداد به رفعتك، وتطير به مُمتعتك، ويحسن به الثناء على دينك المتين، ويقوم به الدليل على ما وضع من فضلك للمبين .

وأعلم بأنك قد أدركت بحمد الله تعالى وبكرمنا وبأييك واستحقاقك ما أريدت به كثير عن مقامك ، ووصلت في البداية إلى المشيخة في زاوية إمامك ، فاعمل في إفادة الطلبة بما يرفع الرائي لك به الراية ، وأتم بك إمام الحرمين في النهاية ؛ فقد أمسيت جارا للبحر فاستخرج جماته ، وأجتهد لتصيب في فتاوك فإن أوليك سبهم رميها من مكانه ؛ وسيل كل واقف عليه العمل بمقتضاه والاعتناء^(١)



وهذه نسخة توقيع بتدريس زاوية الشافعي بالجامع العتيق أيضا ، من إنشاء المولى زين الدين بن الخضر موقع الست ، كُتِبَ به تاج الدين محمد الإخنائي شاهد نحرانة الخصاص ، بالنيابة عن عمه قاضي القضاة تقي الدين المالكي في أيام حياته ، مستقلا بعد وفاته ، وهي :

أما بعد حمد الله على أن زان مجالس المدارس في أيامنا الشريفة بتاجها ، وأقر بها من ذوى الإنابة من يستحق النيابة عن تقي قوى الأحكام بإحكامها وإتاجها ، ورفع قدر بيت مبارك طالما أشتهر علمه وصدر عن صدره فكان مادة مسرة النفس وإتاجها ، وجعل عوارفتا رعى الثرية الصالحة في عفيها وتوئى كل رتبة من أفضى لأهلها بوجاهته مؤاجها ؛ والشهادة له بالوحدانية التي تنفى شرك الطائفة الكافرة ومثل أول احتجاجها ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي استقامت به أمور هذه الأمة بعد أعوجاجها ، وتشرفت به علمائها حتى صارت كأنياء بنى إسرائيل بحسن استنباطها للعلم وجميل استخراجها ؛ وعلى آله وصحبه الذين علموا وعملوا وأوضحوا لهذه المسئلة قويم منهاجها - فإن أولى الأولياء ببلوغ الأمل ، وتعاهد

(١) أى إلى آخر ما يقال في مثله .

مدارس العلم بصالح العمل ؛ وإظهار سِرِّ الفوائد للطالين ، وحلَّ عقود مُشكِها
بجمل الأطلاع وحسن اليقين ، من حوى معرفة الفروع والأصول ، وحاز من
مذهبه المذهب خيرَ محصول ، ونشأ في سِجَر الفضائل ، وأقتدى بحُكْم بينه الذين لهم
في العلوم بمصر والشام أوضح البراهين وأقوى الدلائل ؛ وله في الآباء والأبوة ،
الديانة التي بلغ بها من الإقبال مَرَجُوهُ ؛ طالما سارت أحكامُ عمه - أجله الله -
في الأقطار ، وحكم فابدى الحكم بين أيدينا أوفى الأمصار ، وله العقاف والتقى والمآثرُ
الجميلةُ وجميل الآثار ، والفتاوى التي أوضع بها مُشكِلا ، وقنع مُقَفِّلا ، والفصلُ بين
الخصوم بالحق المجتلي ؛ والبركة التي لدولتنا الشريفة منها نصيبٌ وافر ، والتصميمُ
الذي أقرن بفرارة العلم والوقار الظاهر ؛ فهو - أعز الله أحكامه - من العلماء
العاملين ، وله البُشرى بما قاله أصدق القائلين ؛ في النبي الذي تيم به الزيادة والنماء :
(إِنَّمَا يُخَفِّى اللَّهُ مِنْ عِيَادِهِ الْعُلَمَاءَ) .

ولما كان المجلس السامى هو الذى استوجب التصدير لإلقاء الدروس ، وأضحى
مالكاً مالِكاً أزيمة الفضائل حائراً من أنوابها أنفخ ملبوس ؛ وله بخزانة خاصتنا
الشريف وإصطبلاته السعيدة الشهادة البيّنة ، والكتابة التي هي العين الحاضرة
فلا يُحتاج معها إلى إقامة بيّنة ، والكفالة التي نطقت بها الأفواه مُسرة ومُعِينة ،
والأمانة التي حدّا فيها حثوا إليه وآتبع سنّته .

فلذلك رُسِم - لا زال يُديم النعم لأهلها ، ويُتقى المراتب الدينية لمن أضحى محله
مناسبا لمحلّها ، أن يستقر فليُنَبَّ عن عمه في هذا التدريس ،
وليَقَف ما يَسِرُّ النفوس من أثره النفيس ؛ وليُقَدِّ الطلبة على عادته ، وليُسَيِّد لهم من

القول ما يظهر غزير مادته ؛ وليستبط المسائل ، ولجُبْ بالألَّة المسائل ؛ وليرجِ
المباحث ، وليكن لوالده - رحمه الله - أحق وارث ؛ وليستقل بهذه الوظيفة المباركة
بعد وفاة عمه أباه الله تعالى ، وليرتد من العلوم لينتج من صدقاتنا الشريفة آمالاً ،
والله تعالى يسدُّ له بالتقوى أقوالاً وأفعالا ؛ بمنه وكرمه .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة الصلاحية المجاورة لثربة الإمام الشافعي
رضي الله عنه ، كُتِبَ به لقاضي القضاة تقي الدين ، ابن قاضي القضاة تاج الدين
ابن بُلْت الأعز . من إنشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ، وهي :

الحمد لله شافي عني البَحث بغير إمام شافعي ، والآتي منه في الزمن الأخير من
لو كان في الصدر الأول لأخني علي ورعه ودينه كل صحابي وتابعي ، ومفيد الأشماع
من وجيز قوله المحرر ما لولا السبق لما عدل إلى شرح وبيِّن سواه الرافعي .

بحمده على نعم الأَهمت وضع الأشياء في محلها ، وأستداعها عند أهلها ، وتأنيها
بما يزيل الإشكال بالانجذاب من شكله مناسب لشكلها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يقرن بها المقال ، ويتبين بها
الحق من الضلال ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ونبيه موضح الطرق إلى الحق
المدين ، وتأهبا إلى حيث يجتمع الهدى ومرتبعة الدين ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
صلاة تهدي إلى صراط الذين ، ورضي الله عن أصحابه الذين منهم من جاء بالصنق
وصدق به قولي سبب الدين المتين ، ومنهم من فرق بين الحق والباطل وكان إمام
المتقين وثممي أمير المؤمنين ، ومنهم من جهز جيش العسرة فثبت جأش المسلمين ،

ومنهم من أعطاه صلى الله عليه وسلم الراية فأخذها منه باليمين ، ورضى الله عن بقية الصحابة أجمعين .

وبعد ، فلما كان مذهب الإمام الشافعى « محمد بن إدريس » رضى الله عنه هو شُبهة المتلفظ ، وكفاية المتحفظ ، وبهجة المتلحظ ، وطراؤ ملبس الهدى ، وميدانُ الاجتهاد الذى لا تنفُ أعنة جياده عن إدراك المَدَى ، وقد تجملت ديارُ مصر من بركة صاحبه بن تُسَدِّد إليه الرِّحال ، وتغزَّج بانه هو فيها حال ، وجيدٌ هو بجواهر علومه حال ، ومن يحسن إلى ضريحه المُنِيف الاستِداد ، وإذا قُرِئَتْ كُتُبُه لديه قيل ما أبعد هذا المرئى الأسنى ! وما أقرب هذا الإِسْتاد ! وما أسعد حلقة تُجمع بين يدي جَدِّه يتصدَّر فيها أجلُ حَبْر ، ويتصدَّى لنشر العلوم بها من عُرف بحسن السيرة عند السَّبر ، ومن لولا ترقُّ الموائد لأجاب بالشكر والثناء عليه صاحبُ ذلك القبر كما قال : « قال صاحب هذا القبر » - حسن بهذه المناسبة أن لا يتنصب في هذا المنصب إلا من يتحد هذا السيد الإمام جواره ، ومن يرضيه منه - رضى الله عنه - حسن العِياره ، ومن يستحق أن يتصدَّر بين نجوم العلماء بدارة تلك الخطَّة فيقال قد جمل الله به دارة هذا البدر وعمره من هذا المدرس داره ، الذى يفتقر إلى تويل نعمه ، وتويع قلبه ، من الأئمة كل غنى ، ويستجيب ببلاغة خطبه ، وصياغة كُتُبِه ، من يتحلى ومن يحظى ، ومن يهتأ المستفيدون من علوبة أفاضه وصفاء معانيه بالموارد الهني ، ومن إذا تمَّ صحابه المَطالُ اعترف له بالهُمُّ والمُهمُّول المنزى ، والذى لسعد جَدِّه من أبيه ليث أكرم به من ليث وأكرم بنيه من أشبال ! ، وأعزَّز به من فاتح أبواب إشكالات تجزَّ عن قفصها التَّقال ! ، ومن إذا قال سكَّت الناس ، ومن إذا قام قد كل ذى شماس ، وإذا أخذ بالنصَّ نَعَب الأقباس ، وإذا قاس قيل هذا بحرُ المذهب المشار إليه بالأصابع فى مِصره جلالة ولا يُنكر لبحر المِصر الإشارة

بالصباح ولا القياس؛ ومن يهوى بتقّ قلبه ورُقّ جوابه لسانُ التعويل ولسانُ التعويد، كما يُميس بإحاطته وحياطته قلمُ الفتوى وقلمُ التنفيذ، ومن يَفْخَرُ [به] كُلُّ عالم مفيد إذا قال : أنا بين يديه طالبٌ وأنا له تلميذٌ ؛ ومن حينئذٍ التفت وجدت له سؤدداً جماً ، وكيفما نظرت رأيت له من هنا وزارةً ، ومن هنا خطابةً ، ومن هنا مشيخةً ، ومن هنا تدريساً ، ومن هنا حُكماً !!! ؛ فهو الأصلُ ومن سواه فروعٌ ، وهم الأئمةُ وهو البُيُوتُ ؛ وهو مجموعُ السيادة، المختارُ منه الإفادة، فأحسنه من اختيارٍ وما أتمّه من مجموعٍ ، وكان قاضي القضاة ، سيّد العلماء ، رئيسُ الأصحاب ، مقتدى الفرقِ ، قدوةُ الطوائفِ ، الصاحبُ تقيّ الدين «عبد الرحمن» ولد الصاحب قاضي القضاة تاج الدين بن [بنت] الأعزّ أدام الله شرفه ، وريم سلفه ، هو منتهى رغبة الراغب ، ومُنتهى مُنية الطالب ؛ ومن إذا أضاعت ليالي القُوس بأقمار قناريه قيل (ياضُ القطايا في سوادِ المطالب) ، ومن تَفَقَّ الآراء على أنه ليسن الكهولة شيخُ المذاهب ؛ ومن عليه يحسنُ الأحكام ، وبه يحلُّ الوقاق ، وإذا وليَ هذا المنصبَ أتبعه بولايته إياه مالك في المدينة وأبو حنيفة وأحمد رضى الله عنهم في العراق ؛ وأهترت به وبغاورة فوائده من ضريح إمامه جوانبُ ذلك القبر طرباً ، وقالت "الأم" لقد أجهجت - رحم الله سلفك - بيدك وإبائك جدّاً وأباً ، ولقد استحققت أن يقول لك منصبُ سلفك رضى الله عنهم : أهلاً وسهلاً ومرحباً ، وهذه تسمياتُ صبا ، كانت الإفادة هنالك تعرفُها منك من الصبا .

فالحمد لله على أن أعطى قوسَ ذلك المحراب باريها ، وخصَّ بِشَقِّ سهاياها من لا يزال سعدُهُ مُباريها ، وبجملٍ مطلق تلك السماء بيدركم باتت [طيه] الدرر تحسُد دَراريها ؛ وألم حسن الاختيار أن يجرى القلم بما يحسن بالتوقيع الشريف موقعه ، ويحمل في أثناء الطروس وضمة وموضمة .

فُرِّمَ بالأمر الشريف العالى المولوى ، السلطانى : - أجراه الله بالصواب ،
وكشف بآرثيائه كل آرتياب ، ولا زال يخسار ويتقى للناسيب الدينية كل عالم
بأحكام السنة والكتاب - أن يفوض إليه تدريس المدرسة الصلاحية الناصرية
المجاورة لضريح الإمام الشافعى بالقرافة رضى الله عنه . فليُخَوَّل وليُنَوَّل كل
ذى استفادة ، وليَجْمَل منه بذلك العَقد الثمين من علماء الدين بانغم واسطة تفخر بها
تلك القلادة ، وليذكر من الدروس ما يُبهِج الأسماع ، ويُرِضى الإِتِّجاع ، ويُجَاد به
الإِتِّجاع ، ويَتَّبِعُه من أخلاف الفوائد أَرْتِضَاءُ الإِرْتِضَاع ، ويتناقل الرواة
فوائده إلى علماء كل أُنْفى من البَقَاع ؛ وليَقُلْ فإنَّ الأسماع لقوائده مُنْصَحَة ،
والأصوات لِمَباحثه خاشعة والقلوب لِمَهابته مُخَنِّعَة ؛ وليُنْضِ قوى المسائل بما
يُحْصَل لها أَعْظَمُ انْتِشَاش ، وليُثَبِّتْ ما أَمَاتَه إِمَامُه من البَدْع فيقال به له : هذا محمد
أَبْنُ إِدْرِيسَ مُدَّثِّرٌ أَنْتَ عَاشَ ، وَلَيْسَمِيعُ بَعْلُوهُ مَنْ بِهِ مِنَ الْجَهْلِ حَمَمٌ ، وَلَيْسَمَنْطَلِقُ
مَنْ بِهِ مِنَ الْفَهَاةِ بِكُمْ ، وَلِيُحَقِّقْ عِنْدَ النَّاسِ بِتَعْصِبِهِ لِهَذَا الْإِمَامِ أَنَّهُ قَدْ قَامَ بِالتَّنْوِيهِ
بِهِ الْآنَ الْحَاكِمُ أَبْنُ الْحَاكِمِ أَخُو الْحَاكِمِ كَمَا قَامَ بِهِ فِيما سَلَفَ بَنُو عَبْدِ الْحَكَمِ .

وأما غير ذلك من الوصايا فهو بحمد الله صاحب إلهامها ، وجالب أفساسها ،
وجبهة أخبارها ، ومطلع أنوارها ؛ فلا يُباد عليه ما منه يُستفاد ، ولا يُتَرَعَلِيه دُرٌّ
هو منظمه في الأبياد ؛ والله تعالى يُعَمِّرُ بِسَيَادَتِهِ معالِمَ الدين وأكنافه ، ويزين فضله
المتين أوساطَ كُلِّ مصر وأطرَافه ، ويُضَيِّفُ إِلَيْهِ مِنَ الْمُسْتَفِيدِينَ مَنْ يَبَارِقُهُ
وإشفاقه يكون عيشه خَفَضًا بِتِلْكَ الْإِضَافَةِ ، ويعمله لا يُحْصِصُ حُتُوهُ بِمَعْدَدِ دُونَ
مَعْدَدٍ وَلَا بِمَسَانَةِ دُونَ مَسَافَةٍ ، وَيُثَبِّقُهُ وَمَتَفَعَّتُهُ إِلَى سَارِيَةٍ سَارِيَةٍ الْإِطَافَةِ وَاللِّطَافَةِ ،
وَالطَّافَةِ بِهَذِهِ الْوَلَايَةِ تَقُولُ لِكُلِّ طَالِبٍ فِي الصَّرَافَةِ الْقِيَّ رَافَةٍ .

قلت : ولما توفى قاضى القضاة بدر الدين بن أبي البقاء - تنمده الله تعالى برحمته - وكان من جملة وظائفه تدريس هذه المدرسة ، كان السلطان قد سافر إلى الشام فى بعض الحركات ، فسافر أبنته أفضى القضاة جلال الدين حتى أدرك السلطان بالطريق ، على القرب من غزّة ، فولاه الوظيفة المذكورة مكان أبيه ، وكان القاضى نور الدين بن هلال الدولة الدمشقى حاضراً هناك ، فأشار إليه القاضى فتح الدين فتح الله كاتب السر الشريف - عامله الله بلطفه الخفى - بإنشاء صدر توقيعه ، يسطر به العلامة الشريفة السلطانية ، فأنشأ له تيجتين ، هما :

الحمد لله الذى أظهر جلال العلماء الشافعية بحضرة إمامهم ، وأقام سادات الأبناء مقام آبائهم فى بث علومهم وصلاتهم وصيائهم . ولم يجاوز ذلك إلى غيره ، فسطر التوقيع بهاتين السجتين ، وعلم عليه العلامة السلطانية .

وكان من قول نور الدين بن هلال الدولة للقاضى جلال الدين المذكور :
إنّ هذا التوقيع بينى أبيض : فإنه ليس بالديار المصرية من ينهض بتكليمه على هذا الأسلوب . فسمع القاضى كاتب السر كلامه ، فكتب لي بتكليمه على ظهره ، وعاد به القاضى جلال الدين فأعطانيه ، وأخبرني بكلام ابن هلال الدولة وما كان من قوله ، فظنكأت عن ذلك ، ثم لم أجذبنا من إكلامه وإن لم أكن من فرسان هذا الأيدان ، فأنشأت له على تينك السجتين ما أكلته به ، فجاء منه تلو السجتين السابقتين اللتين أنشأهما ابن هلال الدولة :

وخص براسة العلم أهل بيت رأت كهمهم فى اليقظة ما يمتنى شيوخ العلماء أن لورأوه فى منامهم .

وجاء من وسطه :

أقتضى حُسنُ الرأى الشريف أن نُؤوّه بذكره، ونقدّمه على غيره ممّن رام هذا المقام لحُجُب دُونه (واقفه غالبٌ على أمره) .

وجاء فى آخره :

واقفه تعالى يرقّيه إلى أرفع الذّراء، وهذه الرتبة وإن كانت بدايته فهى نهايةٌ غيره (وأنا لَنرجو فوقَ ذلكَ مظهرا) .

وقد أحوّزنى وجدانُ النسخة عند إرادتها إثباتها فى هذا التأليف لضَياع مُسودّتها ولم يحضُرْنى منها غيرُ ما ذكرته . وفيما تهتّم من إنشاء القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر من توقيع القاضى تقيّ الدين ابن بنت الأضرّ مالا ينظر مع وجوده إلى غيره .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة الصلاحية بمصر، المختصّة بالمالكية، المعروفة بالقمحية، بمصر المحروسة، أنشأته لقاضى القضاة جمال الدين الأقفهسى، وهى :

الحمد لله الذى زينَ معالمَ المدارس من أعلام العلماء بجمالها، وميّزَ مراتبَ الحكمة بإجراء سوايق الأفكارِ فى مبادئِ الثُروسِ وفَسّيحَ جمالها، وعَمَّرَ معاهدَ العلمِ بأجلِ عالم إذا ذُكرت وقائعُ المناظرة كان رأسُ قُوسانها ودرّيسَ رجالها، وناطَ مقاصدَ صلاحِ الدين بأجلِ حَبَرٍ إذا أُورِدَتْ مناقِبُه الماثورةُ تمسكَ أهلُ الديانة منها بوثيقِ جمالها .

نعمدّه على اختيار الجوهر والإعراض عن العَرَض ، والتوفيق لإدراك المرأى وإصابة الغرض .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذى خص أهل العلم بكريم حياته،
وشرف مقامهم فى الخليفة جعلهم فى محل الشريفة ورثة أنبيائه؛ شهادة تُعْزِبُ
لقاتلها بحسن الإيراد وردا، وتُجَدِّدُ لمتجليها بمواطن الذكر عهدا فتتخذ بها عند
الرحمن عهدا؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أفضل نبي علم وعلم، وأكرم
رسول فصل الأحكام إذ شرع وتنب وأوجب وحلل وحرم؛ صلى الله عليه وعلى
آله وصحبه الذين عنوا بتفسير كتاب الله تعالى فأدركوا دقيق معانيه، وأهتموا
بالحديث روايةً ودرايةً فهاؤوا بتأسيس فقه الدين وإقامة مبانيه؛ صلاة تُحِيطُ من
بحار العلم بزائرها، وتأخذ من الدروس بطريقها فتقارن الحمد فى أولها وتضج
الدعاء فى آخرها؛ ما تُتَّبَعُ بالمقتول مواقع الأثر، وعول فى المقتول على إجابة الفكر
وإجادة النظر، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى ما صرفت النفوس إليه هممتها، وأخلصت فيه نيّتها وخلصت
من تبعات ذممتها؛ وتبعث فيه آثار من سلف من الملوك الكرام، وأعارته كل نظرية
وقامت بواجبه حق القيام - أمر المدارس التى هى مسقط حجر الاشتغال بالعلم
ومستقر قاعدته، وقطب فلك تطلابه ويحيط دائرته؛ وميدان فرسان المشايخ ومدار
رجالها، ومورد ظمأ الطلبة وعط رحالها؛ لاسيما المدارس الأيوبية التى أسس
على الخير بناؤها، وكان عن صلاح الدين منشؤها فتألق برقها وأستطار ضياؤها .

ومن أيتها وثيقه، وأمثلها فى الترتيب طريقه، المدرسة القمحية بالقسطنطينة
الآخذة من وجوه الخير بنطاقها، والخصوص بالسادة المالكية أمتداد رواقها؛
إن أثيرت رعاية المذهب قالت : مالك وما مالك، وإن غلّت حسبة المدارس
فى البر، كانت لها فذلك؛ قد رتب بها أربعة دروس فكانت لها كالأركان الأربعة،
وجعلت صدقتها الجارية برّا فكانت أعظم برّا وأهم منفعة .

ولما كان المجلس العالى، القاصى، الشيخى، الكبيرى، العالى، العالمى، الأفضلى، الاكلى، الأوحدى، البلىغى، القرىدى، المقىدى، النجيدى، القدوى، المحقى، المحقق، الإمامى، الجعالى : جمال الإسلام والمسلمين ، شرف العلماء العاملين ، أوجد الفضلاء المقيدين ؛ قدوة البلاء زين الأمة ، أوجد الأئمة ؛ رُحلة الطالبين ، نقر المدرسين ؛ مفتى الفرق لسان المتكلمين ، حجة المناظرين ؛ خالصة الملوك والسلاطين ، ولي أمير المؤمنين ؛ أبو محمد « عبد الله الآفهمى » المالكي - ضاعف الله تعالى نعمته - هو عين أعيان الزمان ، والمحدث بفضلہ فى الآفاق وليس الخبر كالبيان ؛ ماوى متصبا من المناصب إلا كان له أهلا، ولا أراد الانصراف من مجلس علم إلا قال له مهلا ؛ ولا رعى إلى غاية إلا أدركها، ولا أحاط به منقطعة طلبية إلا هزها بدقيق نظره للبحث وحركها ؛ إن أطال فى مجلسه أطاب ، وإن أوجز قصر محاوره عن الإطالة وأتاف ؛ وإن أورد مؤالا تجر مناهيه عن جوابه ، أوقع بابا فى المناظرة أجم مناظره عن سد بابہ ؛ وإن ألم يبحث أربى فيه وأتاف ، وإن أفتى بحكم أنفع عنه المعارض وآرتفع فيه الخلاف ؛ فتوادره المدونة فيها البيان والتحصيل ؛ ومقدماته المبسطة إجمالا يغنى عن التفصيل ؛ ومشاركه التية لا يقل طالعها ، ومداركة الحسنة لا يسأم سماعها ؛ وتهذيب المهذب جامع الأمهات ، وجواهره الثمينة لأتقوام فى القيمة ولا تضاهى فى الصفات - آقتضى حسن الراى الشريف أن نتوه بذكره ، ونقدمه على غيره ، ممن حاول ذلك فامتنع عليه (والله غالب على أمره) .

فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى ، المولى ، السلطانى ، الملكى ، الناصرى ، الرىق - لا زالت مقاصده الشرفة فى مذاهب السداد ذاهبه ، ولا غراض الحق والاستحقاق صائبه - أن يستقر المجلس العالى المشار إليه فى تدريس المدرسة

الصَّلاحِيَّةُ بمصر المحروسة المعروفة بِالْقَمْحِيَّةِ عِوَضًا عَنْ فُلَانِ الْفُلَانِي، عَلَى عَادَةِ مَنْ تَقَدَّمَهُ .

فَلْيَتَأَنَّ ذَلِكَ بِالْقَبُولِ ، وَيَسْطُ فِي مَجَالِسِ الْعِلْمِ لِسَانَهُ فَمَنْ كَانَ يَتَأَنَّبَهُ فِي الْفَضْلِ حَقًّا لَهُ أَنْ يَقُولَ وَيَطُولَ ؛ وَمِلَاكُ الْأَمْرِ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فَهِيَ خَيْرُ زَادٍ ، وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَعَنْهُ تُؤَخَّذُ وَمِنْهُ تُسْتَفَادُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَبْلُغُهُ مِنْ مَقَاصِدِهِ الْجَمِيلَةِ غَايَةَ الْأَمَلِ ، وَيَرْقِيهِ مِنْ هِصَابِ الْمَعَالِي إِلَى أَعْلَى مَرَاتِبِ الْكَمَالِ وَقَدْ قَعَلَ ؛ وَالْاعْتِدَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ ، حِجَّةٌ بِمُقْتَضَاهُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة توقيع أيضا بتدريس المدرسة الصلاحية المذكورة، أنشأه للقاضي شمس الدين محمد ابن المرحوم شهاب الدين أحمد الدفري المالكي، في شعبان سنة خمس وثمانمائة، وهو :

الحمد لله مُطْلِعِ شَمْسِ الْفَضَائِلِ فِي سَمَاءِ مَعَالِيهَا ، وَمُبْلَغِ دَرَارِي الدَّرَارِي النُّبِيَّةِ الذِّكْرِ بِسَعَادَةِ الْخَدِّ غَايَةَ غَيْرِهَا فِي مَبَادِيهَا ؛ وَجَاعِلِ صَلَاحِ الدِّينِ أَفْضَلَ قَصْدٍ فَوْقَ الْعَنَاءِ سِبَاهَمَهَا بِإِصَابَةٍ غَرَضُهُ فِي سَرَامِيهَا ، وَجَعَلَهُ مَعَالِمَ الْمَدَارِسِ الدَّارِسَةِ بِخَيْرِ نَظَرٍ يَقْضِي بِتَشْيِيدِ قَوَائِدِهَا وَإِحْكَامِ مَبَانِيهَا .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ صَرَفَ إِلَى الْقِيَامِ بِنَشْرِ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ أَهْتَامَنَا ، وَجَعَلَ بِخَيْرِهِ الْعَائِدَةَ إِلَى التَّوْفِيقِ فِي حُسْنِ الْإِخْتِيَارِ أَعْتِمَادَنَا .

وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ مُفِيضُ نَتَائِجِ الْأَفْكَارِ مِنْ وَافِرِ إِمْدَادِهِ ، وَمُخَصِّصُ أَهْلِ التَّحْقِيقِ بِدَقِيقِ النَّظَرِ تَحْصِيسَ الْعِلْمِ بِقَصْرِهُ عَلَى بَعْضِ أَنْوَاعِهِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ أَوْفَرَ الْبَرِيَّةِ فِي الْفَضْلِ مَهْمَا ، وَالْقَائِلُ

توتياً بفضيلة العلم : « لا بُدَّ لِي فِي صَبِيحَةِ يَوْمٍ لَا أَزْدَادُ فِيهِ عَلِمًا » صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ حُلُوا مِنَ الْفَضْلِ جَوَاهِرَهُ الثَّمِينَةِ ، وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِي التَّابِعِينَ الَّذِينَ ضُرِبَتْ أَبَاطُ الْإِبِلِ مِنْهُمْ إِلَى عَالِمِ الْمَدِينَةِ .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَا صُرِفَتْ إِلَيْهِ الْهِمَمُ ، وَبَرَزَتْ بِتَأْدِيَةِ حَقِّهِ الدِّمَمُ ، وَوَدَعَتْ النُّفُوسَ بِالنَّظَرِ فِي مَصَالِحِهِ مُشْتَفِلَةً ، وَالْفِكَرَ لَشَرَفِ عَمَلِهِ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ مُتَقَلِّدَةً ، النَّظَرُ فِي أَمْرِ الْمَدَارِسِ الَّتِي جُعِلَتْ لِلْإِسْتِفَالِ بِالْعِلْمِ سَبَبًا مُوصُولًا ، وَلَطَبَّتْهُ رَبْعًا لَا يَزَالُ يَحَالِسُ الذِّكْرَ مَاهُولًا ؛ لِأَسْمَاءِ الْمَدَارِسِ الَّتِي قَدْ قَدَّمَ فِي الْإِسْلَامِ عَهْدُهَا ، وَصَدَّبَ بِاسْتِقْرَارِ الْمَعْرُوفِ عَلَى تَوَالِي الْأَيَّامِ وَرَدُّهَا .

وَلَمَّا كَانَتِ الْمَدْرَسَةُ الصَّلَاحِيَّةُ بِقُسْطَاطٍ مِصْرَ الْمُحْرُوسَةِ قَدْ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى بَيِّنَاتُهَا ، وَمُهَّدَتْ عَلَى الْخَيْرِ قَوَاعِدُهَا وَأَرْكَانُهَا ، وَأَخْتَصَّتْ طَائِفَةً الْمَالِكِيَّةَ مِنْهَا بِالْإِحْصِيصَةِ الَّتِي أَغْنَى عَنْ بَاطِنِ الْأَمْرِ عُتَوَاتُهَا ؛ وَكَانَ الْمَجْلِسُ السَّامِعُ هُوَ الَّذِي خَطَبَتْهُ الرَّتَبُ الْجَلِيلَةُ لِنَفْسِهَا ، وَعَبَّئَتْ لِهَذِهِ الْوُظُفَةِ فُضَائِلُهُ الَّتِي قَدْ آنَ وَفَّقَ الْحُدُ بُرُوعُ شَمْسِهَا ، وَعَهَّدَتْ مِنْهُ الْمَاهِدُ الْجَلِيلَةُ حَسَنَ النَّظَرِ تَنَاقَتْ فِي يَوْمِهَا إِلَى مَا أَلْفَتْ مِنْهُ فِي أَسْمِهَا - أَقْتَضَى حُسْنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ تُفْرَدَ بِهَذِهِ الْوُظُفَةِ الَّتِي يَقُومُ لِأَفْرَادِهَا فِيهَا مَقَامُ الْجَمْعِ ، وَتَجْمَعُ لَهُ مِنْ طَرَفَيْهَا مَا يَتَّفِقُ عَلَى حُسْنِهِ الْبَصَرُ وَيُقِضَى بِطَيْبِ خَبَرِهِ السَّمْعُ .

فَلِذَلِكَ رُئِيَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ ، الْعَالِي ، الْمُتَوَلَّى ، السُّلْطَانِي ، الْمَلِكِي ، النَّاصِرِي ، الرَّزْزَقِي : - لَا زَالَ يُقِيمُ لِلدِّينِ شِعَارًا ، وَيَرْفَعُ لِأَهْلِ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ مِقْدَارًا - أَنْ يَسْتَقَرَّ فِي الْوُظُفَةِ الْمَذْكُورَةِ لِمَا أَشْتَهَرَ مِنْ عِلْمِهِ وَدِيَانَتِهِ ، وَبِأَنِّ مِنْ عَفْتِهِ الْمَشْهُورَةِ وَتَزَاهِيَتِهِ ، وَاتَّصَفَ بِهِ مِنَ الْإِفَادَةِ ، وَغُرِفَ [عَنْهُ] مِنْ تَشْرِعِ الْعُلُومِ فِي الْإِبْدَاءِ

والإعادة ؛ وشاع من طريقه المعروفة في إيضاحه وبيانه ، وذاع من فوائده التي قسّمته على أبناء زمانه ، ورفّعت إلى هذه المرتبة باستحقاقه على أقرانه .

فلما شرّ تردّيسها مظهرها من فوائده الجليّة ما هو في طيّ ضميره ، مضمرا من حسن بيانه ما يستغنى بقليله عن كثيره ، مقربا إلى أذهان الطلبة بهذيب الفاظه الراضية ما يفيد ، مورا من علومه المدقّقة ما يجمع له بين فوائد المقدمات ومدارك التمهيد ؛ مؤفيا نظرها بحسن التدبير حقّ النظر ، موثّرا رزقها بما يصدّق الخبر فيه الخبر ، قاصداً بذلك وجه الله الذي لا ينجب لرايح أملا ، معاملا فيه الله معاملة من يعلم أنه لا يضيع أجر من أحسن عملا . وملاك الوصايا هو الله تعالى فليجعلها إمامه ، ويخيلها في كل الأحوال أمامه ؛ والله تعالى يستدّه في قوله وعمله ، ويبلغه من رضاه نهاية مسألة وظاية أمله ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بالتدريس بقبة الصالح ، أنشأته لقاضى القضاة جمال الدين «يوسف الإنسانية» بعد أن كُتب له بها مع قضاء القضاة المالكية ، في العشر الأخير من شعبان سنة أربع وثمانمائة ، وهى :

الحمد لله الذى جعل للعلم جمالا تنهأت على دركه محاسن الفضائل ، وتواردت على ثبوت محامده المتواردة قواطع الدلائل ، وتحقق شواهد الحال من فضله ما يمتنع فيه من لوازم الخفايل .

نحمده على نعمه التي ما استهلّت على وليّ فأفلق عنه غمامها ، ولا استقرّت بيد صفيّ فأثّرت من يده حيث تصرف زمامها ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تزيهر بعالم الدين غروبها ، وتينع بثمار الفوائد المتناجعة دروسها

وَأَنَّ سَيِّدَتَا عَهْدِهِ وَرَسُولَهُ أَشْرَفُ الْإِنْسَاءِ قَدْرًا ، وَأَوَّلُهُمْ فِي تُلُوِّ الْمَرْتَبَةِ مَكَانًا
وَلِإِنْ كَانَ آخِرُهُمْ فِي الْوُجُودِ عَصْرًا ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْحَاضِرِينَ بِقُرْبِهِ
أَغْنَى الْمَنَافِعَ ، وَالْفَائِزِينَ مِنْ دَرَجَةِ الْفَضْلِ بِارْفَعِ الْمَرَاتِبِ ؛ صَلَاةً تَكُونُ لِحِلَاقِ الذِّكْرِ
نِظَامًا ، وَلَأَوَّلَهَا أَفْتَاتِحًا وَآخِرَهَا خِتَامًا ؛ وَسَلَامٌ تَسْلِيًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ مِنْ شَيْئَانَا الشَّرِيفِ ، وَبِحَايَانَا الزَّاكِيَةِ الْمُنِيفَةِ ؛ أَنَا إِذَا مَتَحْنَا مَتَحًا
لَا تَسْتَعِيدُهُ ، وَإِذَا أَعْطَيْنَا عَطَاءً لَا تَنْقُصُهُ بَلْ تَزِيدُهُ ؛ وَإِذَا قَرَّبْنَا وَلِيًّا لَا تَقْصِيهِ ،
وَإِذَا أَمْنَمْنَا عَلَى صِفَةٍ إِنَّمَا لَا تَنْمُدُهُ عَلَيْهِ وَلَا تُحْصِيهِ .

وَلَمَّا كَانَ تَدْرِيسُ الْمَدْرَسَةِ لِلْمَالِكِيَةِ بَقِيَّةُ الصَّالِحِ مِنْ أَعْلَى دُرُوسِهِمْ قَدْرًا ،
وَأَرْفَعُهَا لَدَى التَّحْقِيقِ ذِكْرًا ، وَأَعْظَمُهَا إِذَا دُرِجَتِ الدُّرُوسُ فَخْرًا ؛ إِذْ يَحَالُ جِدَالُهُ
تَنْقِيطُ الْمَرَاتِزِ ، وَبَيْدَانُ مَبَاحِثِهِ تَشْتَهَرُ الْبَلَقُ مِنْ مَضْمَرَاتِ الضَّائِرِ ؛ وَبِسُوقِ
مُنَظَّرَتِهِ يُمَيِّزُ النُّضَارَ عَنِ الشَّيْبِ ، وَبِحَكِّ مُطَارَحَتِهِ تَتَبَيَّنُ الْحَقَائِقُ مِنَ الشَّيْبِ ؛ وَبِمِظَانِ
مَجْلِسِهِ يُعْرِفُ الْعَالَى وَالسَّافِلَ ، وَبِمَعْرَكَةِ فُرْسَانِهِ يُعْرِفُ مِنَ الْمَفْضُولِ وَالْفَاضِلِ ؛ وَمِنْ
ثُمَّ لَا يَلِيهِ مِنْ عِلْمَاتِهِمْ إِلَّا الْفُحُولُ ، وَلَا يَتَصَدَّقُ لِتَدْرِيسِهِ إِلَّا مَنْ أَمْسَى بِحُسَامِ
لِسَانِهِ عَلَى الْأَقْرَانِ يَصُولُ ؛ وَلَمْ يَزَلْ فِي جَمَلَةِ الْوِطَائِفِ الْمُضَافَةِ لِقَضَاءِ الْقَضَاءِ
فِي الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ ، تَابِعًا لِمَنْصِبِ الْحُكْمِ فِي الْوِلَايَةِ كُلِّ زَمَنِ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ الْبَادِرِ ؛
وَكَانَ الْمَجْلِسُ الْعَالَى ، الْقَاضِيَوِيُّ ، الْكَبِيرِيُّ (إِلَى آخِرِ الْقَابِ) أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى
نِعْمَتَهُ قَدْ أَشْتَمَلَتْ وَلايَتَهُ عَلَيْهِ لِابْتِدَاءِ الْأَمْرِ اسْتِحْقَاقًا ، وَحِفْظَهُ كَرَمًا عَلَيْهِ فَلَمْ
يَحِدِ الْغَيْرَ إِلَيْهِ اسْتِطْرَاقًا - أَقْضَى حُسْنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ تَتَّبِعَ ذَلِكَ بُولَايَةِ
ثَانِيَةٍ تُوَكِّدُ حُكْمَ الْوِلَايَةِ الْأُولَى ، وَتُزِدُّهُ بِتَوْقِيعِ يَجْمَعُ لَهُ شَرَفَ الْقِسْمَةِ وَالْجَمْعِ
وَلَوْ بَوَاجِهِ أَوَّلَى .

فلذلك رُسِم بالأمر الشريف العالي ، المؤلّوئى ، السلطانى ، الملكى ، الناصرى ، الزنّى - لا زال يستمد فى مشاهد الملوك أتم المصالح ، ويخصّ الصالح منهم بمزيد النظر حتى يقال ما أحسنَ نظرَ الناصر فى مصالح الصّالح ! - أن يستمرّ المجلسُ العالي المشار إليه على ما بيده من الولاية الشريفة بالتدريس بقبة الصالح المذكورة ، ومنع المعارض وإبطال ما كُتِب به وما سُبِكْت به ما دام ذلك فى يده ؛ على أتمّ الموائد وأكملها ، وأحسنِ القواعد وأجلها .

فلتلق ما فُوض إليه بكلّما بيده ، ويشكر إحساننا الشريف على هذه المنحة فإنها نعمةٌ جديدةٌ توجب مزيدَ الشكر عليه ؛ ولينصنر بهذا الدرس الذى لم تزل القلوب تستقطع على إدراكه حشرات ، ويتصدّق لإلقاء فوائده التى إذا سمعها السامع قال : هُنا تُسكبُ العبرات ، ويبرزُ لقرسان الطلبة من ... (١) صدره من كينته ، ويُفيض على جدّاهم الجافّة ما سمح به فكره من يتابع معينه ؛ مستخرجاً لهم من قاموس قريحته دُرر ذلك البحر الزاخر ، مُظهراً من مكثون عليه ما لا يعلم لِمَنه أوّل ولا يدرك لِمَنه آخر ؛ ويُنفق من ذخائر فضله ما هو بإتفاقه ملىّ ، متفقداً بفضل غنائه من هو عن فرائده المربحة غير قنّى ؛ مقترراً للبحث تهزيراً يزول معه الإلتباس ، مسنداً فروعه النامية إلى أثبت الأصول من الكتاب والسنة والإجماع والقياس ؛ معتمداً لما عليه جادة مذهب في الترجيح ، جارياً على ما ذهب إليه جهابذة محققيه من التصحيح ؛ مُقبلاً بطلاقة وجهه فى درسه على جماعته ، باذلاً فى آسمانهم طاقة جهده محمداً إليهم جهده طاقته ؛ مرئياً لهم كما يرئى الوالد الولد ، مُوقياً من حقوقهم [فى] التعليم ما يبيح له ذِكْرُه على الأبد ، ممتياً ناشئتهم بالتدريب الحسن تمية القُروس ، جاهداً فى ترقّيعهم بالتدرّج حتى يؤهل من لم يكن تُظنّ فيه أهلية الطلب لأنّ يتصدّى (١) يابض بالأصل بحدركة .

للفَتَاوَى وإلقاء الثُّرُوس ؛ سالكا من منافع التقوى أحسن المسالك ، مُوردا من
تحقيقات مذهبه ما إذا تحه اللائح لم يشك أنه لزمام المذهب مالك ؛ والله تعالى
يُجْزِيه على ما أَلَقَهُ من مَوارد إنعامه ، ويَتِمُّ [هذه الرتبة] السَّيِّئَةُ : تارة يُجَالِس
دُرُوسه وتارة يُجَالِس أحكامه ؛ والأعتاد •



وهذه نسخة توقيع بتدريس الحديث بالجامع الحاكِمِي ، من إنشاء الشَّهاب
« محمد الحلبي » للشيخ قُطُب الدين « عبد الكريم » وهى :

الحمد لله الذى أطلع فى أفق البسطة الشريفة من أعلام علمائها قُطُبا ، وأظهر
فى مطالعها من أعيان أئمتها مُجوما أضاء بهم الوجود شرقا وغربا ؛ وأقام لحفظها
من أئمة أعلامها أعلاما أحسنوا عن سندها دِفَاعا وأجلوا عن مُتُونها دَبَا ، وشرف بها
أهلها فكلمنا بعدت راحتهم فى طلبها أزدادوا من الله قربا ؛ واختار لِحَمَلِها أئمة شَفَقَتْ
عَاسِنُهم قلوب أهل الفرق على اختلافها حبا ، وملَكُوا باتباعها سنن السُنن فأمنوا
أن تُروِّع لهم الشُّبُه مِرْبا ؛ وألمننا من تعظيم هذه الطائفة ما مهد لهم فى ظل تقربنا
إليه مقاما كريما ومنزلا رَحْبا ، وعصم آراءنا فى الأرتياد له من التحلل فلا تخسار
له إلا من تُسر باختياره طلبه وتُقَبِّط بتعيينه أئمة وتُرْضى بأرتياده ربا •

نحمده على نعمه التى صانَت هذه الرتبة السَّيِّئَةَ بكفائتها ، وزانَت هذه المرتبة
الشريفة بمن لم يَمِل عينه فى تأثيل قواعدها إلى إغفائها ، وجعلت هذه الدرجة العلية
فلكنا نُشْرِق فيه لأئمة الحديث أنوار علوم تفتى النُهور دون إطفائها •

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مُجَادِل عن مُسْنَةِ الشريفة
بالسنة أسنته ، مجالد عن كتبها العالية بقبض معاهد مَيُوفِه وإطلاق أَعْتَه ؛ باعث

بالجهاد دعوته إلى كل قلب كان عن قبولها في محبب أكتنه . ونشهد أن هذا عبده
ورسوله الذي أوتي جوامع الكلم ، ولوامع السنة التي من اعتصم بها عصم ومن سلم
بها سلم ، فهي مع كتاب الله أصل شرعه القويم ، وحبل حكيه الذي لا ينكسر يد
الباطل من [حل] عقده التنظيم ، وكنوز دينه التي لا يُلغأها إلا ذو حظ عظيم ؛ صلى
الله عليه وعلى آله وصحبه الذين عضوا على سنته بالتواجد ، وذوبوا عن شريسته بسبب
الجلاد القواطع وسبام الحدال النوافذ ؛ صلاة لا يزال يقام فرضها ، ويملا بها طول
البسيطة وعرضها ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أول ما توجهت إليه إلى ارتياد أئمتيه ، وتوقرت الدواعي على
التقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتفويض متناصبه إلى البررة الكرام من
أئمتيه - علم الخليفة النبوي صلوات الله وسلامه على قائله ، وحفظه بدروسه التي
جعلت أواخر زمنه في محبة ثقله ومعرفة أسراره كأوائله ؛ وأن يختار لذلك من نسا
في طلبه حتى أكتهل ، وصرى في تحصيله سرى الأهل حتى أكتمل ؛ وغذى بلبان
التبحر فيه حتى أمتزج بأذنيه ، وجد في تحصيله واجتهد حتى ساوى [في] الطلب بين
حديث جمره وقديمه ؛ وحفظ من مؤنه ، ما بمثله يستحق أن يدعى حافظا ، وظب
على فنونه ، حتى قل أن يرى [بغير] علومه والنظر في أحكامه لا يظا ؛ فإنه بعد كتاب
الله العزيز مادة هذا الدين الذي يحكم بخصوصه ، وتتفاوت رتب العلماء في حسن
العمل بمطلقه ومقيده وعمومه وخصوصه ؛ وعنها تفرعت أحكام الملأ فلا ت
علومها جميع الآفاق ، وزكت أحكامها الشرعية على كثرة الإيفاق ؛ وصرى الناس منها
على المحمة التي آستوى في الإشراق ليها ونهارها ، وعلا على الملل بالبراهين القاطعة
نورها ومناورها ؛ وكفى أهلها شرفا أنهم يدبون عن ستة نبيهم ذب اللبوث ، ويعودون
(١) لم يتقدم ما يطف عليه ولعل الأصل «فرجب أن نهم به أجل اهتمام ، وأن نختار الخ» .

على الاستماع بما ينفع الناس في أمر دينهم ودنياهم منها جود الثبوت ، ويحافظون على اتقانها محافظة من ميمها منه صلى الله وسلم عليه ، ويعظمون مجالس إيرادها وقيلها حتى كأنهم لحسن الأدب جلوس بين يديه ، ويفألون في العلو طلبا للقرب منه وذلك من أسنى المطالب ، ويرحلون لضم شوارده من الآفاق فيأقرب المشارق عندهم من المقارب ! .

ولما كان المجلس السامى الفلانى : هو الذى غنى بكل ما ذكر من وصف كريم ، وحديث ورع قديم ، وقدم هجرة في علم الحديث اقتضت له حسن أولوية وجوب تقديم ، وتلقى هذا العلم كما وصف عن أئمة حتى صار من أعيانهم ، ولقي منهم علماء أمضى باقتنائهم كما كانوا رُحلة زمانهم ، ونظر في علومه فائقها فكانه ينطق فيها بلسان ابن الصلاح ، وأحرز غايات الكمال ، في أسماء الرجال ، فإلى اطلاعه يرجع في تخرج المخرج وتعديل الصحاح ، وكان منصب تدريس الحديث الشريف النبوى الذى أنشأه بالجامع الحاكى تكتيلاً لنشر أحاديث من لا ينطق عن الهوى ، ونويناها لأرواء الرواة من بحر هذا العلم الشريف بالإعانة على ذلك وإتقان لكل أمرى ما نوى ، قد استغرقت أوقا ت مباشرة بتفويضنا الحكم العزيز على مذهبه^(١) إليه ، وتوفير زمانه على

قلت : وتختلف أحوال التواقيع التى تكتب بالتدريس باختلاف موضوعاتها : من تدريس التفسير ، والحديث ، والفقه ، واللغة ، والنحو ، وغير ذلك ، في براعة الاستهلال والوصايا ، وهو في الوصايا أكد .

(١) ترك هنا بإضا لبقية رده لم يكمله اكتمالا مل ما هو معروف ومشهور في مثله .

وهذه نسخ وصايا أوردها في التعريف :

وصية مدرّس — وليطلع في محرابه كالبدر وحوله هالة تلك الخلقه ،
وقد وقت أهداب ذلك السواد منه أعظم أسوداداً من الخلقه ؛ وليرقّ بمجادته التي
هي لينة جواده إذا استنّ الجدال في المضمار ، وليخفّ [أضواء] أولئك العلماء الذين
هم كالنجوم كما تضائل الكواكب في مطالع الأقطار ؛ وليرزّ لهم من وراء المحراب
كبينه ، وليقضّ على جداولهم الخافّة معينه ؛ وليقدّف لهم من جنبات ما بين جنبيه
دُرّ ذلك البحر العجاج ، وليرهم من غرر جواده ما يعلم به أن سوابقه لا يهولها قطع
الفيجاج ؛ وليظهر لهم من مكتون علمه ما كان يخفيه الوقار ، وليبّ من ممنون فضله
ما يهبّ منه عن ظهر غنى أهل الافتقار ؛ وليقرّر تلك البحوث وبين ما يردّ عليها ،
وما يردّ به من منعمها وتطوّق بالنقض إليها ؛ حتى لا تنفصل الجماعة إلا بعد ظهور
الترجيح ، والإجماع على كلمة واحدة على الصحيح ؛ وليقبل في الدروس طلق
الوجه على جماعته ، وليستعملهم إليه بمجهود استنطاعته ؛ وليربهم كما يربّي الوالد الولد ،
وليستعملهم ما يعي به أفكارهم وإفكارهم ؛ ولا فكم رجل بالحبّ لينت فكر وأد ؛ هذا
إلى أخذهم بالاشتغال ، وقدح أذهانهم للاشغال ؛ ولينشئ الطلبة حتى يمتّ منهم
الفرس ، ويؤهل منهم من كان لا يظنّ منه أنه يتعلم لأن يعلم ويُلقي الدروس .

وصية مقرئ :

وليؤدّب على ما هو عليه من تلاوة القرآن فإنه مصباح قلبه ، وصلاح قرّبه ، وصباح
القبول المؤذن له برضا ربه ؛ وليجعل سورة له أسواراً ، وآياته تظهر بين عينيه

(١) جرى في تحريك لام الحلقه على ما ردها يونس عن أبي عمرو بن البلاد من كون لنة في السكون

أنظر "المصباح" .

أنواراً ؛ ولئن أقرعنا بحروفه وإذا قرأ استنآذ ، وليجمع طرقه وهى التى عليها
الجمهور ويترك الشوآء ؛ ولا يرتد دون غاية لإقصار ، ولا يقف فبعد أن أتم لم يبق
بحمد الله إحصار ، ولينوسع فى مذاهيه ولا يخرج عن قراءة القرآن السبعة أئمة
الأمصار ؛ وليبذل للطلبة الرغاب ، وليشيع فإن ذوى التهمة سغاب ، ولير الناس
ما وهبه الله من الإقتدار فإنه احتضن السبع ودخل الناب ؛ وليتم مبانى ما أتم
« ابن حاصر » و « أبو عمرو » له التعمير ، ولله « الكسائى » فى كسائه ولم يقل جدى
« ابن كشير » ؛ وحسب به « لحزة » أن يعود ذاهب الزمان ، وعلم أنه لا « حاصم »
من أمر الله يلجأ معه إليه وهو الطوفان ؛ وطفيق يتفجر علما وقد وقفت السيول
السوافع ، وضراً كثر قراء الزمان لمدم تفهيمهم وهو « نافع » ؛ وليقل على ذوى
الإقبال على الطلب ، وليأخذهم بالترية فى منهم إلا من هو إليه قد آتسب ؛
وهو يعلم ما من الله عليه بحفظ كتابه العزيز من النماء ، ووصل سببه منه بحبل الله
المتند من الأرض إلى النماء ؛ فليقدر حق هذه النعمة بحسن إقباله على التعليم ،
والإنصاف إذا مثل فعلم الله ما ينتاهى (وفوق كل ذى علم حليم) .

وصية محدث :

وقد أصبح بالسنة النبوية مضطرباً ، وعلى ما جمعت طرق أهل الحديث مضطرباً ؛
وتصح [فى] الصحيح أن حديثه الحسن ، وأن المرسل منه فى الطلب مقطوع عنه
كل ذى لسن ؛ وأن سنده هو المأخوذ عن العوالى ، وتتماعه هو الرقص منه طول
البالى ؛ وأن مثله لا يوجد فى نسبه المشرق ، ولا يعرف مثله للحافظين « ابن عبد البر »
بالمغرب و « خطيب بغداد » بالمشرق ؛ وهو يعلم مقدار طلب الطالب فإنه طامعاً
شد له النطاق ، وسعى له سعيه وتجتشم المشاق ؛ وأرتحل له يشد به حرصه والمطابا

مُرَّيْزِمَهُ ، وَيَنْهَى لَهُ طَلِبَهُ وَالْجُفُونَ مُقَفَّلَةَ الْعُيُونِ مَهْمُومَهُ ؛ وَوَقَفَ عَلَى الْأَبْوَابِ لَا يُضَيِّعُهُ طَوْلُ الْوَقُوفِ حَتَّى يُؤْذَنَ لَهُ فِي وُجُوهِهَا ، وَقَعَدَ الْقُرُفُصَاءَ فِي الْمَجَالِسِ لَا تَضْيِيقُ بِهِ عَلَى قَصْرِ قُرُوجِهَا .

فَلْيُعَامِلِ الطَّلِبَةَ إِذَا آتَوْهُ لِلْفَائِزَةِ مَعَامِلَةً مِنْ جَرِّبَ ، وَلْيُنَشِّطِ الْأَقْرِبَاءَ مِنْهُمْ وَيُؤْنِسِ الْغُرَبَاءَ فَمَا هُوَ إِلَّا مِنْ طَلَبِ آوْنَةٍ مِنْ قَرِيبٍ وَآوْنَةٍ تَقَرَّبَ ؛ وَلْيُسْفِرْ لِمَنْ صَبَّاحُ قَصْدِهِ عَنْ التَّجَاحِ ، وَلْيَتَّقِ لِمَنْ مِنْ عُقُودِهِ الصَّحَاحِ ؛ وَلْيُوَسِّعْ لِمَنْ الْحَدِيثِ ، وَلْيُرْخِ خَوَاطِرَهُمْ بِتَقْرِيبِهِ مَا كَانَتْ يُسَارِ إِلَيْهِ السَّيَرِ الْحَدِيثِ ؛ وَلْيُؤْنِسْهُمْ مِمَّا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِيهِ الْحِكَالَ ، وَيُعَلِّمَهُمْ مَا يَجِبُ تَعْلِيمُهُ مِنَ الْمُتُونِ وَالرِّجَالِ ؛ وَيَصْرِفْهُمْ بِمَوَاقِعِ الْجَرَحِ وَالتَّعْدِيلِ ، وَالتَّوَجُّعِ وَالتَّعْلِيلِ ، وَالصَّحِيحِ وَالْمَعْتَلِّ الَّذِي تَنْتَازِرُ أَعْضَاؤُهُ سَفْهًا كَالْعَمَلِيلِ ؛ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لِرِجَالِ هَذَا الشَّانِ بِهِ عَنَايَهُ ، وَمَا يُنْقَبُ فِيهِ عَنْ دِرَايَةِ أَوْ يُقَنِّعُ فِيهِ بِمُجْتَزِدِ رَوَايَةٍ ، وَمِثْلُهُ مَا زَادَ حَلْبَا ، وَلَا يُعْرِفُ بَيْنَ رَخْصٍ فِي حَدِيثٍ مُضَوَّجٍ أَوْ كَتَمَ عَلَيْهِ .

وصية نحوي :

وهو زيد الزمان ، الذي يضرب به المثل ، وعمرو الأوان ، وقد كثر من سببويه المثل ، وما زنى الوقت ولكنه الذي لم تستنج منه الإبل ؛ وكسائى الدهر الذي لو تقدم لما اختار غيره الرشيد للأمان ، وثو السؤدد ، لا أبو الأسود ، مع أنه ذو السابقة والأجر المثنون ؛ وهو ذو البر المسأثور ، والقدر المرفوع ولو أذه المنصوب وذيل فخاره المجرور ؛ والمعروف بما لا ينكر لمثله من الحزم ، والذهاب عمله الصالح بكل العوامل التي لم يبق منها لحسوده إلا الجزم ؛ وهو ذو الأنيبة التي لا يقصص عن مثلها الإعراب ، ولا يعرف أفصح منها فيما أخذ عن الأعراب ؛

والذى أصبحت أهدأ به فوق عمامة الغمام ثلاث ، ولم يزل طول الدهر يُسكّر منه
أُسنه ويومه وقُده وإنما الكلمات ثلاث . فليُتصدّ للإفاده ، وليعلمهم مثل
ما ذكر فيه من علم النحو نحو هذا وزياده ؛ ولكن الطلبة تُجأ به يبتدئ ، ويرفع
بتعليمه قدّر كل حبر يكون خبراً له وهو المبتدا ؛ وليقدّم منهم كلّ من صلح
للتبريز ، وأستحقّ أن يُنصب إماماً بالتمييز ؛ وليردّ من موارد أعذب النطاف ،
وليُجزّ إليه كلّ مضاف إليه ومُضاف ؛ وليُوفّقهم على حقائق الأسماء ، ويُمزّقهم
دقائق البحوث حتى أشتقّ الاسم هل هو من السّموّ أو من السّماء ؛ وليبين لهم
الأسماء الأعجميّة المنقولة والعربية الخالصة ، وليُلمّم على أحسن الأعمال لا ما يُستبّه .
فيه صفات كان وأخواتها من الأعمال الناقصة ؛ وليحفّظهم المثل وكلمات
الشّعراء ، وليُنصب نفسه لحدّ أذهان بعضهم ببعض نصب الإغراء ؛ وليعامل
جماعة المستفيدين منه بالنعف ، ومع هذا كلّه فليُرقّق بهم فما بلغ أحد علماً بقوة
ولا ظيئة بعسف .



وهذه وصية لغوى أوردها فى التعريف .^(١)

(١) رياض بأمله ، ولم تذكر هذه الوصية فى نسخة "التعريف" التى بيدها .

الوظيفة الثامنة

(التصدير)

وموضوعة الجلوس بصدر المجلس بجماع أو نحوه . ويجلس متكماً أمامه على كُرْسِيٍّ كأنه يقرأ عليه ، يفتح بالتفسير ثم بالرفائق والوعظيات ، فإذا انتهى كلامه وسكت ، أخذ المتصدر في الكلام على ما هو في معنى تفسير الآية التي يقع الكلام عليها ، ويستدرج من ذلك إلى ما سنع له من الكلام . وربما أفرد التصدير عن المتكلم على الكري .

وهذه نسخة توقيع بتصدير أنشأته للشيخ شهاب الدين « أحمد الأنصاري »
الشهير بـ « الشاب الثائب » بالجامع الأزهر ، وهي :

رسم ... لا زالت صلواته الشريفة تُحْصَى المجالس بمن إذا جلس صدر مجلس^(١)
كان لربته أجمل صدر يجني من علماء التفسير ، ومن إذا دقق لم يفهم ... عنه^(٢)
وإذا سلك سبيل الإيضاح كان كلامه في الحقيقة تفسير تفسير ، وتصطفي من سكرة
الأمائل من دار نمته بين « الشاب الثائب » و « الشيخ الصالح » فكان له أكرم
نعت على كل تقدير . أن يستمر المجلس الساعي آدم . الله تعالى رفعت . في كذا
وكذا ، لأنه الإمام الذي لأسائى علومه ولا تُسام ، والعلامة الذي لا تُدرك مدارجُه
ولا تُرام ، والخبر الذي تتعبد على فضله المختاصر ، وفارس الطلبة الذي يعترف
بالقصور عن مجاراة جبابه المناظر ، وآية التفسير التي لا تُنسخ ، وعقد حقيقة الذي
لا يُفسخ ، والماهر الذي استحق بمهارته التصدير ، والجامع لفنونه المتنوعة

(١) أي بالامر الشريف الخ .

(٢) يباض بالأصل دله « لم يفهم فسه إلا عه » أو نحو ذلك .

جمع سلامة لاجمع تكسير؛ وترجأت معانيه الآتى من ضرائب تأويله بالصحب العجائب، والعارف بهدى طريقه الذى إذا قال قال الذى عنده علم من الكتاب؛ وزاهد الوقت الذى زين بالعلم العمل، وناسك الدهر الذى قصر عن مبلغ مداه الأمل .

فليتأق ما ألقى إليه بالقبول، وليستند إلى صدر مجلس يقول فيه ويطول؛ وليبين من معانى كتاب الله ما أجمل، ويوضح من خفى مقاصده ما أشكل، وليستك فى تفسيره أقوم منن، ويعلن بأسراره الخفية فى سر كتاب الله أجدر أن يكون عن علن، وليجرفه على ما ألف من تحقيقاته فإنه إذا لم يحقق المناظرة فمن؟، وليأخذ مشايخ أهل مجلسه بالإحسان، كما أحسن الله إليه فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان، ويخص شبابهم على التوبة ليحبهم الله فيتصل فى المحبة سننهم فإن «الشاب السائب» حبيب الرحمن؛ والله تعالى يرفقه إلى أربع الأثر، ويرفع مجلسه السامى على محل الثريا (وانا نرجو فوق ذلك مظهرا). إن شاء الله تعالى .

الوظيفة التاسعة

(النظر)

وموضوعه التعلث فى أمور خاصة بإباحة ضروراتها، وعمل مصالحها، واستخراج متحصل جهاتها، وصرفه على الوجه المعتبر، وما يجرى مجرى ذلك .

وقسميل على عدة أنظار :

منها - نظر الأحباس : جمع حبس^(١) وهو الوقف : فقد تقدم فى المقالة الثانية أنه كان أصل وضعه أراضى أشتراها (الإمام الليث بن سعد رضى الله عنه)

(١) فى المختار «والحبس كالتقل ماوقف» وهو المراد هنا .

وَوَقَّعَهَا عَلَى جِهَاتٍ بَرَّةٍ، ثُمَّ تَبِعَهُ النَّاسُ فِي إِضَافَةِ الْأَوْقَافِ إِلَى ذَلِكَ، إِلَى أَنْ كَانَتْ
وِزَارَةُ الصَّاحِبِ بَهَاءِ الدِّينِ أَبْنِ حَنَّا فِي سُلْطَنَةِ الظَّاهِرِ بَيْرَسِ الْبُنْدُقْدارِي، فَأَقْرَدَ
لِلجَوَامِعِ وَالْمَسَاجِدِ وَالرُّبُطِ وَالزُّوَايَا وَنَحْوِ ذَلِكَ رِزْقًا، وَقَصَّرَ تَحْتَهُ نَاطِرَ الْأَحْبَاسِ
وَمُبَاشِرِيهِ عَلَيْهَا، وَأَقْرَدَتْ الْأَوْقَافَ بِنَاطِرٍ وَمُبَاشِرِينَ كَمَا سَيَأْتِي :

وهذه نسخة توقيع بتدريس الطب بالبيمارستان المنصوري، كُتِبَ بها «لمُهَلَّبِ
الدِّين» وهي :

الحمد لله الذي دبر بحكمته الوجود، وعمَّ برحمته كلَّ موجود، وحال ينفع الدواء
بين ضرِّ الداء كما حَالَتْ عَطَايَاهُ دُونَ الْوَعْدِ، وَنَحْمَدُهُ وَنُشْكِرُهُ وَهُوَ الْمَشْكُورُ الْمَحْمُودُ،
وَتُبْنَى عَلَيْهِ خَيْرُ الثَّنَاءِ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى الْجَنُوبِ وَفِي السُّجُودِ، وَنُسْتَرِيدُهُ مِنْ فَضْلِهِ
فَإِنَّهُ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْجُودِ.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة الله بها والملائكة وأولو العلم
شهود، ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله المبشِّرُ لأمته بالجنَّاتِ والمخلُود، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ وَتَحَبَّهِ صَلَاةٌ دَائِمَةٌ إِلَى يَوْمِ الْوَعْدِ.

وبعد، فَإِنَّمَا أَقَامَ اللهُ بِنَا شَعَارَ الْإِيمَانِ، وَأَصْبَحَ دِينُهُ بِحَمْدِ اللهِ مَنْصُورًا بِنَا
عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ، وَجَاهِدْنَا فِي اللهِ حَقَّ الْجِهَادِ بِالْيَدِ وَاللِّسَانِ، وَشَيْدْنَا لَعَلِيمِهِ
وَشَرَائِمَهُ كُلَّ يَدِينِ الْإِتْقَانِ، وَرَتَّبْنَا فِيهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْأَعْيَانِ كُلَّ رَفِيعِ الشَّانِ، وَآخَرْنَا
لَهُ الْأَخْيَارَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالطَّبِّ وَالْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالْقُرْآنِ، وَزَيْنَانَا كُلَّ مَنْ تَهَنَّمْنَا
مِنَ الْمُلُوكِ، وَإِنْ سَلَكَ فِي سِيَاسَةِ الرَّعْيَةِ أَحْسَنَ سُلُوكٍ، قَدْ أَهَمُّهُمْ بِعِلْمِ الْأَدْيَانِ وَأَهْمَلُ

(١) حتى هذا التوقيع أن يذكر في توابع الوظيفة السابعة الخاصة بالتدريس.

علم الأبدان؛ وأنشأ كل منهم مدرسة ولم يحفل بجمارستان، وغفل عن قوله صلى الله عليه وسلم: «العلم علمان»؛ ولم يأخذ أحدا من رعيته بالأشتغال بعلم الطب المضطرب إليه، ولا وقف وقفا على طلبة هذا العلم المنصوص عليه، ولا أمد له مكانا يحضر من يشتغل بهذا الفن فيه، ولا نصب له شخصا يمثل هذا المشتغل لديه - علمنا نحن بحمد الله تعالى من ذلك ما جهلوه، وذكرا من هذه القرية ما أهملوه، ووصلنا من هذه الأسباب الدينية والدنيوية ما فصلوه؛ وأنشأنا بجمارستان بيهر العيون بهجه، ويقوق الأبنية بالدليل والحجة، ويحفظ الصحة والمافية على كل مهجه؛ لوحله من أشقى أتعرجل بالشفا، أو جاءه من أكده السقم لاشفى، أو أشرف عليه العمر بلا شفاء لعاد عنه بشفا؛ ووقفنا عليه من الأوقاف المبرورة ما يملأ العينين، ويطيرف سماع جملته الأذنين، ويبعد عنه من أمه مملوء الدين؛ وأبجنا التداوى فيه لكل شريف ومشروف وأمور وأمير، وساوينا في الاستفاع به بين كل صغير وكبير، وعلمنا أن لانظير لنا في ملكنا ولا نظير له في إبقائه فلم نجعل لوقفه وشرطه من نظير؛ وجعلنا فيه مكانا للأشتغال بعلم الطب الذى كاد أن يجهل، وشرعنا للناس إلى ورد بحره أصدب منهل، وسهلنا عليهم من أمره ما كان الحسب به من البقطة أصمل، وأرتدنا له من علماء الطب من يصلح لإلقاء الدروس، وينفع به الرئيس من أهل الصناعة والمرموس، ويؤمن على صحة الأبدان ويحفظ النفوس؛ فلم نجد غير رئيس هذه الطائفة أهلا لهذه المرتبة، ولم نرض لها من لم تكن له هذه المنقبه، وعلمنا أنه متى وليها أسمى بها معجبا وأصمحت به معجبه.

ولما كان المجلس السامى «مهلئ الدين» هو الرئيس المشار إليه، والوحيد الذى تمعد اختاصر عليه؛ وكان هو الحكيم «بقراط»، بل الجليل «سقراط»؛ بل الفاضل «جالينوس»، بل الأفضل «ديسقوريدوس» - أقتضت الآراء

الشريفة أن تُزاد جلالته بتولية هذا المنصب الجليل جلاله ، وأن تُزف إليه نجر أذياله ، وأن يقال : (لم يك يصلح إلا لها ولم تك تصلح إلا له) .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال للدين ناصرا ، ولأعلام العلوم نائرا - أن يفوض إليه تدريس الطب بالبيارستان المبارك المنصوري ، المستجد الإنشاء بالقاهرة المحروسة ، علما بأنه المتمهر في هذا الفن ، وأنه عند الفراسة فيه والظن ، وأنه سقراط الإقليم إذا كَلَبَ غيره سقراط اللث ، وحقه بأنا الجوهر قد ألتقطنا ، وبالحير قد اغتبطنا ، وعلى الخبير قد سقطنا .

فلتأتق هذه النعمة بالشكر الجليل ، والحيد الجزيل ، والثناء الذي هو بالثناء والزيادة كغيبيل ، ولينصب لهذا العلم المبارك انتصاب من يقوم بالقرض منه والسنة ، ويعرف له فيه الفضل ويتخذ له فيه المنه ، ويثني على آثاره الجميلة فيه ويثني إليه الأغنية ، وليعطل بتقويمه الصحة ما ألفه ابن « بطلان » ، وليرنا بتديده جيلة البر فإنه « جالينوس » الزمان ، وليبذل النجاة من الأمراض والشفاء من الأسقام فإنه « ابن سينا » الأوان ، وليجمع عنده شمل الطلبة ، وليعط كل طالب منهم ما طلبه ، وليبلغ كل ممرّب من الاشتغال أربه ، وليشرح لهم صدره ، وليبذل لهم من عمره شطره ، وليكشف لهم من هذا العلم المبكّن سره ، وليرهم ما خفي عنهم منه جهره ، وليجعل منهم جماعة طبائعيه ، وطائفة كتابين وجراحية ، وقوما مجربين ، والحديد عارلين ، وأخرى بأسماء الحشائش وقوى الأدوية وأوصافها عارلين ، وليأمر كلا منهم بحفظ ما يجب حفظه ، ومعرفة ما يزيد به حفظه ، وليأخذ بما يصلح به لسانه ولقظه ، ولا يفتّر عنهم في الاشتغال لحظه ، وليقرّذ لكل علم من العلوم طائفة ، ولكل فن من فنونه جماعة بحاسنه عارقه ، وليصرف إليهم من وجوه فضائله كل عارفه ،

وَلْيَكْشِفْ لَهُمْ مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ غَوَامِضِهِ فَلَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ إِبْطَاحِهِ كَاشِفَةٌ ؛
 لِيُشْرِفَ فِي هَذَا الْمَكَانِ الْمُبَارَكِ مِنْ أَرْبَابِ هَذِهِ الْعُلُومِ قَوْمٌ بَعْدَ قَوْمٍ ، وَيُظْهِرَ مِنْهُمْ
 فِي الْقَدِّ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - أَضْعَافُ مَا هُوَ ظَاهِرٌ مِنْهُمْ الْيَوْمَ ؛ وَلِيُقَالَ لِكُلِّ مَنْ طَلَبْتَهُ
 إِذَا شُرِعَ فِي إِجَازَتِهِ وَتَرْكِتِهِ : لَقَدْ أَحْسَنَ شَيْخُهُ الَّذِي عَلَيْهِ تَأْدِيبٌ ، وَإِنْ مَنْ نَخَرَجَ
 هَذَا «الْمُهْدَبُ» ؛ حَامِلًا فِي ذَلِكَ بِشُرُوطِ الْوَاقِعِ أَعَزَّ اللَّهُ نَصْرَهُ ، وَاقْفَا عِنْدَ أَمْرِهِ
 أَمْضَى اللَّهُ أَمْرَهُ ؛ وَالْخَيْرُ يَكُونُ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة توقع بنظر الأعباس مفتحة بـ «أما بعد» وهي :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي أَذِنَ أَنْ تُرْفَعَ بَيُوتُهُ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَهْلُهُ ، وَيُكَثَّرَ فِيهَا قِسْمُ
 ثَوَابِهِ وَيُزِيلَ قِسْمُهُ ، وَالصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي عَظَّمَ بِهِ قَطْعَ دَابِرِ الْكُفْرِ وَكَثَّرَ
 حَسَنَهُ - فَإِنَّ خَيْرَ مَنْ حُوِّلَ عَلَيْهِ فِي تَأْسِيسِ بَيُوتِ اللَّهِ وَعِمَارَةِ رُبُوعِهَا ، وَلَمْ شَعْنَهَا
 وَشَعْبَ صَلُوعِهَا ؛ وَالْقِيَامَ بِوُظَائِفِهَا ، وَتَسْهِيلَ لِفَاطِنِهَا ؛ وَتَاهِيلَ نَوَاحِيهَا ، هُبُوطَ
 الْمَلَائِكَةِ لِقَى الْمُصَلِّينَ فِيهَا ، مَنْ كَانَ ذَا عَزَمٍ لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ ، وَحَرَمٌ لَا يُلْمُ
 بِأَعْمَالِهِ لَمَّ الْمَاتَمُ ؛ وَنَظِيرُ تَائِبٍ ، وَرَغْبَةٌ فِي اخْتِيَارِ جَمِيلِ الْمَآثِرِ وَالْمَنَاقِبِ ، وَمُبَاشَرَةٌ
 تَرْغَى قَوَائِنَ الْأُمُورِ وَتَكْتِفُهَا أَكْتَثَافَ مُرَاقِبٍ .

وَلَيْسَ كَانَ فَلَانٌ مِّنْ هَذِهِ الْأَوْصَافِ شِعَارُهُ ، وَإِلَى هَذِهِ الْأُمُورِ يَدَارُهُ ؛ وَكَمْ كَتَبَ
 اللَّهُ بِهِ لِلتَّوَلَّى أَجْرًا يَكْ وَسَاجِدًا ، وَكَمْ شَكَرْتَهُ وَذَكَرْتَهُ أَلَيْسَتْهُ أَعْلَامُ الْجَوَامِعِ وَأَفْوَاهُ
 تَحَارِيرِ الْمَسَاجِدِ - أَتَقْضَى مُنِيفَ الْمُلَاحَظَةِ وَالْمَحَافَظَةِ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ مِنْ بَيُوتِ
 اللَّهِ وَشَاهِدٍ ، أَنْ نَخْرُجَ الْأَمْرَ الشَّرِيفَ - لَا يَبْرَحُ يَكْشِفُ الْأَوْجَالَ ، وَيَدْعُوهُ
 فِي التَّدْوِ وَالْإِصَالِ رِجَالٌ - أَرَأَيْتَ يَغُوضُ لِفَلَانٍ نَظَرُ دِيَوَانِ الْأَعْبَاسِ وَالْجَوَامِعِ
 وَالْمَسَاجِدِ الْمَعْمُورَةِ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ؟

فليباشرها مباشرة من يُراقب الله [إن] وقع أو توقع ، وإن أطاع أو تطوع ، وإن عزل أو ولى ، وإن أدب من نهى عبدا إذا صلى ، وليجتهد ككل الاجتهاد فى [صرف] ريع المساجد والجوامع فى مصارفها الشرعية ، وجهاتها المرعية ، وليأخذ أهلها بالملزمة فى أحيائها وأوقاتها ، وعمارتها بمصايبها وآلاتها ، وحفظ ما يحفظون به لأجلها ، ومعاملتهم بالكرامة التى ينبى أن يعامل مثلهم بمثلها ، وليحذر فى إخراج الحالات إذا خرجت وأخرجت ، وفى مستحققات الأجار إذا استحققت وإذا تجلّت ، وفى التواقيع إذا أنزلت وإذا نُزلت ، وفى الاستثنائات التى أُهملت وكان ينبى لو أُهملت ، وإذا باشر [و] ظهر له بالمباشرة خفيا هذا الديوان ، وفيهم ما محتويه براءد الإحسان ، فليكن إلى مصالحه أول مُبادر ، ويكفيه تدبر قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ .

قلت : وقد كنت أنشأت توقيعا بنظر الأحباس ، للقاضى « بدر الدين حسن » الشهير بابن النّاية ، مفتحا بالحمد لله ، جاء فردا فى بابه . إلا أن مسودته غُيبت عني ، فلم أجدها لأثبّتها هاهنا كما أثبتت غيرها مما أنشأته : من البيعات والمعهود والتواقيع والرسائل وغير ذلك .

ومنها - نظر الأوقاف بمصر والقاهرة المحروستين ، ويدخل فيه أوقاف الحرمين وغيرهما .

وهذه نسخة توقيع بنظرها ، وهى :

الحمد لله الذى حفظ معالم البر من الدثور ، وأحيا آثار المعروف والأجور ، وصان الأوقاف المحبسة من تبديل الشروط على توالى الأيام والشهور .

نحمده على فضله الموفور، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لها في القلوب نور على نور، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله المؤيد المنصور، الطالع البدور، المبعوث بالفرقان والنور، المنعوت في التوراة والإنجيل والزبور، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما كرت النور، وطلعت كواكب ثم تغور.

وبعد، فإن أهل الخير من المؤمنين هتفوا إلى الله سبحانه وتعالى من طيبات أموالهم بأوقاف وقفوها على وجوه البر وعرفوها، وجعلوا لها شروطاً وصفاً لها، فقبل الله لهم ذلك، ثم ماتوا لها أقطع عملهم بها وهم في برزخ الممالك، وولّاهم بعدهم الأمان من النظار، فقاموا بحقوقها وحفظ الآثار، وأجروا ربح الدار في كل دار، وصاتوا معلّماً من الأغيار، وشاركوا واقفها في الصدقة لأنهم خزان أمانه أخيار.

ولما كان فلان هو الذي لا يتدنس عرضه بشائبه، ولا يئس المصالح وهي عن فكره غائبه، ولا يبرح نجوم السعود طالمة عليه غير غائبه، وهو أهل أن يناط به التحدث في جهات البر الموقوفة، وأموال الخير المصروفة، لأنه نزه نفسه عما ليس له فلو كانت أموال غيره غنماً ما اختص منها بصوفه، فذلك رسم ... (١) ...

فلما شر هذه الوظيفة مباشرة حسنة التأثير، جميلة التثمين، مأمونة التغيير، مخصوصة بالتعبير، ولينظر في هذه الأوقاف على اختلافها من ربيع ومباني، ومساكن ومغانى، وخانات مسبله، وحوانيت مكله، ومُسَقَّفات معجوره، وساحات مأجورة غير مهجورة. وليبدأ بالمارة فإنها تحفظ العين وتكفي البناء دونوره، وليتبع شروط الواقفين ولا يبدل عنها فإن في ذلك سروره، ويندرج في هذه

(١) يرض له في الأصل لجه من أمثاله السابقة.

الأوقاف ماحو على المساجد ومواطن الذكر : فليقيم شعارها ، وليحفظ آثارها ، وليرفع منارها ، والوصايا كثيرة والتقوى ظلها المخطوب ، ومراقبة الله أصلها المطلوب ووصلها المحبوب ، والله تعالى يجمع على محبته القلوب ؛ بمته وكرمه ! .

ومنها - نظر البيارستان المنصوري بين القصرين لأرباب الأقسام ، وهو من أجل الأنظار وأرفعها قدرا ، ما زال يتولاه الوزراء وكُتب السر ومن في منامهم .
[وهذه نسخة توقيع] من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهي :

الحمد لله رافع قدر من كان في خدمتنا الشريفة كريم الغلال ، ومُعطي درجة من أضفى عليه الإخلاص في طاعتنا العلية مديد الظلال ، ومجيد نعيم من لم يخصه اعتناؤنا بغاية إلا ورقته همته فيها إلى أسنى رتب الكمال ، ومفوض النظر في قرب سلفنا الطاهر إلى من لم يلاحظ من خواصنا امرا إلا مرنا ما تُسأله فيه من الأحوال الخوال .

نحمده على نعمه التي لا تزال تُسرى إلى الأولياء عوارفها ، وميته التي لا تَبُحُ تشمل الأصفياء عواطفها ، وآلائه التي تُسند آراءنا في غويز قربنا إلى من إذا بأشرها [سُر] بسيرته السرية مستحقها وواقفها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة رفع الإخلاص لواءها ، وأفاض الإيمان على وجوه حملها إشرافها وضيائها ، ووالى الإيقان إعادة أدائها بمواقف الحق وإبداءها ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المخصوص بمعوم الشفاعة العظمى ، المقصود في السنة ذكر حوضه الذي من شرب منه شربة فإنه بعدها لا يُظْمَأ ، المنصوص على نبوته في الصحف المنزلة وبُشِّرَتْ به المواتف نثرا ونظما ؛ صلى الله

عليه وعلى آله وصحبه الذين فازوا من طاعته ، بالرَّثْبِ الفانوره ، وحازوا بالإخلاص
في محبته ، سعادة الدنيا والآخرة ، وأقبلوا على حظهم من رضا الله ورضاه فلم يُلُوا
على خَدَعِ الدنيا الساحره ؛ صلاة دائمة الاتصال ، أمانة شمس دولتها من الغروب
والزوال ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإنَّ أولى الأمور بإتمام النظر في مصالحها ، وأحقها بتوفير الفكر على
اعتبار مناهجها وأعتاد مناهجها - أمرُ جهات البر التي تقرب والدُّنا السلطان الشهيد -
قدس الله روحه - بها إلى مَنْ أفاض نِعَمه عليه ، ويتَّوَعَّع في إنشائها فأحسن فيها
كما أحسن الله إليه ، ورَضِبَ بها فيما عند الله لِعَلَّه أَنْ ذَلِكَ مِنْ أَهْسِ الذخائر التي
أعطاهَا بين يديه ؛ وحلَّ منها في أكرم مُقْعَةٍ تَسَلَّه اللهُ بها عن سريره إلى مقعد صدق
عند ربِّه ، وعمرَها مواطنَ العبادة في يومِ سَلَمِهِ بعد أَنْ حَقَّ على معاقل الكفر
في يومِ حربِهِ ؛ وأقامَ بها منارَ العلوم فعلا مناهلُ ، وأعدَّ للضُفْعَاءِ بها من مَوَادِّ البر
والإلطاف مالو تَطَاوَنَ الأغنياءُ قُصِرَتْ عن التَطَاوُلِ إليه أموالُها ؛ وَأَنْ نَزَادَ لها
مَنْ إِذَا فُوضْنَا إليه أمرا تحقَّقنا صِلَاحه ، وتيقَّننا نجاحه ؛ واعتقدنا تِمْيَةَ أمواله ،
وأعتمدنا في مضاعفة أرتفاعه وانتفاعه على أقواله وأفعاله ؛ وعلمنا من ذلك
مالا يحتاجُ فيه إلى إخبار ولا اختيار ، ولا يحتاج في بيان الخيرة فيه إلى دليلٍ إلَّا إِذَا
أحتاجُ إليه النَّهارُ ؛ لنكونَ في هذا بمثابة مَنْ ضاعَفَ لهذه القُرْبِ أسبابَ ثوابها ،
أو جَنَدَ لها وقفا لكونه أنى بيوت الإحسان في أرتياد الأكفَاءِ لها من أبوابها .

ولذلك لما كان فلانٌ هو الذى صانَ أموالَ خواصِّنا ، وأبانَ عن مِثْنِ الآراء
في استئثارنا به لمصالحنا الخاصةِ واختصاصنا ؛ واعتدنا بحِجَلِ نظره في أسبابِ التدبير
التي تملأ الخزانَ ، ويمثِّلُ على أَنَّ مِنَ الأولياءِ مَنْ هو أَوْفَقُ على المقاصدِ من مهام

الكائن ، ويُحقَّق أنه كما في العناصر الأربعة معادنُ فكذا في الرجال معادن ؛ ونَهَتْ أوصافه على أنه ما وليَ أمرًا إلا وكان فوق ذلك قدرًا ، ولا أعتمد عليه فيما تَضيق عنه هِمَمُ الأولياء إلا رَجَب به صَدْرًا ، ولا طَلَعَ في أَفق رتبة هلالًا إلا وثَّاقته العيون في أَجل دَرَج الكمال بَدْرًا ؛ يُدْرِك ما نَأَى من مصالح ما يليه بأدنى نظر ، ويسبق في سَدَاد ما يشره على ما يجب سَدَاد الآراء ومواقف الفكر ؛ فنحن نزداد كل يوم غبطة بتدبيره ، ونحقق أن كل ما عِدنا به إليه من أمرٍ جليلٍ فقد أسندناه إلى عارفه وفوضناه إلى خيريه - أقتضت آراءُنا الشرفَةَ أن نعلّق بحبل نظره أمر هذا المُهمِّ المُقَدِّم لَدُنَّا ، وأن نفوض إليه نظر هذه الأوقاف التي النظرُ في مَصالحها من أكده الأمور المتعينة عليها .

فرسم بالأمر الشريف - لا زال فضله عِمًا ، ويرهَ يَدُم في الرتب من كان من الأولياء كريمًا - أن يفوض إليه كَيْت وكَيْت .

فَلَيْل هذه الرتبة التي أريد بها وجهُ الله وما كان لله فهو أهمُّ ، وقَصْد بها النفع المتعدي إلى العلماء ، والفُقراء ، والضعفاء ومراعاة ذلك من أخَصِّ المصالح وأهمِّ ؛ ولينظر في عموم مصالحها وخصوصها نظرًا يُسَدِّ خَلْها ، ويزيح عِلْها ، ويسمُر أوصولها ؛ ويحرم محمولها ، ويحفظ في أمانيتها أموالها ؛ ويُقيم معالم العلوم في أرجائها ، ويستزِل بها موادَّ الرحمة لساكنها بالسنة قُرْائها ؛ ويستعيد صحة مَنْ بها من الضعفاء بإعداد اللُخائر للملاطفة أسقامها ومعالجة أدوائها ؛ ويحافظ على شروط الواقف - قدس الله رُوحه - في إقامة وظائفها ، وأعتبار مَصارفها ؛ وتقديم ما قَدَّمه مع مَلَاة تدبيره باستكمال ذلك على أكمل ما يجب ، وتمييز حواصلها بما يستدعي إليها من الأصناف التي يعز وجودها ويحتلَب ؛ وضبط تلك الحواصل التي لا خزان لها أو تُوق من أيدي

أمانته وحقته، ولا مودع لها أوفى من أمانة من يتقى الله حق ثقته؛ وليفعل في ذلك جميعه ما عرفناه من تديره الجميل خبراً وخبراً، وحمدناه في كل ما يليه ورذا في المصالح وصدرنا؛ فإنه - بحمد الله - الميمون نظراً وتصرفاً، المأمون نزاهة وتصفياً؛ الكريم بحجة وطباعاً، الرحيب في تلقى المهمات الجليلة صدرنا وباعاً؛ فذلكم وكلناه في الوصايا إلى حسن معرفته وأطلاعه، وبمن نهوضه بمصالحنا وأضططلاحه؛ والله تعالى يستدده في قوله وعمله، ويحقق بالوقوف مع مرضاى الله تعالى ومرراضينا غاية أمله؛ إن شاء الله تعالى.



ومنا - نظر الجامع الناصرى بقلمة الجليل .

وهذه نسخة توقيع بنظره، كُتِبَ به للقاضى جلال الدين التزوينى وهو يومئذ قاضى قضاء الشافعية بالديار المصرية، وهى :

الحمد لله الذى زادنا الدين رِفْعَةً وجَلالاً، وجعل لنا على إعلاء منار الإسلام إقبالاً، وأحسن لنظرنا الشرف فى كل اختيار مالا، ووفى مرأى مرأنا لمن أخلصنا عليه اتكالا .

نحمده حمدا يتواتر ويتوالى، وقرب من المنى متابلاً، وتبته به معاهد نعمة عندنا وتتللاً، ونُدبمه إدامة لا نبغى عنها حولا ولا انتقالا .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نصديقها نية ومقالا، ونرجو بالتعالى فيها القبول منه تعالى، وتراسل عليها القلب واللسان فلا يعترى ذاك سوء ولا يخاف هذا كلالا؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى كرم صحابه وآلا، ودلّم على الرشد فوزّوه من علماء الأمة رجالا، صلى الله عليه وعليهم صلاة تسترعى عليها

من الحفظة أكفأ أكفالا ، ونستمد رُفْهَ المذَهَبَاتِ بَكرًا وأصالا ، وتسمو إليه الأنفاسُ شمو حَبَابِ الماءِ حالًا خَلالًا ، ما مدتِ الليالي على أيامها غَلَلًا ، وما بلغ سوادُ شبابهَا من بياضِ صُبْحِ اكْتِهَالَا ، وسلم تسليًا كثيرًا .

وبعد ، فإن من بقى حق عليه أن يُشيد^(١) ، ومن أراد أن يستنه الحسنَى تيقًا فليخذ معينًا على ما يُريد ، ومن أنشأ راء فلا بُدَّ من مباشرٍ عنه يضمن له التجديد ، ويُظنُّ به مع تأثيره التخليد ، ومن تاجرَ لله بمعروفٍ لمَا يَسْخَرُ بالمشاركة فيه إلا لمن يقوم مقام نفسه أو يزيد ، ومن بدأ جميلًا فشرط صلاحه أن يُسندَه إلى من له بالمرأبة تقيد ، فيما يُبدئ ويُعيد ؛ وأى إشادة أقوى ، من التأسيس على التقوى ؛ أو معين أجل من حاكم استخضناه لنا ولاخواننا المسلمين ، أو مباشر أنفع ، من مسيد أردئنا بالمجد وتلق ، وتروى بالعلوم وتضلع ، أو مشارك في الخير أولًا من ولى قلدناه ديننا قبل الدنيا ، وأعليناه بالمنصبين : الحكم والخطابة قصرَ منهما بين الكلمة العالية والدرجة العليا ؛ أو أحسنُ مراقبة من حبر يعبُد الله كأنه يراه ، وإمام يدعو إليه دُعاه أواب أواه ؛ قد آثرَ دَجموعَ المحاسنِ يقينا ، وأصبح قدره الحلّ الجليل يقينا وعن المسامح يقينا ؛ فحسبنا الوصفُ إيضاحًا وتبينًا ، ولكن نُصرِّح باسمه تنويرًا وتعيينًا ، وتحسبنا لسيعة أيماننا الشريفة بعالم زماننا وتربينا ، لا عذرَ لغيرك لم يُضد مناقبة وقد تثلثَ معاليه جواهر ، وقيل لم يؤشَّ الطُروسُ بمعانيه بعد مازان من فتونها أنواع الأزاير ، هو المجلسُ العالى القضايى ، الإمامي ، العالمى ، العالمى ، العلّامى ، الكاملى ، الفاضل ، القدوى ، المفيدى ، الخاشعى ، الناسكى ، الورعوى ، الحاكى ، الجلالى : حجة الإسلام والمسلمين ، قُدوة العلماء العالمين فى العالمين ؛ بركة الأئمة ،

(١) مأخوذ من أشاد يفناه اذا طوله . انظر اللسان فى مادة ش و د — ج ٤ —

علامة الأئمة ، عزَّ السُّنة ، مؤيِّد النُّوْله ، سيِّفُ الشَّريعه ، شمسُ النظر ، مُفَتِّى
 الغُرر ، خُطيبُ الخطباء ، إمامُ البلغاء ، لسانُ المتكلمين ، حَكَمُ الملوك والسايطين ،
 وليُّ أمير المؤمنين ، أبو المَعَالَى مُحَمَّدُ بْنُ قَاضِي القضاة سَعِيدِ الدِّينِ أَبِي القاسم
 عبد الرحمن بن عُمَرَ بن أحمد القَزْوِينِ قاضى القضاة الشافعية : أدام الله عزَّه الشَّرع
 الشَّريف بأحكامه ، وترَفِّه سُيُوفَ الجِلاد وأسَلِه بلسانِ جِدَالِه وأَقْلَامِه ؛ قاضٍ
 يُفَرِّق بين المهترجين برأى لا يَطِيشُ حلمُه ولا يَزِلُّ حُكْمُه ، وَيَتَّقِي الشُّبُهَاتِ بَوَرَعَ
 يَنْبُعُه عملُه ويَهْدِيهِ حِلْمُه ؛ ما لحظَّ جهةً إلا حَفِظَتْ بِرِكة دائِرَة مُزْنِها ، سارية
 مَنَاجِحُها سارِيئُها ؛ ولا أَقْبَلُ على بيتٍ من بيوتِ الله إلا حَقَّ منه إلى سُبُحات
 الجلال ، ولا تَكَلَّمُ في وقِفٍ إلا أبحراه في صالِحِ الأعمال على أقومِ مثال ، ونحنُ لهذه
 المَزايا تُرْدُّ إلى نظره الكريم ما أَهَمَّنَا من عِمارة مَسْجِدٍ وجامع ، وقُلَّده من أوقافنا
 ما يَحْتَفِلُّ فيه خيراً فإنَّ الأوقافَ ودائع .

فلذلك رُسمَ بالأمر الشريف العالى المولوى ، السلطانى ، الملىكى ، الناصرى -
 لا زال يُصِيبُ الصُّواب ، ولا يَعُدُّ أُولَى الألباب - أن يفوض إليه نظرُ الجامع
 الناصرى المعمور بذكر الله تعالى ، بقَلَمَةِ الجبل المحروسة ، وأوقافِه ، والنظرُ على التربة
 والمدسة الأشرقيين وأوقافهما .



ومنها - نظرُ مشهد الإمام الحسين رضى الله عنه بالقاهرة المحروسة .

وقد هتَمَّت في الكلام على خِطَط القاهرة في المقالة الثانية أنَّ الصالح طلائع
 ابن رَزَيْك حين قصدَ قَهْلَ رأس الإمام الحسين إلى القاهرة ، بَيَّنَّ لذلك جامعَه

خارج بابي زويلة،^(١) فيلغ ذلك الخليفة فأورد لها هذه القاعة من قاعات القصر وأمر
بنقلها إليها .

وهذه نسخة توقع بنظره، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، وهي :

الحمد لله الذي جعل مواطن الشرف في أيماننا الزاهرة، محصورة في أكفائها،
ومشاهد السيادة في دولتنا القاهرة، مقصورة على من حبه أواصرنا باعتنائها،
وخصته آلائها باصطفائها؛ الذي أجرى حسن النظر في مقان الآباء الطاهرة على يد
من طلع في أفق العلياء من أبنائها، وعمر معاهد القربات بتدبير من بدأ بقواعد دينه
وأجاد لإحكام تشييدها وإتقان بنائها .

نحمده على ما خصت به أيماننا من رفع أقدار نوى السيادة والشرف، وأتصف به
إنعامنا من مزيد برعم بحسن ظهوره على الأولياء أن الخير في السرف .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يعرف بها من أعترف،
ويُشرف قدر من له بالمحافظة عليها شغف؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي طهر
الله بضعته الزهراء وبينها، وخصهم بمزية القرابي التي نزهه أن يسأل على الهداية
أجرا إلا المودة فيها؛ صلى الله عليه وعلى آله الذين هم أجدر بالكرم، وأحق بمحاسن
الشيم، ومامنهم إلا من (تعرف البطلاء وطائفة) والبيت يعرفه والحلل والحرم)؛
وعلى آله وأصحابه الذين أنعم الله به عليهم، وأتبعوه في ساعة العسرة فهنم الذين
أخرجوا من ديارهم والذين يحبون من هاجر إليهم؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من رُبنت به مواطن الشرف، وعُلفت به العناية بخدمة من دَرَج
من بيت النبوة وسلف، وعُمرت به مشاهد آثارهم التي هي في الحقيقة لهم عُرف،

(١) بكهينة وسقية - انظر شرح القاموس في مادة زبل .

[وَنَالَتْ الدَّوْلَةُ] مِنْ تَدْيِيرِهِ الْجَمِيلِ بَعْضَ حَقِّهَا ، وَخَصَّتْ بَقْعَتَهُ الْمُبَارَكَةَ مِنْ نَظَرِهِ بِمَا يُتَوَقَّعُ فِي خِدْمَةِ مَحَلَّةِ الشَّرِيفِ عَنْ مَوَاقِعِ لِحْظِهَا ؛ وَجَعَلَتْ بِهِ لِأَخِي رَسُولِ اللَّهِ مِنْ خِدْمَةِ أَبِيهِ مَعَهَا نَصِيحًا ، وَفَعَلَتْ ذَلِكَ إِذْ خَبِرَتْ خِدْمَتَهُ أَجْنِيًا عَالِمًا أَنَّ تَضَاعُفَ لَهُ إِذَا كَانَ نَاصِيحًا ، وَحَكَمَتْ بِمَا قَامَ عِنْدَهَا مَقَامَ الثُّبُوتِ ، وَأَمَرَتْهُ أَنْ يَبْدَأَ بِخِدْمَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ [فَإِنْ] لَازِمَهَا لِنَيْهَا مَقَدِّمٌ عَلَى الْبُيُوتِ - مَنْ طَلَعَ شِهَابٌ فَضْلُهُ مِنَ الشَّرَفِ السَّيِّئِ فِي أَكْرَمِ أَهْلِ الْبَيْتِ ، وَأَحَاطَتْ بِهِ أَسْبَابُ السُّودِّ مِنْ سَائِرِ الْوُجُوهِ إِحَاطَةُ الطُّوفِ بِالْمُنَى ؛ وَزَانَ الشَّرَفَ بِالسُّودِّ وَالْعِلْمَ بِالْعَمَلِ ، وَالرِّيَاسَةَ بِاللُّطْفِ فَاخْتَارَتْهُ الْمَنَاصِبُ وَأَخْتَالَتْ بِهِ الثُّبُولُ ، وَتَقَدَّمَ بِنَفْسِهِ وَتَقَاسَمَ أَصْلَهُ فَكَانَ شَوْطٌ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَرَاءَ خَطْوِهِ وَهُوَ يَمْشِي عَلَى مَهَلٍ ؛ وَأَصْطَفَتْهُ الدَّوْلَةُ الْقَاهِرَةُ لِنَفْسِهَا فَنَمَسَتْ مِنَ الْمَوَالِدِ بِأَوْثَقِ أَسْبَابِهَا ؛ وَأَعْتَمَدَتْ عَلَيْهِ فِي بَيْتٍ نَعْمَهَا ، وَبَيْتٍ كَرَمَهَا ، فَعَزَفَ فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ مِنْ وَجْهِهَا وَأَتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ، وَحَدَّثَتْ وَثُودَ أَبْوَابِهَا الْعَالِيَةِ لِحَسَنِ سَيْرَتِهِ فِي إِكْرَامِهِمُ السَّرِيِّ ، وَأَكْتَفَتْ [حَتَّى] مَعَ تَرْكِ الْكَرَامَةِ إِلَيْهِمْ بِشَاشَةِ وَجْهِهِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ مِنَ الْقِرَى ؛ وَصَانَ الْبُيُوتَ عَنِ الْإِقْوَاءِ بِتَدْيِيرِهِ الَّذِي هُوَ مِنْ مَوَادِّ الْأَرْزَاقِ ، وَزَادَ الْحَوَاصِلَ بِتَتْمِيمِهِ مَعَ كَثْرَةِ الْكُلْفِ الَّتِي لَوْ حَاكَتْهَا النَّهَائِمُ لَأَمْسَكَتْ خَشْيَةَ الْإِفْطَاقِ .

وَلَمَّا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي تَلَيْتُ مَنَاقِبَ بَيْتِهِ الطَّاهِرِ ، وَجُعِلَتْ مَفَائِرُ أَصْلِهِ الزَّاهِرِ ، وَتَجَمَّلَتْ بِشَرَفٍ خِلَالِهِ خِلَالُ الشَّرَفِ الَّتِي تَرَكَهَا الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ ، وَكَانَ مُشْهَدُ الْإِمَامِ السَّيِّدِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِالْقَاهِرَةِ الْحَرُوسَةِ بُقْعَةً هِيَ مُتَّجِعَةٌ الرَّحْمَةِ ، وَمِظَنَّةٌ لِجَابَةِ الْأُمَّةِ ، وَرَوْضَةٌ مِنْ شُرُفَاتِ بَانْتِقَالِهِ إِلَيْهَا ، وَتَرَبُّعٌ شَهِيدُ الزَّهْرَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَى أَيْمَانِهَا وَعَلَيْهَا ؛ وَبِهِ الْآنَ [مِنْ] رَوَاتِبِ الثُّرُبَاتِ وَوِظَائِفِ الْعُلُومِ وَجِهَاتِ الْخَيْرِ مَا يَحْتَاجُ إِلَى اخْتِيَارٍ مِنْ يُجَلُّ النَّظَرُ فِيهِ ،

وإسلك نَجَجَ سَلَمَهُ فِي الْإِعْرَاضِ عَنْ عَرَضِ الدُّنْيَا وَيَقْتَفِيهِ - رَأَيْنَا أَنْ نَخْتَارَ لِنُثَلِّكَ
مِنْ آخِرَتِهِ لِأَنَّهُ سَنَا فَكَانَ الْكُفَّاءَ الْكَرِيمَ ، وَآخَرَتَنَا لِمَصَالِحِنَا نَخْبِرُنَا مِنْهُ الْحَفِيفَ
الْعَلِيمَ ، وَأَنْ تُقَدِّمَ مُهِمَّ ذَلِكَ الْبَيْتِ عَلَى مُهِمِّ بَيْوتِنَا فَإِنَّ حَقَّقَ آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَقُّ بِالْعَظِيمِ .

فَلَنُثَلِّكَ رِسْمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتْ مَكَارِمُهُ بِتَقَرُّبِ ذَوَى الْقُرْبَى جَدِيرِهِ ،
وَمِرَاسِيهِ عَلَى إِقْدَارِ ذَوَى الرُّتَبِ عَلَى مَا يَحِبُّ قَدِيرِهِ ، - أَنْ هَوَّضَ إِلَيْهِ النَّظْرُ عَلَى شَهِدِ
الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ طَلِبِهَا السَّلَامُ بِالْقَاهِرَةِ
الْمَحْرُوسَةِ ، عَلَى قَاعَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ فِي ذَلِكَ ، بِالْمَعْلُومِ الشَّاهِدِ بِهِ دِيوَانُ الْوَقْفِ : لِمَا
قَدَّمَاهُ مِنْ أَسْبَابِ رَحْمَتِهِ لِنُثَلِّكَ ، وَبَيَّنَّاهُ مِنْ أُمُورِ أَوْصَحَتْ فِي اخْتِيَارِنَا لَهُ الْمَسْأَلِ ؛
وَمَنْ أَوْلَى مِنْهُ هَذِهِ الرِّبَّةُ الَّتِي شَهِدَتْ لَهُ بِاسْتِحْقَاقِهَا مَنَاصِبُهُ وَمَنَاسِبُهُ ، أَوْ أَقْدَرُ
مِنْهُ عَلَى أُمُشَالِ هَذِهِ الْوُظُفَةِ وَقَدْ أَقْوَتْ بِكُلِّهِ وَكَرَّمَ خِلَالَهُ مَرَاتِبُ الْبَابِ الشَّرِيفِ
وَرَوَاتِبُهُ .

فَلْيَمْنِ النَّظَرَ فِي مَبَاشَرَةِ أَوْقَافِ هَذِهِ الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مُظْهِرًا ثَمَرَةَ تَفْوِضِهَا إِلَيْهِ ،
مَبِينًا نَتِيجَةَ تَعَرُّضِهَا لَهُ وَعَرْضِهَا عَلَيْهِ ، مِنْهَا عَلَى سِرِّ التَّوْفِيقِ فِيهَا وَضَعَ أَمْرُنَا مِنْ
مُقَالِيدِ أَمْرِهَا فِي يَدَيْهِ بِمُجْتَهِدٍ فِي تَمْيِيزِ أَمْوَالِ الْوَقْفِ مِنْ كُلِّ كَاتِبٍ [حَنِيتْ] ، مَوْحِيًا
مِنْ شَفَقَةِ الْوَلَدِ [عَلَى] مَا نُسِبَ إِلَى الْوَالِدِ مَا شَهِدَتْ بِهِ فِي حَقِّهَا الْأَحَادِيثُ ، سَالِكًا
مِنْ خِدْمَةِ ذَلِكَ الْمَشْهُدِ مَا يَشْهَدُ لَهُ بِهِ غَدَا عِنْدَ جَدِّهِ ، نَاشِرًا مِنْ لَوَاءِ^(١)
فَضِيلِ رَفْعِهِ فِي الْحَقِيقَةِ رَفْعُ الْجَنْدِ ، وَلِيْلَحْظَ تِلْكَ الْمَصَالِحِ بِنَظَرِهِ الَّذِي يَزِيدُ أَمْوَالَهَا
تَمْثِيرًا ، وَرِبَاعَهَا تَعْمِيرًا ، وَحَوَاصِلَهَا تَمْيِيزًا وَتَوْفِيرًا ، وَأَرْجُو أَنِّيَا السَّيِّدَ الشَّرِيفَ

(١) يَبَاضُ بِالْأَصْلِ وَلَهُ "مِنْ عَائِدِهِ بِهِ لَوَاءِ الْخ" .

عند الله تعالى بذلك عن كل حسنةٍ عسرا إن ذلك [كان] على الله يسيرا . وصن ما يبيلك عن شوائب الأدناس : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ . وقد خبرنا من سيرتك ومسيرتك مالا يحتاج أن نزياد به خبرا ، ولا أن نبأه بعد ماسلف مرة أخرى ؛ ولكن نذكرك بتقوى الله التى أنت بها متصف ، وبوجودها فيك معروف وبوجودها عليك تعترف ؛ فقدما بين يديك ، وأجلاها الممدة فيما آتينا فيه عليك ؛ إن شاء الله تعالى .

المرتبة الثالثة

(من الوظائف الدينية ما يكتب فى قطع المادة الصغير ، مفتحا
بـ «رسم بالأمر الشريف»)

وهو لمن كانت رتبته مجلس القاضى ، وربما كتب فيه بالسامى بغيرياء لمن قصد تعظيمه وهو قليل ، وبه يكتب لأرباب الوظائف الصغار من الخطباء ، والمدرسين ، ونظار الأوقاف ، وغيرهم من لا يخصص كثرة .

وهذه نسخة توقيع بنظر البيارستان العتيق الذى رتبته السلطان صلاح الدين «يوسف بن أيوب» فى بعض قاعات قصر الفاطميين ، وهى :

رسم بالأمر الشريف - لا زالت أيامه مفيدة ملاء ، وتستفيد أكفاه ، وتضفى ملايس النماء على كل على فكسوه بهجة وبهاء - أن يستقر فلان فى نظر البيارستان الصلاحى بالقاهرة المحروسة ، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت ، لكفاهته التى أشتهر ذكرها ، وأمانته التى صدق خبرها خبرها ، وبزاهته التى أضفى بها

على النفس ففدًا بكل ثناء مليًا ، ورياسته التي أملت فلوه أسمى رتبة فلا غرو أن يكون «عليًا» .

فليباشر نظر الجارستان المذكور مباشرة يظهر بها انتفاعه ، وتمييزها أوضاعه ؛ ويضحي عامر الأرجاء والنواحي ، ويقول لسان حاله عند حسن نظره وبجميل تصرفه : الآن كما بنا صلاحى ؛ وليجعل همته مصروفة إلى ضبط مقبوضه ومصروفه ، ويظهر نهضته المعروفة بشمير ريعه حتى تتضاعف مواد معرفه ؛ ويلاحظ أحوال من فيه ملاحظة تذهب عنهم الباس ، ويراع مصالح حاله في تنميته وتركيبه حتى لا يزال منه شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ؛ وليتناول المعلوم الشاهد به الديوان المعمور من آستقبال تاريخه بعد الخط الشريف أعلاه .

وأعلم أن من تواقع أرباب الوظائف الدينية ما يكتب في هيئة أوراق الطريق ، أو على ظهور القمص ، وقد تهتم .

وهذه نسخة توقيع بالتحديث في وقف :

رسم بالأمر الشريف العالى المؤلوى السلطانى الملكى الفلانى - أعلاه الله تعالى وشرفه ، وأنفذه وصرفه - أن يستقر القاضى فلان الدين فلان فى التحديث فى الوقف الفلانى ، بما لئلك من المعلوم الشاهد به كآب الوقف . فليتم هذا المرسوم الشريف كل واقف عليه ، ويعمل بحسبه وبمقتضاه ، بعد الخط الشريف ، إن شاء الله تعالى .

الضرب الثالث

(من الولايات بالحضرة السلطانية بالديار المصرية - الوظائف الديوانية)

وهى على طبعتين :

الطبقة الأولى

(أرباب التقاليد، فى قطع الثلثين من يكتب له «الجناب العالى»

وفيهما وظيفتان)

الوظيفة الأولى

(الوزارة، إذا كانت متوليا من أرباب الأعلام، كما هو الغالب)

وقد تقدم فى الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية قبلا عن "مسالك الأبصار" أن رتبها ثانى السلطان لو أنصف وعُرف حقه، إلا أنها لما حدثت عليها النيابة، تأخرت وقعد بها مكانها حتى صار المتحدث فيها كخاطر المال، لا يتمدى الحديث فيه ولا يتسع له فى التصرف بحال، ولا تمتد يده فى الولاية والعزل لتطلع السلطان إلى الإحاطة بمرآة الأحوال فى الولاية والعزل. وقد تقدم ذكر ألقابه مستوفاة فى الكلام على مقسمة الولايات فى الطرف الأول من هذا الفصل، والكلام على طرة تقليده فى الكلام على التقاليد.

وهذه نسخة تقليد بالوزارة، كُتِب بها للصاحب «بهاء الدين بن حنا». من إنشاء القاضي محيى الدين بن عبد الظاهر، وهى :

الحمد لله الذى وهب لهذه الدولة القاهرة من لدنه وليا، وجعل مكان سرها وشده أزرها عليا، ورضى لها من لم يزل عند ربه حرضيا.

نحمدُه على لطفه الذى أمسى بنا حَيًّا، ونشكرُه على أن جعل دولتنا جنة أورت
تدبيرها من عباده مَنْ كان حَيًّا؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
تُسَبِّحُ بها بُكرة وصَلياً، ونصلي على سيدنا محمد الذى آناه الله الكتاب وجعله نبياً،
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاةً تَبْتَغِي بها صراطاً سويًّا .

وبعد، فإنَّ أولى ما سَتَغَمَّتْ ألسنة الأعلام بتلاوة سُورِهِ، وتَعَمَّتْ أفواه البحار
بالاستمداد لتسطير سيرِهِ؛ وتَنَاجَتِ الكرامُ الكاتبونَ بِشكرِ جمِّله ومفَصِّله، وتَنَاشَدَتِ
الرؤاة بِمُحَسِّنِ لَسَنَتِهِ وترنَّمتِ الحداة بِطَبيبِ غَزَلِهِ؛ وتَهَادَّتِ الأقاليمُ مُخَفِّفِ مَعْجَلِهِ
ومؤجِّلِهِ، وزَعَتِ وجوهُ المَهَارِقِ لَصُعودِ كَلِمَةِ الطَّيِّبِ ورفعِ صَالِحِ عَمَلِهِ - ما كان فيه
شكرٌ لنعمَةٍ تُنَمُّها على الدولة سعادة جُدُودِها وحُطُوطِها، وإفادة مَصُونِها ومَغْفِرَها،
وإرادة مَرْمُوقِها بِمُحَسِّنِ الاستبدادِ ومَلُحُوطِها؛ وحمدٌ لِنِعْمَةِ أمانَتِها بِرِكَاتِ أحْسَنَتِ
لِلْمُلْكِكَ الشَّرِيفَةِ مآلا، وقُرْبَتِ لها مآلا، وأصلحتِ لها أحوالا، وكاثرتِ
مَسَدَ البحرِ فكُلُّها أجرى ذاك ماء أجزتِ هى مالا؛ وإن ضَلَّتِ السُّحُبُ أَشْجَاتِ
هى نُجُجًا، وإن قيل - بُشْعٌ سَيِّحًا - : رَوَّقَتِ الأرضُ ذَهَبًا، عَوَّضَتْ عَنْهُ ذَهَبًا،
كَمْ لها فى الوجودِ من كَرَمٍ وكرامَةٍ، وفى الوجوه من وُسُومٍ ووسامَةٍ؛ كَمْ أحيَتْ مُهْجًا،
وكَمْ جعلتِ للدولة من أضرِّها مَخْرَجًا؛ وكَمْ وسَّعتِ أَمَلًا، وكَمْ تركتِ صَدْرَ الحَزَنِ
سَهْلًا، وكَمْ تركتِ صَدْرَ الحَزَنِ ضَيْقًا حَرَجًا؛ كَمْ استَخدمتِ جَيْشَ تَهْجِدٍ فى بَطْنِ
الليل، وجَيْشَ جِهَادٍ على ظُهورِ النجْلِ؛ وكَمْ أنْفَقَتْ فى واقِفٍ فى قَلْبِ بينِ صُفُوفِ
الحروب، وفى واقِفٍ فى صُفُوفِ المساجدِ من أصحابِ القُلُوبِ؛ كَمْ سَبِيلَ يَسَّرَتْ،
وَسُعودٍ كَثُرَتْ؛ وكَمْ مَخَافٍ أدبَتْ حينَ دَرَّتْ، وكَمْ آثارٍ فى البلادِ والبَادِ أثَرَتْ
وأثَرَتْ، وكَمْ وافَتْ ووفَّتْ؛ وكَمْ كَفَّتْ وكَفَّتْ، وكَمْ أعَفَتْ وعَفَّتْ وعَفَّتْ، وكَمْ
بِهَا موازينُ للأولياءِ تَقَلَّتْ وموازينُ للأعداءِ خَفَّتْ؛ كَمْ أجزتِ من وقُوفٍ،

وكم عُرِفَتْ بمعروف ؛ كم بيوت عبادةٍ صاحبُ هذه البركات هو محرابها ، وسماها جُود .
هو سحابها وبمدينة علم هو بابها ؛ نُقِيَ الليالى على تنفيسه إلى المساجد فى الحدائس ،
والأيام على تهجيريه لميادة الفقراء وحضور الجنائز وزيارة القبور الدوارس ؛ يكتنُّ
تحت جناح عنله الظاعن والمقيم ، وتُسَكَّر مباره يثرب وزمزم ومكة والحطيم ؛ كم
عمت سنن تنقذاته ونوافله ، وكم مرث صليقاته بالوادي - فسح الله فى مدته -
فانثت عليه رماله وبالنادى فاثنت عليه أرامله ؛ ما زار الشام إلا أغناه عن مئة
المطر ، ولا تحسب سلطانه فى سفر إلا قال : نيم الصاحب فى السفر والحضر .

ولما كان المنفرد بهذه البركات هو واحد الوجود ، ومن لا يُشاركه فى المزايا
شريك وإن الليالى بإيجاد مثله غير ولود ؛ وهو الذى لولم تُسمه قال سامع هذه
المناقب : هذا الموصوف ، عند الله وعند خلقه معروف ؛ وهذا المدحج ، بأكثر من
هذه المداح والمحامد من ربه ممدوح ويمنوح ؛ وهذا المنعوت بذلك ، قد نعتته بأكثر
من هذه التبعوت الملائك ؛ وإنما نذكر نعمته أليذاذا ، فلا يستقد خاطب ولا كاتب
أنه وفى جلالاته بعض حقها فإنه أشرف من هذا ؛ وإذا كان ولا بد للمداح أن يحول ،
والقلم أن يقول ؛ فذلك بركات المجلس العالى ، الصاحبى ، السيدي ، الورعى ،
الزاهدى ، العايدى ، الواليدى ، الذخرى ، الكفيلى ، المهدى ، المشيدي ،
العوفى ، القوامى ، النظمى ، الأفضلى ، الأشرفى ، العالى ، العادى ، البهائى ، سيد
الوزراء فى العالمين ، كهف العابدين ، ملجأ الصالحين ؛ شرف الأولياء المتقين ، مدبر
الدول ، سدّد الثغور ، صلاح الممالك ؛ قدوة الملوك والسلاطين ، يمين أمير المؤمنين ؛
على بن محمد : أدام الله جلالة . من تُشرف الأقاليم بحياطة قلبه المبارك ، والتقاليد
بجديد تنفيذه الذى لا يساهم فيه ولا يُشارك ؛ فما جُدد منها إنما هو بمتابة آيات

تتردد، أو بمنزلة سجلات في كل حين بها يُحكم وفيها يُشهد ؛ حتى تتناقل ثبوته الأيام
والبالى، ولا يخلو جيد دولة من أنه يكون الحالى بما له من فائز الآلى.

فلذلك خرج الأمر العالى - لا يرح يُكسب بهاء الدين المحدثى أتم الأنوار،
ولا يرحت مراسمه تره من قلم منقذه بذى الفقر وذى الفقار - أن يضمن هذا
التقليد الشريف بالوزارة السامة، العامة، الشاملة، الكاملة : من المآثر الشريفة
الصاحبية، البهائية؛ أحسن التضمين، وأن يُنشر منها ما يتلقى رايته كل رب سيف
وقلم باليمن؛ وأن يعلم كافة الناس ومن تضمه طاعة هذه الدولة ومكها وسلطانها
من ملك وأمير، وكل مدينة ذات منبر وسرير؛ وكل من جمعتهم الأقاليم من ثواب
سلطنته، وذى طاعة مُنحيه ؛ وأصحاب عقد وحل، وظن وحل ؛ وذى جنود
وحشود، ورافى أعلام وبُود؛ وكل راج ورعيه، وكل من ينظر فى الأمور
الشرعية؛ وكل صاحب علم وتدريس، وتبليغ وتقديس؛ وكل من يدخل فى حكم
هذه الدولة الغالبة من شُموها المضيفة، وبُورها المنية وشُبهها الناقبة، فى الممالك
المصرية، والثورية، والساحلية، والكركية، والشوكية، والشامية، والحلبية،
وما يتداخل بين ذلك، من ثُور وحُصون وممالك - أن القلم المبارك الصاحب
البهائى فى جميع هذه الممالك مَبسوط، وأمر تدبيرها به منوط، ورعاية شفقتة لها
مَحْطوط، وله النظر فى أحوالها، وأمواها؛ وإليه أمر قوانينها، ودواوينها، وتكليفها،
وحسابها؛ ومراعاتها، وروايتها؛ وتصريفها، ومصرفها؛ وإليه التولية والصرف،
والى تقدمه البدل والنعت والتوكيد والعطف؛ فهو صاحب الرئاسة التى لا يحلها
سواه وسوى من هو مرتضىه، من السادة الوزراء بنيه، وما يميننا غيره وغيرهم

بالصَّحُورِيَّةُ^(١) فليحذر من يُحَاطِبُ غِيْرَهُ [و] غِيْرِهِمْ بِهَا أَوْ يُسَمِّيْهِ ؛ فَكَأَنَّ كَانَ وَالِدُنَا
 الشَّهِيدُ رَحِمَهُ اللهُ يَحَاطِبُهُ بِالْوَالِدِ قَدْ خَاطَبْتَاهُ بِذَلِكَ وَخَطَبْنَاهُ ، وَمَا عَدَلْنَا عَنْ
 ذَلِكَ بَلْ عَدَلْنَا لِأَنَّهُ مَا ظَلَمَ مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ ؛ فَتَرْتُهُ لَأُدَّاسِيْ وَلَا تُسَامُ ، وَمَكَاتَتْهُ
 لَا تُرَآيْ وَلَا تُرَامُ ؛ فَمَنْ قَدَحَ فِي سِيَادَتِهِ مِنْ حُسَادِهِ زِنَادٌ قَدَحَ أُعْرِقَ بِسَرَرِ شَرِّهِ ،
 وَمَنْ رَكِبَ إِلَى جَلَالَتِهِ ، تَبَيَّحَ سُوءَ أُعْرِقَ فِي بَحْرِهِ ، وَمَنْ قَتَلَ لِسَعَادَتِهِ ، حَبَلَ كَيْدٍ فَإِنَّمَا
 قَتَلَهُ مُبْرِئُهُ لِنَحْرِهِ ؛ فَتُظْلِمُ الْأَلْسِنَةُ وَالْأَقْلَامُ وَالْأَقْدَامُ فِي خِدْمَتِهِ أَحْسَنَ الْأَدَابِ ،
 وَلِيَقُلَّ الْمُرْتَدُّونَ : سِجَّةٌ إِذَا دَخَلُوا الْبَابَ ؛ وَلَا يَغْتَنِمُ فِرْقُ تَوَاضُعِهِ لِدِينِهِ وَقَفْوَاهُ ،
 فَمَنْ تَأَذَّبَ مَعَهُ تَأَذَّبَ مَعَنَا وَمَنْ تَأَذَّبَ مَعَنَا تَأَذَّبَ مَعَ اللهِ . وَلِيُتَلَّ هَذَا التَّقْلِيدُ عَلَى
 رُءُوسِ الْأَشْهَادِ ، وَتُسَخَّرَ نُسَخَتُهُ حَتَّى تَتَنَاقَلَهَا الْأَمْصَارُ وَالْبِلَادُ ؛ فَهُوَ هَجَّتْنَا عَلَى مَنْ
 سَمِيَتْهُ خُصُوصًا وَمَنْ يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ بِطَرِيقِ الْمُعْمُومِ ، فليَعْمَلُوا فِيهِ بِالنَّصِّ وَالْقِيَاسِ
 وَالِاسْتِنْبَاطِ وَالْمَقْهُومِ ؛ وَاللهُ يُزِيدُ الْمَجْلِسَ الصَّاحِبِيَّ الْوَزِيرِيَّ الْبَهَائِيَّ سَيِّدَ الْوُزَرَاءِ
 مِنْ فَضْلِهِ ، وَيُثَبِّتُهُ لِنَابِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ يَصُوْنُهُ لِنُشْبَلِهِ كَمَا صَانَهُ لِأَسَدِهِ مِنْ قَبْلِهِ ،
 وَيَجْتَمِعُ بِبَيْتِهِ الصَّالِحَةُ الَّتِي يَحْسُنُ بِهَا - إِنْ شَاءَ اللهُ - نَمَاءُ الْفَرْعِ كَمَا حَسُنَ نَمَاءُ
 أَصْلِهِ ، بِمَنْةٍ وَكَرَمِهِ .



وهذه نسخة تقليد بالوزارة ، كُتِبَ بِهِ لِلصَّاحِبِ تَاجِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ نَفَرِ الدِّينِ
 آخِرُ الصَّاحِبِ بِهَاءِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ حَتَّاءَ ، فِي رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَسِتَّمِائَةٍ ،
 مِنْ إِنْشَاءِ الْمَوْلَى شَهَابِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ الْخَلْفِيِّ ، تَعَمَّدَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ ، وَهِيَ :

(١) فِي التَّصْيِيرِ بِالصَّحُورِيَّةِ تَسَامَعُ فِي الْعَرَبِيَّةِ .

الحمد لله مكل شرف الوزارة بطلعة تاجها ، ومشرّف قدرها بمن تُشرق عليها
أشعة سعده إشراف الكواكب على أبراجها ، ورافع لواء مجدها بمن طلّقه بعد الحفاء
في حُلّ سُورِها وحلّي آتِهاجها ؛ ونخلت بعد العطل من جواهر مفاخره بما تترنّ
عُود السُعود بازديواجها ، وترقّل من آتِسابها إلى أُنْهيه بهاته بما يودُّ ذهبُ الأصل
لوا مَرَج بسُلوِك آتِسابها ؛ الذي شيد قواعد هذه المرتبة السنية في أماننا وجددها ،
وبعث لها على فترة من الأكفاه من حسنم الأدوات فكان مسيحها وشرع المعدلة
فكان مجدها ؛ وردّها بحكم الاستحقاق إلى من لا يُحتَف في أنه صاحبها ، ورجعها
إلى من خطبته لنفسها بعد أن أحجم لشرف قدرها خاطبها .

نحمده على أن شدّ أزد ملكنا باكرم وزير ، وأمين مشير ؛ وأجلّ من يتهى إلى
بيت كرم ، وحسب صميم ، ومن إذا قال لسان ملكنا : ﴿ أَتَوْنِي بِه أَسْتَغْنِيهِ
لِنَفْسِي ﴾ قالت كفايته : ﴿ أَجْعَلْنِي عَلَى تَرَائِي الْأَرْضِ إِنْ حَفِظْتُ عِلْمِ ﴾ .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُقرّبها سرّاً وعلناً ، ويُقرّبها
هذه العقيلة الجليّة عند من يكسوها مجده رفعة وسناً ، ويُليس جفن الدهر عنها
وسناً ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله المخصوص بكل صاحب شهد الكتاب والسنة
بفضله ، وقام بعضهم بحسن مؤازرته مقام من شدّ الله [به] عضد من سألّه وزيراً من
أهله ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا تُقرب شمسها ، ولا يعزّب أمّتها ،
ولا يتفاوت في المحافظة عليها غلّها وأمّتها ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ؛ فإنّ أولى من خطبت بحمد الأعلام ، وأنصحت به الدولة التي أنصحت
بنسبها تُقوّر الأيام ؛ وودت مسكة الليل لو ما زجت أُنْغاسه ، وأمل بياض النهار
لواخذ من غير سمة عوض ورق الورق قِرطاسه ؛ وتحاشدت النجوم لتتنسّق في سلك

معانيه وطارت بذكره فى الآفاق أنباء السعد، وحكت الجند بأنه فى اقتبال
إقباله نهاية الآباء وغاية الجند ؛ وأقترت به ثغور الممالك عن أحسن الدرّ النضيد ،
وسرت بذكره رفاق الآفاق فى كل نادٍ مناد وفى كل بربريد ، واختالت به أعطاف
الدولة القاهرة فأوت من الرأى السديد إلى كل ركن شديد، ونطق به العدل والحق
نخرس الظلم وما يبدئ الباطل وما يعيد، وجرت به أقدار ذوى الرتب على أجل
مناجها فأما أهل العدل فيقرّون نحيًا وأما أهل الظلم فأولئك ينادون من مكان
بعيد ، وبتت به وجوه المصالح سافرة بعد الحجاب ، بارزة بعد طول الأتقال إلى
الانتقال ، داخلة بوقود المحامد من كل باب ، إلا الظلم فإنه بحمد الله قد سد ذلك
الباب . وأقر منصب الوزارة الشريفة أنا أعدنا به الحق إلى نصابه ، ورددناه إلى من
هو أولى به بعد اغتصابه ، وألبناه من بهجة أيماننا تاجاً ردّ عليه عزاً لا تلطمع
يد اللهب فى أتراعه عنه ولا استلايه ؛ وتقليده لمن يؤدّ الفرقد لو عهد به إكليه ،
ويحقى الطوف لو أدرك غاية تجده وإن رجع وهو حبيب البصر كليه ؛ وتفويض
ذلك إلى من كان له وهو فى يد غيره ، ومن به وبهتته تمهدت قواعده فما كان فيه
من خير فهو من سيرتهم وما كانت من شرفن قبل المقصر من عثارهم فى سيره ؛
وما أحدث فيه من ظلم فهو منه برآء إذ إثم ذلك على من اجتراً عليه ، وما أجرى
به من معروف إلى طريقهم منسوب وإن تلبس منه بما لم يعط من نسيب إليه ؛
وما خلا منهم هذا الدسّ الكريم إلا وهم بالأولوية فى صدره الجلوس ، ولا تصدئ
غيرهم لتعاطيه إلا وأقبلت عليه فى أيامه الجسوم وعطية النفوس .

ولذلك لما كانت هذه الدولة القاهرة مفتحة بالبركات أيامها ، ماضية بتكب
الظلم وتشر العدل سيوفها وأقلامها ، مستهلة بالارزاق تحب فضلها التى لا يقيع

غماها - أقتضت الآراء الشريفة اختيار خير صاحب يُعين على الحق بأرائه، ويجعل
الدست بهجته ورؤاه، ويجري الأرزاق بوجهه لو تأمله أمرؤ ظالمٍ الجوانح
لأرتوى من مائه؛ وكان المجلس العالي، الصالح، الوزير، الناجي: أدام الله
تعالى نعمته، ورحم سلفه، هو المخطوب لفضله، والمطلوب لهذا الدست الذي
عين له دون الأكفاء وإن لم يكن غير أهله من أهله؛ وما زال يشوق إليه تشوق
البروج إلى نجوم السعود، ويتطلع إلى نياه الذي هو كنور الشمس في الدنو وكحلها
في الصعود؛ وما زالت الأدعية الصالحة ترتفع في أيامه لسالك عصره، والآراء تُقام
منها جنود لتأييده وحشود لنصره، والأموال تُحمل منها إلى خزائنه بأشبه موج البحر
في الحضر دون حصره.

فلذلك رسم بالأمر الشريف - ضاعف الله مواهبه الميمية، وكل جلال دولته
بتفويض أمورها إلى ذوي الأصول العريقة واليوت القديمة - أن تُحلى منه هذه
الرتبة العلية بما حلى به الدين، وتُقد له راية فضلهما المتين؛ ليتلقاها شرقاً وغرباً،
وبعداً وقرباً؛ وبراً وبحراً، وشاماً ومصرأ، ويحلى حلاه علم وعلم، وسيف وقلم؛
ويتمرر وسرير، ومأمور وأمير.

فليتلق أمره بالطاعة كل مؤتمر بأمرنا الشريف، جارٍ في طاعتنا المفروضة بين
بينان التقليد وصنن التصريف؛ وليأدر إلى تدبير أمور الأقاليم بأقلامه المباركة،
ويمض القواعد على ما تراه آراؤه المترتبة عن المنازعة في الأمر والمشاركة؛ ولينشر كلمة
العدل التي أمر الله بإضافة الإحسان إليها، ويُميت يدع الظلم فإن الله يشكره على تلك
الإمامة ويحمده عليها؛ ويسهل رزق الصدقات، ووظائف القربات، فإن ذلك من
أجل ما قدمته [الطائفة] الصالحة بين يديها؛ وليكثر بذلك جنود الليل فلها لا تطيش
سماها، ويتوق من محاربتها بظلم فإنه لا يداوى بالرقى سماها، وليعود بماتم التسير

مواهبنا فإن تمام النعمة تمامها ، وليلطالق قلبه في البسط والقبض وليبعد بتدبيره على هذا المنصب الشريف بهجته ، ويتدارك بآرائه ذماته وبدوائه موجهته ، ويصن عن شوائب الظلم حرمة ، ويخلص ذمتنا من الماتم وذمته ، وليعلم أن أمور المملكة الشريفة منوطَةٌ بآرائه وأحكامه ، مضبوطةٌ بأقواله وأقلامه ، فليجعل فكره مرآةً تجلُو عليه صورها ، ويُقيم آراءه حُججًا تتلَو لَدَيْهِ سُورَها ، ويأخِرُ الثواب بما يراه من مصالحنا ليلبوه سامعين ، ويُسمِرُ جفنه في مصالح البلاد والعياد لترقُد الرعايا في مهاد الأمن وا حين ، ويضد الشريعة المطهرة بتنفيذ أحكامها ، وإعلاء أعلامها ، وإظهار أنوارها ، وإقامة مارقعه الله من منارها ، ولا يتعلل في أمور مباشرتها بالممالك الشريفة عن آرائه ، ولا يمتضى فيها عزلا ولا ولاية إلا بعد تتبعه الواجب في ذلك واستقرائه ، وهو أعلم بما يجب لهذه الرتبة من قواعد إليه يرجع في أوضاعها ، وعليه يؤول في اصطلاحها لإفترادها فيه واجتماعها ، فليفعل في ذلك ما هو عليه بحسن الثناء جدير ، وليعتصم بالله في أموره فإنه يتم المولى ويتم النصير ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بالوزارة ، كُتِبَ به للصاحب ضياء الدين بالاستقرار على الوزارة . من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

الحمد لله الذى شدَّ أزرَ مُلِكنا الشريف ، بمن أضاء في أفق الدين علمه ، وشيد قواعد عدلنا المنيف ، بمن أعلت منار الحق آياته في أحكام الممالك وحلمه ، ووطد أركان دولتنا القاهرة بمن يفعل في نكابة أعداء الله فعل الحرب اللوان يسلمه ،

وأجرى الأرزاق في أيماننا الزاهرة على يد من سكّفت أعلامه كُفّ الحوادث
فلا عنوان تنفّس غلظه ولا عاي يُخشى غلظه ، وصان ممالك المحروسة بآراء من إن
صرف إلى نكايه أعداء الله حدّ يراعه لم يَنْبُ موقعه ولم يَفُ كَلْمُه ، وإن صرفه
في حماية نفس لم يَنْبُ برقه ولم يَدُقْ بالوهم غلظه ، وإن حنى جانب إقليم عزّ على
الأيام ثلّ عروش ما حمّاه وشمّه ، وإن أرفقه لنبّ عن دين الله راعى عدوّ الدين
منه يقطعُ وسلّه عليه حلمه .

نحمده على نعمه التي زانت أسنى مناصب الدنيا في أيماننا الزاهرة بضياء الدين ،
وأعلت أقدار الرّبّ العليا بتصرفها بآراء من أصبح حلمه علما للتقنين وعمله سنا
للتقنين ، وبقرت بناييع الأرزاق في دولتنا القاهرة بيد من أغنى بيدنا المتقين
وقمّع بهائمنا المعتدين .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أعاد يمينها على سمع المتأخر من
نُصرت ما تقدّ ، وأطفا إعلانها عن حملتها لهُبّ العناد وقد وقد ، وفوض أعتناؤنا
بمصالح أهلها أمورهم إلى أكل من أنتفى لنا التانيد من ذخائر العلماء وأفضل
من أنتقد ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أقامنا الله للذبّ عن أمته ، وجلا
بنور جهادنا لأعدائه عن قلب كل مؤمن . ما أظله من غمّه ورأى عليه من غمته ،
وعصّدا من أئمة ملته بن أردنا مصالح العباد والبلاد في إلقاء كل أمر إليه
بأزمته ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من فاز بسيفه ، وحاز بتصديقه
قدم صندقه ، واختصّه الله بموازية نبّه دون من اجتباه من خلقه ، ومنهم من
كان الشيطان يُنكب عن طوقه ، وتلقّى من الصواب بما نزل الدّكر الحكيم على
وقفه ، ومضى الفساروق تميزه بين الحقّ والباطل وقرّقه ، ومنهم من قابل المعتدين

بريقه وقيل شبيهاً على حقه ، وكانت ملائكة الرحمن تستحي من خلقه الكريم
 وكرم خلقه ؛ ومنهم من طلع [لا] مع نور الإيمان من أفقه ، وكان سيفه من كل ملحد
 في دين الله بمائة قلادة عُنقه ، وطلق الدنيا تورعاً عنها وبيده مفاتيح ما بسط
 الله للأمة من رزقه ؛ صلاة يُقيم الإيمان ، فرضها ، ويملاها الإيمان ، طول البسيطة
 وعرضها ، وترين كواكب ذكراها ومواكب نصرها سماء الدنيا وأرضها ؛ ومسلم
 تسلياً كثيراً .

أما بعد ، فإن أولى من رُبمت لأعطاف فضله حلل الكلام ، ونُظمت لأجساد
 ذكره فرائد المعاني المستخرجة من بحار الفكر على ألسنة الأقلام ، ووُثقت التقاليد
 من متابع بما هو أحسن من أنساق الدراري على هالات البُذور ، وجلى على المسامع
 مفاتيحه بما هو أبهى من الثور في العيون ! وأحلى من الأمن في القلوب ! وأوقع من
 الشفاء في الصُّور ، وأطلع في أفق الطروس من أوصافه شمس أسفر بأنواع العلوم
 ضيائها ، وأنشئت في أثناء السطور من نعت ما نره محب إذا قابلتها وجوه الحبا
 سرتها بمجرة البرق حياؤها ، وأودعت المهارق من ذكر خلاله لطفاً يود ذهب الأصيل
 لو ناب عن أنفاسها ، ومنحت صدور المعاني من معاليه طرقات تفتح الراض العواطر
 لو تُلقت عن أنفاسها - من سمت الوزارة باستقرارها منه في معدن الفضائل ،
 وأُسِّمت منه بالصاحب الذي أعادت أيامه ما فقد من تحاسن السير الأوائل ؛
 وأبَسِّمت من علومه بالعلامة الذي تتفرع من أحكامه أحكام الفروع وتتجر من
 توابعه عيون المسائل ، وأنصفت من معدناته بالنصف الذي هجر في أيامه هجر
 الحيف والظلم فالأوقات في أيامه المباركة كلها أبحار وأصايل ، وأبتهجت من إنصافه
 بالعدل الذي سهل على ذوي المطالب حجاب بابه فلا يحتاج أن يطرق بالشفاعات
 ولا أن يُستفتح بالوسائل ، وأشرقت من مفاتيحه بالكامل الذي حُسن به حلل .

الثناء فكانها آبتسامُ قُورِ النُّورِ في أثناء الخصال، فالعدل في أيامه كالإحسان شامل، والمعروف بأفلامه كالسُّحب المتكفلة برى الأرض الحامِل، والظلم والإنصاف مفترقان منه تين العدم والوجود فلا يرى بهذا أمرا ولا يُرد عن هذا أيل، قد أعطى دَسَتْ الوزارة الشريفة حقّه : فالأقدار بآياته مرفوعة، والمضار بمعدلاته مدفوعة، وكلمة المظلوم بإنصاف إنصافه مسموعة، وأسباب الخيرات بحسن نيته الحسنة مجوعة، والأقاليم بكلامه أفلامه مخطوطة، وأحوال الملكية بآرائه المشتعلة على مصالحها منوطة، والثنور بحسن تفقده مفعلة المباسم، مصونة بإزاحة الأعداء عن مرّ الرياح النواصم، أهلة النواحي بموالاة الحمول التي لا تزال عيشها بإدامة السرى دامية التماسم، والبلاد بما نثرت أفلامه من العدل معمورة، والرعايا بما بسطت [يد] إحسانه من الإحسان معمورة، وأرباب التصرف بما تقتضيه أفلامه عن الحيف منبهة وبالرفق مأمورة، والأيدى بالأدعية الصالحة لأيامنا الزاهرة مرتفعة، والرجية لتقلبها في مهاد الأمن والدمّة بالعيش متفحة، وبيوت الأموال أهلة، على كثرة الإغناق، والغلال متواصلة، مع التوفر على عمارة البلاد، والحمول متوالية مع أمن من صدرت عنهم على ما في أيديهم من الطواريف والتلاد، والأمور بالتقسط لها على سعة الممالك مضبوطة، والثفوس بالأمن على ما هي عليه من التحلى بالنعم مضبوطة، والمناسيب مصونة باكتفاها، والمراتب أهلة بالأعيان الذين تبنت لهم في أيامه عيون الحظ بعد اغفائها، ومجالس المعتلة حالية، بأحكام سيرته المنصفه، ومواطن العلم حالية، بما يملئ فيها من فوائد التي أتعب السنة الأفلام ما فيها من صفه .

ولما كان الجنب العالى، الصاحبى، الوزيرى، الضيائى، وزير الممالك الشريفة، هو الذى كُرمت به مناسبتها، وعظمت بالانتماء إليه مناصبها، وتحلت

بِعِلْمِهِ مَاطِطُهَا ، وَزَلَّتْ عَلَى حُكْمِ حِلْمِهِ عَوَارِيفُ رِيَّهَا الْعَمِيمَةِ وَعَوَاطِطُهَا ؛ وَزَهَتْ
 بِجَوَاهِرِ قَضَائِلِهِ أَجْبَادُهَا ، وَأَسْتَوَتْ فِي مَلَأْسِ حُلْلِ الْمَسَرَّةِ بِهِ أَيَّامُهَا الزَّاهِيَةُ
 وَأَعْيَادُهَا ؛ وَأَنَارَتْ بِمَعْدَنَتِهِ لِيَالِيهَا ، وَأَشْرَقَتْ بِالْإِسْتِظَامِ فِي سِتَابِ لَنَاتِهِ لِأَلِيهَا ؛
 فَكَمَ مِنْ أَقَالِيمِ صَانِ قَلْبِهِ أُمُومَالُهَا ، وَمِمَّا لَكَ حَلَى عُدْلُهُ أَحْوَالُهَا ، وَبِلَادِ أَعَانِ تَدْيِيرِهِ
 السُّحُبُ عَلَى رِيَّاءِ وَأَعْمَالِ أَبَانَ عَنْ أَسْتَفْئَاتِهَا بِنَتَائِرِهِ عَنْ مَنَّةِ الْحَيَا حَسَنُ مَسْمُوعِهَا
 وَمَرِيئِهَا ، وَأَرْزَاقِ أَذْرَافِهَا ، وَرَزَقِ أَجْرَاهَا عَلَى قَوَائِدِ الْإِحْسَانِ وَأَقْرَاهَا ؛ وَجِهَاتِ رِ
 أَطَانِ وَإِقْفِيهَا عَلِيَّهَا ، وَأَسْبَابِ خَيْرِ جَعَلَ أَيَّامُهَا بِإِدَامَةِ قَصْعِهَا السَّاقِطَةِ إِلَيْهَا ؛ وَقَدَّمَ
 سِمَايَةَ أَرْزَامِهَا وَأَزْلَمَا ، وَكَلِمَةَ حَادِثَةٍ أَذْكَأَ وَأَذْكَأَ ؛ وَوُجُوهُ مَضْرَّةٍ رَدَّهَا بِيَدِ الْمَعْنَةِ
 وَصَدَّهَا ، وَأَبْوَابِ ظُلْمٍ لَا طَاقَةَ لِلرَّعِيَّةِ بِسُلُوكِهَا أَغْلَقَهَا يُعْنَى مِنْهُ وَسَدَّهَا ؛ فَدَابَّهَ أَنْ
 يُسَدَّ إِلَى مَقَابِلِ الْعِدَا بِاتِّخَاذِ الْيَدِ حِنْدِ الْفُقَرَاءِ سِهَامَ اللَّيْلِ الَّتِي لَا تَقْصِدُهَا الدُّرُوعُ ،
 وَأَنْ يُجْعَدَ لِأُولِيائِهَا مِنْ عَوَارِيفِ آلِئِهَا أَخْلَافٍ تَرَى الْآمَالَ وَهِيَ حَافِلَةُ الضَّرُوعِ -
 أَقْتَضَتْ آرَافُهَا الشَّرِيفَةَ أَنْ تُزَيَّنَ بِجَدِّهِ غُرَرِ التَّقَالِيدِ ، وَنَجْدَدَ إِلَيْهِ فِي أُمُورِ زَارِيئِهَا
 الشَّرِيفَةِ لِقَاءَ الْمُتَقَالِيدِ ؛ وَأَنْ نُوشَى الطُّرُوسَ مِنْ أَوْصَافِهِ بِمَا يُجْعَدُ عَلَى أَعْطَافِهَا
 الْحَبْرِ ، وَزَدَّدَ عَلَى السَّنَةِ الْأَقَالِيمَ مِنْ نُعُوتِهِ مَا لَا تَحْمِلُ الْمَسَاجِعُ إِيرَادَ الْخَبَرِ مِنْهُ بَعْدَ الْخَبَرِ .
 فَلَنَلِكُ رَيْسَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي ، الْمَوْلُوي ، السُّلْطَانِي ، الْمَلِكِي ، الْفَلَاحِي -
 لِأَزَالِ الدِّينِ فِي أَيَّامِهِ الشَّرِيفَةِ مُشْرِقًا ضِيَائُهُ ، أَهْلَةً بِاعْتِلَاقِهِ مَرَايِعُ الْوُجُودِ وَأَحْيَاؤُهُ ،
 مَمْدُودَةٌ عَلَى الْإِمَّةِ ظِلَالُهُ الْوَارِقَةُ وَأَفْيَاؤُهُ - أَنْ يُجْعَدَ هَذَا التَّقْلِيدُ بِاسْتِقْرَارِهِ تَجْمِيدًا
 لِأُتْلَى الدَّهْنُ حِلَّةً ، وَلَا تَقْوُضُ الْأَيَّامُ حِلَّةً ؛ بَلْ يُشْرِقُ فِي أَفْقِ الْمَسَالِكِ إِشْرَاقُ

(١) السحاب بكسر السين المهملة وبالفاء الموحدة قلادة من مسك وقرقل ومحب بلا جرم
 جمه ككتب .

(٢) جمع حلة بالكسر بمعنى البيوت وهي مائة لها فروعها انظر المصباح .

النجوم الثواب، ويتفرع في مصالح الملك فتفرع الأفتان الناشئة في الأصول الثواب؛ ونختل به مناصب الدولة القاهرة في أسنى ملامسها، وتضيء به مواطن العلوم إضاءة صباحة المصباح في يد قائنها؛ وتسترن لنا به الأدعية الصالحة من كل لسان، ومجئنا به بإيماننا الزاهرة من كل أفق وجوه الشكر الحسن .

فلتجر أعلامه في مصالح دولتنا الشريفة على أفضل عاداتها، ويرسلها في نشر العدل على سعيها وفي إجراء الجود على جاداتها، ويكف بها أكره الحوادث فلما تزال أسباب الظلم بحسم مآلتها؛ ولينطقها في مصالح الأموال بما تظل له مسامح الجود مضمنيه، ويطلقها في عمارة البلاد بما تفنونه السنة الخصب حافظه ولما صداه ملنيه؛ وكذلك الخزائن التي هي معادل الإسلام وحضونه، وجماءه الذي لا يتبدل بنفير أمرنا الشريف في مصالح الملك والملة مضمونه؛ فليجعلها بتدبيره كالبحار التي لا تنقص بكثره الزاد جمائها، ولا تنزعها السحب لكثرة ما تحمل إلى الآفاق غمامها؛ ولكن كلمة العدل من أهم ما تفتح به مجالسه، وأكد ما يؤمر به محاضره من الأولياء ومجالسه؛ وأزكى ما يستجيد [به] لاستتار الدعاء الصالح مغارسه، وأوثق ما يحوط به جمى الملك الذي إذ اغفا جفن عينه كان حارسه . وأول ما ينبغي أن يساق عليه حاضر دته وظائيه، وأولى ما يعد على إهماله نكاله ويسد على إقامته رعايته .

وليلاحظ من مصالح كل إقليم ما كانه ينظر إليه بين قلبه، ويمثل صورته في مראה لبه؛ فيقر كل أمر على ما يراه من سنده، ويقرر حال كل شغل على ما يحصل به المراد في سنده؛ فيغدو لأعدائه بموالة الجود إليه مريحا، وبمضى بسد حلاله لنواظر أهل الكفر متنبهاً ولنواظرنا الشريفة مريحا؛ وينظر في أحوال

من به من الجُند والرجال بما يؤكّد الطاعة عليهم ، ويجتدّد الاستطاعة لديهم ؛
 ويُزِيل أَعْدَانَهُمْ وَأَعْتِنَاهُمْ [بوصول حقوقهم اليهم ، ويوفّرهم على إعداد الأهبة
 للأعداء] إذا اتّوهم من قُوَرِهِمْ ، ويكفّهم بإدراار الأرزاق عليهم عن اعتدائهم
 على الرأيا وجورهم ؛ ويتقدّد من أحوال مباشريها وولاة الحكم والتحكّم فيها
 ما يعامون به أنه منافقشهم على الأمور اليسيرة ، والمفقات التي رَوْنَهَا قليلة وهي
 بالنسبة إلى كثرة الرأيا كثيرة ؛ ويتعاهد أمور الرتب الدينية فلا تؤخّذ مناصبها
 بالنسب ، ولا تقبّل أوقافها المُنْعَدّة لاكتساب العلوم في المكاسب ؛ بل يتعين أن
 يرتاد لها العلماء الأعيان حيث حلّوا ، ويُقرّر في رتبها الأئمة الأكفاء وإلا اتخذ
 الناس رؤوسا جهّالا فضّلوا وأضلّوا . وليكن أعلامه على كلّ ما جرت به العوائد
 في ذلك مخّويه ، وأبائمه على أكمل القواعد في ذلك وغيّره منطويه ، فأمّ شئ من
 قواعد الوزارة الشريفة خارج عن حكمة فليكتب يُنْتَل ، وليقلّ في مصالح دولتنا
 القاهرة يكنّ قوله أمضى من القلب وأسرعى من الصبأ وأسير من المثل ، فلا تُمضى
 في ذلك ولاية ولا عزّل ، ولا منع ولا بطل ، ولا عقد [ولا] حل ، إلا وهو معدوق
 بآرائه ، متوقّف على تنفيذه وإمضاءه ؛ متلقّ ما يقتر فيه من تلقّائه ، وفي الاكتفاء
 بسيرته ما يُغْنِي عن إطرائه ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بالوزارة :

الحمد لله الذي شدّ لبولتنا القاهرة باصطفاء أشرف الوزراء أنزرا ، وخصّ أيامنا
 الزاهرة باجتماع من حماها عدله أن تَضَمّ أو تحلّ وزرا ، وأفاض إنعامنا على من طلع

في أُنق خدمتنا هلالاً واستقل بحسن السير والسيرة بداراً ، وضاعف إحساننا لمن [لا]
 رَفَعَهُ إلى رتبة شرف إلا وكان أجل الأَكفَاء على ذلك قُدْرَةً وَقَدْرًا ، وجعل مُلْكًا
 بمن إذا أَفْخَرَت الدول ببعض مناقبه كَفَاهَا ذلك جَلالاً وَفَخْرًا ، وإذا أَدْخَرَت تدبيره
 وبذلت ما عداه لحُسْبُهَا ما أَبْقَتْه وقايةً لَمَلِكٍ وَذُخْرًا ، وبسط عدلنا في الأقاليم بيد
 مَنْ حِينَ أَمَرْنَا القلم بتقليده ذلك سَجِدَ في الطُّرس شُكْرًا ، وأَفْتَحَ بحمد الله يَدُ كَرِّ النعمة
 به على آلائه إِنَّ في ذلك لَدَرْكِي ، وأخذ في وصف دُرِّ مَفَاحِهِ التي تَمَثَّلَ له
 فنَضَّضَها دُونَ أَنْ يَسْتَدْعِي رِيَّةً أَوْ يُعْمِلَ فِكْرًا .

بِحَمْدِ مُحَمَّدٍ مِنَ الْوَالِي إِلَى أَوْلِيَائِهِ ، مَوَادِّ النَّعَمِ ، وَأَضْفِيْ عَلَى أَصْفِيَائِهِ ، مَلَائِسِ
 الْكَرَمِ ، وَحَفِظَ لِمَنْ أَخْلَصَ فِي طَاعَتِهِ مَعَارِفَ مَعْرُوفِهِ الَّتِي هِيَ فِي أَهْلِ النَّهْجِ دِيْمٌ ،
 وَنَبِيٍّ لِمَصَالِحِ رَعَايَاهُ مَنْ مَمَّ عَدْلُهُ وَإِنْ لَمْ يَنْفُ عَنْ مِلَاحِظَةِ أُمُورِهِمْ وَلَمْ يَمَّ .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تَمْلِيْهَا وَتُعْلِيْهَا ، وَتُرِيْخُ أَرْوَاحَ
 جَاحِدِيْهَا وَتُعْلِيْهَا ، وَتُوَالِي النَّعَمَ عَلَى الْمُتَمَسِّكِ بِهَا وَتُوَلِّيْهَا ، وَتَقَرِّبَ يُمْنَهَا رَبِّبِ الْأَوْلِيَاءِ
 مِنْ إِحْسَانِنَا وَتُدْنِيْهَا ، وَتَجِدَّ لَهُمْ بِتَأْيِيدِهَا مَلَائِسَ الْمَنْفَعِ تُظْهِرُ عَلَيْهِمْ آثَارَ النَّعَمِ السَّنِيَةِ
 فِيهَا ، وَتَرْفَعُهُمْ بِحَسَنِ عَنَائِتِنَا إِلَى أَشْرَفِ غَايَةٍ كَانُوا يُسِرُّونَ أَهْلِيَّتَهُمْ لَهَا وَاللَّهُ يُبْدِيْهَا ؛
 وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَقَامَنَا لِنَصْرِ دِينِهِ فَقَعْنَا بِهِ كَمَا أَمَرَ ، وَأَبْقَى عَلَى
 أَيْمَانِ حَكْمِ أَيْمَانِهِ فَاسْتَمَرَّ الْحَالُ عَلَى مَا سَبَقَتْ بِهِ دَعْوَتُهُ مِنْ تَأْيِيدِ الدِّينِ بِعَمْرٍ ، وَخَصَّنَا
 مَنْ يَتَمَتَّى إِلَى أَصْحَابِهِ بِأَجَلٍ صَاحِبِ يُتُوبٍ عَنْ شَمْسِ عَدْلِنَا فِي عَوْظِ ظُلْمَةِ الظُّلْمِ مَتَابَ
 الْقَمَرِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الزُّهْرِ الْفُرْدِ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَنْ اخْتِيرَتْ جَوَاهِرُ الْكَلَامِ لِرَصْفِ مَفَاحِهِ ، وَاشْتَبِهَتْ غُرَرُ
 الْمَعَانِي لَوُصْفِ آثَارِهِ فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ وَمَاثِرِهِ ، وَقَامَتْ خُطْبَاءُ الْأَقْلَامِ عَلَى مَنَازِرِ

الأنادل بشيرة يُن أنامه ، وتطلعت مقل الكواكب مشيرة إلى ما أقبل على الأنامل
من إقباله وتحت تحبب أعلامه ؛ وتبرجت زهر النجوم ليتظم في عقود مناقبه
سودها ، وتآرجت أرجاء المهارق إذ تبلج من ليل عن فجر عودها ؛ وسارت به
أنباء السعد والقم الناطق بذره وهو الخلق الميمون طائره ، والطرس الموشع بشكره
وهو الخلق الذى تلاء الدنيا بشائره - من استخلصته الدولة القاهرة لنفسها فتملأها
عينا ومسر بها قلبا ، وأختصته بنواصها الشريفة فرحب بها صدرا ولبأها لبأ ، وكاف
بمؤازرتها ياتيا حتى قيل : هذه (تراود فتأها عن نفسه قد شققها حبا) ؛ وأحلتها
من وزارتها الشريفة بالمكان الأنسى والحريم الحريرى ، وأثنت على فضله الأسمى بلسان
الكرم السيط الوجيز ، وأتمدت في أمور رعاياها على ما فيه من عدل وورع لا ينكر
وجودهما من مثله وهو فى الحقيقة عمر بن عبد العزيز ؛ وأدنته عايتنا منا لما فيه
من فضل عيم ، وحسب عيم ، ونسب حديث مجده قديم ، وأصالة إذا أنتغرت
يوما نجم بقومها قالت ابن تيمك من جده صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
تيم ، وغرسته نفسها وطال ذلك الغرس وطاب الثمر ، واعتضدت بتدبيره
فكان له عند أطراف العوالي فى مكانه الأعز أظرف سمر ، ووثقت بما فيه من
عدل ومعرفة لا يُنكر من نحا الصواب اجتماعهما فى عمر ؛ وأشتقت له بإحساننا من
نسبه وصفا جليلا ونعتا جليلا ، وخصته لمزية ذلك الاشتقاق بمزيد قرينا فامضى
فى خدمتنا جليلا وأصبح خليلا ؛ ورعت له ما قد تم من تدبير أنى عليه بنفسه ،
وسلأى ظهرت مزية كل يوم منه على أمسه ؛ وسعى بحمل مآبرح فى مصالح
الإسلام وأمنها وغايتها ، واجتهد فى أمور أدل الجهاد مآبرح يدأب فيه علما بما أعد
الله لمن جهز غازيا ؛ ودان له من حُسن ملاحظته الأمور ما ليس للوصف به من

قِيلَ، وَتَابَلَّتْ مَا يُكْتَفَى لَهُ عَلَى الْبُعْدِ مِنَ الْمَصَالِحِ الَّتِي يَأْمُرُ بِالصَّوَابِ فِيهَا وَكَيفَ
لَا وَتَحْمُرُ الَّذِي شَاهَدَ الشَّرِيَّةَ عَلَى الْبُعْدِ مِنْ سَارِيَةِ الْجَبِيلِ، وَأَيُّقُنْتَ بِسَيْطِ الْعَدْلِ
فِي الرِّعَايَا إِذْ هُوَ مُؤَيَّمَرٌ وَالْعَادِلُ أَمْرٌ، وَتَحَقَّقَتْ عِمَارَةُ الْبِلَادِ عَلَى يَدَيْهِ لِأَنَّ عُمَرُ بِحُكْمِ
الْعَدْلِ عِنْدَ الْحَقِيقَةِ طَامِرٌ . . .

وَلِذَلِكَ لَمَّا كَانَ الْمَجْلِسُ الْعَالِي الْفَخْرِيُّ - ضَاعَفَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ - هُوَ الَّذِي قَرَّبَتْهُ
طَاعَتُنَا نَبِيًّا، وَرَفَعَتْهُ وَلَا يَتَنَا مَكَانًا جَلِيًّا، وَحَقَّقَ لَهُ اجْتِهَادُهُ فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ الْأَمَلِ
مِنْ رِضَاً وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا، وَأَخْلَصَ فِي خِدْمَةِ دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ فَاتَّخَذَتْهُ
نُحَاسَ الْأُمُورِ وَطَامَتَهَا صَفِيًّا، وَأَظْهَرَ مَا بَطَّنَ مِنْ جَمِيلِ اجْتِهَادِهِ بِفَعْلَتِهِ لِمَصَالِحِ الْمُلْكِ
وَزَيْرِهَا وَصَاحِبِهَا وَوَلِيَّهَا، وَأَنْجَزَتْ مِنْهُ لَتَدِيرِ أُمُورِ الْمَمَالِكِ مَا كَانَ الزَّمَنُ بِهِ مَا طَلَا،
وَأُجِرَتْ عَلَى يَدِهِ الَّتِي هِيَ مِلَّةٌ بِتَصْرِيفِ الْأَرْزَاقِ مَا لَا يَتَّحِصُّ غَمَامُهُ هَاطِلًا، وَقَلَّدَتْهُ
رِعَايَةَ الْأُمُورِ وَأُمُورَ الرِّعَايَا حَلَمًا أَنَّهُ لَا يَتْرُكُ اللَّهُ حَقًّا وَلَا يَأْخُذُ بِاطِلَا، وَقَلَّدَتْ حَيْدَهُ
بِأَسْنَى حَيْلِ هَذِهِ الرِّتَبَةِ الْجَلِيلَةِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا بِحُكْمِ قُرْبِهِ مَنَا عَاطِلًا، وَرَفَعَتْ لَهُ
لِوَاءَ عَدْلِ مَا زَالَ لَهُ بِالْمُلْكِ فِي أَيْمَانِ الشَّرِيفَةِ حَامِلًا، وَكَلَّتْ لَهُ بِلُوحِ الْغَايَةِ مِنْ أَفْقِ
الْعُلُوفَةِ قُدْرَهُ وَمَا زَالَ الْمُؤَهَّلُ لِلْكَامِلِ بِاعْتِبَارِ مَا يَتَوَلَّى إِلَيْهِ كَامِلًا، وَنُوهَتْ بِذِكْرِهِ
وَمَا كَانَ لظُهُورِ حَمَائِلِ هَذَا الْمَنْصِبِ الْجَلِيلِ عَلَيْهِ فِي وَقْتِ خَامِلًا، وَنَظَرَتْ الرِّعَايَا
فَمَا عَدَلَتْ بِهِمْ عَنْ بَرِّ فَقِيٍّ، وَصَاحِبِ شَفِيقٍ، وَوَزِيرِ مُحَرَّمِ السَّيْرِ مَسْلُكِ طَرِيقًا
إِلَّا وَعَدَلَتْ شَيْطَانُ الظُّلْمِ عَنْ ذَلِكَ الطَّرِيقِ، وَكَانَ هَذَا الْمَنْصِبُ الْجَلِيلُ غَايَةً مُدَارُ
الْمَمَالِكِ عَلَيْهَا، وَقِبْلَةً تَوَجَّهُ وَجْهُ أَهْلِ الطَّاعَةِ فِيهَا يُخَاضُ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعْمَتِهَا إِلَيْهَا،
وَهُوَ الَّذِي يَتَدَرَّجُ صَاحِبُهُ مِنْ أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ لَبُوسًا، وَيُجَالِجُ مِنْ أَدْوَاءِ الْمَهَامِ مَا يَغْيِرُ
عِزَّيَاهُ لِأَيُّوبِيٍّ، وَيَتَرَدَّدُ فِي الْخَالِصَةِ وَالْمُنَاصَحَةِ مِنْ مَالِكِ أَمْرِهِ بِمُتَرَلَّةِ هَارُونَ
مِنْ مُوسَى - اقْتَضَتْ أَرَأُونَا الشَّرِيفَةَ أَنْ تُقَوِّضَ ذَلِكَ إِلَى مَنْ نَهَضَ فِي طَاعَتِنَا

الشريفة بما يجب ، وعلينا نحرزه لئنه ولنا فيما يأتى ويحتجب ؛ ومن تُراد به مع نغره أيامنا الشريفة نفرا ، ويصبح له مع ماله من الجلالة فى نفسه رتب جلاله أخرى .

ولهذا رسم بالأمر الشريف العالى المولى ، السلطان ، الملك ، الفلانى : -
لا زال يصرف الإقدار بعين أيامه ، ويشرف الإقدار بمره وإنعامه ، ويُنز على الأولياء وأهل جوده الذى تتجلى الديم من دوامه - أن نفوض إليه الوزارة الشريفة الكاملة على جميع الممالك الإسلامية : شرقا وغربا ، وبُعدا وقربا ، وبرأ وبحرا ، وشاما ومصرأ ، على أجمال القواعد فى ذلك وأكملها ، وأسنى الفوائد وأفضلها ، وأتم الأحوال التى يُستغنى بعملها عن مقصليها .

فليط هذه الرتبة من جلاله حظا كانت من إعطائه على وجل ، ويُنزل القائم بوابل إنعامنا الذى يعلم به أن حمرة البرق فى أشائه تتجلى ، ويطلق قلبه فى مصالح الدولة القاهرة بسطا وقبضا ، وإراما ونقضا ، وتديرا يُعين النيل والغمم على تتبع المحل ما وجد كل منهما أرضا ، ويعمل آراءه المباركة تديرا للناجح وتديرا ، وتقريرا للقواعد وتقريرا ، ونظرا يجعل لكل عمل من ملاحظته نصيبا ، وفكرا يحاسب به على حقوق الله وحقوق خلقه فإن الله هو المناقش على ذلك (وكفى بالله حسيبا) .

ويبدأ بالعدل الذى رسم الله به بالإحسان فى ملكنا الشريف ، ويخفف - مع الجمع بين المصالح - عن خلق الله الوطأة فإن الإنسان ضعيف ، ويخفف لأولياء دولتنا مواد الارزاق فإن سيف المنع الذى نحاشى أيامنا عن تجريده أقل نكابة من التسويف ، ويمنع الولاء من ظلم الرأيا باعتبار أحوالهم دون أقوالهم فإن منهم من يدعى العدل ويحوز ويظهر الرقى ويخيف ، وليتبع أدواء الحسل تتبع طيب خبير .

وَيُصَرِّفُ الْأُمُورَ بِجَمِيلِ تَدْوِيرِهِ فَإِنَّ الْبَرَكَهَ مَعْدُودَةٌ بِحَسَنِ التَّدْوِيرِ ؛ وَبِسَقِيلِ رَى الْبِلَادِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - بِسَدَادِ حَرَمٍ يُتَفَرَّغُ بِهِ هَذَا الْقَلِيلُ لِنَظَرِ الْكَثِيرِ ، وَيَسْتَخْلِفُ بِالرَّفَقِ وَالْعَدْلِ أَضْعَافَ مَا قَاتَ فِي أَمْسِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ . وَلِيَتِمَّ بَيُوتُ الْأَمْوَالِ فَيُؤَالِي إِيَّتَيْنِ الْحَوْلَ إِلَيْهَا مِنْ أَوْبَائِهَا ، وَيَضَاعِفُ بِهَا الْحَوَاصِلَ الَّتِي لَا يَبْطُلُ بِشَيْءٍ حَسَنٍ التَّدْوِيرَ عَلَى أَسْبَابِهَا ، فَإِنَّهَا مَعَادِنُ الذَّخَائِرِ وَمَوَارِدُ الرِّجَالِ ، وَإِذَا أَعَدَّ مِنْهَا جِبَالًا شَوَاحِجَ تَلَا إِتْفَاقًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ ﴾ .

وَكَذَلِكَ الْخَزَائِنُ الَّتِي هِيَ مَعَايِلُ الْإِسْلَامِ وَحُصُونُهُ ، وَجِهَةٌ الَّتِي لَا يُقْتَدَلُ بِغَيْرِ أَمْرِنَا الشَّرِيفِ فِي مَصَالِحِ الْمَلِكِ وَالْمِلَّةِ مَصُونُهُ ، فَيَجْعَلُهَا بِتَدْوِيرِهِ الْجَمِيلِ كَالْخِصَارِ الَّتِي لَا تَنْقُصُ بِكَثْرَةِ الْوَزَادِ رِحَامَتُهَا ، وَلَا تَزِيدُهَا السُّحْبُ عَلَى كَفَرَةٍ مَا تَجَمُّعُ إِلَى الْإِتْفَاقِ عَنَامُهَا ؛ وَلِيَسْلَاحَظَ مِنْ مَصَالِحِ كُلِّ إِقْلِيمٍ بِمَا تَحْتَلُّهُ لَهُ عَلَى الْبُعْدِ أَفْكَارُهُ ، وَيَأْمُرَ فِي أَحْوَالٍ مَن بِهِ مِنَ الْجَنْدِ بِمَا يُؤَكِّدُ الطَّاعَةَ عَلَيْهِمْ ، وَيَجِدُّدُ الْإِسْطَاعَةَ لِنَبِيهِمْ ، وَيُزِيحُ أَعْذَارَهُمْ وَأَعْتِذَارَهُمْ بِوُصُولِ حَقُوقِهِمْ إِلَيْهِمْ ؛ وَيُوقِّرُهُمْ عَلَى إِعْدَادِ الْأَهْبَةِ لِلْأَعْدَاءِ إِذَا أَنُوهَ مِنْ قُوَرِهِمْ ، وَيُكَفِّهِمْ بِإِدْرَارِ الْأَرْزَاقِ عَلَيْهِمْ عَنْ أَعْتِدَائِهِمْ عَلَى الرِّيَاسَةِ وَجُودِهِمْ ؛ وَيَجْعَلُ ثَمَرَهُ كُلِّ جَانِبٍ - بِتَسْيِيرِ مَحْصُولِهَا ، وَتَغْيِيرِ ذَخَائِرِهَا الَّتِي هِيَ مِنْ مَوَارِدِ رِجَالِهَا - مُصَفَّحَةً بِالصَّفَاحِ ، مُشْرِقَةً بِأَسْنَةِ الرِّيحِ ، مُسَدَّدَةً مِنْ جِهَةِ الْعُلُوِّ عَنْهَا مَسَالِكُ الرِّيحِ ؛ وَيَتَفَقَّدُ مِنْ أَحْوَالِ مِبَاشِرِيهِ ، وَوَلَاةِ الْحَكَمِ وَالتَّحَكُّمِ فِيهِ ؛ مَا يَعْلَمُونَ بِهِ أَنَّهُ مَنَاقِشُهُمْ عَلَى الْأُمُورِ الْبَسِيرَةِ ، وَلِلهِ الْفَوَاتِ الَّتِي يَرَوْنَهَا قَلِيلَةً وَهِيَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى كَثَرَةِ الرِّيَاسَةِ كَثِيرَةٌ ، وَالْأَحْوَالِ الَّتِي إِذَا عُدَّهَا الْكِتَابُ عَلَيْهِمْ قَالُوا : ﴿ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَايِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴾ ، وَيَتَعَاهَدُ أُمُورَ الرُّتَبِ الدِّيْنِيَّةِ فَلَا تَوْخِذُ مِنْهَا بِالنَّاسِبِ ، وَلَا تَعُدُّ رِزْقُهَا الْمَعْدَّةَ لَا كَتَسَابِ الْعِلْمِ فِي الْمَكْسَبِ ؛ بَلْ يَتَعَيَّنُ أَنْ يَرْتَدَّ

لذلك العلماء الأعلام حيث حلوا ، ويقرر في مراتبها الأكفأ وإلا آتخذ الناس
 رؤوساً جهالاً فضلبوا وأضلوا؛ وقد جعلنا [أمره] في ذلك جميعه من أمرنا ، فليقل
 يمتثل ، وينشر كلمة مدلتنا التى يسير بطريقها المثل المثل ، ولا تمضى ولا يهزل ولا عززل ،
 ولا منع ولا بئل ، ولا عقد ولا حل ، الا وهو معذوق بأرائه ، متلقى من تلقائه ،
 متوقف على تنفيذه وإمضائه ؛ وقد اختصرنا الوصايا ، آكتفاء بما فيه من حسن
 الشيم ، وأقتصرنا على ذكر بعض المنزاي ، إذ مثله لا يدل على صواب ولا يزد مافيه
 من كرم ؛ لكن نقوى الله أولى ما ذكر به من لم يزل لربه ذاكرا ، وأحق ما شكر على
 التوفيق من لم يترج له به شاكرا ؛ والله يزيد قدره اعتلاء ، ويضاعف للدولة الشريفة
 احتفالاً بشكره واعتناء .



وهذه نسخة تقليد بالوزارة .

الحمد لله الذى شد أزر الملك من الوزراء بالمكين الأمين ، وأشرك فى أمر ملكه
 من هو على صلاح الجمهور خير معين ؛ وألقى مقاليد حسن تديره لمن دلت عليه بركة
 الاستسار ، وصوب أمر دقيقه وجليله لمن هو لجميل التناء المعنى وإليه بتان
 الاجتباء الإشارة ، وتاول كتابها لمن هو أحق بحمل أعبائه ، ورقى منصبها لمن
 لأشبهه بأنه الحقيق باستعلائه ؛ وتاول قلم إعطائها ومنعها لواضع الإشارة فى محلها ،
 وعدق تثير أموالها بمن لا يأخذها بمقتضى يديه إلا من حلها .

نعمده على حسن إلهامه ، وبشريف إلهامه ؛ ونشهد أن لا إله الا الله وحده
 لا شريك له شهادة عيد غليص فى أديانها ، محق فى إعادتها وإبدائها ؛ ونشهد أن محمداً

عبدہ ورسولہ خیر منّ ہو بالحق نبیوث وبالصدق متعوت ، صلی اللہ علیہ وعلیٰ آلہ وصحبہ صلاۃ لاتزال مستمرّۃ فی کل وقت مؤقوت ؛ وسلم تسلیا کثیرا .

وبعد ، فإنَّ يدَ الوزارةِ هی الیدُ الباسطۃُ فیما قَلَّ وجَلَّ ، والمصحَّحۃُ فیما عُدقَ بالملک من کلّ عقدٍ وحَلٍّ ؛ والموقوفُ عند إشارةِ بَنانِها وإلیها التحکُّمُ فی کلّ إعطاءٍ ومنعٍ ، وتفریقٍ وجَمْعٍ ؛ وعزْلِ ویولایہ ، ونِهایۃُ کلّ نَهْیٍ وأمرٍ وما لها من غایہ ، ودَیْہا من المَلِکِ کالروحِ الباصِرِ من العینِ ، واللسانِ المعبرِ عن کلِّ زَیْنٍ وشَیْنٍ ؛ وحَسْبُهُ أَنَّهُ فی المحلِّ من ذاتِ الیمینِ ، ومن مَکَانَتِ التَّحْکِیْنِ فی الحِرْزِ الحَصینِ ؛ ولهذا لا یؤهلُ لها إلا من أنفقد علی سؤددِہ الإجماعَ ، وأتقطعتْ دُونُ لحاقِ شرفِہ الأطلاعُ ، وتأصلَ فی بَکارِها وتفرَّغَ ، وقامَ بفروضِ کَفایۃٍ کفَّالِها وتَطَوَّعَ ؛ وسارَ حدیثُ مناقِبِہ فی الآفاقِ ، وجاءَ بالاختیارِ والاختیارِ بالوفاقِ ؛ وحَسُنَ صَورۃٌ ومعنی ، وتعدَّدتْ مناقِبُہ فدلَّتْ علی أَنَّهُ الفردُ إذا ائْتَسَقَتْ عُقودُہ مثنیٰ مثنیٰ . وكانَ المجلسُ العالی الفلانی رَبَّ حَوَزیَّتِها ومَریرِہا ، وروحَ بَصَرِ مَریقِ ہذہ المَحامِدِ وإلیہ [أمر] مَصرِیرِہا ؛ والذی حکمتْ لہ السیادۃُ بِمَثلِہا وحَکمتْہ ، وأوصَحَّتْ بأصالِہا وجَہ الصوابِ فی اختیارِہا لها وأحکمتْہ ؛ وقد حازَ من متفرِّقِ لوازمِہا ما مخرَقَ فیمن سِوَاہ ، وحوئی من أدواتِہا [مادل] علی أَنَّ اللہ خلقَہ فسَواءُ ؛ إن قالَ بالصوابِ موکَلٌ بِمَنطِقِہ ، أو صَمَّتْ فِعْطُمُ مَہابِہ قائم مقامہ یجیل الخلقَ لا تَحْتَفِیْہ ؛ قد جمَعَ إلى التواضعِ فوطَ المَہابِہ ، وإلى الابتداءِ بالمعروفِ حُسنَ الإجابہ ؛ إن ذِکرتِ الصِّدَارۃُ فَهُوَ مالِکُ زِمَامِہا ، أو الرِّیاسۃُ فَهُوَ غُرَّةُ لِنَامِہا ؛ أو الکِفَالۃُ فَهُوَ مُصَرَّفُ عِثانِہا ، أو الوِزارۃُ فَهُوَ عِیْبُ أَصْبانِہا ؛ لم تَرَلْ رَیْبُہا متَشَوِّقۃً لِحُلُولِہ ، مہمدۃ لشریفِ تَماہِیلِہ .

ولما تحمّل منها بهذه الحيل ، وسار حديث مَلَأَتْهُ بِتَقْوِيلِهَا فِي الْمَلَأَ ، وَتَلَا لِسَانُ الْقَلَمِ سَوْرَهُ هَذِهِ الْحَاسِنِ وَتَلَا الثَّانِي بِالْأَوَّلِ مِنْهَا إِذَا تَلَا ؛ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي - أَمْتَمَهُ اللَّهُ بِمَا وَهَبَهُ مِنْ حُسْنِ مُوَازَنَتِهِ ، وَشَدَّ عَضْدَ مَمْلَكَتِهِ بِالْإِمْتِنَاعِ بِرَبِّحِ حُسْنِ مَعَامَلَتِهِ لِلَّهِ وَلَهُ وَتَسَاجَرَتِهِ - أَنْ تُخَوِّضَ الْوِزَارَةُ الْمَفْخَمَةَ ، الْمَكْرَمَةَ الْمُبْجَلَةَ الْعَظُمَةَ ؛ لِشَارِ إِلَيْهِ : تَقْوِيضًا عَامًّا لِلْقَرِيبِ مِنْ مَصَالِحِهَا وَالْبَعِيدِ ، وَالطَّارِفِ وَالتَّلِيدِ ؛ وَالْمَقِيمِ وَالتَّانِجِ ، وَالْفَادِي وَالرَّائِجِ ، وَالسَّائِجِ وَالْبَارِجِ ، وَالْبَاقِ وَالصَّادِقِ .

فَلْيُشْرَمَا فَوْضَ إِلَيْهِ مِنْهَا مَبَاشَرَةً مِثْلَهُ لِمِثْلِهَا ، وَلْيُعْطِهَا مِنْ تَبَلٍّ مُنَاسِبٍ تَبَلُّهَا ؛ وَلْيَأْخُذْ أَمْرَهَا بِكُنْهَا يَدَيْهِ ، وَلْيُعْرِهَا جَانِبًا مِنْ أَحْتِفَالِهِ لِيُظْهَرَ عَلَيْهَا أَثَارُ سُودِّدِهِ كَمَا ظَهَرَ شَرِيفُ تَقْوِيلِهَا عَلَيْهِ ؛ وَلْيُطْلَقَ فِيهَا لِسَانُ نَهْيِهِ وَأَمْرِهِ ، وَلْيُعْمَلْ فِي مَصَالِحِهَا صَالِحُ فِكْرِهِ ؛ فَقَدْ عُدِدَتْ بِهِ مَهَامُهَا : جَلِيلُهَا وَحَقِيرُهَا ، وَقَلِيلُهَا وَكَثِيرُهَا ، وَأَمِيرُهَا وَمَأْمُورُهَا ، وَخَلِيلُهَا وَضَرِيرُهَا ، وَنَاقِضُهَا وَنَاصِبُهَا ، وَكَاسِيهَا وَكَاسِيُهَا ، وَدَانِيهَا وَقَاصِيُهَا ، وَطَائِعُهَا وَطَاصِيُهَا ، وَمُسْتَقْبِلُهَا وَحَاضِرُهَا ، وَوَالِيهَا وَقَاضِيُهَا ؛ تَمَّةٌ بِتَمَامِ تَدْوِيرِهِ ، وَحَمِيدُ تَأْوِيرِهِ ، وَأَنَّهُ إِنْ حَكَمَ فَصَلَ ، وَإِنْ قَطَعَ أَوْ وَصَلَ كَانَ الْحَزْمُ فِيمَا قَطَعَ وَوَصَلَ ؛ إِذْ هُوَ الْوَزِيرُ الَّذِي قَدْ صُرِفَ عَنْ عَمَلِ الْأَوْزَارِ وَسَارَ ، إِلَّا أَنَّهُ فِي كُلِّ مَتْنَجٍ سَارَ ؛ تَقَطَّرَ السَّيَادَةُ مِنْ مَعَاطِفِهِ ، وَتَجَنَّى ثَمَرُ الْمُنَى مِنْ أَغْصَانِ قَلْبِهِ يَدُ قَاطِفِهِ ؛ لِأَشْيَءٍ يَخْرُجُ مِنْ حُكْمِهِ ، وَلَا مَصْلَحَةَ تَعَزُّبٍ عَنْ عِلْمِهِ ؛ فَوَلَايَةُ الْحُكَّامِ مَعْدُوقَةٌ بِإِشَارَتِهِ ، مَوْقُوفَةٌ عَلَى مَا يَشِئْتُهُ بِلَيْغِ عِبَارَتِهِ . وَمَعَ جَلَالَةِ قُدْرِهِ لَا يَتَحْتَاجُ إِلَى التَّكَايِدِ فِي الْأَمْوَالِ وَأَسْتِدْرَارِ أَخْلَافِهَا ، وَالرَّعَايَا وَالْإِسْتِدَامَةِ بِالْإِحْسَانِ وَدُّ أَحْلَافِهَا ؛ وَبَيُوتِ الْأَمْوَالِ وَأَسْتِدْءَاءِ حَقُوقِهَا ، وَشُرَامَةِ جَانِبِهَا إِذْ هِيَ الْأُمُّ الْخَنُونَةُ يَتَجَنَّبُ عَقُوقَهَا . وَالْخَزَائِنُ فَهِيَ أَدْرَى بِمَا يَجِبُ مِنْ تَضْيِيقِ صَدْرِهَا بِالْمُنَاقِصِ عَنِ الْإِشْرَاحِ ، وَالْأَهْتِمَامِ بِمَحَاضِلِ تَشْرِيفِهَا الْمُسْتَجِيلَةِ إِفَاضَةً مَلَابِسُهَا قَلْبَ مَنْ خَدَا وَرَاحَ ؛ وَتَمَّ دَقَائِقُ ، هُوَ أَدْرَى بِمَا لَهَا مِنْ

طرائق ؛ وحقائق ، هو أعرف إذ كان فيها الفائق الراقى ؛ فهو - أجله الله - غنى
عن تفصيلها ، وذهنه أشرف عن الوصايا المنسوبة لتوصيلها ؛ والله تعالى يقتدر له
وبه الخير ، ويجمع بحسن تديره المقرون بمجمل السريرة والسير ؛ والخط الشرف
أعلاه ، محجة بمقتضاه ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية وزير أوردها في " التعريف " وهى :

يوصى بتقوى الله فإنه عليه رقيب ، وإليه أقرب من كل قريب ؛ فليجمله
أمامه ، وليطلب منه لكل ما شرع فيه تماته ؛ وليجل رأيه فى كل ما تشد به الدولة
أزرها ، ويسند إليه ظهرها ؛ وليجعل العدل أصلا يبنى على أسسه ، والعمل فى أموره
كلها سلطانة لا لنفسه ؛ وليدع منه الفرض جانباً ، وحفظ النفس الذى لا يبدو
إلا من السدو ليصدق من دماه صاحباً ؛ وليصير كيف يثمر الأموال من جهاتها ،
وكيف يخلص بيوت الأموال بالاعتصار على الدرهم الحلال من شبهاتها ؛ وليتزه مطعم
الساكر المنصورة عن أكل الحرام فإنه لا يسمن ولا يفتى من جوع ، ولا يرى به
من العين إلا ما يحرم المحجوع ؛ وليحذر من هذا فإن المفاجئ به كالمخاض ، وليتجنب
إطعام الجند منه فإن [أكل] درهم الحرام ما يقاتل ؛ وليحسن كيف يؤتى ويعزل ،
ويسمن ويهزل ؛ وعليه بالكفاة الأمان ، ويتجنب الخونة وإن كانوا ذوى غناه ؛ وإياه
والعاجز ، ومن لورأى المصلحة بين عبيته ألقى بينه وبينها ألف حاجر ؛ وليظهر بأبه ،
ويسهل حجابها ؛ ويفكر فيما بعد أكثر مما قُرب : مقدماً للأهم فالأهم من المصالح ،
وينظر إلى ما غاب عنه وحضر نظر الماسى والمصالح ؛ ولا يستبدل إلا بمن ظهر
لديه عجزه أو ثبتت عنده خيائته ، ولا يدع من جميل نظره من صحته لديه كفايته ،

أَوْ تَحَقَّقَتْ عِنْدَهُ أَمَانَتُهُ ؛ وَلَيْسَلُكَ أَنْصَدَ الطَّرِيقُ فِي أَمْرِ الرُّوَاتِبِ الَّتِي هِيَ مِنْ صَدَقَاتِنَا الشَّرِيفَةِ وَصَدَقَاتِ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْمُلُوكِ ، وَهِيَ إِمَّا لِمَنْ وَجِبَ لَهُ حَقٌّ وَإِنْ كَانَ غَنِيًّا أَوْ عَرِفَ صِلَا حُوهَ وَهُوَ صُغُلُوكُ ؛ وَكَذَلِكَ مَا هُوَ لِأَيَّامِ الْجُنْدِ الَّذِينَ مَاتُوا عَلَى الطَّاعَةِ ، وَأَمَّا لِمَنْ مَن خَدَمَ دَوْلَتَنَا الْقَاهِرَةَ بِمَا اسْتَطَاعَهُ ؛ فَإِنْ غَالِبَ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ لَمْ يُخْلَفْ لِمَنْ إِلَّا مَا نَسَمَحَ لِمَنْ بِهِ مِنْ مَعْرُوفٍ ، وَتُجْرِيهِ لِمَنْ مِنْ جَارٍ هُوَ أَنْفَعُ مِنْ كَثِيرٍ مِمَّا يَخْلَفُهُ الْآبَاءُ لِلْأَبْنَاءِ مِنَ الْمَالِ الْمَتَمَكِّ وَالْوَقْفِ الْمَوْقُوفِ ؛ وَلِيَصْرِفَ أَهْتَامَهُ إِلَى اسْتِعْلَاصِ مَالِ اللَّهِ الَّذِي نَحْنُ أَمَنَّاؤُهُ ، وَبِهِ يَسْغُلُ أَوْقَاتُهُ وَيَتَمَتَّلُ كَالْإِنَاءِ أَنَاؤُهُ ؛ فَلَا يَدْعُ شَيْئًا يَجِبُ لِيَتِ الْمَالُ الْمَعْمُورُ مِنْ مَسْتَحَقِّهِ ، وَلَا يَسْمَعُ فِي تَخْلِيَةِ شَيْءٍ مِنْهُ كَمَا أَنَّنَا نُوَصِّيهِ أَنَّهُ لَا يَأْخُذُ شَيْئًا إِلَّا بِحَقِّهِ ؛ وَلِيُقَيِّدَ لِأَيَّامِنَا الزَّاهِرَةِ بِتَوَاقُعِهِ ذِكْرًا لَا يَفْنَى ، وَرَدًّا لَا يَزَالُ ثَمَرُهُ الطَّيِّبُ مِنْ قَلَمِهِ يُعْنَى ؛ لِيَكُونَ مِنْ رِيَا حِ دَوْلَتِنَا الَّتِي تَغْنَمُ مَا يُثِيرُهُ مِنْ صَحَابِهَا الْمَطِيرِ ، وَحَسَنَاتِ أَيَّامِنَا الَّتِي مَادُّ كَرْنَا وَذِكْرُ مَعْنَا إِلَّا وَقِيلَ : نَعَمْ الْمَلِكُ وَنَعَمْ الْوَزِيرُ .

الوظيفة الثانية

(كِتَابَةُ السَّرِّ ، وَقَالَ لِصَاحِبِهَا "صَاحِبُ دَوَاوِينِ الْإِنْشَاءِ")

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى تَرْتِيبِ الْوُظَائِفِ أَنَّ مَوْضُوعَهَا قِرَاءَةُ الْكُتُبِ الْوَارِدَةِ عَلَى السُّلْطَانِ ، وَكِتَابَةُ أَجْوِبَتِهَا ، وَأَخْذُ خَطِّ السُّلْطَانِ طَلِبًا وَتَسْفِيرُهَا ، وَتَصْرِيفُ الْمَرَامِيسِ وَرُودِهَا وَصُدُورِهَا ، وَالْجُلُوسُ لِقِرَاءَةِ الْقَصَصِ بِدَارِ الْعَدْلِ ، وَأَنَّهُ صَارَ يُوقَعُ فِيمَا كَانَ يُوقَعُ فِيهِ بِقَلَمِ الْوِزَارَةِ .

قلت : وقد كان فيا هدم يُكتب له توقيع في قطع النصف بقلب « المجلس العالى » ثم استقر أن يُكتب له هليد في قطع الثلثين بقلب « الجناح العالى » .
وقد هدم الكلام على تقليده في الكلام على التقاليد .

وهذه نسخة هليد بكتابة السرّ ، كُتب بها للقر المحيوى « محي الدين بن فضل الله » عند عودته إلى كابة السربالديار المصرية ، في جادى الأولى سنة ثلاث ...
من إنشاء السيد الشريف شهاب الدين ، أحد كتّاب الدرّج الشريف ، وهى :

الحمد لله المانّ بقضله ، المستعان به في الأمر كلّ ، الذى رفع أول الأولياء من
العلياء إلى محلّه ، ووضع النعم عند من ينصّ الاستحقاق على تقديمه بمنصبه ويحلّ
ما قوض إليه من أجلّه ، وأبدع نظام السؤدد بأجل حلّ ما دام يحىّ جامع شمله ،
وأودع سرّ ملكا الشريف عند الحفيظين منه ومن تجلّه ، وأرجع الرئاسة إلى من
سمّا نبأنا ، ونما نبأنا ، وعلا عزّنا ، وفقى حرّما ، فيؤمن آثاره تُضرب الأمثال
ولا تجحد في يمن تحايا كمنله .

نحمده على أنب أعاد بنا الحق إلى أهلّه ، ونشكره على أن جاد روض الآمال
بوا كيف صحاب كرمنا ووبله ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
من وفق للصواب في قوله وفعله ، وتحقق منه جميل الإخلاص في جميع مذاهبه
وسبله ، ونشهد أن هذا عبده ورسوله المؤوى يوم الجزاء إلى ساين ظلّه ، والمروى
يوم العطش الأكبر بسائغ نهله ، والنبيّ الذى بعثه خاتم رُسله ، وآناه من الكرامة
مالم يؤت أحدًا من الأنبياء من قبله ، والمجتبى من علماء صحابته من أهلّ لإبداع سرّه
وصونه وإبلاغ أمره وحمله ، صلى الله عليه وعلى آله الذين سبقوا إلى غايات الفخار

وَحُصُّوا بِحُصْلِهِ ، وَرَضَى اللَّهُ عَنْ أَصْحَابِهِ الْمَجَاهِدِينَ فِي حُبِّهِ الْمُتَعَصِّمِينَ بِحُبِّهِ ،
 خُصُوصًا الصَّدِيقَ الَّذِي أَحْسَنَ الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ مِنْ أَرْتَدَ بَقْتُلَهُ ، وَمِنْ فَرَّقَ
 بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ بِحُسْنِ سِيرَتِهِ وَمَحْضِ عَقْلِهِ ؛ وَمَنْ تَلَقَّى عَنْهُ آيَاتِ الْكِتَابِ فَآ... (١)
 فِي تَرْتِيهِ وَجَمْعِهِ وَأَدَانِهِ وَقَتْلِهِ ؛ وَمَنْ كَانَ فَارَسَ حَرْبِهِ ، وَحَارِسَ سِرِّهِ ، وَكَاتَبَ
 وَخَبِرَ وَخَاطَبَ كَقَتْلِهِ ؛ وَعَنْ بَقِيَةِ الْمَاهِجَرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ أَنْفَرُوا بِأَكْلِ الْفَضْلِ
 وَأَجَلِهِ ، صَلَاةً وَرِضْوَانًا وَصَحَّ بِهِمَا نَوْرُ الْهُدَى لِمُسْتَدَلِّهِ ، مَا شَفَى كُرْمَنَا الصُّدُورَ بِصُدُورِ
 إِقْبَالِهِ إِلَى مَنْ قَامَ بِفَرْضِ وَلَّائِهِ وَتَمَلَّهِ ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أما بعد ، فَنِعْمَتَا لَا تَزَالُ لِلْمُيُودِ حَافِظُهُ ، وَبِالْجُودِ مُتَحِفَةٌ وَبِالسُّعُودِ مَلَاحِظُهُ ،
 وَعَلَى الْمُهَيَّودِ مِنْ كَرَمِ شَيْئِهِمَا حَافِظُهُ ؛ وَلِلْقَدَمِ مَكَافِيهِ ، وَلِلْقِسْمِ مُؤَفِيَةٌ وَبِالنَّهْمِ مُوَفِّيَةٌ ،
 وَبِالْأَوْفِ الْكَرَمِ مُلَافِيَةٌ ؛ أَتَّبَاعًا لِسَبِيلِ الصُّوَابِ ، وَإِبْدَاءًا لِلنِّعَةِ عِنْدَ مَنْ لِحَقَّهُ
 فِي اسْتِحْقَاقِهَا إِيجَابٌ ، فَلَمَعَلَهُ أَقْتَرَانٌ بِالْإِقْتِرَابِ ، وَلِفِعْلِهِ إِنْجَازٌ لَوْعُودِ الصُّعُودِ
 وَإِنْجَابٌ ، وَلِفَيْضِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنَ الْقَبُولِ أَجْبَى جَلْبَابٌ ، وَلَهُ سَبَقٌ وَلَاءٌ لِمَلِكَا
 بَعْدَ جَفَاءٍ فِيهِ السَّنِينَ وَالْأَحْقَابِ ، وَصَدَقَ وَدَّ مَا ضَاعَ لَدُنَا وَلَا خَابَ ، وَقَدَّمَ هِجْرَةَ
 كَتَمَ لَهَا فِي تَأْيِيدِ الدِّينِ أَنْتِصَارَ وَأَنْتِصَابَ ، وَتَعَسَّدَ مَنَاقِبَ هِيَ فِي الْإِشْرَاقِ وَالرُّقْعَةِ
 كَالنُّجُومِ وَفِي الْكُفْرَةِ عِنْدَ الرِّمْلِ وَالْحَصَى وَالثَّرَابِ ؛ فَمَا دَعَا سُلْطَانُنَا إِلَّا أَسْتَجَابَ ،
 وَلَا أَسْتَوْعَا سِرَّهُ إِلَّا غَدَا بِهِ يُصَانُ وَلَا يُصَابُ ، وَلَا أَسْتَنْقَطْنَا قَلَمَهُ إِلَّا كَفَى الْخَطْبَ
 بِأَمْلَحِ خِطَابٍ ، وَلَا أَسْتَشْرَتْنَا رَأْيَهُ إِلَّا حَضَرَ الرَّشْدَ وَمَا غَابَ ؛ فَكَمْ فَرَقَ لِلْأَعْدَاءِ مِنْ
 كَيْتِيَةِ يَكْتَابَ ، وَقَرَّبَ مِنْ ظَفَرِ السَّيْفِ فِي الْقُرَابِ ؛ فَبَدَعَوَاتِهِ يُسْتَنْزَلُ مِنَ النِّعَمِ
 أَهْمَرُ نَحَابَ ، وَبِرَكَاتِهِ جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَكَانَ كَيْدُ الْكَافِرِينَ فِي تَبَابٍ ، وَبِأَقْلَامِهِ
 إِعْزَامُنَا يَهْبُ وَأَنْتَقَامُنَا يَهَابُ ؛ فَهِيَ عَلَى الْمَهَالِكِ أَمْنٌ سِيَاحَ ، وَلَهَا فِي مَسَالِكِ الْخَيْرِ

(١) بِيَاضٍ بِالْأَمَلِ وَلَهُ نَاحِسٌ فِي تَرْتِيهِ الْخ.

أبدع منهاج، وللدولة به وبولده استغناء واليهما احتياج، فكم صمتنا دُرر كلاميهما
الأدراج، وأطلما زهر أعلاميهما من المهارق في أبراج، وكم واصلت في ليل النقص
السرى والإدلاج، حتى أبدت صبايح النجاح ذا أخلاج، فلا عجب أن كان النعم
إليهما معاد ومعاج، ولضييق الخطب عند بايعهما الرحب قسعة وأفراج .

ولما كان المجلس السالى المحبب هو أسرى من تلقى إليه الأسرار، وتبقى منه
عند أخرى الأحرار، فكم لها صان أين صار، وكم لحواطرها الشريفة من أنفاله سار
حيث سار، وكم له من كرمنا دار في كل دار، فبنا لقربه إيتار، ولأثنتنا عليه إجتار،
ولنا بفضل الله إقرار، بوجب النعم عنده الإقرار - أقتضى حسن الرأي الشريف
أن نعيد إليه منصبه، ونزيد لديه المؤهبة، ونجمل وجود تفضيله لدولتنا أعظم مزينة
ومقبه، وزره أجل كنفه لاستجلاء حقايل الأسرار المحجبه، وإن كان لتزاهيه
لا يخطبها فهي لوجهاته ترعب أن تخطبه .

فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى، المولى، السلطانى، الملكى الفلانى -
لا يرح بفضل الله يحيى الدين، وبتأييده بين أنه الحق المين، وبتسديده يصيب
مين الصواب فى التعين - أن نفوض للشار إليه صحابة ديوان الإنشاء الشريف
بالأبواب الشريفة شرقها الله وعظمها : على أجل عوائده، وأكمل قواعده، وأحسن
حالته فى حسن مقاصده، ونفوذ ما يئلفه من رسائل عدلنا فى مصادر كل أمر
وفواره؛ وليستقر باسمه من المعلوم كذا وكذا .

فلينلق منصبه المبارك بآمل فى كرمنا مبسوط، وربته التى يحيى حياها ويحوط؛
مضيا للهمات والمراسم، مبقيا من أين آثاره ما تفضحى به نفور الثغور بواسم،
ميدا لمن عنده من كتابنا أوقات الأئس فأياهم [به] كلها مواسم، وبها لهم من انخراطات

أَجْرُ الْمَقَاسِمِ ، وَقَدْ وَفَّرُوا دَوَائِعَهُمْ إِلَى الْخِدْمَةِ إِذْ وَفَّرُوا تَفْقِيهِمْ دَوَائِعِهِ ، وَهُوَ لِسَانُ
الدَّوْلَةِ وَهُمْ أَذُنُ صَوْنٍ لِمَا يَقْبِيهِ إِلَيْهِمْ وَاعِيَهُ ، فَحَقَّ لَهُمْ إِلَى وِدَادِهِ أَنْ يَمْتَحِنُوا ،
وَبِإِسَاعِدِهِ أَنْ يَتَجَبَّحُوا ، وَعَنْ وَلَائِهِ لَنْ يَرْتَحُوا : ﴿ قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ وَرَحْمَتُهُ فَيْدُ ذَلِكَ
فَلْيَفْرَحُوا ﴾ ، فَلْيَسِرْ الْمَلِكُ بِهِ سُرُورٌ ، وَلِلدَّوْلَةِ مِنْ أَشْعَةِ إِيَابِهِ وَطَلْعَةِ شِهَابِهِ نُورٌ عَلَى
نُورٍ ، وَبِهِمَا عِمَادُ الشَّرَفِ الْأَعْلَى مَرْفُوعٌ وَبَيْتُ الْفَضْلِ الْأَوْفَى مَعْمُورٌ ، وَهُوَ وَبَلْ
هَذَا الْغَيْثُ الْغَمَرُ وَشَبَلُ هَذَا الْبَيْتِ الْمَهْصُورُ ، طَالَمَا هَزَمَ الصُّفُوفُ مِنْ كُتُبِنَا
بِالسُّطُورِ ، وَجَهَّزْنَا بِهَا بِالصُّونِ مَكْتُومٌ وَطَلَمَهَا بِالنَّصْرِ مَنَشُورٌ ، وَهُوَ صَكْرُ
الْفَضَائِلِ وَكِتَابُهُ الذَّهَبُ شُدُورٌ ، وَمِنْ هَذِهِ الْأُمَرَةِ الْعُمَرِيَّةِ بِأَفْقِ الْعِلْيَاءِ نَجُومٌ وَأَهْلُهُ
وَبُدُورٌ ، وَلِنَبِيرِ الْأَكْبَرِ إِشْرَاقٌ وَأُنْلَاقٌ وَسُفُورٌ ، وَغَيْرُهُ بِالْوَصَايَا الْمَأْمُورُ ، وَسِوَاهُ
تُبَيِّنُ لَهُ قَصْدَ السَّبِيلِ حَتَّى لَا يَضِلَّ وَلَا يَجُورُ ، وَلَا نَحْتَاجُ أَنْ نُذَكِّرَهُ بِمَا هُوَ مِنْ عِلْمِهِ
مَذْكُورٌ ، وَفِي صَحَائِفِهِ مَسْطُورٌ ، وَلَا نَعْلَمُهُ مَسَدًا إِذَا هُوَ عَلَيْهِ جَبُولٌ وَمَقْطُورٌ ،
بَلِ الْمُدَى مِنْهُ مَلْتَمَسٌ ، وَمَقْتَنَى وَمَقْتَهَسٌ ، وَمَأْمُورٌ ، وَبِحَمْدِ اللَّهِ مَا فِي حَزْنِهِ قُصُورٌ ،
وَلَا فِي عَزَمِهِ قُتُورٌ ، وَهُوَ بَحْرُ الْعِلْمِ الْحَمِيطُ وَبَيْرُ الْحِلْمِ الْمَوْفُورُ ، وَلَيْسَ التَّقْدِيرُ لَهُ
بِمُسْتَعْرَبٍ بَلِ فَضْلُهُ الْمَعْرُوفُ الْمَشْهُورُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَرْعَى لَهُ فِي خَلْقِنَا عَهْدًا قَدِيمًا ،
وَيُقْبِيهِ لِلدَّعَاءِ مُوَاصِلًا وَيُدِيمُهُ ، وَيُوزِعُهُ شُكْرَ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ (وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ
عَلَيْكَ عَظِيمًا) إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تقليد بكتابة السِّرِّ، كُتِبَ بِهَا لِلْقَاضِي شَهَابِ الدِّينِ بْنِ فَضْلِ اللَّهِ، وَهِيَ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى عَنَاءِهِ حَفِظَتْ مُلْكَنَا الشَّرِيفَ بِمَعْقَبَاتِهَا، وَصَانَتْهُ بِصَاحِبِ تَصْرِيفِ
تَقْوَمُ كُتُبُهُ وَأَرَاؤُهُ مَقَامُ الْكَاتِبِ وَرَأْيَاتِهَا، وَسَلَّتْ لَنَا الْخَيْرَةَ لَمْ نَجْنِ بِقَلَمِهِ النَّصَرَ

من ثمراتها ، وبينت الحسن في طريقته المثل حتى أقسم الصبح من قسماها ،
واقسم النصح من عادتها ، وأقسم فكره بالنصح وقد ضلت الأكرار عن إصاباتها
فظلت في غفلاتها .

نحمد حمداً يهب مع الأفاضل في هياتها ، ويهب من اللطائف الحسان أفضل
هياتها ، ويثبت القلوب لتقيد شوارب النعم بصديق نياتها ، وينافس الكرام الكاتين
على نقائس الثناء في تسبيح لغاتها بصرفيح سملواتها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تملأ الصحف بحسناتها ،
وتملأ الوجوه بالأنوار في توجهاتها ، وتلوح من سلماتها سميأة لا تشق على الأبصار
في توشماتها ، وتفخر برقتها الأفلام بأنه لا طعن في اعتدال حركاتها ، على الرماح
في اعتدال قاماتها ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أدى الرسالة بها
تحملة من أماناتها ، ورعى العهد لمن أخلص في مرعاتها ، ودعا الأئمة بإذن الله
إلى سبيل تجارتها ، وأستأمن على الوحي كتاباً سبقوا في السعادة إلى غاياتها ، وبلغوا عنه
السنة بباياتها والشور وآياتها ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه قرسان البلاغة
وروايتها ، وحفظه الأسرار وبقايتها ، وصاغه المعاني في الألفاظ الغربقتاتها ، وأول
الأحلام التي لا تطلبها وقائع الدهر بروعاتها ، ولا تدهلها عن الأوراد في أوقاتها ،
وتلقى الوفود بأقواتها ، والأخلاق التي أنسج نطاقها في تصرفاتها ، وأمتنع حجابها
أن يخطاه الخدع بهفواتها ، صلاة تريد الأعمار بركاتها ، وترز الأعمار بركاتها ، وسلم
تسلياً كثيراً .

وبعد ، فإن الملك عمود بناؤه بسره ، وأرتفاعه بالتأسيس لمستقره ، وأستاعه
بعد المساكر المصورة بكتاب يمحائل المدفوع في مكره قبل مكره ، ويقاقل في الحرب

والسَّلم بِنَقَازِ رَأْيِهِ وَتَقَاتِ سِحْرِهِ ، وَيَقَابِلَ كُلَّ حَالٍ بِمَا يَحْسُنُ مَوْقِعُهُ مِنْ صَدْمِهِ
بَصْدَرِهِ أَوْ صَدِّهِ بَصِيرِهِ ، وَيَنْظُرُ فِي الْعَوَاقِبِ نَظَرَ الْبَصِيرِ بِأَمْرِهِ ، الْوَاعِي لِأَحْتِيَالِ
عُدُوِّهِ قَبْلَ آخْتِيَالِ الْبَاغِي فِي عَنَرِهِ ؛ إِذَا جَادَلَ فَبِالْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ ، وَإِذَا جَاوَبَ أَبْطَلَ
الْأَهْوَالَ الزَّائِفَةَ ، وَإِذَا أَمَرْنَا بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ سَبَّحْنَاهُمَا عَنَّا كَالشَّمْسِ الْبَازِغَةِ ،
وَمَلَأْنَاهُمَا حُبًّا لَنَا الْقُلُوبَ الْفَارِغَةَ ؛ وَقَدْ جَرَّبْنَا عَلَى طُولِ الْمَدَى كُتَّابًا ، وَاتَّقَيْنَا مِنْهُمْ
كَثِيرًا أَرْتَضَيْنَاهُمْ أَصْحَابًا ، وَمَارَسْنَا جَمَاعَةً أَرَدْنَا بِهِمْ إِعْجَابًا ، وَرَأَيْنَا طَوَائِفَ فِيهِمْ
مَنْ إِنْ أَجَادَ اجْتَنَاءَ لَزَمَرَاتِ الْقَوْلِ حَادَ عَنْ الْجَلْدَةِ اجْتِنَابًا ، وَإِنْ كَلَفَ نَفْسَهُ
مَذَاهِبَ الْكُتَّابِ أَخْلَى بِمَقَاصِدِ الْمُلُوكِ إِنْ كَتَبَ عَنْهُمْ كُتَّابًا .

وَلَمْ نَنْظُرْ بَيْنَ تَمَّتْ فِيهِ الشُّرُوطُ الْمَشْرُوطَةُ ، وَتَمَّتْ بِالْمَآثِرَةِ الْمُحِيطَةِ إِلَى الْفَضَائِلِ
الْمُنَاسِطَةِ ، وَأَتَانَا فِيهِمْ لَا يُقْبَلُ عَلَى الْفَسَادِ وَلَا يَقْبَلُ الْأَغْلُوطَةُ ؛ إِنْ أَمَلَيْنَا إِمْلَاءَ
ذِكْرِهِ ، وَإِنْ حَمَلْنَا حَوْلَ مَعْنَى لَا تُؤَدِّي إِلَى الْعِبَارَةِ فَسَرِهِ ، وَإِنْ سَرَدْنَا عَلَيْهِ فَصْلًا
مُطَوَّلًا خَبَرَهُ ، وَرَبَّمَا رَأَى الْمَضْلَعَةَ فِي اخْتِصَارِهِ فَاخْتَصَرَهُ ، وَإِنْ أَوْدَعْنَاهُ سِرًّا سَرَّهُ ،
وَصَانَهُ بِمُجَوِّعٍ أَرَاهُ ، وَكَتَمَهُ إِمَّا بِحُجَّتِهِ عَنْ قَلْبِهِ فَلَمْ يُدْرِكْهُ أَوْ بِقَلْبِهِ عَنْ لُحْظِهِ فَلَمْ
يَرَهُ ، وَإِنْ حَلَيْنَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَرَضٍ مِنْ أَغْرَاضِنَا الشَّرْعِيَّةِ اسْتَخْرَجْنَاهُ كَمَا فِي خَوَاطِرِنَا
وَأَظْهَرَهُ - كَالْجَلِيسِ الْعَالِي ، الْقَضَائِي ، الْأَجْلِي ، الْكَبِيرِي ، الْعَالِمِي ، الْعَادِلِي ،
الْعَوْنِي ، الْعَلَامِي ، الْقَوَائِمِي ، النَّظَامِي ، الْمُدَبِّرِي ، الْمُشِيرِي ، الْفَاضِلِي ، الْكَامِلِي ،
الْأَوْحَدِي ، الْمُفَوَّحِي ، الْخَاشِعِي ، السَّافِرِي ، الشَّهَائِي : صَلَاحِ الْإِسْلَامِ
وَالْمُسْلِمِينَ ، مَسِيدِ الرُّؤَسَاءِ فِي الْعَالَمِينَ ، قُدْوَةِ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ ، إِمَامِ الْفَضْلَاءِ
وَالْمُنْتَكَبِينَ ، رَئِيسِ الْأَصْحَابِ ، مَلَاذِ الْكُتَّابِ ، مَسْفِرِ الْأُتَمَّةِ ، عِمَادِ الْمَلَّةِ ، لِسَانِ
السُّلْطَنَةِ ، مَدَبِّرِ الدُّوَلِ ، مَشِيدِ الْمَالِكِ ، مُشِيرِ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ، وَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

(١) فِي الصَّبَاحِ فَسَرَهُ مِنْ بَابِ ضَرْبٍ أَوْضَحَهُ وَيَتَنَقَّلُ بِمِثَالِهِ .

«أحمد بن فضيل الله» ضاعف الله نعمته . فإنَّا خطبناه لهذه الوظيفة ، واستخلصناه على كثرة المتعينين لأهسنا الشريفة ، وأمتحناه في الأمور الجلية واللطيفة ، وحملناه الأعباء الثقيلة والخفيفة ، وأوقفناه مرةً وأخرى أطلقنا تصرفه ، وأنعمنا النظر في حاله حتى تحققنا بتقفيه ، وكتب واستكتب عنا ميراً وجهراً فلا قلباً وسمعا ، وبأشرف مرامينا العالية مصراً وشاماً وضلاً وقطعا فمرّ رفعة وعمّ نفعاً ، وأنشأ التقاليد وقبّلها ، ونقذ المهمات وسدّها ، ووقع التواقيع وأطلق بها وقد قيدها ، ومضى المصالح باحتراز ما بدّها وأحتراس ما عقدها ، وجهاز البدّهمة ما قيدها طلب الراحة ولا أقدها . وهو كاتب ملوك ، وصانع سلوك ، وشارع سلوك ، وصانع ذهب مسبوك ، وناجح وثى محوك ، وجامع صفات ماسواها هو المتروك ؛ لا يعدو بالكلمة محلّها ، ولا يؤاخي بالقرينة إلا شكّلها ، ولا يسمح بخاطية إلا لمن تمين لها ، ولا يعامل باللفظة إلا من استوجبها ولا يخصّ بالحسنى إلا أهلها ؛ نأشره بالتؤويل فينزّل قواعد السدوّ ، ونشير إليه بالتهوين فيفيد مع بقاء المهابة الهدوّ ؛ وقد رضيناه حقّ الرضا ، وأضربنا به عمّن بقي من أكابر الكُتّاب ونسبنا من مضى ، وتعين علينا أن نحكم له بهذا الاعتبار ونجمله على هذا المقنعى ، وأن نُطلّعه في سماء دسّتنا الشريف شهاباً أضاً ، وأن نقبّله مهِماً مازال هو القائم بتنفيذ أشغاله ، والساعى بين أيدينا الشريفة في تدبير مقاصده وجملة أحواله ؛ إلى ما له من بيت أثلوا بجده ، وأثروا مسدّه ، وأرثوا عندنا ودّه ؛ وبخى كما بنوا ، وأجنّى من السؤدد ما اجتنبوا ، ورمى في خدمة النّوّل إلى مارموا ، إلا أنّ مذهبه في البيان أحلى ، وأسلوبه أجلى ، وقيمة كلامه أغلى ، وقبّده في الكمال هو المُعلّى ، وأدبه بحمد الله قد لحظته سعادة أيماننا الزاهرة فما فيه لَوٌّ ولا لَوّاً ؛ سوى أنه اتفق مُعارضُ أعترض بين السهم والمهدف ، وسيفه نفسه فوقف في مواقف التّلف ، ودقّ عنه شأنُ كاتب السرفسقط من حيث

طبيع في السقوط وما عَرَفَ ؛ ورام الدُخُولَ بَيْنَ الْمَلِكِ وَبَيْنَ يَدِهِ ، وَبَيْنَ اللِّسَانِ وما يُعْجِزُهُ بِهِ الضَّمِيرُ مِنْ حَقِيقَةِ مَعْتَقِدِهِ ، وَالْإِطْلَاعَ عَلَى مَا لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْإِنْسَانِ لِمَا أَدَارَهُ فِي خَلَدِهِ وَالتَّعَدَّى بِمَا لَيْسَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ مُتَوَقِّعٌ ، وَسَرَى فِي سَرَى لَوْ طَمَحَ إِلَيْهِ طَرَفُ الشَّهْوَا لِنَقْطَعُ ؛ وَمَا عَلِمَ أَنَّ كَاتِبَ السَّرْهُو مُسْتَوْدَعَ الْخَبَايَا ، وَمُسْتَطْلَعُ الْخَفَايَا ، وَقَلَمُهُ (أَبْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا) ، وَفِي اسْتِغْنَادِهِ يُعْرِفُ بِالْمُسْنَى وَيُعرفُ بِالْمُسْنَايَا ؛ وَلَهُ الْكَتَابَةُ وَالتَّوْقِيعُ ، وَالتَّصَرُّفُ فِيمَا لِلتَّنْفِيزِ مِنَ التَّحْسِينِ وَالتَّنْوِيعِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ التَّفْرِيقِ وَالتَّجْمِيعِ ، وَالتَّائِيلِ وَالتَّفْرِيعِ ، وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ وَالتَّأْمِينِ وَالتَّرْوِيعِ .

وَلَا دَلَّ ذَلِكَ الْمَعْرُضُ بِإِنْجَارِهِ ، وَأَطَالَ الْمَطَارَ فِي غَيْرِ مَطَارِهِ ، وَقَالَ النَّاسُ إِنَّ أُبُورَانَا الْعَالِيَةَ جَنَّةٌ حُفَّتْ مِنْ سُوءِ أَخْلَاقِهِ بِالْمَكَارِهِ ، رَمَيْنَا بِهِ مِنْ شَاهِقٍ ، وَأَبْعَدْنَاهُ لآخرته أَرْجَدًا مَا هَدَرَ مِنْ تِلْكَ الشَّقَاشِقِ ؛ وَتَقَدَّسْنَا بِإِنْشَاءِ هَذَا التَّوْقِيعِ الشَّرِيفِ تَعْوِيَةً لِكِتَابِ سِرِّنا الشَّرِيفِ فِي تَصْرِيفِهِ ، وَبَيْنَمَا أَنَّهُ لَا يُقَاسُ بِهِ أَحَدٌ فَإِنَّهُ لِسَانُ السُّلْطَانِ وَيَدُهُ وَكُفِيُّ بَذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى تَسْرِيفِهِ .

فُرِغَ مِنَ الْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي ، الْمَوْلُوءِ ، السُّلْطَانِيِّ ، الْمَلِكِيِّ ، النَّاصِرِيِّ - لَا زَالَ إِذَا عَزَمَ صَمِّمُ ، وَإِذَا بَدَأَ الْمَعْرُوفُ تَمِّمُ ، وَإِذَا اسْتَخَارَ اللَّهَ فِي شَيْءٍ رَضِيَ بِخِيَرَتِهِ وَسَلَّمْ - أَنْ يَسْتَقِلَّ الْجُلُوسَ الْعَالِي ، الْقَضَائِيَّ ، الشَّهَابِيَّ « أَحْمَدُ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ » الْمَشَارُ إِلَيْهِ بِصَحَابَةِ دَوَاوِينِ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ بِالْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُحَرَّوسَةِ : رَافِقًا لِأَيِّهِ الْجُلُوسَ الْعَالِي ، الْقَضَائِيَّ ، الْمُجَيَّبِيَّ : ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ وَبَرَكَتَهُ فِي الْمُبَاشَرَةِ ، وَشَرِيكَهَا بَلْ مُتَقَرِّدًا لِيَقُومَ مَعَهُ وَدُورَتَهُ بِمَا قَامَ بِهِ مِنْ كِتَابَةِ بَاطِنَةِ وَظَاهِرَتِهِ ؛ اسْتَقَلَّ كُلُّ مِنْهُمَا بِهَا فِيمَا بَعْدَ وَقَرَبَ مِمَّا يَضُمُّهُ نَطَاقُ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ ، مَعَ مَا هُوَ مُسْتَقَرٌّ فِيهِ مِنْ كِتَابَةِ

السر الشريف ، والتصرف في المهمات الشريفة والتصرف ؛ وهو المنفرد بتقديم البريد وعرضه ، ومباشرة ختمه وقضه ، وقراءته بين أيدينا ؛ وأستخراج مراسمتنا الشريفة في كل مناب ، ومشافهة وخطاب ، وأبداء وجواب ، ومطلف ومكبر ، ومقدم ومؤخر ، ومكمل ومشطر ؛ وإليه أمر البريد والقصد والتجابه ، ومن أشغل من الدبح جلبابه ، أو ألقته إلى ملأه الصباح المنشورة يد ليله متجابه ؛ وتعيين من يرى تعيينه منهم في المهمات الشريفة السلطانية ، والمصالح المقدسة الإسلامية ؛ وإليه الحسام الراسلي وترجيته ، وزجأته ومدرجته ؛ ومن يصل من رسل الملوك إلى أبوابنا العالسة ، وجميع من يكتب الدولة الشريفة من كل متنبس وغريب ، وبعيد وقريب ؛ وقراءة القصص لدينا ، والكتابة على ما يسوغ كتابه مثله ، وأخذ العلامة الشريفة من يده .

وأما من أستكتبهم عنا في ممالكنا الشريفة فهو المقلد لأعبائهم ، والمخلى بينه وبين ما يراه في آجتائهم ؛ يستكتب كل أحد فيما يراه ، ويرفع بعضهم فوق بعض درجات منهم مستيقظ ومنهم نائم في غمرات كراه ؛ كل هذا من غير معارضة له فيه ، ولا اعتراض عليه في شيء منه ؛ يلقنا مهماتنا الشريفة ويتلقى عنا ، ومنه إلينا وإليه منا .

وأما ما يرد عليه من الرسائل عنا بما يكتب به فيمضى منه مالا يمكن وقوفه ، وراجعنا فيما لا يكون إلا بعد مراجعتنا تصريفه ؛ فليمش على هذه القاعده ، وليستقل بهذه الوظيفة استقلالاً هو كالجبر محل الفائدة ، ولينشر من إقبالنا الشريف عليه بالصلوات العائده ؛ ونحن نختصر [له] الوصايا لأنه الذي يملها ، ونقتصر منها على التقوى فإنها الذخيرة النافعة لمن يؤمنها ، والباقي الصالحة خير لمن يقتضيها ؛

والله تعالى يقوى أسبابه ، وينير شهابه ، ويزيد من المعالى آكسابه ، ويُنينا
بقلمه عن سنان يتقدم علمه ، ولسانه عن سيف يقارب قرابه ، والاعتقاد على الخط
الشريف أعلاه .



وهذه نسخة تقليد يعود القاضى شهاب الدين بن فضل الله إلى كتابة السر .
من إنشاء الشريف شهاب الدين كاتب الإنشاء الشريف ، وهى :

الحمد لله الذى أحمد المقي بفضلته ، وأكّد النعمى بوضله ، وأودع سرّ ملكنا
الشريف عند أهله ، وأطلع شهاب الدين من أفق العلياء فى محلّ شرفه وشرف
محله ، ورفع قدره فى مسيره إلى بروج السعود وحلّوله بدرجات الصعود وتقلبه ،
وأرجع الموهبة منه إلى من يشكرها بقوله وفعله ، وأبغى الفرع الزاكي الذى يحمي
أصله بوا كيف صحاب كريمنا ووبله ، وأتمّ النعمة عليه كما أتمها على أبويه من قبله ،
وضمّ له أطراف الرياسة وجمع شملها بشملته ، وعمّ بفضلته وفضلنا أهل هذا البيت
الذين فطروا على السؤدد وبصروا من رضانا باتباع مبله .

نحمده على إضفاء ظلّه ، ونشكره على إضفاء نّله ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة أشرق نور هداها ، بمستلّه ، وأغلق قوّ نداها ، بمستلّه ، ونشهد
أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أرسله خاتم رسله ، وجعل له الفضل على الخلق كلّّه ،
وألم به سبيل هديه وسنن علّله ، وأرشدّه إلى قرّض دينه وتقله ، وأودعه السرّ
الذى لم يؤدعه سواه وحمله من أعباء الرسالة ما لم ينهض غيره بحمله ؛ صلى الله عليه
وعلى آله أغصان الشجرة الزهراء التى هى بضعة منه ونّعة من أصله ، ورضى الله

عن أصحابه الذين أجّلهم من أجله ، خصوصاً من بادر إلى الإيمان فخص من سبق
بخصه ، ومن أيد به الدين وقرّ الشيطان من ظله ، ومن جهّز جيش العسرة حتى
غزا العدا بجياله ورجله ، ومن كان باب مدينة العلم وماجّ جزله وفالج قفله ؛ وعن
بقية المهاجرين والأنصار الذين ما منهم إلا من جاهد حتى قام الدين بنصره ونصله ،
صلاة دائمة يجعلها اللسان أهم شغله ، ويتلقّى قادمها في موطن القبول بأكرم نزله ،
ما رمى قوس العزم بصائب نبّله ، وحمى حى الملك بليثه وشبّله ، وفوض أجل
المناسب إلى فاضل العصر وأجلّه .

أما بعد ، فإنّ آراءنا لا تزال للصالح مرآية ، ولا تبرح بالإسماء إلى الأولياء
سايه ، فتدعو إلى مقامها من وقر على الإخلاص ودواعيه ، وتذنى من ملكها من له
بانخافاً أعظم بصنيرة وفي جميل القضايا أجمل طواعيه ، وتلقى أسرارها إلى من له
لسان حقّ ناطق وأذن خير وإيعه ، وتقدم من له قدم صدق ثابتة ويد بيضاء طويلة
في المهمات طليه ، لتندوسهم أقدامه إلى الأغراض رايه ، وصواب أفكاره
عن حى الملك حمايه ، وتكون عبارته للقاصد موفية وإشارته لموعِد الثمن موافيه ،
وتضحى ديم نعمنا الواكفة لسوابق خدمه مكافيه ؛ لما يتصل بذلك من المصالح ،
وشاحي خواطرنا الشرفه به المتأجج ، ويقل عليه وجه الإقبال ، في كل حال ، ويقدو
إليه طرف الإجلال ، وهو طامح ، فتجمل به ممالكنا مضراً وشاماً ، وتُسند به مرمى
وتصيب مرّاماً ، وتحفظ له ولأبيه في خدمتنا حقاً ونداماً ، ونكون له في الحالتين
رئاً وإكراماً ، ونُقل عله إعلاتنا بعلو مكانه وإعلاماً ؛ فيؤلف للرئاسة نظاماً ،
ويضاعف للرتبة إعظاماً ، ويعمل راعاً بل حساماً ، ويخلو وجهه المنى طلقاً ويبدو
بعد البشر بساماً ، ويحسن بأعباء المهمات قياماً ؛ وحيث نقلته أوطانه هِصاب
المجدوقته ، وأين وجهته أعلت قدره وقوته ؛ وكلما أوفدته أفاضت عليه ملّس

العز وجلته، واختصته بالتصرف وأفردته؛ وانتصت ماضى اجتهدته وجرته، وأجرته من إجراء فضيلها على ما عودته؛ واستقلت له منائحها من كثير المواهب ماخوئته، ومن كثير المناصب ماقلدته .

ولما كان فلان هو الذى أودع الأسرار حفظها، وأطلع على الدقائق قرعها بصبرته وحفظها؛ وباشر مهماتنا فأنضاهها، وسر خواطرننا وأرضاهها، وظهرت منه بين أيدينا كفاية لا تضاهى؛ وقلد أجاد أولياتنا من تهاديه عهودا، وأدنى من المقاصد بلطف عبارته بعيدا، وأغنى الدولة أن تجهز جيشا وجهز بريدا، وأبان بمقاله عما فى أنفسنا فلم يبق مريدا، وصان الأسرار فجعل لها فى خلدته خلودا، وجمع أشنات المحاسن فاحصى فريدا؛ كم لعمه فى خدمتنا من هجرة قديمه، ولأبيه من موالاة هى للمخالصة مواصلة ومديمه، وكم لها أسباب فى الرئاسة قوية وطرائق فى الهداية قوية، وكم كاتب يسر الله بهداهم تعليمه ونهيمه، وقدر على يديهما وصوله إلى رتب العلاء وتقديمه، فنفعتهما عيمه، وتبعتهما صميمه، ولهما فى الشام ومصر أجل شيمه، ولم له هو أيضا من تقدمات أقتضت تكريمه، وكفاية عند علومنا الشريفة معلومه، وكافية حلل المهارق يوشها مرقومه؛ فلو قابله الفاضل «عبد الرحيم» لبادر إلى فضله إقراره وتبليغه، أو «عبد الحميد» لكانت متابعه الحميدة بالنسبة إلى مذاهبه ذميمة، أو سمع «عبد الرحمن» مقاله لضمن ألفاظه معانيه العقيمة، أو أدركه «قدامة» لعرف تقديمه، وأقندى بسبله المستقيمة، أو حوى «البحرورى» فرائد ألفاظه لعرف أن صحاحه إذا قرئت بها سقيمة، أو رأى «أبن السديم» خطه لاستغنت منه بسلاسل الذهب نفسه العديمه؛ أو «الولى» لاستجدى من صوب إجادته أغزر ديمه، أو نظره «أبن مقلة» لوجدت مقلته نضرة خطه ونعيمه،

أو «أَبْنُ الْبَوَابِ» لَكَانَ حَدِيثَ بَابِهِ وَخَدِيْعَهُ فَمَنْ صُدُّورُهُمْ صُدُورُهُمْ سَلِيْمُهُ ، وَأَمَانُئِلُ مَعْلُوْدَةٌ وَأَمْتَالُهُمْ مَعْلُوْمُهُ .

أَقْنَضَى حَسَنُ رَأْيُنَا الشَّرِيفُ أَنْ تُلْقَى إِلَيْهِ مَنْصِبًا هُوَ أَوْلَى بِهِ ، وَتُقَرَّرَ عَلَيْهِ بِدُوْنِهِ مَنَّا وَأَقْرَبًا بِهِ ، وَنَمْتَعَ الْبَصَرَ وَالسَّمْعَ بِخَطَايَاهُ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفُ ، الْعَالِي ، الْمَوْلَوِيُّ ، السُّلْطَانِيُّ ، الْمَلِكِيُّ ، الْفُلَانِيُّ - لَا يَرْجُحُ حُجْدَ نِعْمَةٍ كَمَا بَدَأَهَا أَوَّلُ مَرَّةٍ ، وَيُسَرُّ الْقُلُوبَ بِكَأَلِ أَوْدَعِهِ سِرِّهِ ، وَيَحْتَدُّ لِأَحْمَدِ الْأَوْلِيَاءِ عَوْدَهُ وَمَسْقَرَهُ ^(١) .

فَلْيَتْلُقْ هَذِهِ النِّعْمَةَ بِسُكْرُهَا وَلِيَتَرَقَّ مِنْصِبًا رَفِيعًا يَنْاسِبُ رِفْعَةَ قَدْرِهِ ، وَلِيَسْتَطِيعَ قَلَمَهُ فِي تَنْفِيزِ مُهِمِّ الْمَالِكِ مِنْ تَيْبِهِ وَأَمْرِهِ ، وَلِيَحْفَظَ مَا أَوْدَعَهُ مِنْ خَفِيِّ سِرِّهِ ، وَلِيُلَاحِظَ الْمُهَيِّمَاتِ بِفِكَرِهِ ، وَلِيَحَافِظَ عَلَى مَا يَعْرِفُهُ مِنْ رِضَا طَوْلِ تَعْمَرِهِ ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ مِنْ صَوَابِ أَعْمَالِهِ وَتَسْدِيدِهَا ، مَا لَا يَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى تَكْثِيرِ الْوَصَايَا وَتَسْدِيدِهَا ، وَلَا إِلَى تَكَرُّرِهَا وَتَرْدِيدِهَا ، لَا سِيَّمَا وَقَدْ سَلَقَتْ لَهُ هِيَ خُبْرَةٌ لَا تَفْتَقِرُ إِلَى اسْتِيعَابِ ذِكْرِهَا وَلَا إِلَى تَعْمِيدِهَا ، وَتَهْتَمُّ لَهُ مَبَاشَرَةٌ أَسْتَبْشِرُنَا بِمُيُونِهَا وَأَشْنِيبَا عَلَى حَمِيدِهَا ، وَأَسْتَدْنِيئُنَا سَنَاهَا وَأَسْتَفْنِيئُنَا عَنْ سَوَاهَا بِوُجُودِهَا ، وَلَهُ بِمُحَمَّدٍ اللَّهُ تَوْفَرُ التَّوْفِيقِ ، وَهُوَ الْحَقِيقُ بِمَا قُوْضَا إِلَيْهِ عَلَى التَّحْقِيقِ ، وَفَضْلُهُ مِنَ الشَّوْائِنِ عَمْرِيٌّ وَفِي الْمُجَانِبِينَ عَمْرِيٌّ ، وَقَدْرُهُ بِتَجْدِيدِ النَّفْسِ جَدِيرٌ وَيَحْلُلُ الْكَرَمَ خَلِيقٌ ، وَاقَّةُ تَعَالَى يُوَسِّعُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ أَيْنَ طَرِيقٌ ، وَيُسَرُّ بِمَقْدَمِهِ الْوَلِيَّ وَالصَّدِيقَ ، وَيَفْرُقُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ بِفَقْدِهِ الْفَارُوقِ وَهُوَ مِنْ أَكْرَمِ قَرِيْقٍ ، بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ ! .

(١) حذف المرسوم به اختصاراً في النسخة واتفقوا على حذفه من نظائره المتقدمة فهو ملحوظ



وهذه نسخة تقليد بكتابة السرى :

الحمد لله الذى أظهر لتدبير دولتنا شهابا يعلو على فرقَد القرائد، ويكل به عقود
الممالك فسمت جواهر فرائدها على الدرارى إذ كان واسطة تلك القرائد، ومعيد
إحساننا إلى خيرولى أغنى تدبيره عن سواه فكان بالألف ذلك الواحد، ومحول
مواد كرمنا لمن هو صدر أسرارنا ويمن مملكتنا فى كل صادر عنها ووارد، ومثقل
الأكفاء إلى مراتب سعودهم فتصبح ألوية محامدكم فى معال المزمع أنفر معاقد،
ومحلى ملكا الشريف بأكل كاف ما أم مصر إلا تلتته بالهناء ولا فارق شاما إلا أسفت
عليه تلك الربوع والمعاهد .

نحمده على نعم أقرت عيون الأولياء لما أقرتهم من مواد جودنا على أكل النواعد،
ونشكره على ما بلغت من جميل المآرب ويلوغ المقاصد؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة توجب قائلها من جميع الشرائد، ونشهد أن سيدنا محمدا سيد البشر
عبده ورسوله الذى جاد بهديته فكان أكرم جائد؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحباته
خصوصا على أول الخلفاء أبى بكر الصديق الذى لا نفر كفخاره، وعلى أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب حامل أسرارهم وفاق أمصاره، وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان
مبتلى عمره بيساره، وعلى آبن عمه على بن أبى طالب أكرم نسبائه وأخص أصهاره،
وعلى بقية مهاجره وأنصاره، صلاة سهلة المآرب عذبة الموارد .

وبعد فإن من سيجئنا إذا تيمنا بولى لا تزال نلحظه، وترعى حقوق خدمه
فى القرب والبعد وتحفظه؛ وتقابل ما أسلفه لدينا بنفائس النعم، وتفيض عليه ملايس
الجود والكرم؛ لا سيما من لم يزل يظهر لنا كل يوم تعبدا جديدا، ومن أصبح

في القصة والبلاغة وحيدا ، ومن جم أطراف السؤدد والرياسة فلم يبرح بهما فريدا ؛ ومن تحسن النعم بإضافتها عليه ، وتكمل المنن بإضافتها إليه ، وتزهو فرائد البلاغة بانتظامها في سلك تجده ، وتشرق كواكب البراعة في أنساقها في فلك سَعده ؛ وكان للآية في الاختصاص بنا اليد الطولى ، وتلا عليه لسان أعتنائنا في الحالين : ﴿ وَلَا آخِرَ خَيْرٍ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ .

ولما كنت أيها الصدر «شهاب الدين» أحق الناس بهذا المنصب لما لإلديك - أبقاه الله تعالى - ولعمرك - رحمه الله تعالى - من الحقوق ، ولما أسلفنا من الخدم التي لا يحسن التناهي لها ولا العقوق ؛ ولأنك جمعت في المجد بين طاريف وتاليد ، وقفت بأزكى تقروم وإخوة ووالد ؛ وجلالة ما ورثتها عن كلاله ؛ وخلال ما لها في السيادة من إخلال ، ومقانس ، تكاثر البحر الزانر ، وما تر ، يعجز عن وصفها الناظم والناثر ؛ ولما نعمة من فضائلك التي لا تحصى ، رعيناك في حودك لوظيفتك وهو « أحمد » أحمد .

ولما كان فلان^(١) هو الذي تقطر القصة من أعطاف قلبه ، وتخطر البلاغة في أبواب حكمه ؛ وتزول المعاني المتنعة من معادل القرائح على حكمه ، وتقف جياد البداية المتسرعة حيرى قبل التوسط في علمه ؛ إن وثى الطرس فرياض ، أو أجرى النفس فخياض ؛ أو نظم قلائد ، أو نثر ففرائد . لا يتجاسر المعنى المطروق أن يلج يفكره ، ولا يقدم المعنى المتخيل المسبوق للورور يذكوه ؛ ولا يجوز زيف الكلام على ذهنه المتقصد ، ولا تثبت غناء الكلام لدى خاطره المتقصد ؛ ف«عبد الحميد»

(١) هذه عبارة أخرى تكتب بدل الأولى ولا يجمع بينهما أى فالكاتب غدير في تصدير مقاله بأحداهما

كـ «مبد الرحيم» فى العجز عن لحاق علومه التى يحيد «الراغب» على نورها هدى،
والأصمعى لو أدركه لسلا عليه : (هَلْ أَتَيْكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ بِمَا عَلَّمْتَ رُشْدًا) «
والطُّغْرَايى» لو عاصره ل زاد نظمَه وأزاد على نوره هدى، و«الحريرى» لو رافقه
لأمن فى «مقاماته» من التجريح والردى؛ قد قصرت عن غاية كماله جياذ القرائح،
وعجزت عن وصف صفاته جميع المدائح؛ وشرف منصبه بأتمسابه إليه، وزُفِعَ
قدره بمثوله لديه؛ مع ما يميزه من نزاهة صرف بها عن الدنيا طرفه، وزهادة زانت
بالسعد صندره وملائة ملأت باليقفة كفه؛ فهو واحد زمانه، وأوحد أوانه؛ والبحر
الذى يحدث عن فضله ولا حرج، والروض الذى ينقل عن فضله إلى الأشماع
أطيب الأريج؛ وكان قد مال عن منصبه وهو يذكّره؛ وفارقه وهو يشكره، ونادى
فيه ويقولو يلى، وشغل بغيره وهو يقول حسبي «شهاب الدين» حسبي :
(فَلَمْ رَمَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّى) . فلما حصل له الإستئناس،
وزال عنه القلق والإلتباس، قال : (ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ) -
أقتضى حسن رأى الشرف أن نخصه باستقرار رتبته لديه، وأن نستمر به على
وظيفته السنية استمرار السعد المقبل عليه .

فُرسِم بالأمر الشريف - لا زال شهاب سعدة لايعا، وحباب كرمه هامعا،
ومطاع أمره لمصالح الدين والدنيا جامعا؛ - لمناقبه التى وفرت ميامنها، وأسفرت
بوصف آثاره الحسنة كوامنها؛ وأن يُعاد إليها كما يُعاد السوار إلى الزند، أو كما يعود
نسيم الصبا إلى الرند. فليؤنس منصباً كان إليه مشتاقا، ومجلساً كان منتظراً أن يزُر
من ملابس جلاله على عقه أطواقا؛ وليجمل هالة كانت متشوقة إلى عقود دُرره.
فأحمد الله على ما خصصناك به من مزيد الاعتناء، وأن السعادة فى أيماننا الشريفة

متصلةً قَسَمْتُ الآبَاءَ وَالْأَبْنَاءَ ، وَكَفَيْكَ هَذَا التَّوْقِعَ الشَّرِيفَ إِذْ بَلَغْتَ بِهِ جَمِيعَ
الْأَمَانِي ، وَتَوَجَّاهُ بَيْنَنَا الشَّرِيفَةَ لِقَرَبِ عَهْدِهَا بِمَصَافَةِ الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ ، وَأَصْطَفَيْنَاكَ
بِقِلْمِ عَظْمٍ شَأَنًا بَتَلَكَ السُّتُورَ ، وَغَدَا مَعْمُورًا بِالْهَدَايَةِ بِبَرَكَاتِ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ، وَازْدَادَ
بِمَشَافِهِةِ الْحَرَمِ الشَّرِيفِ نُورًا عَلَى نُورٍ . فليُحَسِّنْ نَظَرَهُ الْمُبَارَكُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ ،
وَلْيُبَيِّنْ مَا يَحْسُنُ فِي هَذِهِ الْوُظُفَةِ مِنْ مِثْلِهِ ؛ وَفِي تَقْدِيمِ مَبَاشَرَتِهِ فِي هَذِهِ الْوُظُفَةِ
وَعِائِهِ مَا يُفْنِي عَنْ كَثْرَةِ الْوَصَايَا ، وَيَلَاكُهَا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَهِيَ أَكْلُ الْمَزَايَا ؛
وَلْيُحَمِّدْ أَفْعَالَهُ وَيَصِلْ أَسْبَابَ أَعْيَادِهِ بِسَبِّهَا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُجَلِّلُ لَهُ مَوَاهِبَ
تُحْوِلُهُ ، وَيَجْعَلُ لَهُ الْخَيْرَ فِي تَقْلِيلِهِ وَتَحْوِيلِهِ ؛ وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ ، حُجَّةٌ بِمُقْتَضَاهُ ،
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تقليد بكتابة السمر :

الحمد لله الذى جعل خَوَاطِرَ أَوْلِيَانَا بِإِقْرَارِ نِعْمَتَا مُسْتَقْوَاهُ ، وَمَوَاطِرَ أَلْيَانَا عَلَى
ذَوَى الْإِحْلَاصِ فِي وَلَائِنَا دَائِمَةً الدِّيمِ مُسْتَمِرَّةً ، وَبِشَارِ رِضَانَا مُجَدِّدًا لِكُلِّ مَنْ ذَوَى
الِاخْتِصَاصِ أَتْبَهَاجَهُ وَيُسْرَهُ ، وَسَوَافِرَ أَوْجِهَ إِقْبَالِنَا لِأَوَّلَى الْأَصْطِفَاءِ وَالْوَفَاءِ مُشْرِقَةً
الْأَوْضَاحِ مِثْلَلَةَ الْأَمْرِ ، مُودِعَ أَمْرَارِ مُلْكَا الشَّرِيفِ مِنْ آلِ «فَضَّلَ اللَّهُ» عِنْدَ
أَكْرَمِ أَسْرِهِ ، وَمُنْتَجِ دَوْلَتِنَا بِخَيْرِ كَافٍ دَقِّقٍ فِي مَصَالِحِنَا فِكْرَهُ ، وَأَنْفَقَ فِي مَنَاجِحِنَا عَمْرَهُ ،
وَنَجَّحَ آرَائِنَا عَلَى أَعْلَى عَلَى حُلٍّ مِنْ بُهِرِ بَيْتِهِ بِمَعْرِفِهِ وَبِهَرِ خَيْرِهِ ، وَمُطْلِعِ أَنْجُمِهِمْ
بِأَفْقٍ تَهَرَّبِنَا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، فَتَحْيِي نِيرَهُمُ الْأكْبَرُ وَقَدْ شَيْدْنَا بِإِرْقَاتِهِمْ بَيْتَهُ وَشَدَدْنَا
بِعَلَامَتِهِمْ أَزْرَهُ .

نُحْمَدُ عَلَى أَنْ جَبَلَ نَجْمَاتِنَا ، عَلَى الْإِحْسَانِ وَالْمَبَرَّةِ ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى أَنْ أَعْزَلَ عَطَايَانَا ،
لِمَنْ لَمْ يَزَلْ يَعْرِفُ حَقَّهُ وَيَأْلَفُ خَيْرَهُ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ

شهادة تشرح مؤمنها صدره ، وتُصليح لُوقنها أمره ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده
ورسوله الذى أسمى على الخلائق قدره ، وتولى فى المضائق نصره ، وأعلى فى المشارق
والمغارب ذكره ؛ صلى الله عليه وعلى آله أجمعين ، ورضى الله عن أصحابه الذين
أسدوا المنة وسدوا الثغرة ، صلاة ورضوانا متواصلين فى كل أصيل ومكررين فى كل
بُكره ، ما وهب فضل الله مستحقا فسر بالعواطف والعوارف سره ، وعقب فى سماء
الإسعاد كوكب كوكبا خلل محله وقتر مقزه ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد فبشمتنا ترى لأوليائنا جُوقا ، ونعمنا الفامرة تُسنى صدقاتها لمن لم يزل
فى ولآئها صدوقا ، وتريد هياتها توفيرا لمن عيهدت منه لمراضها توفيقا ، ومُجسد
بتعاهدنا معهد الفضل فلا يُسمى خليلا بل يُضحي بأكرامها خليقا ، وتُعيد بإحسانها
بيتا أسس على تقوى الله وطاعة سلطانها فعدا بالحفظ حقيقا ، وتُحى بأعتنائها جوانبه
من الغير فلا يربح حياه لها طروفا ، ولا تُجِد بفضل الله لها عليه طريقا ، وتُطليع
فى بروج شعودها زهرا تروق شروفا ، وتُجمع على مهماتها من عظموا فضلا وكرموا
فريقا ، وتودع أسرارها عند سراتهم رُكونا إليهم وسكونا ورضا بهم ووثوقا ، وتُسفع
مناجئها بمنالج تزيد آمالهم نجاحا وتُعيد أمانتهم تحقيقا ، وترفع مكانا خليلا إلى حيث
أوسع الثمران من ملكها من كان باليأس مليا وفى المحاسن عريفا ، ويخلف فى خديمها
شقيق منهم شقيقا ، ويصرف أوامرها ونواهيها من أعيانهم من ثامن المصالح مع
أجنادها ، فتويت وتخاف الأعداء لسدادها ، تعوقا ، طالما آتمنتهم على إبداع أسرارنا
فلت من سراتهم مستودعا وثيقا ، وعينوا للعالي فصادفت طويقتنا من يقطرهم
ونهضهم تصديقا ، فهم أولى أن نجعل لأجسادهم بقود جودنا تطويقا ، وأحق أن
نرفع بنمتنا محلهم ، ونجمع فى خدمتنا شملهم ، فلا يبخشون نقضا ولا تفرقا .

ولما كان المجلس العالى القلائى هو الذى لحظته عنايتنا، فعلا فملا، وأيقظته إشارتنا، ففدا فى الحكم كهلا، وحفظته رعايتنا، فعمرت بينه العمري الذى مازال بالعوارف مأموحا وللقبول أهلا، وأحظته سعادتنا، فى إقامته مقام أبيه فى حفظ أسرارنا التى هو أحق بإبدائها وأولى - آتضى حُسن الرأى الشريف أن تُجرى بمرايمنا أقلامه، ونوفر من إنعامنا أقسامه .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا بَرَحَتْ صحابيه طاقه، ومواهبه لها مزيد وإدامه، ورعايته إذا ابتدأت فضلا رأت إتمامه، وكواكبه تسير فى منازل عزها وتبرها الأكبر الإرشاد والإمامة - أن يُفوض إليه كذا وكذا، على أجل العوائد، وأكل القواعد، نظير ما كان مستغزا لأخيه .

فليأشُر هذه الوظيفة التى لها به وبأهله أعظم نثار، ولتحل هذه الرتبة التى ما منهم إلا من لها يُحتجى، ويُستخار، ولتجمل هذا المنصب الذى اليهم مصيره فى جميع الأمصار، ولتحل المهارق بانשאته التى شان مطالعها عن شأوها الإقصار، ولتوقل هذه المضبة التى لها على عليائهم أقصصار، وفى آبايهم وأبنائهم لها تعيين وأنحصار؛ وليدجج الطروس من خطه بالوشى الرقيم، ولينبج النفوس من خطابه بالدرّ النظيم، وليشرح الشمس من أوضاع كتابته التى تُبرز من إبريز كنوزها «أبن العديم»، وليجهز البرد التى تقدمها مهايتنا فلم يكننا من كائب الأعداء هزيم، وليزين مقاصدها التى قرن بها الفتح القريب والنصر العزيز والفضل العظيم؛ وهو بحمد الله غنى عن الإرشاد بالصواب والتفهيم، على القدر لا يحتاج مع ألمعيته إلى تنبيه ولا إلى تلميح؛ وهم أئمة هذه الصناعة ولم الفضل القديم، وسيلهم السيوى وصرطهم القويم؛ والله تعالى يوفّر لهم فضلا العميم، ويظفر أقدارهم من لُذنا

بتكرار التكريم، ويُسنَى أمرهم فى آفاق العلياء يُسَعِدُ وَيُقَعِدُ وَيُفِيمُ، ويدِيمُ لكلّ منهم
فى ظلّ نِعْمَتِنا المزيّد والتّقديم؛ والعلامة الشّريفة أعلاه، حجةً بمقتضاه،
إن شاء الله تعالى .



وهذه وصيّة لكاتب السّر، أوردها فى "التعريف" وهى :

وليأمر عَنَّا بما يُقَابَلُ بالامتثال ، ويقال به : السيوف لأفلامه مِثَال ؛ ويبلغ
[من] ملوك العدا ما لا تبلغه الأسنة ، ولا تصل إليه المراكبُ المُشرعة القلوع والخيولُ
المطلقة الأعنة ؛ ولوقوع عَنَّا بما تذهب الأيامُ ويَبْقَى، ويَحُلُّدُ من الحسنات ما يُفْقَى
آخرةً ويُفْقَى؛ ويُفْلِلُ من لُدُنْه من غُرَرِ الإنشاء ما يُطَرِّزُ كلّ تقليد، وتُفْلِقُ إليه المقاليد؛
وليقتد من المِهْمَاتِ ما تُحْجِبُ دُونَهُ الرِّمَاحُ، وتُخْجِمُ عن مجازاة خيل البريد به الرِّيحُ؛
وليتلق ما يَرِدُ إلينا من أخبار الممالك على أنساع أطرافها، وما تَضُمُّه ملاءة النّهار
مِلءَ أطرافها؛ وليُحَسِّنْ لَدُنَّا عَرَضَهَا ، وليؤدِّ بِأدائها وإِجِبَ الخِدمة وليُفِمْ قَرَضَهَا؛
وليُجِبْ عَنَّا بما استخرج فيه مرايِمنا المطاعه، وبما وُكِّلَ إلى رأيه فسمع له
الصواب وأطاعه؛ وليُفِضْ ما يصدر عَنَّا مما يُحِبُّ الآفاق، ويَزْكُو على الإِثْفاق،
ويُجُولُ ما بين مِصر والعِراق، ويَطِيرُ به الحمام الرِسائِلُ وتجرى انخيلُ السِّقَاق ؛
وليُرِ الثَّوَابُ ما أَهَمُّ طِهِم بما يُرِيهم من ضَوْءِ آرائنا ، وليؤكِّدْ عندهم أسبابُ الوَلَاءِ
بما يُوَلِّى إليهم من عَمِيمِ آلِئِنا ؛ وليأْمُرِ الوَلَاةَ بما يَفِى به كلّ منهم عند حُدّه
ولا يَحْجُوزُهُ فى عمله ، ولا يَفِى بعده على سِوَاهُ بَأْمَلِهِ ؛ وليتولَّ تَهْجِيزَ البَريدِ ،
وَاسْتِطْلَاعَ كلّ خَبر قَرِيبٍ وَبَعِيدٍ ؛ والتَّجَاوِبَ وما تَسِيرُ فيه من المِصَالِحِ ، وتأخُذْ منه
بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ إِذَا سَأَلْتَ مِنْهُ بِاعْتِاقِ الْمَطَى الْأَبَاطِحِ ؛ وَأُمُورِ النُّصَحَاءِ وَالْقُصَّادِ ،

ومن يَظَلُّ سِرَّهُمْ عنده إلى حَفَرَةٍ أَمِيًّا الرِّجَالُ أَنْصَدَعُوهَا وَهُمْ شَيْءٌ فِي الْيَلَادِ؛ وَلَيُعْرِفُ
 حَقَّقَ ذَوَى الْخِدْمَةِ مِنْهُمْ، وَأَهْلُ النَّصِيحَةِ الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَلَا يَنْقُصُ
 عَوَانِدَهُمْ مِنْ رُسُومِ إِحْسَانِنَا الْمُوَطَّفُ، وَكَرَمْنَا الَّذِي يَسْتَمِيلُ بِهِ الْقُلُوبَ وَيَتَأَلَّفُ؛
 وَلَيُصْنِ السَّرَّ بِجَهْدِهِ وَهَيَّاتُ أَنْ يَخْتَفِيَ، وَلَيُحْجِبُهُ حَتَّى عَنْ مَسْمَعِيهِ فَيَسِرُّ الثَّلَاثَةَ غَيْرِ
 الْخَفِيِّ؛ وَالْكَشَافَةُ الَّذِينَ هُمْ رِبِيضَةُ النَّظَرِ، وَجَلَّابَةُ كُلِّ خَبَرٍ؛ وَمَنْ هُمْ أَسْرَعُ طَرُوقًا
 مِنَ الطَّيْفِ، وَأَدْخَلُ فِي نُحُورِ الْأَعْدَاءِ مِنْ دُبَابِ السَّيْفِ؛ وَهَمُّ أَهْلِ الرِّبَاطِ الْخَفِيلِ،
 وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ هُوَ مُقْبِلٌ وَمُنْذِرُكَ كَاللَّيْلِ؛ وَالذَّبَادِبُ وَالنَّقَّارَةُ، وَمَنْ يَعْلَمُ بِهِ الْعِلْمُ
 الْبَقِيَّةَ إِذَا رَفَعَ دُخَانَهُ أَوْ نَارَهُ؛ وَهَمُّ فِي جَنَابَاتٍ حَيْثُ لَا يَخْفَى لِأَحَدٍ مِنْهُمْ مَكَارَ،
 وَلَا يَزَالُ كُلُّ نَبِيٍّ بِتَوْبِهِمْ كَأَنَّهُ جَبَلٌ فِي رَأْسِهِ تَارٍ؛ وَالْحَمَامُ الرِّسَالِيُّ وَمَا يَمِيلُ مِنْ
 بَطَائِقٍ، وَيَتَحَمَّلُ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا لَيْسَ سِوَاهُ [لَهُ] يَطَائِقُ؛ وَيَخُوضُ مِنْ قَطْعِ الْأَشْيَارِ،
 وَيَقْطَعُ إِلَيْنَا مَا بَعْدَ مَسَافَةِ شَهْرٍ وَآكُفَرَمَنَهُ فِي سَاعَةٍ مِنْ تَهَارٍ؛ وَيَعَزِمُ السَّرَّ لَا يُلَوِّى
 عَلَى الرِّبَاعِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ مَلَائِكَةِ النَّصْرِ لَأَنَّهُا رُسُلُ وَلِهَا أَجْنِمَةٌ مِثْلَى ثَلَاثَ
 وَرُبَاعٍ؛ وَغَيْرُ هَذَا مِمَّا هُوَ بِهِ مَعْدُوقٌ، وَإِلَيْهِ تُعَدُّ بِهِ التُّوقُ؛ مِنْ رُسُلِ الْمُلُوكِ
 الْوَارِدَةِ، وَطَوَائِفِ الْمُسْتَأْنِبِينَ الْوَاقِدَةِ؛ وَكُلُّ هَؤُلَاءِ [هُوَ لَا] مَالُهُمُ الْمُتَرَجِّمُ، وَالْمَصْرُوحُ
 عَنْ حَالِهِمُ الْمُحْمَحِمُ، فَلْيَعْلَمِ لَهُمُ الْكَرَامَةُ؛ وَلْيُوسِّعْ لَهُمْ مِنْ رَاتِبِ الْمُضَيَّفِ مَا يَحِبُّ
 إِلَيْهِمْ فِي أَبْوَابِنَا الْعَالِيَةِ الْإِقَامَةِ؛ وَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ هُوَ لَنَبَا الْمُسْتَشَارِ الْمُؤْتَمَنِ، وَالسَّفِيرِ الَّذِي
 كُلُّ أَحَدٍ بِسِفَارَتِهِ مَرَّتَيْنِ؛ وَهُوَ إِذَا كَتَبَ بَنَاتُنَا، وَإِذَا نَطَقَ لِسَانُنَا؛ وَإِذَا خَاطَبَ
 مَلِكًا بَعِيدَ الْمَدَى عُنُونَاتُنَا، وَإِذَا سَلَّدَ رَأْيَهُ فِي نُحُورِ الْأَعْدَاءِ سَهْمُنَا الْمُرْسَلِ وَسِئَانَاتُنَا؛
 فَلْيَنْزِلْ نَفْسَهُ مَكَانَهَا، وَلْيَنْظُرْ لَنَبَا رَتَبَةِ الْعَلِيَّةِ إِذَا رَأَى مِثْلَ النُّجُومِ عَيْنَاهَا .
 فَلْيَرَأِبِ اللَّهُ فِي هَذِهِ الرَّتَبَةِ، وَلْيَتَوَقَّ لِبَيْتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيغُ عَنْهُ مِثْقَالُ حَبَّةٍ،
 وَلَيُخَفِّفُ سُوءَ الْحَسَابِ وَلَيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ؛ وَجَمَاعَةُ الْكُتَّابِ بِدِيَوَانِ الْإِنْتِشَاءِ بِالْمَسَالِكِ

الإسلامية هم على الحقيقة رعيته ، وهما هم بما يُتَمَّح به من الآلاء الميعية ؛ فلا تستكتب إلا من لا يجد عليه عائباً ، ولا يجد إلا إذا قعد بين يديه كاتباً ، والوصايا منه تُستملَى .

الطبقة الثانية

(من أدباب الوظائف الديوانية بالحضرة السلطانية أصحاب
التواقيع ، وهم على ثلاث درجات)

الدرجة الأولى

(ما يكتب في قطع النصف بـ «المجلس العالى» وكلها مفتحة بـ «الحمد لله»)
وتشتمل على ثلاث وظائف سوى ما تقدم أنه نقل إلى رتبة التقاليد ، وهو كتابة السر

الوظيفة الأولى

(نظر الخصاص)

وقد تقدم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أنها وظيفة محمدية ، أحدها السلطان الملك الناصر « محمد بن قلاوون » حين أبطل الوزارة ؛ وأن أصل موضوعها التحتُّ فيما هو خاص بـ مال السلطان ؛ وأن صاحبها صار كالوزير لقربه من السلطان وتصرفه في تدبير جملة الأمور ، وتعيين المباشرين ، إلا أنه لا يقدر على الاستقلال بأمر ، بل لابد له من مراجعة السلطان . وقد تهم ذكر ألقابه في الكلام على مقدمة الولايات من هذا الفصل ، وعلى طرقة توقيعه في الكلام على التواقيع .

وهذه نسخة توقيع بنظر الخصاص ، كُتِب به للقاضى شمس الدين موسى بن عبد الوهاب في الأيام الناصرية « محمد بن قلاوون » وهى :

الحمد لله الذى جعل كل جرح بنا يؤسى، وعجل كل نعمة تبدل بوسا، وتغير بالسرور من المساء لبوسا .

نحمده حمدا يشرح صدورنا ويسر نفوسنا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ترفع لقاظها رؤوسا ، وتطلع في آفاق ممالك الشريعة شمسنا ، وتلش في أيماننا الزاهرة غروبنا ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى بشر به موسى ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة تملأ طروسا ، وسلم تسليلا كثيرا .

وبعد ، فإن العمل بالسنة أولى ما يمسك به المتمسك ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : «أبدا بنفسك» ؛ وكانت الخواص الشريفة هي المصلحة الخاصة بنا ، المتعلقة دون كل شيء بأفئسنا ؛ لأن من خزايتها العالية تنفوق مواهبنا الشريفة في الوجود ، وتحتل معاطيف الأمراء والجنود ؛ وكان فيها من لم يزل هو وبنوه قائمين بها أحسن قيام ، [و] فيها من ممالك الشريعة ما يضيأى بمدد النعم ؛ من حضر منهم لا يتفقد معه من غاب ، ومن كتب منهم في شيء من مصالحها قال الذى عنده علم من الكتاب ؛ كم أجرت صدقاتنا الشريفة بأقلامهم من إنعام ، وتقسما في مصالحنا الشريفة هذا في الخاص وهذا في العام ؛ طلبا لقطع البهم رحمة الله تعالى بمذرفشوا الأمور على أكل مديد ، وأجل اعتياد ، وأتم مالو حضر أبوهم وكان هو المتولى لما زاد ؛ فما خلعت في وقت منه ، أو من أحد منهم لما غاب من بقي يسد عنه ؛ فلم يزل منهم ربعا مأنوسا ، ولا سئل فيها عن قصة إلا وأنبأت بها صحف إبراهيم وموسى .

وكان المجلس العالى فلان هو الذى تفرد آخر بهذه الوظيفة ، وأستقل فيها بين أئمتنا الشريفة ؛ وسافر فيها إلى قصر الإسكندرية - حرمها الله تعالى - فأقر بين نصرته ، وحسن تفقه ، وعدم فيها المضاهى لأنه لاشيء يضيأى الشمس إذا حل

سِرْهَا فِي مَنَازِلِ شَرَفِهِ ، كَمْ كَفَّتْ لَهُ كِفَايَهُ ، وَبَدَتْ بِذِيهِ ، وَكَمْ بَلَغَ مِنْ غَايَةِ
 كَمِّ لَهُ مِنْ هِمِّهِ ، وَكَمْ تَقَدَّمَتْ لَهُ قَدَمٌ ، وَكَمْ اعْتَرَفَ السَّيْفُ بِزَّالِقَمٍ ، كَمْ لَهُ فِي خِدْمَةِ
 الْمَقَامَاتِ الْعَالِيَةِ أَوْلَادِنَا أَثْرُ جَلِيلٍ ، وَفَعَلَ جَلِيلٍ جَلِيلٍ ، وَسُلُوكٌ فَلَا يُحْتَاجُ فِي الشَّمْسِ
 إِلَى دَلِيلٍ ، كَمْ أَحْسَنَ فِي مَرَّةٍ ، كَمْ رَدَدْنَاهُ إِلَى الْكَرْكِ كَرَّةً ، كَمْ غَلَبَ عَلَى السَّحَابِ
 فَرَقًا إِلَيْهَا ، وَبَلَغَ النُّجُومَ وَلَهُ قُدُومٌ عَلَيْهَا ، فَلَمَّا أَسْتَقْبَلَ وَاللَّهِ الْقَاضِيَ تَاجَ الدِّينِ
 عَبْدُ الْوَهَّابِ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، أَحْتَاجَ إِلَى تَوْقِيعِ شَرِيفٍ بِالْإِسْتِقْلَالِ فِي وَظِيفَةٍ
 نَظَرَ الْخَاصَّ الشَّرِيفَ الَّتِي خَلَّتْ عَنْ أَبِيهِ ، لِيَعْلَمَ كُلُّ مُتَطَوِّلٍ إِلَيْهَا أَنَّهُ لَا يَصِلُ
 إِلَيْهَا مَعَ وُجُودِ بَيْتِهِ ، فَا عَادَ إِلَّا وَعَادَ بَعَيْنَ الْبِنَايَةِ مَحْرُوسًا ، وَلَا أَقْبَلَ عَلَى كَرَمِنَا
 إِلَّا قَالَا ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾ .

فَلَذَلِكَ رُبِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - زَادَ اللَّهُ شَرَفَهُ ، وَمَكَّنَ فِي الْأَرْضِ تَصَرُّفَهُ - أَنْ
 يَفُوضَ إِلَيْهِ نَظَرَ الْخَاصَّ الشَّرِيفِ بِالْمَالِكِ الْإِسْلَامِيَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، عَلَى مَادَةٍ وَاللَّهِ
 رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْوِظِيفَةِ ، وَقَاعِدَتِهِ فِي رُتْبَتِهَا الْمُنِيفَةِ ؛ لِيَقْضَى مَا كَانَ فِي خَاطِرِ أَبِيهِ
 مِنَ الْوَطَرِ ، وَلِأَنَّهُ فِي أَمثَالِهِ عَيْنُ الْأَعْيَانِ وَالْعَيْنُ أَوْلَى بِالنَّظَرِ .

فَلْيُبَاشِرْ مَا أُنِمَّتْ بِهِ صِدْقَاتُنَا الْعَمِيمَةُ عَلَيْهِ عَلَى مَا عَاهَدَ [مِنْهُ] بِالْأَمْسِ ، وَعَرِفَ بِهِ
 مِنْ حُسْنِ السُّلُوكِ كَنْ يَمْتَنِي فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ ، وَلِيَقْدِمَ تَقْوَى اللَّهِ وَالْأَمَانَةَ فَهُمَا
 أَفْضَلُ مَا يُقَدَّمُ ، وَأَجَلُ مَا يَعْمَلُ بِهِ مِنْ تَقَدُّمٍ ، وَالنَّهْضَةُ فَإِنَّهَا هِيَ الَّتِي تَقُومُ بِهَا
 الْمَصَالِحُ ، وَالتَّصَدَّى لَهَا هُوَ بَصَدَدُهُ فَإِنْ بِهِ يَمُ كُلُّ عَمَلٍ صَالِحٍ ، وَلِيَحْفِظَ عَلَى
 الْخِزَائِنِ الْعَالِيَةِ ، وَلِيَكُنْ فِيهَا كَوَاحِدٌ مِنْ رُقَّتِهِ عَمَلًا بِالْعَادَةِ [فِيهَا] ، وَإِلَّا فَتَحْنِ نَعْلَمُ مِنْ
 كِفَايَتِهِ [أَنَّهُ] يَكْفِيهَا ، وَلِيَتَمَرَّ الْجَاهَاتُ الَّتِي إِلَيْهِ مَرِجُهَا ، وَالْأَمْوَالُ الَّتِي يَلُومُ إِلَيْهِ مِنْ
 الْعَيْنِ تَطْلُمُهَا ، وَلِيَسْتَجْلِبَ خَوَاطِرَ التُّجَّارِ بِإِصْبَالِ حَقُوقِهِمْ إِلَيْهِمْ ، وَالْقَائِمِينَ فِي خِدْمَةِ

أبوينا الشريفة بتعجيل ما تُشيع به صدقاتنا الشريفة عليهم ؛ وليكن إلى ما تبرز به
مراحمنا الشريفة مُسارعا ، ولها في كل ما أشكل عليه من الأمور مُراجعا ؛ وبقية
هذا من كل ما يحتاج أن نُوصيه بتعلمه فقد علم مما جرت به عادتنا الشريفة بأن
قولهُ في مثله ، ولهذا نختصر في الوصايا التي نُشرح اكتفاء بما آتاه الله بنا من
فضله ؛ والله تعالى يأخذ به إلى النجاح ، ويفتح له بنا أحسن الأفتاح ؛ والاعتقاد
على الخط الشريف أملاه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بنظر الخصاص :

الحمد لله الذي جعل خواص النعم ملكا الشريف لأجلها ، وفنا من الذخائر من
دولتنا القاهرة بجعلها ، وأخاير المنافع مبسوطا في أيامنا طيها .

نحمده بحامده التي لا تملى ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
أشرق مستهلها ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي خُتِم به أنبيأؤها ورسلها ،
وبعثه الله للأرحام يملأها ، وللأولياء يملأها ، وللأعداء يملأها ، ولسيوف النصر من
العمود يسلمها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ماشدا على مطية رحلها ، وولى المراتب
أهلها ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن خزائن ملكنا الشريف مستودع كل تمين ، ومالكنا المعظمة لا تفتق
إلا بالثقة الأمين ؛ ومتاجر خواصنا الشريفة لا يفتحها إلا من رأيه يعضد قلبه في اليقين ،
والمشجر المحروس لا يقوم ببناء محبوه إلا من له حزم سديد وعزم متين ، ونظر
الخواص هو الذروة العالية فترقيها على كل ما يعترضه معين .

ولما كان فلان هو المختار على يقين، والمخطوب لهذا المنصب ليزيده في التحسين والتحصين، والذي إن نظر في القليل عاد كثيرا بالألوف والمئين، فإن دبر تدبيرا حفيظ وحريص وصين، وضبط في حسن الاعتماد بالغ إلى الصّين؛ وإن توجه إلى النفر المحروس تنجز له عن أمواله الجمه، وأنخرج له من فائز الحلال ما حسن راقه رقه؛ وصدر عنه إلى أبوابنا الشريفة بالثقف المشتمه، والمحمول التي أوقرت السفن في النيل، والإبل في السيل، فآزال القمه، وأثار الأمور المندلمه، ونشر ما طواه لدينا فشكروا له ما تقدم به مما أتمه .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف فليأثر هذا المنصب الكريم بتدبير يصلح الفاسد، ويُنقى الكاسد، ويكبت الحاسد؛ ويكثر الأموال، ويُعيد الأحوال؛ ويكثر الذخائر، ويكثر السرائر؛ ويوفر حاصل الجواهر، ويكثر الثغف من كل صنف فائز؛ ويوفي الميهات الشريفة حقها في الأول والآخِر، وينشر التشريف كالأزاهر . وليختار الأمانه الثقات، وليحرر كل منهم المقات، وليبع لخاصنا الشريف ويشتري بالأرباح في سائر الأوقات؛ وليتاق تجار الكارم الواردين من عدن، باستجلاب انلواطر وبسط المن، ونشر المعلة عليهم ليجدوا من الثمن ما لم يجدوه في اليمن؛ وكذلك تجار الجهة النريية الواردين إلى النفر المحروس من أصناف المسلمين والقرنح: فليحسن لهم الوقاده، وليعائهم بالمصلحة المستفاده، فإن مكاسب النفر منهم ومن الله الحسنى وزيادة . والوصايا كثيرة وهو غني عن الإجماده، و[ملاكها] تقوى الله فليتنف رشاده، وليصلح ما به ومعاده، ولا يتدنس بأقذار هذه الدنيا فإنها جمره وقاده، والله تعالى يحرس إرقاقه وإرقاده، بمنه وكرمه ! : بعد الخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه؛ إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثانية

(نظر الجيش)

وقد تقدم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أن موضوعها التحدث في الإقطاعات بمصر والشام، والكثافة بالكشف عنها، ومشاوره السلطان عليها، وأخذ خطه . وقد تقدم ذكر ألقابه في جملة الألقاب في الكلام على مقدمات الولايات من هذا الفصل، وتقدم ذكر ما يكتب في طرة عقيدته في الكلام على التواقيع .

وهذه نسخة توقع بنظر الجيش :

الحمد لله الذي عتق^(١) بالأكفاء مصالح الجنود ، وصرف أفلانهم فيما تقطعه من الجود، وأجتنى لمراتب السيادة من تحمده الأعلام في العطايا البيض والسيوف في الخطوب السود .

نحمده وهو المحمود، ونشكره شكرا مشرق الميامين والسعود؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبدة الورود ، يحمده المخلص بركتها يوم العرض (ذلك يوم يجمع له الناس وذلك يوم مشهود) ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أخصت به جيوش الإسلام منشورة الألوية والبؤود ، منصورة السرايا في التهايم والتجود؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما أورد عود، وأولج نهار السيوف في ليل القمود؛ وسلم تسليما .

وبعد ، فإن أجل رتب هذه الدولة الشريفة مرتين، وأجملها مرتين، وأكرمها هاديا حتى يعقد السيادة مقرفا، رتبة حكنا مرتين في أرزاق الجيوش الذين هم حماة الدين وأصابره ، ولهم رواح الظفر وأجكاره، ولهذا لا يتخطى بسننها إلا من علا مقدارا ، وشكرت الدولة الشريفة له آثارا ، وجبت عليه السعادة أنوارها ،

(١) (علق) يجمع .

وأوكفت عليه سبحانه، وأزنته ساحاتها ورحابها؛ وغدت لأحاديث مليانه تروى،
وحيد الميسور والمنشور والمطوى .

ولما كان فلان هو الذى نمت مأثره، وكثمت مفائره، وأستوت على العلياء
مظاهره؛ وشكر استيصاره وجياطته، وكل ملوكة منهج الفخار وجادته؛ وأحصى
الجنود عددا، وإن كثروا النجوم مددا؛ وأحاط بالأرض المقطعه، فلم تكن نواحيها
عنه ممتنه؛ ولم يغادر منها شيئا إلا أحصاه، وأتبع سبب مراضينا حتى بلغ أقصاه؛
فالعلم يُلِي عليه والعلم، والحرب والسلم يشكرانه لمناسبة نظره القرباس والقلم -
أقتضى حسنُ الرأى الشريف أن نقيه هضبة سامية العلى، فآخرة الحلى؛ ومنبع
أرزاق أئمة الفضل وأبطالها، ورتبة شهيد منألم بدم منألم .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه

فليأشر هذه الوظيفة المباركه، وليحل ذراها الاشمى، وليجمل أطلاعه على
الجوش المنصورة حتى لا يغادر منها أسما؛ لتغدو مصالحها وريقة الغراس بأسقه،
وعقودها نفيسة الفرائد متناسقه؛ وليجرح نظره المبارك فيما صرفناه فيه، آخذاً بيمين
السداد من فعله وحسن التنفيذ من فيه، ملزماً من تحت نظره بإتقان ما هم بصدد
من العروض والأمثلة، حتى تغدو لديه ممثله؛ محرراً للإقطاعات وعلم خفاياها فيما
نهبه وقطعه، ونصله وقطعه؛ والمقايضات وإن اختلفت، والإفراجات وإن
اكتنفت، والمغلات الآتية والأثرى التى سلفت؛ وما يخص المتصل، من فعل
المفصل، والمتحصل والبهر، والخاص والمئة لنوى الإمره؛ ومنها مصرى لاغنى
عن تحريره، وشامى يقتصر إلى الإتيان فى قليله وكثيره؛ ولينظر فيمن له جامكية
أو إقطاع مجزئ، وكلاهما فى دولتنا سمالك : هذا رايح وهذا أعزك .

هذه وصايا جمه ، وأنت غني عن أن يستقصي القلم ذكرها أو يُثنيّه ؛ والله تعالى
يجعل به رُتبته ، ويبلغه أَرَبَه ، ويرفع عليه لواء المجد وعُدْبَه ؛ بعد العلامة الشريفة
أعلاها الله تعالى أعلاه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بنظر الجليش :

الحمد لله الذي أمرَ الجيوشَ المنصورة ، وجرّ أعناقَ العدَا بالسُيوفِ المشهوره ،
وهزّ أُلويةَ التأييدِ المنشوره ، وجعل الجحافلَ مُشرِفَةً وأجنتحها خافقةً وساقطها مُحْدقةً
وقلوبها مشروره .

نحمده بحمده المذكوره ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً
مأثوره ، موصولةً خير منهجوره ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي أبطل
من الشيطانِ غُرُوره ، وصان للإسلام حوزته وثُوره ، ومن لأئمة الاستخارة
والمُشورة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تزيل من الليل دُيُوره ، وكثرت
لقائلها أجوره ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أحوال جيوشنا يتعين حُسْنُ النظر في أمرها ، والقيامُ بموادِّ نصرها ،
واسماؤها بناظر يحزّ جهات أرزاقها ، ويضبطها مخافة أفتراقها ، ويأمر بتنظيم جرائد
أسمائهم وألقابها ؛ ويؤمن الحيل ، ويبين يومَ العَرْض محله في ارتقاء العلَى ؛ ويصون
المحاسبات لكل مقبِصِل ومُتصِل من الحُلل ، ويُسرّع في الدخول والخروج ما يصل به
لكلِّ حقه عند استحقاق الأجل .

ولما كان فلان هو المملُوح بالسنة الأقالم ، والزئيس بين الأنام ، والمشكور بين
أرباب السُيوف وذوى الأقالم ، والمأمون فيما يُعَدَّق به من مهام ، والعزير المثلّ ،

والسائر بحمده الأمثال ؛ والمنشور فضله فى كل منشور ، والظاهر أثره تجريده فى الديوان المعمور ، والذى شكرته الملكة الشريفة فهو من صُنُورها فى الصُّنُور .

فذلك رسم (٢) فليباشِرْ نظرَ هذا المنصب السعيد بأمانة تحفظ أرزاق العساكر ، وتجلو الظلام الماكر ، وليحزِرْ جرائد التجريد ، وليصُنْ العُدَّةَ الكاملة من التَّبْيِيد ، ولكن أوراق الياكر نُصِبَ عينه حتى إذا طُلِبَتْ منه أحضرها محرَّره ، وإذا وقع فهم حركة كانت أعلامه غير مقصَّره ؛ وليرضَّبْ فى آقتناء الثناء حتى يصبغ عنده منه جملةً من الألوْف ، ولكن للأمانة والنصح نيم الألوْف ؛ وليتَّقِ الله مع أصحاب السُّيُوف ، وليستجِبْ خواطر أرباب الصُّفُوف ، وليجعل له برأ فى كل أرض يطوف ؛ وتقوى الله فهى السبيل المعروف ، فليتمَّ بِحُجَّتِها الدَّانِيَةَ الطُّفُوف ، وليلبَسْ بُرْدَتِها الضَّافِيَةَ السُّجُوف ، والله تعالى يُجَيِّه من الخُوف ، بمنَّه وكرمه !



وهذه وصية ناظر جيش أوردها فى "التعريف" قال :

ولياخذَ أمرَ هذا الديوان بكليته ، ويستحضرَ كلَّ مسمى فيه إذا دُعِيَ باسمه وقُوِلَ عليه يحلِّيته ، وليَقِّمْ [فيه] قياما بغيره لم يَرْضَ ، وليَقْدِّمْ من يجب تقديمه فى العَرْض ؛ وليَقِفْ على معالم هذه المباشرة ، وجرائد جُنُودِنا وما تضحى له من الأعلام نائِثِره ؛ وليقتصدْ فى كلِّ مُحاسَبة ، ويمحزرها على ما يجب أو ما قاربَه وناسَبَه ، وليستصحَّحْ أمرَ كلِّ ميت تأتى إليه من ديوان الموارث الحشرية ورقة وفاته ، أو يخبره به مقدِّمه أو تقيبه إذا مات معه فى اليكار عند موافاته ؛ وليحزِرْ ما تضمنته الكشُوف ،

(١) لعله والظاهر أثره وتحريره الخ .

(٢) يياض بالأصل ومراده بالأمر الشريف الخ .

ويحقق ما يقابل به من إخراج كلِّ حال على ما هو معروف، حتى إذا سُئِلَ عن أمر كان عنه لم يَخَفْ، وإذا كُشِفَ على كُشِفَ أظهر ما هو عليه ولا يَنْكَرُ هذا لأهل الكُشْفِ؛ وليحترز في أمر كلِّ مَرَبَعَةٍ، وما فيها من الجهات المُقَطَّعة؛ وكلِّ منشور يُكْتَبُ، ومثال عليه جميع الأمور يَتَرَبَّ؛ وما يَنْتُثِرُ عنده ويَتَرَلُ في تعليقه، ويُرْجَع فيه إلى تحقيقه؛ ويعلم أنَّ وراءه من ديوان الاستيفاء من يساويه في تحرير كلِّ إقطاع، وفي كلِّ زيادة وإقطاع، وفي كلِّ ما يُنسَبُ إليه وإن كان إنما فعله بأمرنا المطاع؛ فليتبصَّرْ بين وراءه، وليتوقَّ اختلاق كلِّ مبطل وأفتراء؛ وليتحقق أنه هو المشار إليه دون رُفْقته والمؤكَّل به النظر، والمحقق به جملة جنودنا المنصور من البدو والحضر. وإليه مدارج الأمراء فيما تَتَرَلُ، وأمر كلِّ جنديٍّ له مَنْ يَفَارِقُ أو تُزَلُّ، وكذلك مُساوِقات الحساب ومن يأخذ بتاريخ المنشور أو على السَّيَاقِ، ومن هو في العساكر المنصورة أو في السَّاقَةِ. وطوائف العرب والأترُكَّان والأكراد، ومن عليهم قَدِيمَةٌ أو يلزمهم رُوكْ بلاد، أو غير ذلك مما لا يَفُوتُ إحصاؤه القلم، وأقصاه أو أذناه تحت كلِّ لواءٍ يُنْشَرُ أو عِلْمٌ؛ فلا يزال لهذا كله مستحضراً، وعلى خاطره مُحَضَّراً؛ لِيَكُونَ لَفَتَاتُ نظرنا إليه دُونَ رُفْقَتِهِ في السؤال راجعه، وحافظته الحاضرة غنيَّة عن التذكار والمراجعة.

الوظيفة الثالثة

(نظرُ الدواوين المعبر عنها بنظر الدولة)

وقد تقدَّم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أنَّ موضوعها التحدث في كلِّ ما يَخْتَلِفُ فيه الوزيرُ، وأنَّ كلَّ ما كُتِبَ فيه الوزيرُ «يُكْتَشَفُ» مثلاً، كُتِبَ فيه «يُكْتَشَفُ عَمَّا رُسِمَ به» ونحو ذلك. وتَهْتَمُّ ذِكْرُ ألقابه في الكلام

على مقدمات الولايات من هذا الفصل ، وتهتم ذكر ما يكتب فى طرة توقيعه
فى الكلام على التواقيع .

وهذه نسخة توقيع بنظر الدواوين ، كُتِبَ به لتاج الدين بن سعيد الدولة ، وهى :
الحمد لله الذى خص من أخلص فى الطاعة من الآتيا بحسن النظر ، وأجنى
من غرس فى قلبه أصل الإيمان من عوارف أيماننا الزاهرة يانبع الثمر ، ورفع من
استضاء فى دولتنا القاهرة بأنوار المبدئى من مجول الرتب إلى مكان الفرر ، وأظهر
لوايع السعادة من قعنا على من أضاء له الرشد فرآه بعين البصيرة قبل البصر .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة هى أرفع ما يقضى وأنفع
ما يُدخِر ، وأفضل ما نجت به الفرقة الموحدة وهلكت به الفرق الأخرى ، ونشهد
أن عباد عبده ورسوله أشرف البشر ، وأزاف البتو والحضر ، والمبعوث إلى الأمم
كافة لما قضاه الله تعالى من سعادة من آمن وشقاوة من كفر ، صلى الله عليه وعلى
آله وصحبه الميامين الفرر ، صلاة دائمة الورد والصدور ، باقية العين والأثر ، وسلم
تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى من خصه برأ بالنظر الحسَن ، وتحملة كرمنا من الرتب بما يُعجز
فى بلوغ مثله الوسَن ، واشتمل عليه معروفنا بما يجعل يراعه فى مصالح الدولة القاهرة
جميل العبارة حسن اللسن ، من سمى به نفسه إلى سعادة الآخرة فأنته سعادة الدنيا
تابعه ، وسلك فى مراضى الدولة القاهرة طريق الإخلاص فندت لكل خير
حافية ولكل بمن جامعته مع كفاءة جاءت المناصب على قدر ، ومعرفة ما لحظت
المصالح بأقرب نظر ، إلا تمت الأموال وبدرت السدر ، وخيرة ما اعتبرت فيها
محاسن سيرته فى كل ما يباشره إلا صغر خبرها الخبر ، ونزاهة سلكته به فى كل

ما يليه أحسن المسالك، وعِقة رفعتَه من الرتب الديوانية إلى مَقَارِفِهَا ولا رُتْبَةً لِلتَّاجِ
إِلَّا ذَلِكَ .

ولما كان فلان هو الذى آجَنَى من إحسان الدولة القاهرة بالطاعة أفضل
الجنى، وفاز من عوارِفِها المميعة بمجمل الخالصة ما زاد على المتى، وآتَى من أدوات
نفسه إلى كمال المعرفة والعِقة وهما أنغر ما يُذخر للرتب الجليلة وأهس ما يُقننى،
وعُنى من أسباب استحقاقه المناصب بما اقتضى إحسان الدولة القاهرة أن يُحتفل
بتقديمه وأن يُعنى .

فلذلك رُسم أن يفوض إليه نظر الدواوين المعمورة : فليأشُر ذلك حلياً هذه
الرتبة بقُود تصرفه الجليل، ومجلى في هذه الحلبة بسبق معرفته الذى لا يحتاج إلى
دليل؛ ومبيناً من نتائج قلبه ما يُبرهن على أنه موضع الإختيار، ومن كوامن أطلامه
ما لا يحتاج إلى برهان إلا إذا احتاج إليه التَّهَار؛ فلا يزال فرع يراعه فى روض
المصالح مُثمراً، وليل نفسه فى ليل الأعمال مُقمراً؛ وحسن نظره إلى ما قُرب ونأى
من المصالح مُحديقاً، ولسان قلبه لما دق من أمور الأقاليم محققاً؛ ورسم خطه لما
يستقر فى الدواوين المعمورة مُثبتاً، ووسم تحريره لما يُجنى من غروس المصالح
مُنبثاً؛ ولتَز أخلاف الأعمال، بمُحسن الأطلاع محتلياً، ولوجوه الأموال، بإتفاق التوجه
إلى تميمها إن أقبلت مجتلياً وإن أعرضت محتلياً؛ فإن الأمور معادن يستثيرها
التصرف الجليل، ومنابت ينمى النظر الجلي والإتقان الجليل؛ وملاك كل أمر
تقوى الله تعالى فليجعلها إمامه، ويتقيلها فى كل حال أمامه؛ والله تعالى يوثقه
بمنه وكرمه! .

قلت : ورُبَّما أضيف إلى نظر الدواوين المعمورة نظر الصَّحبة الشريفة الآتى
ذِكْرُهَا، وكُتِبَ بهما جميعاً لشخص واحد .

وهذه نسخة توقيع. بهما جميعاً، كُتِبَ بها لتاج الدِّين بن سعيد الدولة على الأثر إسلامه، من إفتاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، وهى :

الحمد لله الذى خصَّ من أخلص فى الطاعة من الآثما بحسن النظر، وأجنى من غرس فى قلبه أصل الإيمان من عوارف أماننا الزاهرة بإفنع الثمر، ورقع من استضاء فى دولتنا القاهرة بأنوار الهدى من مجول الرتب إلى مكان الفرد، وأظهر لوايع السعادة من نعمنا على من أضاء له الرشد فرآه بعين البصيرة قبل البصر .

نحده على إحسانه الذى غمر، وأمتنانه الذى بهر، وفضله الذى عم كل من ظهر له الهدى فلم يراض الحلق إذا ظهر .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة هى أرفع ما يقتضى وأنفع ما يُدعى، وأوضح ما نجحت به الفِرقة الموحدة وهلكت به الفِرقة الأخرى؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أشرف البشر، وأراؤك البدو والحضر، والمبعوث إلى الأمم كافة لما قضاه الله من سعادة من آمن وشقاوة من كفر؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الميامين الفرد، صلاة دائمة الورد والصدور، باقية العين والأثر؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد، فإن أولى من خصه ربنا بالنظر الحسن، وشمله كرماً من الرتب بما يُهجر فى بلوغ مثله الوسن، واشتمل عليه معروفنا بما يجعل راعه فى مضايل الدولة القاهرة جميل العبارة حسن اللسن؛ من سمى به نفسه إلى سعادة الآخرة فآتته [سعادة] الدنيا تابعه، وسلك فى مراضى الدولة القاهرة طريق الإخلاص فعدت لكل خير حاوية ولكل مئذن جامع؛ مع كفاية جاءت المناصب على قدر، ومعرفة ما لحظت المصالح بأقرب نظير لإلتمت الأموال وبلدت البدن، وخبرة ما اعتبرت فيها

(١) هى من سابقها خلا أن فيها ضم الصحة مع تغيير سير، فذهب .

محاسن سيرته في مباشرة الإصغر خبرها الخبر، وزاها سلكته به في كل ما يليه أحسن المسالك، وعفة رفته من الرتب الديوانية إلى غيرها ولا رتبة للتاج إلا ذلك .

ولما كان فلان هو الذي أجتى من إحسان الدولة القاهرة بالطاعة أفضل الجنى، وفاز من عوارفها العميمة بجمل المخالصة مازاد على المني، وأنتى من أدوات نفسه إلى كمال المعرفة والعفة وهما أنغر ما يدخر للرتب الجليلة وأنفس ما يفتنى، وعنى من أسباب استحقاقه المناصب والرتب بما آتضى إحسان الدولة القاهرة أن يحتفل بتقدمه وأن يمتنى - فلذلك رُسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه نظر الدواوين المعمورة ونظر الصعبة الشريفة .

فليأشر ذلك محلياً هذه الرتبة بمقود تصرفه الجليل، ومحلياً في هذه الحلة بسبق معرفته التي لا تحتاج إلى دليل، وميناً من نتائج قلعه ما يبرهن على أنه موضع الاختيار، ومن كوامن اطلاعه ما لا يحتاج إلى برهان إلا إذا احتاج إليه النهار، فلا يزال فرع يراعه في روض المصالح مُقراً، وليل قفيسه في ليل الأعمال مُقبراً، وحسن نظره إلى ما قرب ونأى من المصالح مُحيداً، ولسان قلعه لما دق وجل من أمور الأقاليم محققاً، ورسم خطه لما يستقر في الدواوين المعمورة مئتماً، ووسم تحريره لما يمتنى من غروس المصالح مُنتبهاً، ولتدّ أخلاف الأعمال، بحسن الاطلاع محتباً، ولوجوه الأموال، بإتفاق التوجه إلى تثيرها إن أقبلت محتباً، وإن أعرضت محتباً، فإن الأمور معادن يستثيرها التصرف الجليل، ومنابت ينميا النظر الجلي - والإتقان الجليل، وملاك كل أمر تهوى الله تعالى فليجعلها إمامه، ويتحليها في كل وقت وأماه، والله تعالى يوفقه بمنه وكرمه ! . وانلظ الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه .

الوظيفة الرابعة

(نظر الصُّحبة^(١))

[وهذه نسخة توقيع بنظر الصُّحبة] كُتِبَ به للشريف شهاب الدين ناظر الصُّحبة، من إنشاء الشهاب محمود الحلبي، وهو :

الحمد لله الذى جعل الشرف حيث حلّ ركائبنا مُصاحِباً ، وأطلع للفضل فى أفق خدمتنا من أولياء دولتنا شهاباً ثاقباً ، وعنى النظر فى مُحَبَّتنا بمنّ لم يرلّ لمصالحنا ملاحظاً ولاواصراً مُراقباً ، وفوض أمور مباشرة حال من أجتهد أو قصر فى خدمتنا إلى منّ لم يرلّ بنفسه فى واجب الطاعة مُنافساً وعلى فرض الموالاة مُحاسِباً .

نحمدك حمد من أجلّ فى أوليائنا نظراً ، وخصّ بالنظر فى مُحَبَّتنا من اختبرت خدمته فتساوت فى الطاعة والمناجحة سقراً وحضراً ، وأعتد فى ملاحظة مباشرى مايمز عليه من ممالكه على من لا يهمل له حقاً ولا يحدث له ضرراً .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال جيوشتنا لإملاء منارها مُجهّزه ، وسراياناً إلى مقاتل جاحليها البارزة مبرّزه ، ووعد النصر على من ألحد فيها لنا معجلاً وعلى أبلينا منجزه ، ونشهد أنّ هذا عبده ورسوله الذى أنهضنا الله من جهاد أعداء دينه بما قرّض ، وأيقظنا لرفع أقدار أهل بيته فلم يقصر بأحد منهم فى إيماننا أمل ولا بعد عليه غرض ، وخصّنا منهم بمن تمسك بجواهره الأعلى فلم

(١) يظهر قياساً على ماسبق فى نظاره أن هنا سقطاً ، هو « وموضوعها أن صاحبها يتحدث مع الوزير فى كل ما يحدث ويشاركه فى الكتابة فى كل ما يكتب فيه ويوقع فى كل ما يكتب فيه الوزير بما له » . انظر صفحة ٢٩ ج ٤ من هذا المجلد .

يتمرّض من هذا الأدنى إلى عَرْض ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ما منهم إلا من (يكاد يُنْسِكُهُ عِرْفَان راحته) ، وإلا المؤثّر طاعة الله ورسوله وأولى الأمر على راحته ؛ صلاة دائمة الاتصال ، آمنة شمس خلوعها من الغروب والزوال ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإنّ أولى من اختارناه لصحبتنا الشريفة على علم ، وأصدناه لمهماتنا الكريمة لما فيه من تسرع إدراك وتبث في حكم ؛ وبسطنا له فيما عداه به من ذلك لسانا ويذا ، وحفظنا به الأحوال [موصول] مسترق السمع إليها (فمن يستمع الآن يجد له شيئا بآرصادا) وأدثرنا أعلامه لمصالح كلّ إقليم يتركبنا الشريف عليه ، وفوضنا مناقشة مباشره على ما أهملوه من حقوق الله تعالى وحقوق الرعايا إليه ؛ وأقمناه لتصفّح ذلك نفسه ، وتلمح زيادة كلّ يوم على أمسه ؛ وأنتزاع الحق من مده يده إلى ظلم بكف كفه عنه ورفع يده ، وأرتجاع الواجب من أقدم طيه بالباطل في يومه وأطرح الموازنة به في غده ؛ وغير ذلك مما أحصاه الله ونسوه ، وأعتمدوا فيه على المصلحة فأجنتوا ثمرة ما غرسوه . من كان له في المناصحة قدّم صديق عند ربه ، وفي خدمة الدولة القاهرة قدّم هجرة تقتضي مزيد قربه ؛ فكان أبدا يبرأى من عنايتنا وسَمْع ، ومن إحساننا بالمكان الذي ليس لأحد من الأكفاء في بلوغ غايته أمل ولا مطمع ، وفزود بأجتماع الدين والمنصب والأصالة والعلم والكرم وهذه خلال الشرف أجمع .

ولما كان فلان هو الذي أجنّى من إحسان الدولة القاهرة بالطاعة أفضل الجنى ، وفاز من عوارفها العميمة بجبل المخالصة ما زاد على المني ؛ وأنتم من أدوات نفسه ونسبه إلى كمال المعرفة واليقظة وهما أنغر ما يُنخر للرتب الجليلة وأنفس

ما يُقْتنى، وعُني من أسباب استحقاقه المناصب والترتب بما اقتضى إحسان الدولة القاهرة أن يُحتفل بتقديمه وأن يُعْتنى . فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه نظر الدواوين المعمورة ^(١) .

فليأمر ذلك محليا هذه الرتبة بقود تصرفه الجليل ، ومجليا في هذه الحلية بسبق معرفته التي لا تحتاج إلى دليل ، ومبيناً من نتائج قلبه ما يبرهن على أنه موضع الاختيار ، ومن كوامن أطلاعه ما لا يحتاج إلى برهان إلا إذا احتاج إليه النهار؛ فلا يزال فرع يراه في روض المصالح مُثَمِّراً ، وليس نفسه في ليل الأعمال مُقَمِّراً؛ وحسن نظره إلى ما قرب ونأى من المصالح مُحْدِداً ، ولسان قلبه لما دق وجل من أمور الأقاليم محققاً ؛ ورسم خطه لما يستقر في الدواوين المعمورة مثبِتاً ، ووسم تحريره لما يعنى من غروس المصالح مُثَبِّتاً ؛ ولتدّ أخلاف الأعمال بحسن الاطلاع محتلياً ، ولو جوه الأموال بإنفاق التوجه إلى تثيرها إن أقبلت محتلياً وإن أعرضت محتلياً ؛ فإن الأمور معادن يستثيرها التصرف الجليل ، ومنايا ينميتها النظر الجلي والافتان الجليل ؛ وملاك كل أمر تقوى الله تعالى فليجعلها إمامه ، ويختليها في كل حال أمامه ؛ والله تعالى يستدده ويوفقه بمنه وكرمه ؛ إن شاء الله تعالى .

قلت : وربما أُضيف إلى نظر الشُّعبة نظر الدواوين الشريفة ، وحينئذ فيحتاج الكاتب أن يأتي في براعة الاستيلاء بما يقتضى الجمع بينهما ، ويورد من الوصايا ما يختص بكل منهما . والكاتبُ البليغ يتصرف في ذلك على وفق ما يحدث له من المعاني ويستخرج له من الألفاظ .

(١) الصواب نظر الصعبة .

الدرجة الثانية

(من تواقع أرباب الوظائف الديوانية بالحضرة بالديار المصرية ما يكتب في قطع الثلث ؛ «المجلس السامى» بالياء ، مفتتحاً بـ «الحمد لله» إن قصد تعظيم المكتوب له على ما هو الأكثر ، أو بـ «أما بعد حمد الله» جرياً على الأصل لما يكتب في قطع الثلث ، على ما تحف عليه في النسخ)
وتشتمل على وظائف :

الوظيفة الاولى

(كتابة الدست)

والمراد دسست السلطنة . وقد تقدم الكلام عليها في مقدمة الكتاب في الكلام على ديوان الإنشاء ، وتقدم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أن موضوعها أن يحلّس أصحابها بدار العدل أيام الموابك خلف كاتب السر ، وقرءون القصص على السلطان بعد قراءة كاتب السر ، ويكتبون عليها بما تقتضيه الحال ، بعد إشارة السلطان بالكتابة ؛ ثم يحلّ ما يكتبون عليه من القصص إلى كاتب السر فيمنها . وأن هذه الوظيفة كانت من أجل الوظائف وأرفعها قدراً ، منحصرة في عدد قليل نحو الثلاثة فاحولها ؛ ثم وقع التساهل في أمرها ، ودخل فيها العدد الكثير حتى جاوز عندهم العشرين ، وبقيت الرئاسة فيهم لعدد مخصوص منهم ، وقنع الباقون بالإسم . وقد تقدم ذكر طرقة توقيعه في الكلام على التواقع .

وهذه نسخة توقيع بكتابة الدست ، وهى :

الحمد لله الذى فضل الكرام الكائين ، وأحيا بفضل الآخريين الأولين الداهيين ،
وأنزل فى القصاص : (لا تحف تجوت من القوم الظالمين) .

نَحْمَدُهُ وَهُوَ الْمَحْمُودُ الْمُعِينُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةُ قَوْمٍ مُخْلِصِينَ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَرَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالشَّافِعُ فِي الْمَدِينَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً بَاقِيَةً إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَإِنَّ الْعَدْلَ الشَّرِيفَ دَارُ جُودِهَا الْأَمْرُ الْمُطَاعَ ، وَأَبْوَابُهَا الْخَيْرُ الَّذِي لَا يُضَاعَ ، وَسَقْفُهَا الرَّحْمَةُ وَالْإِتِّصَاعُ ، وَبَصَرُهَا الْإِحْسَانُ الْمَدِيدُ الْبَاعَ ، وَصَحْفُهَا الْأَمْنُ وَالشَّرُورُ فَلَا يُخَافُ أَحَدٌ فِيهِ وَلَا يُرَاعَ ، وَجِلْسُهَا الْكَاتِبُونَ عَارِضُو الرِّقَاعِ ، هُمْ مَعْدِنُ الصُّدَارِ ، وَمَوْطِنُ الْكِتَابَةِ وَالْكَيْفِيَّةِ وَالْإِشَارَةِ ، وَأَقْلَامُهُمْ تَأْتِي بِحُسْنِ التَّشْبِيهِ وَالْإِسْتِعَارَةِ ، وَتُطَرِّزُ حَوَاشِي الرِّقَاعِ بَوَاشِي بَادِي الْإِنَارَةِ ، مَا آخَتِيرَ أَحَدُهُمْ لِمَجْلُوسٍ فِي دَسْتِهِ إِلَّا وَقَدْ أَرْضَى مِنْ آخْتَارِهِ ، وَتَمَيَّزَ بِحُسْنِ السَّمْتِ وَالْوَفَاءِ وَالْوَقَارِ وَالشَّارَةِ .

ولما كَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي لَهُ فِي السُّودِّ أَصْلٌ عَرِيقٌ ، وَفِي الْفَضَائِلِ لَهُ قَلَمٌ مُطِيقٌ ، وَفِي الْبَلَاغَةِ لَهُ لِسَانٌ مُنْطَلِقٌ ، وَإِذَا دَجَّ قِرطَاسُهُ فَهُوَ لِلرُّوضِ شَقِيقٌ ، وَبِنَاتِهِ الْجَوْهَرُ لَا الْأَمْسَ وَالشَّقِيقَ ، وَأَصْبَحَ لِلْمَكُوسِ فِي الدَّسْتِ الشَّرِيفِ أَهْلًا عَلَى التَّحْقِيقِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ أَنْ يَسْتَقَرَّ فَيُحِلُّ هَذَا الدَّسْتَ الشَّرِيفَ مُبْهَجًا بَيَانِهِ ، مُتَّجِلًا لِلصُّدُورِ بِعِرْفَانِهِ ، مُتَّجِلًا بِنُورِ يَدِهِ وَلِسَانِهِ ، قَارِئًا مِنْ قِصَصِ النَّاسِ وَظُلُمَاتِهِمْ فِي أَمْوَانِهِ كُلِّ شَيْءٍ فِي أَوَانِهِ ؛ لَا يَكْتُمُ ظُلُمَاتَهُ مَكْتُوبَةً فِي رُقْعَةٍ ، بَلْ يُعَرِّفُ مَلِكَهُ بِهَا وَيُبَيِّنُهَا سَمْعَهُ ، فَإِنَّهُ فِي هَذَا الْحَلِّ أَمِينٌ وَالْأَمِينُ عَمَلُ النُّصْحِ وَالْخَيْرِ وَالرَّقْعَةِ ، وَإِذَا وَقَعَ فَهُوَ مَأْمُورٌ ، فَلْيَأْتِ بِمَا يُبْجَعُ الصُّدُورُ ؛ وَيَسْفَى غَلِيلُ الشَّاكِيِّ ، بِلَفِظَةِ الزَّاكِيِّ ، وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ لَكِنْ السَّلَامُ لِبَعْضِهَا الْحَاكِي ؛ وَتَقْوَى اللَّهِ فَهِيَ تَأْجِبُهَا الْجَوْهَرُ ،

(١) لعله لكن سئل ببعضها الحاكى ، وهو تقوى الخ . تأمل .

وبَرُّها النور، وكوكبها الأَزهَر، والله تعالى يَمُنُّه بالفضل الذى لا يُحَوَّل ولا يَتَغَيَّر؛
بِمَنِّه وَكَرَمِهِ ! إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع من ذلك أيضا، وهى :

الحمد لله الذى أَفَاضَ على الأولياءِ من فضله ، وأَمْنَى عليهم من مَوَاجِبِهِ ما يَقْصُرُ
عنه القَلَمُ في وَبَلِّه وطلَّه ؛ وَمَنَحَ دَسْتَ المَلِكِ الشَّريف من الألفاظ المَحِيذَةِ ،
والفضائل المَقْصِيذَةِ .

نَحْمَدُه على نِعَمِهِ التى أَجَزَلَتْ إِحْسانَها ، وأَجَلَّتْ أَمْنِياتُها ، وَبَزَغَتْ مُزَمَّرَةُ
فَقْدَمَتِ مِنَ الدَّولةِ أَعْيَانُها ؛ وَنَشْكُرُه على عَوَافِيهِ التى أَلْقَى لأَهْلَ التَّنْاءِ عِنائُها ،
وَرَحَّبَ لِنَوَى اليَوتِ صَدْرُها وَفَضَّ عُنُوتُها .

ونَشْهَدُ أَنَّ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحْدَه لا شَرِيكَ لَهُ شَهادَةً تَشْهَدُ القُلُوبُ إِيمانَها وَيَدَّخِرُ
القائِلُ لها يَومَ الخَافِ أَمَانُها ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا عِزًّا حَبْدَه وَرِسُولَه الذى أَظْهَرَ اللهُ
به الشَّرِيعَةَ المَظْهُورَةَ وَأَبانَها ، وَشَرَّفَ [به] هَذِهِ الأُمَّةَ وَرَفَعَ على جَمِيعِ الأُمَمِ شَأْنُها ، وَبَعَثَه
رَحْمَةً إلى كافَّةِ الخَلْقِ فَأَقَامَ مُعْجِزاتِهِ دَلِيلَ المَهادِيَةِ وَبُرْهَانِها ، وَأَطْلَفَ بُنُورَ إرْشادِهِ
شَرَرَ الضُّلَالَةِ وَنِيرانَها ؛ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ ما مِنْهُمْ إِلاَّ مِنْ رِزَّةٍ
نَفْسِهِ التَّقِيَّةَ وَصانِها ، وَسَلَكَ فى خِدمَتِهِ وَصَحْبَتِهِ الطَّرِيقَةَ المَثَلِىَّ فَأَحْسَنَ إِسْرازَ
أُمُورِهِ وإِعْلائِها ، صَلَاةً دائِمَةً باقِيَةً تُجَمِّلُ بالأَجْوَراتِ قُرْآنَها ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعدُ ، فَانْه لَمَّا كَانَتْ وَطِيقَةُ تَوقِيعِ الدَّسْتِ الشَّريف من أَجْلِ الوظائفِ
وَأَسْئانِها ، وَأَنْفِيسِها وَأَعْلاها ، وَأَجَلَّيْها وَأَبْهاها ؛ القائِمُ بِها سَفيرُ الرِّعْيَةِ إلى المَلِكِ

فى حاجتهم ، وترجمانٌ مُعَرِّبٌ عن شكائهم ، وكاشفٌ أحسنُ ناسرٍ عن ظلامتهم ؛ جالسٌ على بساط الأُتس بقُرب الحضرة ، متقدِّمٌ نهيَ ملكه وأمره ، مبلغٌ ذا الحاجة من إنعامه جوده وبره - تعين أن يُتَدَبَّ رئيسُ وابنُ رئيس ، وجوهٌ بحريّ نفيس ؛ ذو أصلٌ فى السؤدد عريق ، ولسانٌ فى الفضائل طليق ، وفهمٌ حلى الطروس بما فوق زهر الرياض وهو لها شقيق ، وفاضلٌ لا يُقاس بغيره لأنه الفاضلُ على التحقيق ؛ وكان المقرُّ العالى الثلاثى هو المشار إليه بهذه الأولوية ، والمراد من سطور هذه الهاميد الأولوية . فلذلك رُسم بالأمر العالى أن يستقرَّ المشار إليه فى وظيفة توقيع الدُست الشريف عوضاً عن فلان بحكم وفاته .

فليأشِرْ ذلك مباشرةً تُسَكَّر مدنى الزمان ، وتُجَدِّد فى كلِّ وقتٍ وأوان ؛ وليدَيِّج المهارقَ بوشى يُفوق قلائد العقيان ، ويُتمسَّكُ بالأجور لنا مُخففاً بما يوحىه عنا من خيراتِ حِسان . ونحن فلا نُطيلُ له الوصايا ، ولا نُحِيلُهُ بها فهمى له سنجاباً ، مع ما أدبه به علمه الجلم ، وعمله الذى ما أنصرفَ إلى شيءٍ إلا تمَّ ، ويجمعها تقوى الله تعالى وهى مُقدِّد ضميمه ، وملاكُ أموره ؛ وما يرح هو ويته الكرم مصابيح أنفها ومفاتيح مُغلَقها ، ولهم جُدد ملاسها وللناس فواضلٌ مُخلَقها ؛ والله تعالى يزيده من إحسانه الجزيل ، ونِعَمه التى يرتدى منها كلُّ رداء جميل ، ويمتته بامارته التى ما شُكرها إلا قال أدباً : حسْبنا الله ونعم الوكيل ؛ والاعتمادُ فى مسعاه ، على الخط الكرم أعلاه .

الوظيفة الثانية

(فطر الخزانة الكبرى)

وقد تقدَّم فى الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أنَّ هذه الوظيفة كانت كبيرةً الموضع من حيث إنها مستودعُ أموال الملكة ، إلى أن حدثت عليها خزانة

الخاص فأنحطت رتبها حينئذ، وسميت الخزانة الكبرى باسم هو أعلى منها، وأنه لم يبق فيها سوى خلع مخلع وتصرف أولاً فأولاً. وقد تقدم ما يكتب في طرة توقيع ناظرها.

وهذه نسخة توقيع بنظر الخزانة :

الحمد لله الذى جعل الخزانين لخزاننا كهوفاً ، وملابس إقبالنا شئوفاً ، ومواهبنا تجزلاً عطفاً ، ومعرفة ، وإقبالنا على تحسين التدبير وبجمل التأثير عطفواً ، وأيدينا فى إسكان جنتها قطفواً .

نحمدك حمداً مألوفاً ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أوصحت معروفاً ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى أزال حشواً ، وأقام الصلاة والجهاد صفوفاً ، وشهر على الدنيا عند تأييد الهدى ميؤفاً ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما سدل الليل تحفوفاً ، وسلم تسليماً .

وبعد، فإت الملك الشريف له تحف مصونة، وذخائر مكنونة، وأصناف حسان فى خزاننا عزونه ، وجواهر عالية القيمة ثمينة [لا يقوم عليها إلا من] لا يمد عين عفاقه إلى المال وإن كثرت آلائه ، وولج بلمة هذه الذخائر ولم تلج بالبلل أطرافه ؛ وهو فلان : العريق فى آنتسابه ، الوثيق آنتكؤه إلى فضل الله وجنايه ، النقي ثوب عرضه ، التقي بمسكه بسكته وقرضه ، الوفى نظره بفضه ، المستمسك بجميع الخير دون بعضه ، من بيت السيادة ومن هو من بيت السيادة فالسؤدد نجم سماه وطود أرضه . فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يستقر

فليباشر هذه الوظيفة بعمله ونبيه ، مقسماً ذخائر هذه الخزانة العلية ؛ وأمورها وأحوالها ، وتفصيلها وإجمالها ، ومحوها وإجمالها ؛ وحللها المرقومة ، وذخائرها

المعلومة، وجواهرها المنظومة، وأجاسها المختومة، وصناديقها المروكومة؛ ما عن علمه فيها شئٌ خاف، وصونه لها كاف، وأمر الله بين التون والكاف .

وليعلم أن خزائننا تُصبُّ فيها مصائبُ التحف والأموال والأصناف، من سائر المالِك والمُلكن والثغور والأطراف؛ ومنها يُخرج بمهاز مواهبنا وإنعامنا للرولياء الأشراف، وإنما هى لمصالح المسامين فى الجمع والإختلاف، وتقوية أهل الطاعة على أهل الإختلاف، فليُضبط ما تُطلقه وإن كانت الأقلام لا تستطيع ذلك لكثرة الإسعاف؛ وتُكِنّ التشاريف المئمة الكاملة، حاصلةً بمناطيقها الموهرة الهائلة، وطُرُزها الطائفة، وتمايها الفاضلة، حتى إذا أنعمنا منها على أحد بشئٍ يأتى بمجمله وقد حيد فاعله . والوصايا كثيرةٌ وتقوى الله نظام عقدها، ونعمام رفدها، وزمام مجدها، ونمائم سمدها؛ فليُكنّ متلفعاً ببريدها، متضوعاً بندها، وهو غنى عن الوصايا ومدها، والله تعالى يؤيد حركاته فى قصيدها؛ والخط الشريف أعلاه، حجة بقتضاه، إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية لناظر الخزانة، أوردها فى "التعريف" :

وَجَمَلًا بِنَظَرِهِ صُورُ الْخَزَائِنِ، وَلِيَجْمَعَ فِيهَا أَشْنَاتُ الْحَاسِنِ؛ وَلِيُعِدَّ فِيهَا كُلُّ مَا يَنْتَحِرُ لِلْإِنْفَاقِ، وَيَحْتَفِظَ بِهِ لِلْإِطْلَاقِ؛ وَيُحْصِلَ مَا يُضَاهِي الْبَحْرَ بِالتَّفَرُّعِ وَالتَّنَاصِيلِ، وَالْجَمْلَ وَالتَّفَاصِيلِ؛ وَمَا لَا يُوزَنُ إِلَّا بِالْقَنَاطِيرِ، وَلَا يُحْصَى مِنْهُ مَلَأُ الْأَسَاطِيرِ؛ وَمَا يُبَيِّدُ مِنَ التَّشَارِيفِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي تُبَاهِي أَشْعَةَ الشَّمْسِ بِأَنْعَامِهَا، وَنُجُومِهَا بِوَسَائِعِهَا الرُّوضِ بِجَمَلِهَا؛ وَمَا فِيهَا مِنْ عَخْلَاقَاتِ أَلْوَانٍ لَا تُمَاتِلُ بِتَصَوِيرِ، وَلَا يَفُتُّهَا الْأَوَّلَاءُ إِلَّا الْجَنَّةَ وَلِيَأْتِيَهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ، وَمَا تَحْتَوِي عَلَيْهِ مِنْ عَتَائِيٍّ وَأَطْلَسٍ، وَمُتَرَبِّشٍ وَمُقَنْدَسٍ؛ وَكُلَّ طِرَازٍ مُذْهَبٍ وَبَاهٍ، وَمَا هُوَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ لَهُ يُضَاهِي؛ وَكُلَّ

ما يتشرف به صاحب سيف وقلم، ويُعطى إناما أو عند أول استخدايم في خدم؛ وما هو مع هذا من أنواع المستعملات، والنواقيص والمككلات؛ وما يُحمل من دار الطراز، ويحمد مما يأتي من المبتاع من بز وبرز؛ وما هو مُرصد للخزانة العالية من الجهات؛ التي يحمل إليها متحصّلا: لينفق في أثمان المبيعات، وما يُستعمل، وما يُعلم منه بالطرز ويُعمل، وبقيّة ما يُدخّر في حواصلها من مال بيت المال الذي يُحمل؛ وذلك كلّهُ فهو الناظر عليه، والمناظر عنه ما نخرج من عنده ووصل إليه، والمُحاجج عنه بالمراسم التي تُسلك للحفظ وتُزَلّ لديه؛ فليُراج ذلك جميعه حقّ المراجعة، وليُحزّر قدر ما يُنفق من الأثمان وقيمة المبيعات، وليُحزّر فيما يُزكى بمضبه بعضها من شهادة الرسائل المكتبة إليه بالتحول وما يُكتب بها من الرّحمت؛ وليُعرّ المعاملين من نظره مالا يُحسبون معه سيلا، ولا يُقدرون معه على أن يأخذوا فوق قدر استحقاقهم كثيرا ولا قليلا؛ وليُقدّم تحصيل كل شيء قبل الاحتياج إليه ويدّعه لوقته، ولا يمتل لديه إلا سرعة الطلب الذي متى تأخّر أثر لوقته (٩)؛ والأمانة الأمانة، والعفاف العفاف فما كان منهما واحد رداء أمرى إلا زانه، ولولاها لما قال له الملك إنك اليوم لدينا مكين أمين وسلم إليه الخزانة ٠

الوظيفة الثالثة

(نظر خزنة الخصاص)

وهي الخزنة التي استُحدثت في الدولة الناصرية «محمد بن قلاوون» عند استحداث وظيفة «نظر الخصاص» وقد انتقل ما كان يحمل إلى الخزنة الكبرى ويُصرف منها إلى هذه الخزنة، سوى الخلع، كما تقدّمت الإشارة إليه في الكلام على توقيع ناظر الخزنة الكبرى ٠

وهذه نسخة توقيع بنظر خزنة الخصاص ، كُتِبَ به للقاضى شرف الدين محمد
ابن علاء الدين الجَوَجَرِيّ^(١) ، فى مستهل شهر رجب القرد ، سنة تسع وثلاثين
وسبعمائة ، وهى :

الحمد لله الذى زاد بنظرنا الشريف شرف من تحته من أوليائنا [و] لحفظه ، وأفاد
المستأنف من ربنا من عهدنا له الفطرة السليمة وتيقنا منه الفكرة واليقظه . وأعاد
لقلف الكريم ، من المشايخ ما كان للسلف القديم الصالح من التقديم ، الذى شملهم
بالتكريم ، وجعلهم على خزائن جودنا العيم : لأنهم العلماء الحفظه . وجاد بالطرف
من خاص إيماننا العام لمن قلبه عند الإذناء من سير المملك إنجاز عدة ولسانيه
عند آراءه منبر التسلك إبراز عظه .

نحمده على أن أجزل لمن عول على شامل كريمنا جزاءه ووضوه ، ونشكره على أن
تطول بنا فإل نعمنا لمن قام بعد أبيه بلوازم خدمتنا المفترضه ، وعكف أعمالنا على بيت
مبارك ما منهم إلا من شمل من إحساننا بالمتح لما بذل لسلطاننا من النصح ومحضه .
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يودع مصونها فى الأرائك
المتعلية ويقطع يمينها الشكوك المعترضه ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى
عظمت عطايأ بذله ، فالحبار المرتفعة عنها منخفضه ، وكرمت سببأ فضله ، فليست
بمتقلة وأبرمت قضايأ عنه ، فليست بمتفضه ، وعمت البرايأ يده البيضاء التى هى
بالأرزاق فى الأفاق منبسطة وليست عن الإنفاق خشية الإملاق منفضه ، صلى الله
عليه وعلى آله وصحبه الذين ما منهم إلا من أقرض الله قرضا حسنا فضاء عف له
ما أقرضه ، صلاة تدنى لقائلها فى الأولى من النعمة والأمان أمله وتؤتيه فى الأخرى
من الرحمة والرضوان غرضه ، وسلم تسليما كثيرا .

(١) نسبة الى «جوجر» فتح الجيمين وراء بلدة بالقرب من دماط انظر ياقوت ج ٢

وبعد، فإن أولى مَنْ رُفِعَ بإكرامنا إلى رُتبة علّاه، وانتفع من مقامنا الشريف باختصاص خدمته وإخلاص ولاءه - مَنْ شَمَعَ مزاياه بجمع أشنات العلوم في أبقاره وأقاربه، وأستودع ذخائر ملكنا المصونة فكان حفيظاً عليها عند اقترابه منا وإدنايه، وصدّع القلوب بإبداع وعظه وإدنايه؛ وأنجّ سبيل والده القويم، في الشدة في الحق والتقصم؛ وسلك طريقته التي هداه الله إليها بتوفيقه فأدرك غايته في أبسدايه، وقنّع بما آتاه الله تعالى فأثرت مكارمنا رغبةً غلّه وتوسعةً جباهه؛ وبرع في إقنان الفضائل التي أذنت باصطفائه وأجنيابه، ووقع عليه اختيارنا الذي نستخير الله تعالى له في إبرام كلّ أمرٍ وامضائه؛ وأجمع عليه رأينا الذي كم أصاب الصواب في تعيين العلماء الأنجاء فنصّ عليه المستحقّ بإيجاب الترجيع واقضائه .

وكان المجلس السامى الشرفى هو الذى قدّمناه بعد أبيه لشهادة خزائنا الشريفة فشاهدنا من حسن سيره ما أجمع، ونظّمناه في سلك أولياء الملك فسلك من الخير أقوم منهج، ثم أردنا الآن أنّ هلاله ينقل إلى رتبة الكمال ممّا تدرب وتدرّج؛ وأعدنا له تأم الإقبال حيث شرف دولتنا الأعلى - زاد الله تعالى تأييده - يذكره لدينا وبسكوه عندنا يليق - فأقنضى حسن الراى الشريف أنّ هذا النظر الجميل عنه لا يخرج، وهذا الوقف الجليل لا يُسدل به عن فرع منجب لأصل طبب أئمر الولاء والدعاء لأبائنا الشريفة وأنّج .

فلذلك رسم ... لا زالت الصُّور بصُّور أحكامه تتلج، والأُمورُ بمُور إنعامه تفضّل على الحقّ الأبلج - أن يستقر ... فليُنطق لسانُ كُلمه بالإخلاص في حمد الخلاصّ والمأمّن من هذا الإكرام الذى بمطارفه تَسرُّل وبمواريه لتوجّ، وليُنطق منان قلبه في تبيض المصاحف بذكر إمام المقام الذى هو كالبحر ويقيص

عن حُده فهو يحمّد الله لا يتلجّع ؛ وليُحقّق بَيان حُكمه ضبط الأصل والخضم
والواصل والاصل والمُحصّر والمُخرَج ، وليُتفَق في أوليائن من عوائد صلّات نَمائنا
التي تُقيضها أيدي ملوك المداين بَسْطٍ ومن بَعْضها صُدور الخزان تُخرَج ؛ وليُسلِّك
سُنن أبيه التي بها يستظهر ويفتخر ويستدل ويحتج ، ويستمسك بسببه الأقوى
من الديانة التي بابها من النجاة في الدارين غير مُرتج ؛ وترك له تفصيل الوصايا لأنّه
قرين كُفيل مُلكا القوى الأمين ذى الإرشاد والسداد فع مراقبته في الإصدار
والإيراد والتكرار والتعداد لم يَحْتَج ، والله تعالى يعمل الطُروس بِذكر تهديمه تحبّر
وتُدبج ، والدروس تُنشر وطومه تَطُر وتُتأرجح ؛ بمنّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الرابعة

(نظر البيوت والحاشية)

وقد تقدّم أنّ موضوعها التحدّث في كل ما يتحدّث فيه أستاذ الدار ، وتقدّم
الكلام على ما يُكتب في طرّة تقليد ناظرها .

وهذه نسخة توقيع بنظر البيوت والحاشية :

الحمد لله الذى عمّر البيوت بنوّاله ، وكثّر فيها أصناف النعم بإفضاله ، وجعل فيها
الخير يتضاعف مع كلّ يوم بتجدّده ومع كلّ شهر بإقباله .

نحمّده على مديد ظلاله ، ونشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
عبد صادق في مقال ، ونشهد أنّ غدا عبده ورسوله الذى رَحِمَ الله العالمين بإرساله ،
وسقى الجيش من كَفّه بَنع زلاله ؛ وأوى إلى المدينة دار هجرته وأنقّاله ، صلى الله
عليه وعلى آله وصحبه الناصرين لهذا الدين في كل حاله ؛ وسلم تسليمًا .

وبعد ، فإن طراز الملك الشريف البيوت الكريمة : فمنها يتفجر ينبوع الرزق الجارى ، ومنها يضيء سقطة الزند الوارى ؛ ومنها تيسر الخواتم ، وتمتد الأشمطة في المهمات ؛ ومنها يقوم للسعد نصبات وأى نصبات ، ومنها تقسم ألوان الطيبات على مقترح الشروات ؛ وعماد أمرها على ناظر يقوم بتأصيلها وتقريرها ، وتجنيسها وتويعها ؛ وتكثر حاصلها ، وأستدعاء وأصيلها ؛ وجمع كل ما فيه مرغوب ، وأدخار كل ما هو محبوب ؛ وتألّف القلوب على شكره ويُل ما فيها عمل القلوب .

ولما كان فلان هو الرشيد في فعله ، المأمون في فضله ، الأمين في عقده وحله ، المسدد في الحال كله ، المعطي المباشرة حقها على ما ينبغي في الشهر من مستهله .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف أن يستقر فليباشر هذه الوظيفة الكريمة مستعجلاً المنافع ، مشغفاً بحسن سيرته المسامح ، طالما من العقاف في أهبى المطالع ؛ مستندياً ما جرت العادة بأستدائه من أصناف المتجر السعيد من أصناف متعدده ، وأنواع منضده . وليزج أقدار المصالح السعيدة من كل صنف على حده ، وليستجلب خواطر المعلمين بوقاتهم وإنجازهم كل عده ؛ والرواتب اليومية ليصرفها لمستحقها ، والبيوتات فليسد خللها حتى لا يظهر نقص فيها ، ومرتببات الأدر الشريفة فلتكن نصب عينيه على ما يرضيها ؛ وما آخترها لهذه الوظيفة إلا أنه أنسب من يلها ، والوصايا كثيرة وتقوى الله فلتكن أطيب ثمرات يجتنيها ، وأحسن منجات يجتليها ، وأزين زينة يجتليها ، وهو غنى عما تُسأله [به] الأفلام من فيها ، والله تعالى يصون هممه ويعللها ؛ بمنه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

(١) في القاموس النصبية بالغم السارية وله المراد .

(٢) لعل هذا اللفظ زائد من قلم الناصح . (٣) جمع دار على القلب .



وهذه نسخة توقيع بنظر البيوت :

الحمد لله الذى جلد لأوليائنا ملابس السُعود، وشيّد لهم مَبَاقِي العِزِّ وضاعَفَ
لِقَدْرِهِم التَّرَقَّى والصُّعُود، ووالى إلى أوليائهم بِمَحَابِّ الفضلِ المستَملَّةِ بِالكَرَمِ والجُود.
نحمده على نِعَمِهِ الضَّافِيَةِ الْبُرُود، وَمِنْتِهِ الصَّافِيَةِ الْوُرُود؛ ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة يُرْغِمُ بِهَا أَنْفَ الْجُود، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله
صاحبُ الخِطْبِ الْمُرُودِ وَاللَّوَاءِ الْمُعْقُودِ؛ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وَتَحَبَّهَ الَّذِينَ
جَادَ كُلُّهُمْ بِمَالِهِ وَنَفْسِهِ فى رِضَاهِ وَالْجُودِ بِالنَّفْسَيْنِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ؛ صَلَاةٌ
دَائِمَةٌ الْإِقَامَةِ فى التَّهَانِمِ وَالنُّجُود، مستمرةُ الْإِدَامَةِ مَا تَعَابِ السَّحَابُ رَوْضًا بِجُود؛
وسلم تسليما كثيرا

وبعد، فإن أولى من غَدَتِ البيوتُ أهْلَةً يُؤَفِّدُ نَظَرَهُ، عامرةٌ بِسَدَادِهِ وَجَمِيلِ
فِكْرِهِ، مشيدةٌ بِمَا يُبْدِيهِ من أَوْضَاحِ التَّقَرُّرِ وَغُرُورِهِ - من سَمَا هِمَّةً وَحَسَنَ سَمَا،
وسلكَ فى الأمانة طريقًا لا عِوَجَ فيها ولا أَمْتًا؛ وحلَّ فى الرُّتَبِ حَقْلًاها، وَتَنَقَّلَ فيها
فما قالت له إِيَّاهُ إلا وقال الذى فارقها آهًا؛ وكان فلان هو الذى أَسْتَحَقَّ بِكَفَائَتِهِ
حُسْنَ التَّنَقُّلِ، وَأَسْتَوْجَبَ الصَّلَاةَ وَالْعَائِدَةَ لِمَا فِيهِ من جَمِيلِ الثَّاقِبِ والتَّوَصُّلِ - أَقْضَى
حُسْنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أن تَنَقُّلَهُ إلى رُتَبِ السَّعَادَةِ، وَأَن تُخَصِّصَهُ كُلَّ حِينٍ من نِعَمِنَا
بِالْحُسْنِ وَزِيَادَةٍ. فلذلك رَمَعُ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أن يَسْتَقَرَّ...

فليُضَبِّطْ أَصُولُهَا وفُرُوعُهَا، ومُفْرَدَاتُهَا ومُجْمَعَاتُهَا، وَلْيُؤَنِّسْ بِمِخَاطَةِ أَجْتِهَادِهِ رُبُوعَهَا؛
وَلْيَكْفُلْهَا بِأَمَانَةٍ تُضَمُّ أَطْرَافُهَا؛ وَزَاهِيَةٌ تُحْمَلُ أَعْطَافُهَا؛ وَكَتَابَةٌ تُحَصَّرُ جَلِيلُهَا وَدَقِيقُهَا،

وَبَاقِيَهُ تُوْفِي شُرُوطَهَا وَحُقُوقَهَا ؛ وَلِيَحْرَزَ وَارِدَهَا وَمَصْرُوقَهَا ؛ لِيَقْدُوا مَشْكُورَ الْمَعْمُومُوصُوفَهَا ؛ وَلِيَلَاخِظَ جَرَائِدَ حِسَابِهَا ؛ وَيَحْفَظَ مِنَ الزَّيْغِ قَلَمَ كِتَابِهَا ؛ حَتَّى يَتَبَيَّنَ تَصَرُّفُهُ فِيهَا عَلَى الْأَوَائِلِ ، وَيُسَكَّرَ تَعْرِفُهُ وَتَعَطُّفُهُ عَلَى كُلِّ حَامِلٍ وَمُعَامِلٍ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَسْلِفُهُ مِنْ الْخَيْرِ مَا هُوَ آمِلٌ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الوظيفة الخامسة

(نظر خزائن السلاح)

وقد تخدم أن موضوعها التحدث فيما يستعمل ويتنازع من أنواع السلاح الذي يحل للزردخانة السلطانية . وقد جرت العادة أن يحل ما يتحصل من ذلك في كل سنة إلى الزردخانة مرة واحدة . وقد تقدم ما يكتب في طرة توقيع ناظرها .

وهذه نسخة توقيع بنظر خزائن السلاح من إنشاء المولى « شمس الدين بن القيسراني » كتب به « لفخر الدين » أخى جمال الدين ناظر الخالص ، وهى :

أما بعد حمد الله تعالى الذى ضاعف نفع المناصب ، بمثلها ، ورفع قدر المراتب ، بمن يكبرها بقدره العلى ويعللها ، وأمد المقاب^(١) ، بنظر ذى المناقب الذى يزىن بمهرف حزمه أساليبهم ويحليها ، ويحضى بماضى عزمه كل فرد فريد ليسع نارصليبه بنظرة السعيد ويحليها ؛ جاصل أيا من الشرفه تخدم لخدمها كل سرى تسرى به همه إلى العلية ، وتختبب لحسن نظرها من يعلو بكرم الذات وجمال الإخاء ، وتولى من الأولياء من بعد للأعداء خزائن سلاح يبيدهم بها جيوشنا المؤيدة في قباني البيداء ، إذا دارت رحى الحرب الزبون وتارت وغى الغارة الشعواء . والشهادة له بالوحدانية

(١) جمع مقب "كثير" وهم جماعة الخليل والفرسان .

التي أَسْقَى بِدُرِّهَا ، فِي سَمَاءِ الْإِخْلَاصِ ، وَأَشْرَقَ بِفَرْحِهَا ، بِضِيَاءِ الْقُرْبِ وَالْإِخْتِصَاصِ ،
وَسَمَّا نَفَحَها ، بِجَلَلِ الْجَمَالِ فَاصْبَحَ بِحَمْدِ اللَّهِ أَخَذًا فِي الْمَزِيدِ أَمْنًا مِنَ الْإِثْقَاصِ ،
وَعَلَا ذِكْرُهَا ، بِمَا دَرَعَتَا بِهِ مِنْ دُرُوعِ التَّوْحِيدِ وَأَسْبَغَ عَلَيْنَا مِنْهُ كُلَّ سَابِغَةٍ دِلَاصٍ .
وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي خَصَّهُ اللَّهُ بِالتَّكْرِيمِ وَالتَّعْظِيمِ ، وَخَتَمَ بِهِ الرُّسُلَ
الْكَرَامَ بِمَا مَنَحَهُ مِنَ الْأَصْطِفَاءِ وَالتَّقْدِيمِ ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ فِي الْكَلَامِ الْحَكِيمِ :
(إِنْ تَبِعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ) . وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ هُمْ أَشْدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ،
وَقَرِيبٌ قُرْبُهُمْ لَدَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَذْهَبَ بَيْنَهُمْ - فَإِنَّ مِنْ شِسِيمِ أَيْمَانِنَا الشَّرِيفَةِ أَنْ
تُبَلِّغَ أَوْلِيَاءَهَا مَرَامًا ، وَتَرعى لِأَصْغِيَانِهَا ذِمَامًا ، وَتَصْطَفِي لَوْلَايَةِ الرَّتَبِ مِنْ أَهْمَى مُفَرِّ
وَلَايَتِهِ بَسَامًا ، وَتُجَرِّدَ لِحَسَنِ النَّظَرِ مِنْ مُجَرَّدِ بَهْمِهِ حُسَامًا حَسَامًا ؛ لَا سِيَّمَا مِنْ أَقْفَى
سَنَنِ أَخِيهِ - أَجَلَهُ اللَّهُ - فَيَأْتِي وَيَذَرُ ، وَاهْتَدَى بِهَيْدِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَصَدَرَ ، وَحَذَا
حَدَوَهُ السَّيِّدِ الْأَثَرُ ، السَّعِيدِ النَّظَرُ ، وَأَتَّبَعَ رُشْدَهُ السَّاطِعَ الْبَلَجُ اللَّامِعُ الْفَرَرُ ، وَسَارَ
سَيْرُهُ الَّذِي نَتَارِجُ بِهِ أَرْجَاءَ الْمَسَالِكِ خَيْثُ مَارَسَرٍ ؛ إِذْ هُوَ جَمَالُ الْجُودِ ، جَلَالُ
الْوُجُودِ ، مُقِيلُ عَثَارِ الْمُلْهُوفِ وَالْمُجْهَدِ ، مُوَيْلُ التَّهَامِ وَالنُّجُودِ ، مُسْتَجِلِبُ الدُّعَاءِ لَنَا
مِنَ الطَّائِفِينَ وَالْمَاكِفِينَ وَالرَّكْعِ السُّجُودِ ؛ ذُو الْمَائِرِ الَّتِي ذِكْرُهَا أُعْطِرَ مِنَ الرُّوضِ
الْمُجُودِ الْمَوْجُودِ ، وَالْمُنَاقِبِ الَّتِي يُسَاوِي فِيهَا الْكَوَاكِبُ وَيَسَامِيهَا فِي السُّعُودِ وَالصُّعُودِ .

وَمَا كَانَ الْمَجْلِسُ الْعَالِي الْفَخْرَى قَدْ أَصْبَحَ نَفَرُهُ بِأَخْوَتِهِ نَامِيًا ، وَقَدَرُهُ بِأَيُّوْتِهِ
سَامِيًا ؛ وَأَصْبَحَتْ مَفَاخِرُهُ بِهِ خَالِدَةً ، وَجَمَعَ مَرَايَا وَسِمَايَا جَمَعَتْ لَهُ طَارِفَ السَّعْدِ
وَالدَّيَمِ أَقْفَى رَأْيِنَا الشَّرِيفِ أَنْ تُسَلِّدَ لَهُ بِأَخِيهِ أَزْرًا ، وَتُجَدِّدَ لَهُ فِي إِصْلَاحِ السِّلَاحِ
نَظْرًا ؛ لِيَكُونَ لِأَخِيهِ - أَعَزَّهُ اللَّهُ تَعَالَى - النَّظَرُ عَلَى الْخِلَاصِ وَالْعَامِ ، وَبِيَدِهِ مُقَالِيدُ
خِزَانَتِنَا الَّتِي يُشْمَلُ مِنْهَا الْإِبْرَاءُ بِصُنُوفِ الْإِنْعَامِ ؛ وَتُدِيرُ خَوَاصِنَا الشَّرِيفَةَ وَجُيُوشِنَا

المؤيده، وله النظر على اعمال لبوس، تقي من الجيوش البوس : البُيُض [ذات]
القَوَائِس ، واليَب المُنَار والسَمَر المَدَائِيس ، والبيض المَهْنَتَه .

فلذلك رُسِم ... لا زال يجمع لأوليائه على الآلهة شَمَلًا ، ويرفع أقدار أهل الكرم
باستقرار النعم إذ كانوا لها أهلاً وبها أولى - أن يستقر فلان في نظر خزان السِّلَاح
المنصورة على عادة من تقدمه وقاعدته ، وبمعلومه الشاهد به الديوان المعمور لهذه
المآثر التي بها القلم ، والمفاير التي اشتهرت كالنار على العلم ، فليكشف ما بهذه الخزائن
من علة الحرب ، والآلات المَعْتَدَة في الهجاء للطنن والضرب ؛ ويشمر في تكثيرها
عن ساعد اجتياده ، ويمزج مواد الإمداد بها بحسن نظره ومُنْ اعتماده ؛ ويستعمل
برسم جهاد الأعداء كل نصيل صقيل ، وشمصام له في الهام صليل ؛ وصفيحة بيضاء
تبيض بها بين أيدينا الصَّحيفه ، ولبوس رهيب عدو الله وتضاعف نخوته ، وزايع
يرعب ، وشمس يزيهق بلسان سنانهِ النقوس ويلهب ؛ ويخرسان تكلم الأبطال بأسل
أليستها في الحروب ، وقواصل لها في سماء الججاج شروق وفي تحليج الكفار
غروب ؛ وبدن يقد الأبدان ، ولأمة لم تبار في تحصينها وتخويرها ولم تدان ؛ وفَضْفَاضِيَه
على جنود الإسلام مُفَاض ، وسابغة تُسَبِّغ على كل راجل من أهل الإيمان لَيَقْضِي
من أهل الشرك ما هو قاض .

وليحفظ ما يتفق على هذا العدد من الضياع ، ويأت بما تأتي به الضياع على
أحسن الوجوه وأجمل الأوضاع ، وليضبط ما يصرف عليها من الأموال ، ويعتمد
في نظرها ما محمد طاقية أمره في سائر الأحوال ، ويتمن في سائر أفعاله بيمان كماله ،
ويستشيد بهما أشده في أموره باليمن والرشد من خلال جماله ؛ ويسلك بحسن نظره
لهذه الخزان ما ينتظر به أن يفوق أنظار الأنظار ويرتقب ، ويعلم أن هذا أول

إقبالاً عليه (وأوّل النّيتِ قَطْرُ ثم يَنْسَكِبُ) ؛ والله تعالى يجعل خزانة الإسلام بجمال
نغمه آمله ، ويوردها موارد العزّ الدائم ويصنّف من أكدار الأقدار لها مناهله ؛
والعلامة الشريفة أعلامه ، حجةً بمقتضاه .

الوظيفة السادسة

(استيفاء الصّحبة)

وصاحبها يتخلّص في كل ما يتخلّص فيه ناظر الصّحبة المقدم ذكره .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، من لائشاء القاضى «ناصر الدين بن النّشافى» وهى :

الحمد لله الذى زاد نغارا أوليائنا رِفعة المقدار ، وأفاد الصّحبة الشريفة خير كاف
أستوجب متابعيهم خِدمته جزيل الإيثار ، ويجاد بالجوّد وأبتدأ السعود لمن حُسن
فيه الاختيار ومُجد الاختيار ، وأرتاد للتناصب العلية كلّ "مستوفٍ" للعاسن له حقوق
وفاء لا تُفصّح وقدم ولاء أجهل فيه الإيراد والإصدار .

فحمد على نعم أجرلت الآثار ، ونشكره على مِن أجملت المسائر ، ونشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له شهادة مُخلص يتشفّح سائح نوابها الدائر في تلك الدار ؛
ونشهد أن مسيدنا محمدا عبده ورسوله الذى أيد الله به المؤمنين وأحمد ناره الكفّار ،
وبهته رحمة للعالمين فأقام بناء الإسلام بعد ما كاد ينهار ، وأسرى به إلى السبع
الطّباق فطبق نبأ معجزاته الأرض وملاً الأفطار ، صلاة باقية لا تزال أغصان
أجودها دانية الطُفوف زاكية الثّمار ، وسلم تسلياً كثيراً .

وبعد ، فإن أجل النعم ما علّت ملائمتها ، وأجل المن ما ظلت تفاسمها ، وأكمل
المح ما زكّت في رياض الإقبال غرائبها ، وأجزل المطايا ما جليت في حُلّ الفخار

عرائسها ؛ وأولى الأولياء بتحويل ذلك لديه ، وتحويل هذه المواهب إليه ، وإسباغ أثواب الأمتان عليه ، وأجتيابه لرتب حلا ، واختياره لمنصب يُصيح به جيله من عقود العناية محلي - من شكرت أوصافه ، وأشهر عقافه ، وحسن منّا إسماعده وإسماعفه ، ومحدث خلاؤه ومآثره ، وحاز غفرته ونظر ذاته فلا غرو أن تعددت مفائره ؛ وأسلفنا من خدمته ما استوجب أن يميني به ثمار الإحسان ، وقدم بين أيدينا الشريفة من بين تصرفه ما أنتج له مضاعفة الآلاء الحسن .

ولما كان فلان هو الذي تحلى من هذه الأوصاف بعقودها ، ونجلى في مطاير برودها ، وأثبتت على خصاله السنة الأفلام ، وأثبتت جميل خلاؤه في مصنف أورانها ومصانيف الأيام ؛ وحاز من الأمانة والتزاهة كل ما يسرّبه على الدوام ، وأمتاز بحسن الكتابة التي تهزّ النواظر وتسرّ الخواطر وترزى بالروض السام . ما باشر رتبة إلا وفى بها ، وحفظ أموالها وغلاها وضبط أمورها وكفى بها - أقتضى رأينا الشريف أن ننقله إلى درجات السعادة ، ونمنحه من إقبالنا الشريف زيادة الحسنى وحسن الزيادة ، ونخصه بوظيفة تُدنيه منّا قربا لتكون قد أجملنا له الابتداء والإعاده .

ولذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال نغر أوليائه بيزيد آلايه ساميا ، وقدر أصفياه بمد يد عطائه تايما - أن يستقر في كذا .

فلتلق هذا الإحسان ، بيد الاستحقاق ، وليتقلّد عقود الأمتان ، الذى طاب قلبه جوده الأعناق ؛ وليبشر ذلك مباشرة بسرّ خيرها ، ويسير خيرها ، ويشفّ الأسماع تأثيرها وأثرها ؛ وليسلّك فيها من السداد ، ما يؤكّد حمده ، ومن حسن الاعتاد ، ما يؤيد سعده ؛ وليعتمد فيها من الأمانة ما هو المشهور من اعتاده ، ومن العفاف ما يحسن عنه نقل إسناده ؛ وليدبج المراسيم الشريفة بقلمه السعيد ، وليوثقها بكتابه التى بها الحسن

مبدئى ومعيد؛ وليضبط جميع أموال الديوان المعمور وغلاله ، وسائر أموره وأحواله ،
وليسوق قبلمه على مباشريه وعماله ، وليحيط علماً بجراج بلاده وأعماله ؛
وليسوق الحساب شاماً ومصرًا ، وليتصفح الرقاع بالمالك الشريفة المحروسة ليحوى
جميعها خبراً ، وليتعيين جملها وتفصيلها ليكون بمخرجها أدرب وبمردودها أدرى ؛
وليحضر متحصلها ومصرفها ، ومجملها وموقوفها ؛ حتى لا يخرج شئ عن علمه ،
ولكن جملة هذا الأمر محزنة في ذهنه ليجيب عنها عند السؤال بتحقيق فهمه ؛
والوصايا كثيرة وهو بها خير عليم ، حائز منها أوفى وأوفر تقسيم ، وملاكها تقوى
الله تعالى فليجعلها عمده ، وليتخذها في كل الأمور ذخيره ، والله تعالى يضاعف
له من لذة إحسانا ، ويرفع له قدرًا وشانًا ؛ والاعتناء على الخط أعلاه .



وهذه وصية لمستوفى الصعبة أوردناها في "التعريف" وهي :

فهو المهيمن على الأقاليم ، والمؤمن على مصر والشام ، والمؤمل لما يكتب بخطه
من كل ترتيب وإنعام ، والملازم لصحبة سلطانه في كل سفر ومقام ؛ وهو مستوفى
الصعبة ، والمستوفى بالهم على كل رتبة والمؤمل على تحريره ، والمعمول بتقريره ،
والمرجوع في كل الأمور إلى تقديره ؛ به يتحرر كل كشف ، ويكف كل كف ،
وبتزيده ، وألا ما يكل استخدماً ولا صرف ؛ وهو المتصفح عن لكل حساب ،
والمطلع لكل ما حضر وغاب ؛ والمناقش لأقاليم الكُتاب ، والمحقق الذى إذا قال
قال الذى عنده علم من الكتاب ؛ والمظهر لقباً ، والمطلع لقباً ؛ والمتفق
على حجة مانعه إذا حصل الخلاف ، ووصل الأمر فيه إلى التآلف ؛ ولينزيم
الكُتاب بما يزنهم من الأعمال ، ويمررها بمسئق إطلاقه وضرائب رؤوس

المال ؛ وعمل المكلفات وأن يكفوا عملها ، وتهدر المساحات وليتبع خالها ؛
وليبرزهم بتميز قيمها بعض عن بعض ، وتفاوت ما بين [تسجيل] ^(١) القُدُن في كل بلد
بحسب ما تصلح له زراعة كل أرض ؛ وبمستجد الجرائد وما يقابل عليه ديوان
الإقطاع والأحباس ، وغير ذلك مما لا يحصل فيه التباس .

ومثلك لا يزود بالتعليم ، ولا يتأزج فكل شيء يؤخذ منه بالتسليم ؛ وما ثم ما يوصى
به رب وظيفة إلا وعنده يزل علمه ، وفيه يتره فهمه ؛ وملاك الكل تهوى الله
والأمانة فهما الجُتَان الواقيتان ، والجُتَان الباقيتان ؛ وقد عُرف منهما بما يقاض
منه عليه أسبق جُلباب ، وأسبل ستر بضان به هو ومن يتخذهم من مُعينين وتُواب ؛
والله تعالى يُلغنه من الرتب أقصاها ، ويُحرى قلبه الذى لا يدع فى مال ممالك
الشرقة صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

الدرجة الثالثة

(من مواقع أرباب الوظائف الديوانية بالديار المصرية)

ما يكتب فى قطع العادة : إما فى المنصورية ، مفتتحا بـ «أما بعد حمد الله»
أو على قدر المكتوب له فى القطع الصغير ، مفتتحا بـ «رسم بالأمر الشريف»
إن انحط قدره من ذلك)

وفى وظائف :

منها - كتابة الدرج بديوان الإنشاء بالأبواب الشرفية .

وهذه نسخة توقيع بكتابة الدرج الشريف ، كُتب به للقاضى تاج الدين ،

عبد الرحيم بن الصالح نقر الدين بن أبى شاكر ، وهى :

رُسم ... - لا زالت صدقائه الشريفة تشتمل حُبابة الأبناء، ومبراته الحسمة
 تُجيز للولد البار حُسن الزيادة وزيادة الحُسن، وهباته الكريمة تُقبل بوجه الإحسان
 على فرع الأصل الأشمى وتُرضع تاجه بيوهر نفوه الأسمى، وسماته الوسيمة، تجل
 شد أزور الوزارة الفخيمة، بأَكفأ نجل فنى الزمان عنان الرئاسة إليه وعليه أُنشئ -
 أن يستقر فلان فى كُنا وكذا : لأنه رُبى فى سِجَرِ الرِياسه، وأجنى من الرِوضِ المجد
 الذى أعلى السعدُ غراسه ؛ ونشأ من محلّ السؤدد والفتار، وبرّغ من بيتِ حقّت
 له رُضة الأقدار ؛ وبسقى عُصْنُ فرعه من أصلٍ ثابت، وبما يتلوح عزٌّ فى مواطن
 المعالى نابت، وهى ندى قلبه بانتسابه إلى سرّة الكُتاب فناهيك من كاتِبٍ لأبى
 الخلل كاتِبٌ ؛ تعرّف الدولة لسلقه بسالف المهود، وتعرف من منهل تديريهم
 المتورود ؛ وتُحلى من تاجهم بأسمى العقود، وتُسَمو من نحر وزارتهم ووزارة نخرهم
 بما يملأ الوجود بالوجود، وتختال من تصريف أعلامهم وأعلام تصرفهم فى روض
 التنفيذ المجد فإن ذكرت ما تُرجله قصرت عن إدراكها المجدود، وإن شُكرت
 مناقبُ والده - أجله الله - ففجّرها الباذخ مشهود؛ وهو بلسان العالم والخاص
 ممدوح محمود، وإلى معانى خطّه تنهى درجات الصعود والسعود؛ فلا غرّ ولهذا
 القَرع الناجب أن يتبع أصله، وأن يسلك فضائله وفضله ؛ وأن يقفوا منهجه،
 ويحتدوا فى الكتابة طريقته المُنهج ؛ ويأتى من البراعة بسنن القويم، ويبرز من
 البراعة وثى خطّه الرقيم ؛ وأن يحلّ أجياد المهارق بيوهر تاجه النصيد العظيم، وأن
 تحلوا الفاظه فى الإنشاء حين تمرّ على الأسماع مرور النسيم ؛ [لا] سيّما وقد ظهرت
 عليه من تحايل الراسة دلائل، وشُرعت له مناهل الأدب والفضائل ؛ وحاز من
 حُسن النشأة ما سار بُشكره المثل، وحصل من الاشتغال على أكثر المعرفة واشتمل ؛
 وغدا جديراً بكل مرتبة سيّده، وكل رُفعة هى بأعلامها مبنية .

فليأشِرْ ذلك مباشرةً يجعلها لباب المعالي مفتحة ، وللزيادة من كل خير سبباً كلما
أبدى الدهر مَسَاءً وَصْحَى ؛ ولينقل في أتباع مهيع المجد عن والده وجده أبقاهما الله
تعالى ، وليدأب التحلّ بأخلاقهما الحسنة أفعوالاً وأفعالا ؛ وليهيج الطروس وبوئى
قلبه ، ولينمق المكتبات ببلاغة كليمه ؛ وليخُذ الصون شِعَارَهُ ، والعقاف دِثَارَهُ ،
والأمانة معتمده ، والنزاهة مستنده ؛ وضبط القول مادته ، وحفظ اليد واللسان
جاذبه ؛ والوصايا كثيرة وملاكها التقوى وهى حليته الحقيقية ، وعقيدته العقلية
والمُنْتَظِيَّة ؛ فليَجعلها دأبه ، وليرض في إعلانه لها رَبَّهُ ؛ والله تعالى يُعَلِّمُ قَدْرَهُ وَجَدَهُ ،
ويحفظه وأباه وَجَدَهُ .



وهذه نسخة توقيع شريف بكتابة درج مجديداً ، وهى :

رُسم ... - لا زال يَمُنح الأولياء ، بتجديد النعم إحساناً ، ويؤلى البلاء ، فضلاً
يُعلِّم لهم رُبَّةً وَشَاناً ، ويُسدِّى لهم فى ديوان إنشائه الشريف فضائل جَمَّةً وَيَاناً -
أن يجدد هذا التوقيع الشريف باسم فلان مجدداً لأنوار الإحسان إليه ، وتأكيده
لمزايا الامتنان لديه ، وتسديداً لمستنده الذى ألقاه وجه الإقبال إليه ؛ لما حازه من
فضيلة تامة ، وبلاغة ملأت بديع المعاني ومعاني البديع الفاظه وكلامه ، وكناية
أجرت فى حواشى الطروس بحقق التوقيعات أقلامه ، وأمانة بنت على الصديق
والعقاف أنسامه ؛ ورياسة تأتل مجئها ، فبلغ مرآته ، واتصل سعدُها ، فلا يمتشي
أنفصامه ، وبُعد شأوها فهى السامية إلى رفع المنازل من غير سامة . قد أنصف من
البراعة بجعل الأوصاف ، وظهر استحقاقه فهو بإد غير خاف ؛ وترؤى من بحر البلاغة

حيثُ وردَ منها الصَّاف، وسلَّك طُرُق الخير فتضاعفَ له الإسعاد والإسعاف،
وأمتازَ بزيَاة التَّجَمُّل في أُمُورِهِ والمَقَاف؛ وأستحقَّ بذلك أن يُجَدِّدَ له فضلُ الألفه،
وتؤكدُ له بكرمنا نبلاَ أعتاده وعرفه .

فليستَمِرَّ في ذلك استِمْراراً به أسبابُ الخير مؤثِّفه، ووجوه الفضائل عن صنوف
الكتابة غيرِ منصرفه؛ وليُثبِّد من البَلَاغة بَيانها البديع، ويُمجِّل منزلَ العلياءِ الرفيع؛
ويَسَلِّك مسلكه في الأمانه، ويتَّقَى الله تعالى بملازمة المُرَاقِبَةِ والدِّيَانَةِ، والله تعالى
يُعَلِّي مكانه، ويزيدُ في أَقْبَتَاء الفضائل إمكانه؛ والأعتادُ على العلامة الشريفة أعلاه،
إن شاء الله تعالى .

قلت ورجماً كُتِبَ التوقيع لكاتب الدَّرَج زيادةً معلوم، فيحتاجُ الكاتبُ إلى أن
يأتى بعبارة تجمع إلى ما تقدّم من براعة الاستهلال ما يليها من موجب الاستحقاق،
وسبب الزيادة وتراوَّف الإحسان .



وهذه نسخة توقيع بشهادة الخزانة، كُتِبَ به لابن عبادة، وهى :

أما بعدَ حِمدِ الله الذى أفاضَ على الأولياء من خزائن قَضِيهِ، وأفادَ لهم أوفرَ نصيب
من إحسانه المشكورِ فيه عدلُ قِسْمِهِ وقِسْمَ عدلِهِ، وأهمى عليهم من مَحَبِّ مواهبِهِ
ما يَقْصُرُ عنه النِّعَمُ في وِبلِهِ وظلِّهِ، وأسبغَ عليهم من جُوده المِيم ما يَصِفُّو لِسَبِّهِ المِرْحُ
في وأرِيفَ ظِلِّهِ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه ورسوله أشرفِ رُسُلِهِ، وخاتم
مَن جاء من الأنبياء من قبْلِهِ، والهادى يبعثُهُ الشريفة إلى طُرُقِ الحق وسُبُلِهِ؛
وعلى آلِهِ ومَحَبِّهِ الذين تابَعُوهُ في قولِهِ وفعلِهِ، وبايَعُوهُ على المظاهرة في نُصرة الدين

الْحَنِيفَ وَأَهْلِهِ ، وَجَمَعُوا هِمَّتَهُمْ عَلَى الْإِثْمَانِ كَلِمَةِ الْإِيمَانِ وَجَمَعَ شَيْئُهُ ، وَأَرْهَفَ كُلِّ
 مِنْهُمْ فِي نَصْرِهِ ماضى عَزَمَهُ وَنَصَلَهُ - فَإِنَّ أَوْلَى مِنْ رُعيَةٍ لَهُ حَقُّوقُ ذِمَّامِهِ ، وَمُنِحَ
 أَجْرُ الْعَطَاءِ الَّذِي تَقْضَى الْأَقْدَارُ بِدَوَامِهِ ، وَلَوْ حَظَّ بَعَيْنُ الْإِقْبَالِ مَا أَسْلَفَهُ مِنْ حُسْنِ
 الطَّاعَةِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَإِلِمَامِهِ - مَنْ جَدَّ فِي الْخِدْمَةِ فَانْصَحِي الْجَدَّ لَهُ خَادِمًا ، وَدَاوَمَ عَلَى
 الْمُنَاصَحَةِ فَتَدَا سَعْدُهُ دَائِمًا ؛ وَأَخَذَ مِنْ كُلِّ فَضِيلٍ بِزِمَامِهِ ، وَمَتَّ بِمَالِهِ عَلَى الدَّوْلَةِ
 الشَّرِيفَةِ مِنْ حُرْمَتِهِ وَذِمَّامِهِ ؛ وَسَلَكَ فِي آدَاءِ الْأَمَانَةِ السَّبْتَ الْقَوِيمَ ، وَجُعِلَ عَلَى خَزَائِنِ
 الْأَرْضِ بِمَا تَلَا لِسَانُ فَضْلِهِ : (إِنِّي حَفِيقٌ عَلِيمٌ) ؛ وَتَمَسَّكَ مِنَ الْإِخْلَاصِ بِأَقْوَى
 الْأَسْبَابِ ، وَجَعَلَ لَهُ التَّقْوَى مَحَلًّا يُدْخِلُ عَلَيْهِ مَلَائِكَةَ الْقَبُولِ مِنْ كُلِّ بَابٍ ، وَزَيَّنَ
 سِمَاءَ الْمَعَالِ بِكَوَاكِبِ مَجِيدِهِ فَاشْتَوْفَ إِلَيْهَا طَرَفُ مُتَطَاوِلٍ إِلَّا وَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ .

ولما كان فلان هو الذى غذا حسنُ مناقبه إلى شكره مُرَشِدًا ، وإلى ذكره
 بالجميل مُسْعِدًا ، وألحجَّ لسانُ القلمِ في وصفه مُنْشِدًا ؛ وَأَخْتَصَّ مِنْ هَذِهِ الْحَمْدِ بِأَوْقَرِهَا .
 قِسْمًا ، وَطَلَعَ فِي أَفْقِ هَذَا التَّنَاءِ الْجَمِيلِ نَجْمًا ، فَلَنَدِكَ رَسْمٌ

ومنها ... استيفاء الدولة .

وموضوعُهَا التَّحَدُّثُ فِي كُلِّ مَا يَتَحَدَّثُ فِيهِ الْوَزِيرُ وَنَاطِرُ الدَّوْلَةِ ، وَضَبْطُ الْأَمْوَالِ
 الدِّيوانِيَّةِ ، وَكِتَابَةُ الْحُسْبَانَاتِ ، وَكُلُّ مَا يَجْرِي بِجَرَى ذَلِكَ . وَقَدْ جَرَتْ الْعَادَةُ أَنْ
 يَكُونَ فِيهَا مُسْتَوْفِيَانُ .

وهذه نسخة توقيع باستيفاء الدولة :

أما بِمَدِّ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي صَانَ الْأَمْوَالَ بِالْأَقْلَامِ الْمَحْرُورَةِ ، وَالْدِفَاتِرِ الْمُسْطَرَّةِ ،
 وَالْحُسْبَانَاتِ الْمَصْدَرَةِ ، وَالْجُلوامِ الْمُسَيَّرَةِ ، وَالتَّيَقُّظِ الَّذِي أَسْتَخْرِجُ الْبُوقَ الْمُنْكَسِرَ ،

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أزال ظلام الظلم وتَوَرَّه، وبما الجور وغيره،
وأيد الحق وأظهره، وعلى آله البرره، وصحبه خصوصا العشرة المبشّره - فإنَّ للدولة
الشريفة من الأقاليم ضابطا، ولها من الحساب نظاما أصبح عليها سَيَّاجًا وحائطا،
يصون الأموال أن تكون بأيدى الخاشعين نُهْيًا، ويُحرزُ المطلقات بُدًا وقُرْبًا ؛
وقلم الاستيفاء هو الذى إذا طاشت أقاليمُ الكُتُب كان في رأسها لحاما، وإذا
خَصِمَ المباشرون بالمتصرف قِيلَ السائق الصحيح وردَّ ما كان سقيا ونُجِرَ ما لم
يكن مَمَّاما .

ولما كان فلان هو الذى فى الرأسة كبير معروف، وفى السعادة حميدٌ موصوف،
وفى قلبه تصحيحٌ كلِّ مصروف، وله فى الدولة آثارٌ مرضيةٌ تشكرها الأقاليم
والشيوخ ؛ ما نظر فى حساب، إلا أزال عنه ما به يُعَاب ؛ ولا رأى فذلك،
إلا وأوَّحَ فيها المسالك ؛ ولا عَرَضَ باقٍ، إلا استخرج ما يتعين استخراجه بقلبه
الراقى، وفهمه الواقع ؛ فلذلك رسم أن يستقر

فلما شرهذه الوظيفة بتحريره وتعبيره، وتمييزه وتثمينه، وتوفيره وتكثيره، وإيراده
وتصديره، وتسهيله وتيسيره، وإزالة تعسيره ؛ وإذا أمسك دفتاره، أظهر ما ثره،
وإذا أُسِيت الجملُ أبدى تذاكره، والعمدة على شطبه فى الحسابات الحاضرة،
فلا يخرج من عنده شىءٌ بغير ثبوت فإنَّ التواقيع الشريفة والمراسم الشريفة هى
كألا مثال سائرته ؛ ولا يتخذ المعين، إلا الأيمن، ولا يستعين، إلا بمن هو مأمونٌ
اليمين ؛ والوصايا كثيرةٌ وهو غنى عن التبيين، فليتق الله رب العالمين، وليستجلب
لنا الأدعية من الفقراء الصالحين ؛ فإنَّ صدقاتنا الشريفة تُنعم عليهم بمرتبات
وأرزاق، ويتم وأطلاق، فليسهل عليهم الصعب فى كلِّ باب وإطلاق، والله تعالى
يُثِدُّه بالإرفاق ؛ بمنتهى وكرمه، إن شاء الله تعالى .

قلت : وقد يكتب لوظيفة استيفاء الدولة مفتعها «رسم» .

وهذه نسخة توقيع من ذلك باستيفاء الدولة، كُتب به لعلم الدين بن ريشة ،

وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لا بَرَحْتُ أياها الشرفَةُ تُرَفِّعُ لِلدَّوَى الكفاءة مِنْ إحسانها
عَلَمًا ، وَتُرجِعُ مصالحَ الدولة إلى مَنْ أَحسنَ فيها خِطابًا وأَعَمَلَ في مُهمَّاتها قَلَمًا ،
وتُختارُ مِنْ دَأْبٍ في تَكْييلِ أَدَوَاتِهِ حتَّى صارَ على أنظاره مُتَقَدِّمًا - أن يَرْتَبَ فلانَ عِلْمًا
بكفائته التي وَجَّهَتْ ، وِدْرأيتِه التي فَاقَتْ مُناظرَها وَرَجَّحَتْ ، وأَمَانَتِه التي حَصَلَتْ
النَّجاءَ وأَرَبَّحَتْ ، وهِمَّتِه التي مَيَّزَتْ الأموالَ بِإِحرازِها فعلى السَّدادِ خُيِّمَتْ وبِالتَّحَرَّى
أَقْبَحَتْ .

فليأشُرْ هذه الوظيفة التي تحتاج إليه باحتراز مثله ، والزَّيَّة التي يتعين على مُباشرِها
إِصْصالُ كُلِّ حقٍّ إلى أهله ، قد أَرَجَعْنَا ضَبْعَها وتَحَرَّرَها إليه ، وأَعْتَمَدْنَا في تيسيرِ
أُمُورِها وسَدِّ أحوالِها عليه ؛ فهو جديرٌ ببلوغ القصد فيا قُرُوناه لَدَيْهِ ، وَحَرُوناه
بِقَلَمِهِ وَيَدَيْهِ .

فليُسَبِّطْ في مصالحِ الدَّيوانِ المعمُورِ وأُمُورِها قَلَمَهُ ، وَلْيَعْمَلْ بما هو عالمٌ مِنْ تبيينِ
حقائِقِ أحوالِ وَظِيفَتِهِ وَيُخْلِصْ فيه قَوْلَهُ وَكَلِمَهُ ؛ وَلْيُصْنِ الأُمُورَ ، وَيَتَفَقَّدْ ما يلزمُ
العُمالِ ، وَيَحْتَضِرْ على حَوْلِ بَيْتِ المالِ ؛ وَلْيَسْتَرْفِعِ الحُسْبانَاتِ مِنْ جَهاَتِها على العادة ،
وَلْيَسْتَوْدِعْ دَفاتِرَها وَجَرائِدَها مِنْ يَتَحَقَّقُ تَحَرُّزُهُ وسَدِّادُهُ ، وَلْيَتَخَذْ مُعِينَهُ مِنْ أَربابِ
الحِذْقِ والدَّرَايَةِ والأَعْلَاجِ على كُلِّ نَقِصٍ وزِيادَةٍ ، وإِبْداءٍ وإِعْطاءٍ ، وله مِنْ نَفْسِهِ
مَالا يَحْتَاجُ معه إلى زِيادَةِ الوصايا وَتَكثيرِها ، وَمِنْ المَعْيَةِ ما يُدْرِكُ به الفِضْلَ
في جليلِ الأُمُورِ وَحَقيرِها ؛ فَإِنَّهُ قد تَخَلَّقَ بِأَخلاقِ أَهلِ الأَدَبِ ، وَشارَكَ في جليلِ

الخطب وسد ما إليه عزمه آتدب؛ والله تعالى يلقه من الجود غاية الأرب،
ويعينه على صالح العمل وأتهاز القرب؛ والاعتقاد...

ومنها - استيفاء الخصاص . وصاحبها في الخصاص كستوفى الدولة في ديوان الوزارة .

وهذه نسخة توقيع باستيفاء الخصاص لمن لقبه «أمين الدين» وهى :

رسم بالأمر الشريف - لا زالت أيامه الشريفة تُقدم بمهماتنا أمينا ، وتقدم
في خدمتها من أضى معل شيملا ويمينا ؛ وتوئى الرب السنية من جعل التحرز لقلبه
مصاحبا ولكلمه مئينا - أن يستقر فلان في كذا : لما عُرف من رأسه التى
ميزته ، وأمانته التى جمعت الرقع فأحرزته ؛ وضبطه الذى ترقى به في المراتب وتتقل ،
وإدراكه الذى يصبون به غوامض المصالح ويمقل ؛ ولما سلف له من خدمة ملك
فيها السداد ، ومباشرة علم بها ماهو متصف به من حسن الاعتقاد .

فليأشر هذه الوظيفة التى وليها ، وليشهر من همته فيها ما يرفع مكانته ويملها ؛
وليؤيد المراقبة لمصالح ديوان الخصاص الشريف فى كل قول وعمل ، وليسارع إلى
ما يفيد المناجح ويبلغ من الضبط والتحرز غاية الأمل ؛ وليصن الأموال من صباها ،
ويحافظ على سلوك طرائق الحق وأتباعها ؛ وليسترفح الحسابات من أربابها ،
ويتفقد محرراتها التى هو أعلم وأدرى بها ؛ ويتخذ من معينه من أضحت معرفته
للدقائق جامعها ، ويحتفل بمتحصلات أموال الخصاص بعزته التى أضحت لمكانته
رافعه ، لا سيما فخر الإسكندرية التى قد أصبحت جهاتها لطلب أعلامه متباعدة
طامعه ، وليكريم كل عامل بتحرير ما يجب عليه وما تلبى فيه المراجعة ؛ فإننا قد أقمناه
لذلك مستوفيا ، ولينصفح أموره الجلييلة والحقيقة مستوفيا مستغنيا ؛ ولتبقى الله

الذى يبلغه من زيادة متحنا الأمل، ويعينه على صالح العمل، وانه تعالى يمنه من الخير ما يُنحس مسعا وينزهه عن الزيف والزلل، والاعتماد



وهذه نسخة توقيع في المعنى لمن لقبه «بدر الدين» وهى :

رسم بالامر الشريف - لازال يُطلىح لدوى الكفاية من إحسانه في سماء الإقبال
بدرًا، ويرفع لمن أم الأبواب لأوليائه من دوى الراسة قدرا، ويشفع لمن شكرت
معرفة بفتح القصد فأنشرح له بالمتن الجملة صدرا - أن يستقر فلان في كذا :
لكفايته التي حُطِب بسببها إلى مقَره ، ودرايته التي استوجب بها أن نطق لسان
القلم بذكره ، وزاخرته التي أجمعت بها أمثاله على شكره ، وأمانته التي تستدعي الحق
في حلو الأمر وممره ، ودرايته التي هى أصل في كل أمره ، وصيائته التي يستمدّها
في سرّه وجهره ، ومشارفته المصالح بعين يقظته التي يلوح لها وجه الصواب فيقف
عند حدّه وقدره .

فليأشر هذه الوظيفة التي أسلفها حسن الاعتماد ، وليوفّها من موهود يقظته بمن
الاجتهاد ، وليحقق حسن ظنّ المبشرين في رغبته^(٢) فيه في الإنصاف في الإرفاق
والإزفاد ، وليعمر جهات الأموال بحيل الإقتصاد ، ويُنجز الأحوال على سبيل
السداد ، وليتبع منهاج الخير في كل ما يأتيه من إصدار وإيراد ؛ فقد رجع ضبط
هذه الجهة إليه ، وأعتد في تحريرها عليه ؛ فليصن الأموال ، ويتفقد ما تحسن به
العسقي والمآل ؛ وليتحرر في جميع ما هو لازم له أن يكون على الحق الواضح ، والسّنن
القويم فإنه المتجر الرابح والمآب الناجح ؛ وتقوى الله تعالى فهي عمدة كل عبيد صالح ،

(١) لله من أوليائه دوى الخ .

(٢) لله «درغبتهم فيه من الانصاف» الخ تأمل .

والوصايا كثيرةٌ مَبْنِيَّةٌ تُنْفَى عن إقصاح الشارح؛ والله تعالى يُلْهِمُهُ الطَّرِيقَ السَّيِّدَةَ وَيُرْشِدُهُ، وَيُعِينُهُ بِالتَّوْفِيقِ وَيُجِيبُهُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .
ومنها - آسِفَاءُ الْبُيُوتِ وَالْحَاشِيَةِ .

وهذه نسخة توقيع بَلْكَ ، كُتِبَ بِهَا لَعَلَّ الدِّينَ «شَاكِر» عَوْضًا عَنْ تَاجِ الدِّينِ
ابن الغزولى فى الأيام الأشرفية «شعبان بن حسين» وهى :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتْ صَدَقَاتُهُ الشَّرِيفَةُ تَمْنَحُ الْكَفَاءَ مِنْ إِحْسَانِهَا
نِعْمًا، وَتَضَاعِفَ لَمْ مِنْ عَطَائِهَا كَرَمًا، وَأَيَّامُهُ الشَّرِيفَةُ تَعْمُ الْبُيُوتَ الْكَرِيمَةَ بِكَافٍ
قَدْ تَشَرَّتْ لَهُ الْأَمَانَةُ فِي دَوْلَتِهِ الْأَشْرَفَةِ صَلَافًا، وَمَوَاهِبُهُ تَقْدَمُ لِلْوَطَانِ مَنْ أَعْجَى
شَاكِرًا لِلَّهِ تَعَالَى وَتَبَسُّطًا لَهُ فِي دَوَاوِينِ أَعَزِّ الْأَنْصَارِ قَلَمًا - أَنْ يَسْتَقِرَّ الْمَجْلِسُ السَّامِى
الْقَاضِى، فَلَنْ الدِّينَ فِي كَذَا وَكَذَا : لِأَمَانَتِهِ الْمُؤَفَّرَةِ، وَمَعْرِفَتِهِ الْمُشْهُورَةِ، وَعَاصِيَتِهِ
الْمَذْكُورَةِ، وَسِيرَتِهِ الْمُشْكُورَةِ، وَكَلَامِهِ الَّتِي أَمْنَحَتْ فِي صَفَحَاتِ الْحُسْبَانَاتِ
مُسْطُورَةِ، وَدِيَانَتِهِ الَّتِي جَلَدَتْ بِهَجَّتِهِ وَسُرُورِهِ، وَخَيْرِيَّتِهِ بِمَنَازِلِ الْبُيُوتِ الْمَعْمُورَةِ ؛
وَقَدِمَ هِجْرَتِهِ فِي الْوَطَانِ الَّتِي أَوْجَبَتْ ثَقْلَتَهُ إِلَى أَجْلِهَا، وَصَدَارَتِهِ الَّتِي رَفَعَتْهُ إِلَى
أَرْفَعِ عُلَاهَا، كَمْ لَهُ فِي دَوَاوِينِ أَعَزِّ الْأَنْصَارِ مِنْ أَقْلَامٍ مَقْدُودَةٍ، وَأَرْأَى مُسَدَّدَةٍ، وَنَظِيرِ
أَصْلَحَ بِهِ كُلِّ فَاسِدٍ، وَكَبَّتْ بِهِ كُلِّ حَاسِدٍ، وَضَبِطَ لِأَصُولِ الْأُمُورِ، وَنَبِذَ لِلْمَصَالِحِ
فِي الْبُكَرِ وَالْأَصَالِ .

فَلْيَا شَرُّ هَذِهِ الْوُظَيْفَةِ الْمُبَارَكَةِ الَّتِي هُوَ أَخْبَرُ بِمَبَاشَرَتِهَا، وَأَعْلَمُ بِأَحْوَالِ الْبُيُوتِ
الْكَرِيمَةِ وَعِمَارَتِهَا؛ وَلِيُظْهِرَ فِي الْحَاشِيَةِ السَّعِيدَةِ مَا تَرَاهُ الْحَسَنَةَ، وَتَزَاهَتِ الَّتِي نَطَقَتْ
بَشَكْرِهَا الْأَلْسِنَةَ، وَلِيُبَيِّنَ فِي مَبَاشَرَتِهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ، وَلِيَسْلُكَ طَرِيقَ الْأَمَانَةِ،
وَلِيَقِفَ آثَارَ ذَوَى الْعَفَافِ وَالصَّبِيَانَةِ ؛ وَلِيَلْزِمَ مَبَاشَرَةَ أَعَزِّ وَلِيٍّ فِي الْمَسَاءِ وَالصَّبَاحِ،

ولا يشغله شاغلٌ عن مصالح مَهْمَدِ الدُولِ مَنْ [هو] لسلطاننا الأشرف أميرِ سلاح ،
والله تعالى يفتح له من الخير أبوابَ النّجاح . والاعتقادُ على الخط الشّريف أعلاه ،
إن شاء الله تعالى .

قلت : ومِمَّا يخطرُ في سلكِ تَوَاقيعِ أربابِ الوظائفِ السلطانيةِ وظائفُ
دواوينِ الأُمراءِ الخاصيّةِ ، فإنّه ربما كُتِبَ عن السلطانِ التوقيعُ لبعضِ أربابِ
وظائفِ دواوينهم كما يكتُبُ في الوظائفِ السلطانيةِ .



وهذه نسخةُ توقيعِ كريمٍ بنظرِ دواوينِ بعضِ الأُمراءِ ، وهى :

أما بعدِ حيدِ الله الذى هدى إلى المِلَّةِ المحمّديةِ مَنْ أَسْرَ الإيمانَ في قلبه وَتَوَاه ، وَصَمَّ
إلى الأُمَّةِ [الاسلاميةِ] من أضرّ الإخلاصِ فأظهره اللهُ في متقلّبه ومثواه ، وجمعَ لوليّ
الدولةِ ومُخلصِها الفرجَ والفرحَ لأنّه مَنْ تَوَكَّلَ عليه كَفَاهُ ؛ والشهادةُ بالوحدانيةِ التى
تُبَلِّغُ قائلَها من رضاه مُناه ، وتجعلُ جَنّاته لمن أَسَرَّها جَنّاته مستقرّه ومأواه ؛ والصلاةُ
والسلامُ على سيدنا محمّدٍ الذى قَصَمَ عِذَاه ، وقَصَمَ عُرا مَنْ عاداه من أهلِ الشّركِ
وعِذَاه . وعلى آله وصحبه الذين آهتَدُوا بهِذَاه ، وأَسْتَجَدُّوا جَدَّاه ؛ وَلَبَّوْا نِدَاءَهُ ، وَأَمَّوْا
نِدَاءَهُ ؛ صلاةٌ تُجْزِلُ لمصلّيا ثوابه ، وتُجَمِّلُ ما بهِ ، وتُجَمِّدُ عُقباه - فإنَّ أَوَّلِيَّ مَنْ رَفَعَ لَهُ
الكَرَمَ مَحَلًّا ، وَقَلَدَتْهُ النِّمَّ عَقْدًا مَحَلًّا ؛ وَأُعِيدَ لِي رتبةُ الإِصْطِفَاءِ ، وفُوضَ إليهِ ديوانُ
أَعزِّ الأَخْصَاءِ ؛ وَصُرِّفَ قَلَمُهُ فى مَهَامِهِ ، وحصلتْ هِمَّتُهُ على جميعِ أَقْسَامِهِ ؛ وَعُدِّقَتْ
مصالحُهُ بتدبيره ، ومناججُهُ بتأثيله وتأثيره ؛ ومتحصِّلُهُ بتمييزه وتخييره ، وأحوالُهُ
وأموالُهُ : هذه بِحُسْنِ تصرُّفه وهذه بِحُسْنِ تَقْرِيره - مَنْ دَخَلَ فى دينِ الله الْقَوِيمِ ،
وَأَجْتَبَاهُ وهذاهُ إلى الصُّراطِ المستقيمِ ؛ وَكَسَاهُ الإسلامُ حِلَّةَ شرفه ، وَبَوَّاهُ الإيمانُ

مَبَانِي غُرْفَه ، وَنَوَى الاسْتِقَامَةَ فِي إِقَامَتِهِ وَمُنْصَرَفَه ؛ وَالتَّحَفَ بِجَلَابِيبِ الْإِسْلَامِ
وَأَرَقَدَتْ ، وَتَلَبَّسَ بِالْإِيمَانِ فَصَدَّ عَنْهُ الْإِدْتِي وَرَدَّ الرَّدِّي ، وَغَدَا مِنْ أَصْحَابِ الصَّرَاطِ
السَّوِيِّ وَمِنْ أَهْتَدَى ؛ مَعَ كِفَايَةِ أُوجِبَتْ لَهُ التَّقْرِيبُ وَالتَّقْدِيمُ ، وَجَدَدَتْ لَهُ مَلَأْسَ
التَّكْبِيرِ وَالتَّكْرِيمِ ؛ وَكَتَابَهُ فَاقَى بِهَا أَمَثَالَهُ ، وَعَلَا مِثَالَهُ ، وَبَلَّغَتْهُ مِنَ الْعِلْيَاءِ مَرَامَهُ وَمَنَالَهُ ؛
وَمَعْرِفَةٍ بَفُنُونِ الْحِسَابِ ، وَخِبْرَةٍ أَعْتَرَفَ لَهُ بِهَا الشُّكَّابُ وَالْحُسَّابُ ، وَأُوجِبَتْ لَهُ مِنْ
الْإِقْبَالِ مَا لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِ .

وَمَا كَانَ مَجْلِسُ الْقَاضِي فَلَان : هُوَ الَّذِي أَخَذَ الْقَلَمَ فِي مَدْحِهِ ، وَالذِّكْرُ فِي مَنَحِهِ ؛
أَقْضَى رَأْيَنَا الشَّرِيفُ أَنْ نُقِيلَ عَلَى إِقْبَالِهِ عَلَى الدِّينِ بَوَجهِ الْإِقْبَالِ ، وَأَنْ نَبْلِّغَهُ
فِي أَيَّامِنَا الشَّرِيفَةِ مَا كَانَ يَرْجُوهُ مِنَ الْأَمَالِ . فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِأَزَالِ
يَرْفَعُ مَنْ كَانَ لِلدَّوْلَةِ وَلِيًّا ، وَيَضَعُ الشَّيْءَ مَحَلَّهُ بِتَقْدِيمِ مَنْ أَحْصَى عِرْفَانُهُ جَلِيًّا .

فَلْيُبَاشِرْ ذَلِكَ بِمَبَاشَرَةٍ تَبْلُغُهُ أَمَلًا مِنَ الْإِعْتِلَاءِ ، وَتُوَلِّهِ مَرَامًا مِنَ الْإِعْتِنَاءِ ، وَتُؤَمِّنَهُ
مِنْ طَوَارِقِ الزَّمَنِ وَوَحَاوِدِ الْإِعْتِدَاءِ ، حَالًا بِأَنَّ دَوْلَتَنَا الْفَلَانِيَّةَ الْمَنْصُورَةَ تُجَازِي
عَنِ الْحَسَنَةِ بِأَمثالِهَا ، وَأَنَّ أَيَّامَنَا الْفَلَانِيَّةَ الْمَشْهُورَةَ الْمَشْكُورَةَ تَبْلُغُ أَوْلِيَاءَهَا غَايَةَ
أَمَالِهَا ؛ وَأَنَّا أَجْرَلْنَا رِزْقَهُ ، وَأَجْلَلْنَا ذِكْرَهُ ، وَأَجْرَيْنَا عَلَى لِسَانِ الْقَلَمِ حَمْدَهُ وَشُكْرَهُ ؛
فَلْيَعْتَمِدْ فِي مَبَاشَرَتِهِ الْأَمَانَةَ الْمُجَرَّهَ ، وَالتَّزَاهَةَ الَّتِي رَفَعَتْ مَاسَاءَهُ وَوَضَعَتْ مَاسَرَّهُ ؛
وَلْيَسْتَمِرْ فِي مَصَالِحِ هَذَا الدِّيَوَانِ السَّعِيدِ عَنْ سَاعِدِ اجْتِهَادِهِ ، وَيَعْتَمِدْ فِي أُمُورِهِ مَا أَلْفَ
مِنْ سَدَادِهِ ، وَيَتَحَرَّ مِنَ السَّعَادَةِ مَا كَانَ قَبْلَ الْقَوْلِ مِنْ سَعَادَةٍ ، وَلْيَتَّقِ اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ،
وَيَحْصِلِ التَّقْوَى حَلِيَّةً لِأَوْقَاتِهِ ، وَحُلَّةً عَلَى سَائِرِ تَصَرُّفَاتِهِ ؛ وَلْيَمِزْ بِتَقْوَاهُ سِرًّا خَبْرًا
وَحُبْرًا ، وَيَذَرْ جَوْرًا وَجَبْرًا ، (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا) .

(١) أَنْ يَسْتَعْرِضَ دِيَوَانَ كَذَا الْخَطِّ وَحَلَفَ اخْتِصَارًا الْكُتَابَةَ وَكَثِيرًا مَا يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ .

قلت : وغالب ما يُعْتَنَى به في تَوَاقِعِ أَرْبابِ الْأَقْلَامِ الْمُفْتَحَةِ : «رُسِمَ» الدَّعَاءُ الْمَصْتَدِرُ بِهِ التَّوَاقِعَ [و] أَشْتَمَلُهُ عَلَى بَرَاةِ الْأَسْتِهْلَالِ .

وهذه جملة أدعية من ذلك يُسَجَّحُ عَلَى مَنَوالِها :

أثير الدِّينِ — لازالَ فَلَكَ فَضْلُهُ أَثِيراً ، وَطالِعَ سَعْدُهُ مُثِيراً ، وَهُبُوبَ رِيحِ مَبَرَّاتِهِ لِلْخِبراتِ مُثِيراً .

أمين الدِّينِ — لازالَ يَتَنَبَّأُ لِلْخِدَمِ الشَّرِيفَةِ خَيْرَ آمِينَ ، وَيُصْطَفِي لِلْقِيَامِ بِالْمَصَالِحِ أَنْهَضَ مُعِينٍ ، وَيَجْتَنِي لِأَهْلِ الْمِهْمَاتِ مَنْ هُوَ غَيْرُ مَتَمٍّ فِي الْمَنَاحَةِ وَغَيْرُ طَلَبِينَ .

بدر الدينِ — لازالَ يُؤَلِّى الْمَنَاصِبَ الدِّينِيَّةَ مِنْ سَلَكٍ فِي التَّزَاهَةِ مَسْلُكاً جَمِيلاً ، وَيُؤَلِّى الْفَضْلَ الْجَزِيلَ مَنْ أَحْصَى إِشْرَاقَ بَدْنِهِ عَلَى آثَارِ حَفْظِهِ دَلِيلًا .

برهان الدينِ — لازالَتْ أَوَامِرُهُ الشَّرِيفَةُ تَرْفَعُ لِلْعُلَمَاءِ شَانًا ، وَتُحْمِلُ عَلَى اسْتِحْقَاقِهِمْ دَلِيلًا وَاحْضًا وَبُرْهَانًا .

تاج الدينِ — لازالَتْ صِدْقَاتُهُ الشَّرِيفَةُ تَرْفَعُ تَاجَ الْفَضَائِلِ عَلَى الرُّؤُوسِ ، وَبِرِّهِ الشَّامِلِ يَذْكِي الْنُفُوسَ وَيُزَكِّي الْفُرُوسَ ، وَتَوَارِدُ إِفْضَالُهُ يُوشِي الْمَهَارِقَ وَيُدَبِّجُ الطُّرُوسَ .

تقي الدينِ — لا زالَتْ صِدْقَاتُهُ الشَّرِيفَةُ تَقْدِمُ كُلَّ نَفْسٍ ، وَتُرَجِّحُ مِيزَانَ مَنْ هُوَ بِالْفَضَائِلِ أَمْلَى مَلِيٍّ ، وَتَرْفَعُ قَدْرَ مَنْ إِذَا سُئِلَ عَنْ مَحَلِّهِ فِي الرِّيَاسَةِ قِيلَ عَلَيْهِ .

جمال الدينِ — لازالَ جَمَالَ جَمِيلِهِ لِلنُّفُوسِ رَاقِعًا ، وَإِفْضَالُهُ لِلْمُتَوَافِرِ لِكُلِّ إِفْضَالٍ سَابِقًا .

جلال الدين — لازالت صدقاته الشريفة تزيد جلال ذوى الفضل
جلالا، وإحسانه المتواثر يوسع في البر لأولى المستحقين مجالا، ويزه المتتابع تقصير
عنه خطأ كل رتيبى : هكنا هكنا وإلا فلا لا .

رضى الدين — لازال رضى السجيا ، ظاهر المزيا ، مسترسل ديم
المطايا .

زين الدين — لازال نواله الشريف زينا لناله ، وسؤاله المحقق إجابته
شرقا لسائله ؛ وقاصد بابه الشريف يوم بالخبر في طابل الأمر وإجله .

مراج الدين — لازالت عنايته الشريفة تخص أوليائها بجزيل المواهب ،
وتبقيهم من صدقاتها العامة غايه الآمال وأقصى المطالب ، وتوقد لهم من أنوار
سعادتها سراجا يقلب على نور الكواكب .

سرى الدين — لازالت صدقاته الشريفة تصطفى من أرباب الكتابة
من يحميد المعاني فلا يضع لفظا إلا جعل تحته معنى سريا ، وترضى من قوسان
البراعة في ميدان البراعة من يرتقى ببلاغته مكانا عليا ، وتجنح من أهل الإجابة من
تميز بالإفادة فلا يزال كلامه لأجياد الطروس حليا .

شرف الدين — لازالت صدقاته الشريفة تضع الشيء في محله ، وترجع
الفضل إلى مستحقه وأهله ، وتختار للناسب من ظهر شرفه بين قوله وفعله .

شمس الدين — لازالت صدقاته الشريفة تطلع في سماء المعالي من ذوى
الرياسة شمسا ، وتعمه الجسمة تبيت في روض الإحسان غرسا ، ومراسمه العالية
تنقل إلى رتب الرياسة من شلت كفه على عدد الأمانى شمسا .

شهاب الدين - لا زالت صدقاته الشريفة تُطْلِع في أَهْلِهَا شهاباً، وتُجَمِّل من جِزِلِ المواهب للأمانِيَّ سَحَاباً، وتَضَعُ الشَّيْءَ في محله وتَزِيدُ الأمورَ انتظاماً والدعاءَ استِجَاباً .

صدر الدين - لا زالت آراؤه الشريفة تستجيد من ذَوِي الفضائل مَنْ جَاوَزَ الجَوَازَ نَفْلاً وفاقَ الثَّغَرَةَ ^(١) قَرّاً، وتستفيدُ به المناصب من الأمانِلِ مَنْ قَهَّصَ عن مجده الكواكبُ رُفْعَةً وَقَدَّرَا، وتستريد منه المراتب من فاقَ سَحَابَانَ وإِثْلَ وسادَ الأوائلِ فَأَضْحَى في مجالسِ العلياءِ صَدْرَا .

صلاح الدين - لا زال أمره الشريفُ يَقدِّم من يُفِيدُ وَيُجِيدُ، فيكون لكلِّ أمرٍ صَلاحاً، وكرمه الطويلُ المديدُ، يَشمَلُ من ذَوِي الفضائلِ مَنْ فاقَ "سَحَابَانَ" وإِثْلَ فصاحةً وفاقَ "حَاتِمَ" الأوائلِ سَمَاحاً، ورأيه الرشيدُ السديدُ، يَنْتَازُ مَنْ إِذَا انْتَضَى البراعةَ غَلَبَ رأيه سَيُوفَا وطالَ قَلْبُهُ رِمَاحَا .

ضياء الدين - لا زالت آراؤه الجميلةُ، تَخْتَارُ من ذَوِي الفضائلِ الجليَّةِ من تَرِيدُ به المناصبِ ضِيَاءً، ونِعْمَةُ الجزيلةُ، تُمِّمُ كُلَّ بَارِعٍ إِذَا ادْلَهَمَتِ الخُطُوبُ كانَ قُوَّةُهَا جِلَافاً، وعوارفه المستطيلةُ، تَشمَلُ كُلَّ فَاضِلٍ بَدَلًا في الخدمةِ جُهْدَهُ وَتَكْشُوهُ هَيْبَةً وَجْهًا .

علم الدين - لا زال جِزِلُ إحسانه، أَوْضَحَ من نَارِ عَلِيٍّ عَلمَ، ومزِيدُ آمِنَتَانِهِ، يَشمَلُ أَرْبَابَ السيفِ والقَلَمِ، وَحُجُبُ بَنَانِهِ تَسُحُّ فَلَاحُ تَسُحُّ بِجِزِلِ الكَرَمِ .

علاء الدين - لا زال عِلَاءُ ذَوِيهِ يَصْطَلِي ذَوِي الفضائلِ، وَيَخْتَارُ من المُفَصِّحَاءِ من يَفُوتُ الأَوَانِحَ كُلَّ أَضْحَى يَفُوتُ الأوائلِ، وَيَقْدِّمُ مَنْ هُوَ في تَدْيِيرِ البراعةِ كَهَلِيٍّ بِنِ هَلَالٍ وَفِي حُسْنِ البراعةِ كَسَحَابَانَ وإِثْلَ .

(١) لله « وتستفيد للمناصب وتستريد في المراتب الخ » - تأمل .

عز الدين — لا زالت صدقاته الشريفة تزيد ذوى الأعلام، من جزيل
الإناعام، فَيُلْهِمُ عِزًّا، وتَسْجِدُ من مُكَلِّبِهَا الأعلام، من خُصِّ بِجواهر الكلام،
فَكُلُّ حُسْنٍ إلى كَلَامِهِ يُعْزَى، وتُسْتَفِيدُ من نُجْبَاءِ الأَيَّامِ، كُلُّ بَارِعٍ كَانَ كَلَامُهُ زَهْرَ
الرِّجَامِ، فلو خاطب نَحْبَانٌ لأورثته قُصُورًا وعَجَزًا .

عماد الدين — لا زالت آراؤه الشريفة تُتَّخَذُ من نُجْبَاءِ الكُتُبِ، عِمَادًا،
وتُخْتَارُ من ذَوَى الفضائل في الخِطَابِ، مَنْ تَجِدُ لِكَلَامِهِ حُسْنًا وسَدَادًا، وتُقدِّمُ
من أهل الفضل في السؤال والجواب، مَنْ لَا تَعْدَمُ في كُلِّ مقاصده رَشَادًا .

عصبة الدين — لا زالت صدقاته الشريفة تجعل من إناعامها، لُحْدَامِهَا،
حُصْدًا، وتُلَحِّظُ بين إكرامها، وحسن احترامها، مَنْ طَال في الفضل مَدًى، وتَزِينُ
مطالع أيامها، بِشُموْسِ أَعْلَامِهَا، فلا تَرَى مثْلَهُمْ أَحَدًا .

غرس الدين — لا زالت صدقاته الشريفة تُنْبِتُ في روض الإحسان،
من أَرْبابِ البَيَّانِ، غَرْسًا، وتُجَنِّبُ من كِبَامِ اللِّسَانِ، أَزَاهِرَ النُّكْتِ الحِسانِ،
وتَزِينُ بِهَا طَرِيسًا، وتُفَيِّضُ من مَوَاهِبِ البَيَّانِ، مَا يَشْهَدُ لَهَا بِجَزِيلِ الإِمْتِنَانِ،
فَيُطِيبُ كُلَّ أَمَلٍ نَفْسًا .

غياث الدين — لا زالت صدقاته الشريفة تُبْدِي لكلَّ أَمَلٍ غِيَاثًا،
وَتُضْفِي ظِلًّا على مَنْ أَسْتَجَارَ بِهَا وَأَسْتَغَاثَهَا، وتُطِيقُ السُّنَّ أَقْلَامِهَا، بِمَوَاهِبِ إِنْعَامِهَا،
فَتَبْدُلُ طَرِيقَهَا وَرِثَاتَهَا .

فتح الدين — لا زالت صدقاته الشريفة تُخَيِّرُ من ذَوَى الأعلام، مَنْ
يَفْتَحُ أَبْوَابَ الكَلَامِ، فَنَمَّا، وَتَهَبُ جَزِيلَ الإِنْعَامِ، لِمَنْ يَسْتَحَقُّه من الكُتُبِ الأعلام،

فَيَنَالُ بِذَلِكَ شَأْنَهُ وَرِجَاءَهُ، وَتُحْتَرَبُ بِيَدِ الْعَيْنَةِ وَالْإِكْرَامِ، مِنْ قَوَى الرِّاسَةِ وَالْإِحْتِرَامِ،
مَنْ هُنَّ عَلَى الْبَلَاءِ قَدْ حَا.

نفس الدين - لا زالت آرائه الشريفة تُصَبِّبُ فِي الْمَنَاصِبِ، مَنْ يَزِيدُ
بِحُسْنِ مَبَاشَرَتِهِ نَجْرُهَا، وَيُحْطَى ظُهُورَ الْمَرَاتِبِ، مَنْ إِذَا أَظْلَمَتِ الْأَيَّامُ لِعَدَمِ فَاضِلِ
ظَهَرِ بَفَضِيلَتِهِ بَحْرُهَا .

قُطْبُ الدِّينِ - لَا زَالَتْ صِدْقَاتُهُ الشَّرِيفَةُ تُدِيرُ عَلَى قُطْبِ الْبَلَاغَةِ مِنْ
أَرْبَابِ الْيَرَاعَةِ مُجُومًا، وَتُسِيرُ بِعَيْنَيْهَا إِلَى مَنْ حَازَ مِنَ الْفَضْلِ قُنُونًا وَأَحْيَا مِنَ الْآدَابِ
رُسُومًا، وَتَتِيرُ بِدُورِ سَعْدِهَا لِمَنْ لَمْ يَزَلْ قَلْبُهُ لِأَسْرَارِ الْمُلْكِ كَتُومًا .

كَرِيمُ الدِّينِ - لَا زَالَتْ صِدْقَاتُهُ الشَّرِيفَةُ تَسْمَلُ مِنْ قَوَى الْفَضَائِلِ
مَنْ عُدَّ فِي فَضْلِهِ وَأَصْلِهِ كَرِيمًا، فَتَقْتَمُ مَنْ لَا لَهُ فِي الْبَلَاغَةِ مِمَّا نِلَّ فَلَا يَزَالُ بِكُلِّ
فَنٍّ حَلِيمًا، وَتُتَصَّبُ فِي الْمَنَاصِبِ مَنْ فَاتَ قَيْسَ الْأَوَائِلِ رَأْيًا وَفَاقَ قَسَا بِحَسَبِ
بَلَاغَتِهِ قَدِيمًا .

كَمَالُ الدِّينِ - لَا زَالَتْ سَعَادَتُهُ الْبَاهِرَةُ، تُطْلِعُ فِي سَمَاءِ الْعُلْيَاءِ مَنْ فَاقَ
الْبُذُورَ كَمَالًا، وَأَوَامِرُهُ الْقَاهِرَةُ، تُقَدِّمُ أَسْنَى الْبُلْغَاءِ جَلَالًا، وَاسْمُ صِدْقَاتِهِ الْوَافِدِ،
تُحْمُ مِنْ قَوَى الْفَضَائِلِ مَنْ زَادَ الْمَنَاصِبَ بِحُسْنِ مَبَاشَرَتِهِ مَهَابَةً وَجَمَالًا .

مُجِيدُ الدِّينِ - لَا زَالَتْ صِدْقَاتُهُ الشَّرِيفَةُ تَمْلِكُ أَعْنَةَ الْأَقْلَامِ، مَنْ تَرَاهُ لَهَا
تَجْدًا، وَتُودِعُ بِمُجِيدِ الْأَيَّامِ، مِنْ جَوَاهِرِ الْفَضْلَاءِ حَقْدًا، وَتَشْمَلُ بِأَيْدِيهَا الْكِرَامَ،
مَنْ إِذَا جُمِعَ الْبُلْغَاءُ كَانَ بَيْنَهُمْ فَرْدًا .

محبي الدين — لازالت أوامره الشريفة تشمل من البلاء من شهر بفضل الخطاب، وإذا ماتت الفضائل يُحييها، وغيث جوده الهامى يفيض فيض السحاب، فيبادر العفاة ويحييها، وعنايته ثم ذوى الألباب، فتمهد رتب العز وتبهيها .

موفق الدين — لازالت صدقاته الشريفة تطلع كل هلال من آهتدي به كان موفقا، وتملك اليراع من يزرى باين هلال ألى كتب: رقاعا ومحققا، وتفيض لراجبا أفضل نوال من شبهه بالغيث كان محققا .

ناصر الدين — لا زال يُقرب من أخصى لأهل الكلام، بمهرقات الأعلام، ناصرا، ويهب طويل الإنعام، لمن باعه مديد في الثر والنظام، فسا برح فضله وإفرا، ويتخبط من قدا شريعا لعادات الكرام، مضاربا لصفات الكُتاب الأعلام، وأصبح في البيان نادرا .

نجم الدين — لازالت أوامره الشريفة تطلع في أفق السعادة، من ذوى السيادة، تجم، وتمم بجزيل الإفاده، من عريف بالفضل والإجاده، وفاق أقرانه تزا ونظا، وتسمع من عنايتها بالإراداه، لمن هو أهل الحسنى وزياده، فتجزل له من كرمها قسما .

نور الدين — لازالت صدقاته الشريفة تم نوال، من هو في البراعة متيسع القبال، فيزيد الكلام نورا، وحسناته تشمل ذوى الآمال، بما يُجند في البئه والمآل، فتملأ القلوب سرورا، ومبراته تصل أولى الكمال، وتخصب أخيار العمال، فلا يرح أنفذ الملوك أمورا .

(١) في الاصل «الرهام» ويظهر انه تحريف .

نظام الدين - لا زال يتغير من كان في الناس مجيدا ، وفي البيان مجيدا ،
فحسن لفظه نظاما ؛ ويهب من بره مزيدا ، لمن كان في الخدمة مزيدا ، فلا ينقص
للتصبية ذماما ؛ ويدل كرمها مزيدا ، لمن يراه في الفضل مبدئا ومعيدا ، فإز نفازا
وطاب كلاما .

همام الدين - لا زال يرتضى من هو في قرمان البراعة أنهض همم ،
ويتنقى وعد كرمه لمن نهض في الرئاسة نهوض أهتمام ، ويتنقى عضد ذهنه^(١)
فيصيب مفصل كل كلام .

ولي الدين - لا زال يحل أجياد المناصب من ذوى البلاغة ، بمن يحسن
في الكلام السبابة ، فينظمه حليا ، ويحل كرب المراتب من قرمان البراعة ، بمن
راح فضله ولفظه جليا ؛ ويولى المناصب من غدا في البيان وافر البضاعة ، فاتخذته
الأقلام وليا .

(١) ليل الصواب مسد كثير : تأمل .

الضرب الرابع

(من الوظائف التى يكتب فيها بالديار المصرية مَشِيخة الخوانق ،

وكلها يكتب بها توقيع)

وهى على طبقات :

الطبقة الأولى

(ما يكتب فى قطع النصف بـ «المجلس العالى» مفتتحا بـ «الحمد لله»

وهو مَشِيخة الشيوخ خاصة)

وأعلم أن مَشِيخة الشيوخ كانت فيما تقدم تُطالِق على مَشِيخة الخانقاه الصلاحية ،
«سعيد السعداء» فيكتب فيها بذلك . ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن بنى السلطان
الملك الناصر «محمد بن قلاوون» الخانقاه الناصرية بسرايوقس ، استقرت مَشِيخة
الشيوخ على من يكون شيخا بها ، والأمر على ذلك إلى الآن .

وهذه نسخة توقيع مَشِيخة الشيوخ بالخانقاه الصلاحية «سعيد السعداء»
بالقاهرة المحروسة باسم الشيخ شمس الدين بن النخجوانى ، من إنشاء المقر الشهابى
أبن فضل الله العمري ، وهى :

الحمد لله مرق أوليائه ، وموق أصفيائه ، وملى كلمة الإخلاص لمن تلقى سرها
المصون عن أنبيائه .

نحمد على مصافاة أهل صفائه ، وموافاة نعمنا لمن تمسك بعهود وفائه ، وسلك
فأصبحت رجالا كالجواهر لا تنتظم فى سلكه ولا تعد من أكتفائه ، وطالع للدين شمساً
يأبى الشمس بضيائه ، ويأهل البدر التمام فيتغير تارة من نجمه وتارة من حياته .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نُسَلِّحُهَا دُخْرًا لِقَائِهِ ، ونفرا
بَاقِيًا بِقَائِهِ ، رَاقِيًا فِي الدَّرَجَاتِ الْعُلَى بِارْتِقَائِهِ .

ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله مبلغُ أنبائه ، ومَسَوِّغُ الزَّلْفَى لِأَحِبَّائِهِ ؛
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُم بِإِحْسَانٍ مِنْ أَهْلِ وَلَّائِهِ ، وَمَنْ عَرَفَ بِهِ اللهُ
لَمَّْا تَفَكَّرْ فِي آيَاتِهِ ، صَلَاةٌ يُؤْمَلُ دَوَامُهَا مِنْ تَعَاهِهِ ، وَيُؤْمَنُ عَلَيْهَا سُكَّانُ أَرْضِهِ
وَسَمَائِهِ ؛ وَسَلَّمُ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فإنَّ أَوَّلَى مَا أَسْتَقَامَ بِهِ [الشخص على] الطَّرِيقَةِ ، وَاسْتَدَامَ بِهِ الرَّجُوعَ
إِلَى الْحَقِيقَةِ ، وَأَسْتَامَ بِهِ بِطَمَئِنٍّ إِلَى خَالِقِهِ لَا إِلَى الْخَلْقَةِ ؛ وَحَفِظَ أَفْقَهُ بِبَرٍّ تَسْتَضِيءُ بِهِ
النِّيرَاتُ ، وَتَوَّءَ تَنْقَسِمُ بِهِ الْغَائِمُ الْمُطِطَرَاتُ - طَائِفَةُ أَهْلِ الصَّلَاحِ ، وَمِنْ مَعَهُمْ مِنْ
إِخْوَانِ أَهْلِ الصَّفَاءِ الصُّوفِيَّةِ دَائِعَى الْفَلَاحِ ؛ وَمِنْ تَضَمُّنِهِمْ مِنَ الْوَارِدِينَ إِلَيْهِمْ إِلَى
جَنَاحِ ، وَالصَّادِرِينَ عَنْهُمْ بِجَنَاحِ ؛ وَمِنْ تَفَتُّحِ لَهُ فِيهِمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَتَمْنَحُ بِفَعْمِهِمْ
عَامَةُ الْخَلْقِ مَلَايِسَ النِّمَاءِ ؛ وَمَنْ يُكْشَفُ بِهِ جُلُوعُهُمْ جُوعُ كُلِّ ظَلَامٍ ، وَيُكْشَفُ
بِتَوَجُّهِهِمْ عَارِضَةُ كُلِّ بَدَرٍ تَمَامٌ ؛ وَيُسْتَشْفَى بِرِكَائِهِمْ مِنْ دَاءِ كُلِّ سَقَامٍ ، وَيُسْتَشْفَى
بِدَعَائِهِمْ إِذَا قَصَرَ النَّبَلُ وَقَصَّ جَنَاحَهُ الْقَامُ . وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللهِ وَأَحِبَّائُهُ ، وَبِهِمْ يَتَعَلَّلُ
كُلُّ لَبِيبٍ هُمْ سَقَامَةٌ وَهُمْ أَطْيَاؤُهُ ؛ أَنْحَلَهُمُ الْحُبُّ حَتَّى عَادُوا كَالْأَرْوَاحِ ، وَأَشْغَلَهُمُ
الْحُبُّ بِصَوْتِ كُلِّ حَمَامٍ شَجَاهُ لَمَّا غَنَّى وَبَرَّحَ بِهِمْ لَمَّا نَاحَ ؛ وَأَطْرَبَهُمْ كُلُّ سَمْعٍ
فَوَجَدُوا بِكُلِّ شَيْءٍ ائْتِجْنَا ، وَعَلَيْهِمُ الْهَوَى فَاستَعْدَبُوا أَنْ لَا يَلَامُوا وَسَنًا ، وَمِثْلَ فَرْطٍ
الْكَلْفِ لَهُمُ الْأَحْبَابُ فَمَا رَأَوْا لَهُمْ حَالًا إِلَّا حَسَنًا ، وَأَتَمَّلُوا تَكَرُّرَ الذِّكْرِ كَيْ تَقْلُوبَهُمْ
فَمَا عَلِمُوا غُرْبَةً غُرْبَةً وَلَا وَطَنًا وَطَنًا ؛ قَرِيبَتِ الْحُبَّةِ لَهُمْ فِي ذَاتِ اللهِ كُلِّ مُتَبَاعِدٍ ،
وَأَلْفَتْ أَشْتَائَتَهُمْ فَاخْتَفَتِ الْأَسْمَاءُ وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ .

والخلفاء الصلاحية بالقاهرة المحروسة المعروفة بـ «سعيد السعداء» - قدس الله روح واقفها - هي قُطْب نجومهم السائر، ومرآة كُرْ أُنْلايْكم الدائر، وإليها نَحْطُ رَحَالُ سُفَارهم، وعليها نَحْطُ رَحَالُ أَسْفَارهم؛ تَضْطَرِبُ فِرْقَهُم في البلاد وإليها مَرِجُهُم، وعليها يَجْتَمِعُهُم، وفيها مواضع خُلُواتهم، ومطالِعَ جَلُواتهم، ومكانُ صَلَاتِهِم، وإمكانُ صَلَاتِهِم؛ ومَشْرِقُ شُؤسهم، ومُؤَرِّقُ غُرُوسهم؛ وَمِنْهَاجُ طَرِيقَتِهِم، وَمِعْرَاجُ حَقِيقَتِهِم؛ مَأْوَى هذه الطائفة الطائفة في شرق البلاد وغربها، وبُيُوتِهَا وَقُربِهَا، وَتَحِيَّاتِهَا وَغُرْبِهَا، وَمَنْ رَفَعَ بِحُجُوبِهَا أَوْ هُوَ بِحُجُوبِهَا بِحُجُوبِهَا، وَالْمُؤَهَّلَةُ وَالْعَرَابُ، وَأَهْلُ الْإِقْتِرَابِ، هِيَ فَيْسَحُهُم الرِّحْبُ، وَصَفِيحُهُم الْقَرِيبُ، وَمِثَالُهُمْ إِذَا اجْتَمَعُوا فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى زُمَرًا، وَاخْتَرَقُوا الْمَهَامَةَ وَمَا جَازُوا بَيْدَاءَ وَلَا جَابُوا مُقْفَرًا، وَبَلَقُوا الْغَايَةَ وَمَا أَبْجَحَ رِكَابُهُمْ حَادٍ فِي لَيْلٍ سُرَى، وَوَصَلُوا وَمَا فَارَقُوا فَرَقَهُمُ الْمُهْمَدَةَ إِلَى مَا وَرَاءَ الْوَرَى؛ شَرْطُ كُلِّ خَافِقِهِ أَنْ لَا تَفْلُقَ فِي وَجْهِهِ مِنْ يَنْزِلُ فِيهَا أَبَا، وَلَا تُطِيلَ جَهَاتُهَا الْمُتَمَنِّعَةَ لَهُ حِيَابًا، وَلَا تُجِبَلْ مَقَامَاتُهَا الْمَرْفُوعَةَ لَهُ قَبْلَ (١) ...



وهذه نسخة توقيع بمشيخة الشيوخ، وهي مشيخة الخلفاء الناصرية بسرياقوس، مما كُتِبَ بذلك للشيخ نظام الدين الأصفهاني، من إنشاء السيد الشريف شمس الدين :

الطُورَةُ

توقيع شريف بأن يفوض إلى المجلس العالي، الشيخ، النظامي، إسماعيل بن الشيخ المرحوم جلال الدين طيسم، ابن الشيخ المرحوم سعد الدين محمد الأصفهاني

القرشي الشافعي - أدام الله النفع ببركته - مشيخة الخلق السعيدة الناصرية
بسير ياقوس - قدس الله روح وإقفاها - ومشيخة الشيوخ بالديار المصرية والبلاد
الشامية والحلبية ، والفتوحات الساحلية ، وسائر الممالك الإسلامية المحروسة ، على
عادته في ذلك وقاعدته ومعلومه ؛ وأن يكون ما يخص بيت المال من ميراث كل
من يتوفى من الصوفية بالخلق سير ياقوس للشيخ نظام الدين المشار إليه ، بحيث
لا يكون لأمين الحكم ولا ليدوان الموارث معه في ذلك حديث ، وتكون أمور
الخلق المذكرة فيما يتعلق بالمشيخة وأحوال الصوفية راجعة للشيخ نظام الدين
المشار إليه ، ولا يكون لأحد من الحكام ولا من جهة الحسبة ولا القضاة في ذلك
حديث معه ، ولا يشهد أحد من الصوفية ولا يتكسب إلا بإذنه ، على جاري عادته
في ذلك على ما شريح فيه ، وأوله :

الحمد لله على نعمه التي ألقت للصلحين من جاده نظاما ، وأسألت للصلحين
إلى مراده إحراما ، وصرفت أوامرنا بالعدل والإحسان لمن قوض أموره إلى ربه
فأنجح له من مزيد التأييد مرادا ومراما ، وعظمت بأوجه إقبال الحسان على من
هو متبر عن دنياه ، متوجه إلى آخره ، يمضي نهاره صياما وليله قياما .

نحمد على أن جعلنا نزعى للأولياء ذماما ، وقسعى بالتعاليهم ابتداء وإماما ،
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ترفع للخلصين في طين مقامات ،
وتدفع بأعمال الصديق عن التوكفين عليه بأسا وأسقاما ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده
ورسوله الذي جعله للتقين إماما ، وفضلته على النبيين إجلالا وإعظاما ، وكله
بالسمات المكرمات ، والصفات المشرفات ، مما لا يضاهاى ولا يسامى ، صلى الله عليه
وعلى آله الذين شرفوا إضافة إلى نسبه الشريف وأنفضاها ؛ ورضى الله عن أصحابه

الذين عَرَفُوا الْحَقَّ فَبَدَّلُوا فِي إِقَامَتِهِ أَجْتِهَادًا وَاهْتِمَاءً، صَلَاةً مُجَمَّلًا أَفْتِنَا حَا وَاجْتِنَانَا،
وَتُجَزِّلُ إِرْبَاسًا وَإِسْلَامًا، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد، فَيَسْمُنَا الْعَدْلُ وَالْإِنصَافُ، لِمَنْ لَهُ يُمْنُ الْأَعْرَاقِ أَنْصَالٌ وَبُحْسَنُ
الْأَخْلَاقِ أَنْصَافٌ، وَمِنْ كَرَمِنَا الْفَضْلُ وَالْإِسْعَافُ، لِمَنْ لَاحِقَاءُ فِي تَعِينِهِ لَتَصْدِيرِ
التَّقْدِيمِ وَتَكَرُّرِ التَّكْرِمِ وَلَا خِلَافٍ، وَمِنْ تَعْيَانِنَا الْجَمِيلَةِ أَنْ لَا تُضَاعَ حَقُوقُ مَنْ
هُوَ فِي الزَّهَادَةِ وَالْعُبُودِيَّةِ إِمَامٌ، لِأَلْسِنَةِ الْإِيَّامِ، بِحِلَاءِ الْحَسَنِ إِقْرَارٌ وَأَعْتِرَافٌ، وَلِزَايَانَا
جَمِيلُ الْحَافِظَةِ، وَجَلِيلُ الْمَلَاخِظَةِ، لِمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ التَّوَكُّلِ فَلَهُ أَتَّصَرَّ بِاللَّهِ
تَعَالَى وَأَتَّصَفَ: لِأَنَّهُ الْعَرِيقُ الْأَسْلَافُ، الرَّفِيقُ بِالضَّعَافِ، الْحَقِيقُ بِتَوْفِيرِ التَّوْفِيقِ
الَّذِي لَهُ بِمَرَكَاتِهِ الْمُبَارَكَةِ أَكْتِنَافٌ، الْمُطِيقُ التَّهْوِضَ بِأَعْيَاءِ الرِّيَاسَةِ: لِأَنَّ الْقُلُوبَ
عَلَى عَمِيَّتِهِ أَسْلَافُ، السَّبُوقُ إِلَى غَايَاتِ السَّلَوَاتِ الَّذِي يُخَفِّفُ بِهِ فِي بُلُوغِ أَمَادِ
الْإِسْعَادِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى الْطَافِ، وَالصَّدُوقُ النَّبِيُّ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى فَكَمْ وَالِي لِنَهَائِهِ الزِّيَادَةِ
وَالِإِسْتِنَافِ .

وَكَانَ الْمَجْلِسُ الْعَالِي الشَّيْخِي، الْإِمَامِي، الْكَبِيرِي، الْعَالِمِي، الْعَامِلِي، الْأَوْحَدِي،
الْقُدُّوسِي، الْوَرَعِي، الزَّاهِدِي، النَّاسِكِي، الْخَالِصِي، السَّالِكِي، الْأَصِيلِي، الْعَرِيقِي،
الْقَوَامِي، الْعَالَمِي، النَّظَامِي: بِجَمَالِ الْإِسْلَامِ وَالْمَسَالِمِ، شَرَفُ الْعُلَمَاءِ فِي الْعَالَمِينَ،
أَوْحَدُ الْفَضْلَاءِ، قُدُّوهُ الْمَشَايِخِ، مَرَبِّ السَّالِكِينَ، كَثَرُ الطَّالِبِينَ، مَوْجِعُ الطَّرِيقَةِ،
مَبْنِي الْحَقِيقَةِ، شَيْخُ شَيْوخِ الْمَارِفِينَ، بَرَكَهُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ، وَلِيُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ،
إِسْحَاقُ بْنُ الشَّيْخِ الْمَرْحُومِ فَلَان - أَدَامَ اللَّهُ النَّفْعَ بِرِكَاتِهِ - هُوَ الْمَقْضُومُ أُمُورِهِ إِلَى
رَبِّهِ، الْمُعْرِضُ عَنِ الدُّنْيَا بِبَاطِنِهِ وَقَلْبِهِ، الْمُتَعَوِّضُ بِمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ فَضْلِهِ فَمَا زَالَ
الْإِيثَارُ مِنْ شَأْنِهِ وَدَّاهُ، إِلَى إِخْوَانِهِ وَصَحْبِهِ، فَهُوَ مِنَ الَّذِينَ يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى

حُبِّهِ ، وَيُلهِمُون من العمل المَبْرُور إلى أَقْرَبِهِ من الله وَأَحَبِّهِ ، وَيُقِيمُونَ الظَّلَامَ مع أولياء الله المخلصين وَحِزْبِهِ ، ويستبدعونَ الإِتِّعَامَ من الله تعالى بالإِحْسَانِ إلى عِبَادِهِ ففَرَعُهُمْ لِأَصْلِيهِمْ في صُنْعِهِمْ مُشَبِّهٌ ، ويستَسْلِمُونَ لِأَحْكَامِ الله تعالى وَكُلُّهُمْ شَاكِرٌ لِرَبِّهِ ، على حُلُوِّ الْقَضَاءِ ومُره صَابِرٌ على سَهْلِ الأَمْرِ وصَعْبِهِ ، سائرٌ بِالْصِّدْقِ في شَرْقِ الْوُجُودِ وَغَرْبِهِ ، متأثرٌ على الحق في عَمِّ الخلق وعَمِّهِ .

فلذلك رُسِمَ بالأمر الشريف - لا زال يُوصَلُ الْحَقُّوقُ إلى مَسْحِهَا ، وَيُجَلُّ الوُثُوقُ بمن تَجْعَلُ المَرَاتِبُ الدِّينِيَّةُ منه بَرَقِيًّا - أن يَهْوِضَ إلى المُنَارِ إليه مَشِخَّةُ الخَلْقِ السَّعِيدَةِ النَّاصِرِيَّةِ لِسِرِّ نَاقُوسِ - قَدَسَ الله رُوحَ وافِقِهَا - وَمَشِخَّةُ الشُّيُوخِ بِالديارِ المِصْرِيَّةِ ، وَالبِلَادِ الشَّامِيَّةِ وَالخَلِيجِيَّةِ ، وَالفُتُوحَاتِ السَّاحِلِيَّةِ ، وَسَائِرِ الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُحْرَمَةِ ، على عَادَتِهِ في ذَلِكَ وَقَاعِدَتِهِ وَمَعْلُومِهِ ، وَأَنْ يَكُونَ مَا يُحْصَى بَيْنَ الْمَالِ الْمُعْمُورِ مِنْ مِيرَاثِ كُلِّ مَنْ يُتَوَقَّى مِنَ الصُّوفِيَّةِ بِاخْتِلَافِهَا الْمَذْكُورَةِ لِلشَّارِ إِلَيْهِ ، بِحَيْثُ لَا يَكُونُ لِأَمِينِ الْحَكْمِ وَلَا لِدِيْوَانِ الْمَوَارِيثِ مَعَهُ في ذَلِكَ حَدِيثٌ ، وَتَكُونُ أُمُورُ اخْتِلَافِهَا الْمَذْكُورَةِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالشَّيْخَةِ وَأَحْوَالِ الصُّوفِيَّةِ رَاجِعَةً إِلَيْهِ ، وَلَا يَكُونُ لِأَحَدٍ مِنَ الْحُكَّامِ وَلَا مِنْ جِهَةِ الْحِسْبَةِ وَلَا الْقَضَاءِ في ذَلِكَ حَدِيثٌ مَعَهُ ، وَلَا يَشْهَدُ أَحَدٌ مِنَ الصُّوفِيَّةِ وَلَا يَنْتَسِبُ إِلَّا بِإِذْنِهِ على الْعَادَةِ في ذَلِكَ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ مَعْدُومًا بِنَظَرِهِ .

فَلْيَعُدَّ إِلَيْهَا عَوْدًا حَمِيدًا ، وَلْيُقَدِّمِ الْإِصْلَاحَ مَا لَمْ يَزَلْ مُقْبِدًا ، وَلْيَعْتَصِمِ بِاللَّهِ تَعَالَى مَوْلَاهُ فِيمَا تَوَلَّاهُ وَقَدْ آتَاهُ اللَّهُ تَبْدِيدًا وَتَسْلِيدًا ، وَلْيُشْهِدْ بِهَا مِنَ الْقَوْمِ الْمُبَارِكِينَ مَنْ [كَانَ] عَوْدُهُ قَبْلَ الصُّومِ عِيدًا ، وَهُوَ أَعَزُّهُ اللهُ تَعَالَى الْمَسْعُودُ الْمُبَاشِرُهُ ، الْحَمْدُ

المُعَاثِرَة ، المشهودُ منه اعتقادُ الاجتهادِ فى الدنيا والآخرة ؛ المعهودُ منه النفعُ التامُ ، فى فقراء مصر والشام ، فكَم أثر الخير وآثره ، وكَثُر البرُّ وواتره ، ويَسُر السيرَ الحسن الذى لم يَرِج لسانُ الإجماعِ شاكِرَه .

ونحنُ نُوصِيه عملاً بما أمر الله تعالى به رسوله صلى الله عليه وسلم فى كتابه المبين ، بقوله وهو أصدقُ القائلين : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وإن كنا نتحقق ما هو عليه من العلم والدين ، والحكم الرشيد ، والزهد والورع اللذين نحنُ منهما على بينة وبيّن ، باتِّباعِ شروطِ الواقفين ، والإمتاعِ بالمؤارفِ أولياء الله العارفين : فإنه ما زال حيثُ خُلِّ فى جميع الآفاق ، واصلًا للأرزاق ، مؤاصلاً بالأشواق ، شاملاً بالإرتاق ، عاملاً بالحقِّ فى إيصالِ الحقوقِ لِلدَّوى الاستحقاق . ونأمرهم أن يكونَ لهم على تكريمه اتِّفاق ، وفى متابعتِه اجْتِناع وأتساق ؛ فإنه شيخُ الطوائف ، وإمامُ تَقَبُّسٍ منهُ اللطائف ، وتُكَمِّسُ منهُ الهدايةُ فى المواطنِ والمواقف ؛ واللهُ تعالى يَتَّبِعُ بِرِكَاتِهِ الأئمة ، وَيَسْمَعُ منهُ فى الخَلُواتِ لنا الدَّعَوَاتِ التى تكونُ لأورادهِ المقبولةِ مُفْتِيحةً ومُخَيِّمةً ، ويوصلُهُ بِعَنايَتِهِ التى تَقِيْدُ المَهم وتؤيِّدُ المَهمه ، ويعمله حيثُ كانَ للفقراءِ نعمةً ويُنِى الناسَ رَحْمَةً ، والعلامةُ الشريفةُ أعلاه ، حجةٌ بمقتضاه .

الضرب الخامس

(من أرباب الوظائف بالديار المصرية بالحضرة - أرباب الوظائف
العادية، وكلها تواقع)

وهي على طبقات :

الطبقة الأولى

(من يكتب له في قطع النصف بالمجلس العالي، وهو رئيس الأطباء
المتحدث عليهم في الإذن في التطبب والعلاج والمنع من ذلك
وما يجري هذا الجري)

وهذه نسخة توقيع برياسة الطب ، وهي :

الحمد لله مؤتي الحكمة من يشاء من عباده، ومُعطي أمانة الأرواح من ترقى
في حفظها إلى رتبة اجتياده؛ وجاعل علم الأبدان أحد قسمي العلم المطلق في حالي
اجتياحه وأتفراده، وموفق من جعل نصيح خالق الله فيه سببا لسعادة دُنياه وذخيرة
صالحه ليوم مَعاده، ومبلغ من كان [دائبا] في إعانة البرية على طاعة ربها بدوام الصحة
غاية مرامه وأقصى مُرادِه ، ورافع رتبة من دلَّ اختياره واختباره على وفور علمه
ونجح علاجه وإصابة رأيه وسدادِه .

نحمده على نعمه التي خَصَّتْ بِنِعْمَتنا من كل في نوعه وفصيله وحسن في علمه
وعمله قوله وفعله ، وجمع من أمانة وظيفته ومعرفته ما إذا جلس في أسمى مناصبه
قيل : هذا أهله .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُشْرِقُ البصائر، بأضوائها،
وتُفَرِّقُ الضمائر، باخلاصها من أدوائها، وتُغْشِقُ بَيِّنَاتِهَا أنواء التوفيق فتُتَارِحُ
رياض الإيمان بين رُؤيائها وإزوائها. ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أنارت
ملكته، فلم تخف على ذى نظر، وعلت أدلته، فلم يتلها من فى باع رويته قصر،
وبهرت معجزاته فلو حاولت الأنفاس حصرها أفناها العي والحصر؛ صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه الذين كانوا لأدواء القلوب علاجا، وللسبليل الإيمان مراحا،
وللبصائر السائرة فى دُجى الشبهات سراجا؛ صلاة دائمة الإقامه، متصلة الدوام إلى
يوم القيامة؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد : فإن صناعة الطب علم موضوعها حفظ الأبدان النفيسة، ومقصودها
إعانة الطبيعة على حباية الأعضاء الرئيسة؛ ومدارها الأعم، على معرفة العوارض
وأسبابها، ومداركها الأعم، الوقوع على الصواب فى معرفة الحسوم وأوصابها؛ وحيث
تفاوت رتب أهلها عند تشعب مداركها، واختلاف مسالكها؛ وتشابه علاجها،
والتناس صوابها بحللها؛ إذ لا يميز ذلك حق تمييزه إلا من طال فى العلم بتجربه،
وحسن فى رتب هذا الفن تصدُرُه؛ وطابق بين نقله وعلاجه، وعرف حقيقة كل
مركب من الأدوية ومفرد بعينه وأسمه وصفته ومراحه؛ وتكررت عليه الوقائع
فعرفها دُرية وأحكمها قلا، ولقب بشجرة التقوى إذ كانت الإقدام على النفوس
قبل تحقق الداء والدواء مذموما شرعا وعقلا؛ ولذلك تحتاج إلى رئيس يُنعم
فى مصالحها نظره، ويُجلى فى منافعها ورده وصدره؛ ويعتبر أحوال أهلها بعمار
فضله، ويُلمز الداخل فيها ببلوغ الحد الذى لا بُد منه بين أرباب هذا الشأن

وأهله ؛ ويعترف لأكابر هذا الفن قدر ما منحهم الله من علم وعمل ، ويسط رحمة المبتدئ إذا كمل نفسه حتى لا يكون له فيها بغير كمال الاستحقاق طمع ولا أمل .

ولما كان المجلس السامى ، القاضى ، الأجل ، الحكيم ، فلان الدين : هو الذى بلغ من العلم غاية مراده ، وأحتوى من هذا الشأن على ما جمع به رتب الفضائل فيه على أنفراد ؛ فلو عاصره « الرئيس » لاعتد عليه فى كليات قانونه ، أو « الرازى » لعلم أن « حاويه » من بعض فنونه ؛ قد حلب هذا العلم أشطره ، وأكل قراءة هذا الفن رموزه وأسطره ؛ وحل أسرار الغامضه ، وأرتوى من شرب رموزه بأنوار لم يسلم غير فكره بروقها الواضحه ؛ وأسلف من خدمة أبوابنا العالیه سفرا وحضرا ما اقتضى له مزية شكره ، وتقاضى له مزيد التنبيه على قدره والتنبؤ به بذكره ؛ ومجيد فيه الفريدان : صحة نقله وإصابه فكره ، وعلم أنه جامع علوم هذه الصناعة فلا يشد منها شئ ، عن خاطره ولا يغيب منها شئ عن ذكره .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال شهاب فضله لايما ، وشباب بره هاما - أن يكون فلان متولى رئاسة الأطباء بالديار المصرية على عادة من تقدمه .

فليأشر هذه الرئاسة ناظرا فى مصالحها ، مطلعاً من شهاب فضله ما يزين ألقها زينة السماء بمصابيحها ، متفقداً أحوال مباشرتها ، متلمحاً أحوال المستقل بأعبائها والدخيل فيها ؛ سالكا فى ذلك سبيل من تقدمه من رؤسائها ، حاكما فى أمورها بما جرت به العادة المستقرة بين أكابرها وعلمائها ؛ مطارحا من قلمت هجرته فيها بما يقتضى له مراجعة أصوله ، ملزما من ظهر قصوره فيها بالتدرب إلى حد لا يقع منه بدون حصوله ؛ مجيباً فى الإذن لمن أظهر الاستحقاق صلح ما آتاه ، قابلاً فى الثبوت من مشايخ هذه الصناعة من لا يشهد إلا بما علمه ولا يحجر من التدرب

إلا بما رآه ووعاه، متحرّياً في الثبوت لدينه، آذناً بعد ذلك في التصرف إن ترقى علمه باستحقاقه إلى رتبة تعيينه؛ ولعطف هذه الوظيفة حقها من تقديم المبرزين في علمها، وتكريم من منحه الله درجتي قبلها وفهمها، وتعليم من ليس عليه من أدائها المعتبرة غير وثمها وأتمها؛ ومنع من يتطرق من الطرقية إلى معالجة وهو عار من ردائها، وكف يد من يهجم على النفوس فيما غرض من أدائها قبل تحقق دوائها؛ واعتبار التقوى فيمن يتصدى لهذه الوظيفة فإنها أحد أركانها، واختيار الأمانة فيمن يصلح للإطلاع على الأعضاء التي لولا الضرورة المبيحة حرم الوقوف على مكانها؛ وليكن في ذلك جميعه جانبا للهوى، ناوياً نفع الناس فإنما لكرمي مانوى؛ والله تعالى يحق له الأمل، ويسدده في القول والعمل؛ بمنه وكرمه !

قلت : وربما أفتتح توقيعها بهأما بعد حمد الله .

وهذه نسخة توقيع برياسة الطب، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، كُتِبَ بها لـ «شهاب الدين الحكيم» في المحرم سنة تسع وسبعائة، وهى :

أما بعد حمد الله حاسم أدواء القلوب بلطائف حِكْمِهِ، وقاسم أنواع العلوم بين من كل استعدادهم لقبول ما اقتضته حِكْمَةُ قِسْمِهِ؛ وجاعل لباس الأمانة من نعمه التي هى بعد الإيمان أفضل ما أفاض على العبد من ربه وأسبغ عليه من نعمته، والمنزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته، ومقرّب مانأى من الفضائل على من أسرى إليها على مطايا عزمه وسرى لتحصيها على جباد همته، ومأنهم آرائنا بتفويض أمانة الأرواح إلى من أنفق في خدمة الطبيعة أيام عمره فكان بلوغ الغاية في علمها نتيجة خدمته؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى شرح الله بالهدى صدور أمته، وخصه منهم بأعلام كل علم وأتمته، وجلا

بِيقينٍ مِنْهُ عن كُلِّ قَلْبٍ مارَانٍ عَلَيْهِ مِنَ الشُّكِّ وَغُمْتِهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَتَحِيَّهِ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ
 مِنَ الرَّيِّغِ وَالزَّلَّالِ مَا بَجَرَ الْمُسْدَى لَمْ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ وَأَفَاضَ الثَّنَى عَلَيْهِمْ مِنْ أُنْوَارِ
 عِصْمَتِهِ - فَإِنَّ أَوَّلَى الْأُمُورِ أَنْ يُعْتَمَدَ فِيهَا عَلَى طَبِيبِهَا الْخَيْرِ ، وَيُصَانَ جَوْهَرُهَا عَنْ
 عَرَضِ الْعَرَضِ عَلَى غَيْرِ نَاقِلِهَا الْبَصِيرِ ؛ وَتُنْجَى مَوَارِدُهَا عَنْ لَمْ يَعْرِفَ كَيْفَ يَحْتَنِبُ
 مَوَاقِعَ التَّكْدِيرِ ، وَتُرْفَعَ كَوَاكِبُهَا عَنْ لَمْ تُدْرِكْ أَفْكَارُهُ دَقَائِقَ الْحَوَادِثِ وَحَقَائِقَ
 النَّاتِيَةِ - أَمْرٌ صِنَاعَةُ الطَّبِّ الَّتِي مَوْضُوعُهَا الْأَبْدَانُ الْقَائِمَةُ بِالْعِبَادَةِ ، وَالْأَجْسَامُ الْقَائِمَةُ
 بِمَا يَتَعَاقَبُ عَلَيْهَا مِنَ الْحَوَادِثِ وَالزِّيَادَةِ ، وَالنُّفُوسُ الَّتِي مَا عِنْدَهَا إِنْ حَصَلَ فِيهَا
 التَّفْرِيكُ بَدَلٌ وَلَا عَوَضٌ ، وَالْأَرْوَاحُ الَّتِي إِنْ عَرَضَ الْفَنَاءُ لِحَوَافِظِهَا فَلَا بَقَاءَ بَعْدَهُ
 لِلْعَرَضِ ، وَالطَّبِيعَةُ الَّتِي إِنْ خُدِمَتْ عَلَى مَا يُجِبُّ نَهَضَتْ عَلَى مَا يُجِبُّ بِالصَّحَّةِ حَقُّ
 النُّفُوسِ ، وَالْأَمْرُجَةُ الَّتِي إِنْ تَفَرَّتْ لَعَدَمِ التَّائِي فِي سِيَاسَتِهَا أَعْجَزَتْ مِنْ بَرُوضِ .

وَلِذَلِكَ تَغْفِرُ عَلَى كَثْرَةِ أَرْبَابِهَا ، وَتَحْتَاجُ مَعَ غَزَاةِ الْمُتَمَسِّكِينَ بِأَسْبَابِهَا ، وَتُضْطَرُّ
 وَإِنْ أَدْفَعَتْ الضَّرُورَاتُ بِكَثْرَةِ مُتَقِينِهَا ، وَتَشَوُّفُ وَإِنْ وَجَدَ الْجَمُّ الْغَفِيرُ مِنَ
 التَّلَاسُّيْنَ بِأَدْوَانِهَا وَالتَّتَبُّعِينَ فِيهَا - الَّذِينَ يُنِيمُ فِي آخِرِهَا الْكَفَائَةِ النَّظَرُ ، وَيَنْفَعُ
 عَنْ رُفَّتِهَا بِتَطَرُّقِ غَيْرِ أَهْلِهَا الْغَفِيرِ ، وَيَعْرِفُ مِنْ أَحْوَالِ مُبَاشِرِهَا مَا لَا يَكْفِي
 فِي خُبَرِهَا الْخَبَرُ ؛ فَلَا يَقْبَلُ إِلَّا مَنْ عِلْمٌ مِقْدَارَ عِلْمِهِ ، وَوَقْتُهِ مَعَ الْحِفْظِ بِصَحَّةِ نَهْمِهِ ؛
 وَرِضَى عَنْ خُبَرِهِ فِي الطَّبِّ وَأَجْنِبَاتِهِ ، وَاعْتَبَرُ مِنْهُ كُلُّ نَوْعٍ تَحْتَ أَجْنَاتِهِ الْمُتَعَدِّدَةِ
 عَلَى حِدَّتِهِ وَأَفْرَادِهِ ؛ وَجَارَاهُ فِي كَلِمَاتِ الْفَقْرِ فَرَاهُ فِي كُلِّ حَلِيَّةٍ رَاكِبًا ، وَطَارَحَهُ
 فِي فُصُولِ الْعِلْمِ فَوَجَدَهُ بِجَمَلِ أَجْبَاءِ مَا تَفَرَّعَ مِنْهَا تَاهِلُضًا ؛ وَاخْتَبَرُ دُرْبَتَهُ فَوَجَدَهَا مَوَاقِعَ
 لِتَحْصِيلِهِ ، مِطَاقَةً لِمَا حَوَاهُ مِنْ إِجْمَالِ كُلِّ فَنٍّ وَتَفْصِيلِهِ ؛ وَتَبَعَ مَوَاقِعَ دِينِهِ فَوَجَدَهَا
 مَتِينَةً ، وَمَوَاضِعَ أَمَانَتِهِ فَأَلْفَاها مَكِينَةً ، وَأَسْبَابَ شَفَقَتِهِ وَنُصْرِهِ عَرَفَهَا أَنَّهَا عَلَى
 مَا جَمَعَ مِنَ الْأَدْوَاتِ الْكَامِلَةِ مُعِينَةً ، وَبِتَعَيَّنِ أَنْ يَكُونَ هَذَا «الرَّئِيسُ» فِي أَوَانِهِ .

و «الرازى» فى زمانه ، و «الفارابى» فى كونه أصلاً تَتَفَرَّعُ فَنُونُ الْحِكْمِ مِنْ أَفْنَانِهِ ؛
عِلَاجُهُ شِفَاءً حَاضِرٌ ، وَكَلَامُهُ نَجَاةٌ ^(١) مِنْ كُلِّ خَطَرٍ مُخَاصِرٍ ؛ وَتَدْبِيرُهُ لِلصَّحَّةِ تَقْوِيمٌ ،
وَتَصَبُّحُهُ تَتَبُّعٌ لِعُلَمَاءِ الصَّنَاعَةِ وَتَسْلِيمٌ ، وَدُرُوسُهُ ذَخَائِرُ يُنْفِقُ مِنْ جَوَاهِرِ حِكْمِهَا
كُلُّ حَكِيمٍ .

ولما كان المجلس العالى الصِّبْرَى ، الشَّهَابَى : هو المراد بالتعيين لهذه الوظيفة ،
والمقصود بما أُشِيرَ إِلَيْهِ فى استحقاق هذه الرتبة من عبارة صريحة أو كناية لطيفة ؛
وأنه جمع من أدوات هذا الفن ما أَفْتَرَقَ ، وَأَحْتَوَى عَلَى أَصُولِهِ وَفُرُوعِهِ فَاجْتَمَعَتْ
عَلَى أَوَّلِيَّتِهِ الطَّوَائِفُ وَأَتَّفَقَتْ عَلَى تَفْضِيلِهِ الْفَرَقَ ؛ فَلَوْ حَاصِرَهُ «أبقراط» لَقَضَى إِلَهُ
فِي شَرْحِ فُصُولِهِ بِالْقَدِيمِ ، وَلَوْ أَدْرَكَ «جالينوس» لَأَقْتَدَى فِي الْعِلَاجِ بِمَا عَلَّمَهُ بِمَا مَعَ
مباشرة أُلْفِتْ بَيْنَ الصَّحَّةِ وَالتَّقْوَى ، وَمِلَاطِفِيَّةٍ أَشْرَقَتْ مَوَاقِعُ الْبُرْءِ بِهَا فِي الْأَجْسَادِ
لِإِشْرَاقِ الشُّمُوسِ ؛ وَأَطْلَاعِ بِغُورٍ بِهِ مَبْلُغٌ مَا عِنْدَ كُلِّ مَتَصَدِّ لِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ مِنْ
الْعِلْمِ ، وَتَجَرُّبِ الْفَنُونِ لَا يُسَلِّمُ بِهِ لِأَحَدٍ دَعْوَى الْأَهْلِيَّةِ إِلَّا بَعْدَ حَرْبٍ جَدَالٍ هُوَ
فِي الْحَقِيقَةِ عَيْنُ السَّلْمِ - فَرُسِمَ بِالْأَمْرِ الْعَالَى أَنْ يَسْتَقَرَّ فَلَانٌ فِي رِيَاسَةِ الْأَطْبَاءِ
الطَّبَائِعِيَّةِ بِالْدِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَالشَّامِ الْمَحْرُوسِ ، عَلَى عَادَتِهِ وَطَادَةٍ مِّنْ تَقَدَّمَ فِي ذَلِكَ ،
وَيَكُونُ مُسْتَقِلًّا فِيهَا بِمُقَرَّرِهِ .

فَيَنْظُرُ فِي أَمْرِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ نَظْرًا تَبَرُّاً بِهِ الدِّمَّةُ ، وَيَحْصُلُ بِهِ عَلَى رِضَا اللَّهِ تَعَالَى
وَرِضَا رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الشَّقَقَةِ عَلَى الْأُمَّةِ ؛ وَيُعْطَى بِهِ الصَّنَاعَةُ حَقَّهَا ،
وَيُطْلَقَ مِنْ يَدِ مَنْ تَطَاوَلَ إِلَيْهَا بَغِيرُ أَهْلِيَّةٍ رَقَّهَا ؛ وَيَصُونُ النَّفُوسَ مِنْ إِقْدَامِ مَنْ
تَهَدَّمُ بِغَيْرِ خَبَرٍ كَامِلَةٍ عَلَيْهَا ، وَيُنْبَذُ عَنِ الْأَرْوَاحِ تَطَرُّقَ مَنْ يَتَطَرَّقُ بِغَيْرِ مَعْرِفَةٍ
وَإِفْرَةٍ إِلَيْهَا ؛ فَإِنَّ فَارَظَ التَّغْرِيطِ فِي النَّفُوسِ قُلٌّ أَنْ يُسْتَنْدَرَكَ ، وَمَنْ لَمْ يَجْتَمِعْ فِيهِ

أدوات المعرفة الثامة والدین فما ينبغي له أن يدخل في المعالجة قبل الكمال وإن دخل فلا يترك ؛ فإن من لازم صلاح الأرواح صلاح الأجساد ، وإن الداء الذي لا دواء له أن تكون العلة في وادٍ والمعالجة في وادٍ ؛ فلا يقبل في التركة إلا من يتقيد بدينه كوثوقه بعلمه ، ولا يصرف أحداً في هذه الصنعة إلا الذين زكّت أعمالهم قبل التركة ؛ وليشفعها بالامتناعات التي تُسفر وجوه الوثوق بالأهلية عن ألم دقاتها المنكية ، فإن الميان شاهد لنفسه ، ومن لم تتفعه شهادة فعله في يومه لم يتفعه غيره في أمسه ؛ ولا يُمض فيها حكماً قبل استكمال نصاب الشهادة ، وقبل التثبت بعد كمالها : فإنّ المعالجة محاربة للداء والموتُ بجهالة المحارب له شهادة ؛ وليأمر من أُلجئ إلى معالجة مريض لا يعرفه بمتابعة من هو أوفق منه بالتقديم ، ومراجعة من هو أعلم منه به : فإنّ الحوادث قد تختلف (وَقَوْلاً كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) ، وملاك الأمور تقوى الله فليجعلها مجتبه فيما بين الله وبينه ، والاقتدار إلى توفيقه فليصرف إلى ذلك قلبه وعيته ؛ وإلغير يكون إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية منطبّ طبائعي ، أوردتها في "التعريف" قال :

وَيُعْتَرَفُ أَوَّلًا حَقِيقَةُ الْمَرَضِ بِأَسْبَابِهِ وَعَلَامَاتِهِ ، وَيَسْتَقْصَى أَعْرَاضَ الْمَرِيضِ قَبْلَ مُدَاوَاتِهِ ، ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى السِّنِّ وَالْقَصْلِ وَالْبَلَدِ ؛ ثُمَّ إِذَا عَرَفَ حَقِيقَةَ الْمَرَضِ ، وَقَدَّرَ مَا يَحْتَمِلُهُ الْمَزَاجُ مِنَ الدَّوَاءِ لِمَا عَرَضَ ؛ يَشْرَعُ فِي تَخْفِيفِ الْحَاصِلِ ، وَقَطْعِ الْوَاصِلِ ، مَعَ حِفْظِ الْقُوَى . وَلَا يَهَاجِمُ الدَّاءَ ، وَلَا يَسْتَقْرِبُ الدَّوَاءَ ؛ وَلَا يَقْدَمُ عَلَى الْأَبْدَانِ إِلَّا بِمَا يَلَايَمُهُمَا ، وَلَا يَبْعِدُ الشَّبَهَ ، وَلَا يَخْرِجُ عَنْ جَادَةِ الْأَطْبَاءِ وَلَوْ ظَنَّ

(۱) الله تسفر من وجوه الوثوق بالأهلية لأم دقاتها الخ . تأمل .

الإصابة حتى يقوى لديه الظن ويتبصر فيه برأى أمثاله . ولتجنب الدواء ، ما أمكنه
 المعالجة بالغذاء ، والمركب ، ما أمكنه المعالجة بالمفرد ، وإياه والقياس إلا ما صنع
 بتجريب غيره فى مثل مزاج من أخذ فى علاجه ، وما عرض له ، وسنه ، وقضله ،
 وبلده ، ودرجة الدواء . وليحذر من التجربة ، فقد قال أبقراط وهو رأس القوم :
 إنها خطر . ثم إذا اضطر إلى وصف دواء صالح للعلّة نظر إلى ما فيه من المنفعة
 وإن قلت ، وتحمل لإصلاحه بوصف يصلح معه ، مع الاحتراز فى وصف المقادير
 والكليات والكيفيات ، فى الاستعمال والأوقات ، وما يتقدم ذلك الدواء أو يتأخر
 عنه . ولا يأمر باستعمال دواء ، ولا ما يستفرب من غذاء ، حتى يمتحن حقيقة ،
 ويعرف جديده من حقيقه : ليعرف مقدار قوته فى الفعل . ولتعلم أن الانسان هو
 بنية الله وملعون من هتمها ، وأن الطبيعة مكانية وبؤس لمن ظلمها ، وقد سلم
 الأرواح وهى وديعة الله فى هذه الأجسام ، [فليحفظها وليتق الله فى ذلك جميع
 الأقسام] وإياه ثم إياه أن يصف دواء ثم [يكون هو الذى] يأتي به ، أو يكون هو
 الذى يذل عليه ، أو المتولى لمساويله المريض ليستعمله بين يديه ، وفى هذا كله الله
 المنّة ولنا إذ هديناه له وأرشدناه إليه .



وهذه نسخة توقيع برياسة الكشالين^(٢) .

(١) ان زيادة من "التحريف" ص ١٣٩ .

(٢) يمسى بالأصل .

الضرب السادس (من أرباب الوظائف بالديار المصرية)

زعماء أهل الدمة

ويكتب لجميعهم تواقع في قطع الثلث بألسانهم السابقة مفتحة «أما بعد حمد الله» .

ويشتمل هذا الضرب على ثلاث وظائف :

الوظيفة الأولى (رأسه اليهود)

وموضوعها التحدث على جماعة اليهود والحكم عليهم، والقضاء بينهم على مقتضى دينهم وغير ذلك .

وقد تقدم في الكلام على التحل والمثل أن الموجودين من اليهود ثلاث طوائف : وهم الرائيون، والقراءون، والسامرة . وقد جرت العادة أن يكون الرئيس من طائفة الرائيين دون غيرهم، وهو يحكم على الطوائف الثلاث .

وهذه نسخة توقيع براسة اليهود، من إنشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر، وهي :

أما بعد حمد الله الذي جعل أطاف هذه الدولة القاهرة تصطفى لدمتها من اليهود رئيساً فريساً، وتختار لقومها كما اختار من قومه موسى، وتبجح لهم نفوساً كلها فتمت عليهم نفيساً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي، والرسول الذي أجل الوصية بالملي والدني، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما هطل وبلى،

وما نزل وتسمى - فَإِنَّ مَعْلَةَ هَذِهِ الدَّوْلَةِ تَكْتَنِفُ الْمَلَّ وَالنَّحْلَ بِالْأَحْيَاطِ ، وَتُحْمَمُ مِنْ إِنْصَافِهَا وَإِسْعَافِهَا بِأَوْقَرِ الْأَصْبَاءِ وَأَوْفَى الْأَقْسَاطِ ؛ وَتَلْمَهُمْ مِنْ حَادِثِ الزَّمَنِ إِذَا أَشْتَطَّ وَمِنْ صَرْفِهِ إِذَا شَاطَ ، وَتَضْمُهُمْ كَمَا صَبَّتِ الْبُتَّةُ إِلَى جَنَاحِ النُّوَّةِ الْأَسْبَاطِ ؛ لَا تَزَالُ تَرْقُبُ الْإِلَّ وَاللَّهْمَ ، فِي الْمَسْلَمِينَ وَأَهْلِ الدِّينِ ، وَتَقْضِي لَهُمْ بِحُسْنِ الْخَلِيقَةِ وَرِعَايَةِ الْحُرْمَةِ ؛ وَتُيَجِّهُهُمْ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ مَا عَلَيْهِ عُرْهُدُهَا ، وَتَمْنَحُهُمْ مِنْ ذَلِكَ مَا عَلَيْهِ عُرْقُودُهَا ؛ وَتَحْفَظُ نَوَامِيسَهُمْ بِأَحْبَارٍ يُحَدِّثُونَ مَوَادَّهُمْ إِذَا شُوفُوا ، وَتَحْسُنُ مَرَاتِمَهُمْ إِذَا شُوهُوا ؛ مِنْ كُلِّ إِسْرَافٍ إِلَى أَجْمَلٍ لِلتَّوَارَةِ الدَّرَاسَةِ ، وَأَحْسَنَ لَأَسْفَارِ أَنْبِيَائِهِ أَقْبَسًا وَأَجْمَلَ الْتَبَاسَةِ ، وَمِنْ تَبَيُّهِ نَبَاهَتِهِ لِلتَّقْدِيمَةِ فَا طَعِمَ أَجْتِهَادَهُ يَوْمًا حَتَّى صَارَ وَجْهَ الْوَجَاهَةِ فِي قَوْمِهِ وَرَأْسَ الرِّاسَةِ ؛ فَاصْبَحَ مَعْلُومُ النَّظَرِ ، مَعْلُودًا مِنْهُمْ بِكَثِيرٍ ، وَمَوْصُوفًا بِأَنَّهُ فِي شَرْحِ أَسْفَارِ عِبْرَانِيَةِ حَسْرُ الْتَفْسِيرِ ؛ وَأَسْتَحَقَّ مِنْ بَيْنِ شَيْعَتِهِ أَنْ يَكُونَ رَأْسَ الْكَهَنَةِ ، وَأَنْ تُصْبِحَ الْقُلُوبُ فِي عِبَادَتِهِمْ بِحُسْنِ مَنْطِقِهِ مَرْتَبَةً ، وَبِأَنْ يَلْجَأَ إِلَى تَقْيِيفِهِ لِشَيْعَتِهِ تَحْجُبُ عَنَّا نَدِيمَهُمْ عَنْ أَنْ تَقْدُو مَمْنَنَتُهُ .

وَلَمَّا كَانَ فُلَانٌ هُوَ لِحَاسِنِ هَذَا التَّقْرِيطِ بَهْجَةً ، وَلِحَسَدِ هَذَا التَّفْوِيزِ مُهْجَةً ، وَتَمَادَحِ هَذَا التَّنَازُلِ الْمَرِيضِ هُجَّةً ؛ وَلِعَيْنِ هَذَا التَّعِينِ غَمَضًا ، وَلِيَدِ هَذِهِ الْأَيْدِي بَسْطًا وَقَبْضًا ؛ وَلِأَبْكَارِ أَفْكَارِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ مُقَاضِبًا وَمُقْتَضِبًا ، وَمِنْ أُدْنِيَّتِ قِطَافِ النِّمَاءِ لِيَدِ تَقْدِيمَتِهِ «عَلَى غِيْظٍ مِنْ غُصٍّ مِنْهَا» وَأَجْنَى غَضًّا - أَتَقَضَى حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ يُمَيِّزَ عَلَى أَبْنَاءِ جَنْسِهِ حَقَّ التَّمْيِيزِ ، وَأَنْ يُجَاوِزَهُ مِنَ التَّنْوِيهِ وَالتَّنْوِيلِ أَجْمَلُ مَا جِيزَ .

وَرُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِأَزَالِ يَخْتَارُ فَيُجَمِّلُ الْإِخْتِيَارَ ، وَيَقْدُو كَالْفَيْثِ الَّذِي يَمُّ بِنَفْعِهِ الرِّبَا وَالْوَهَادَ وَالْأَشْمَارَ وَالْإِشْجَارَ - أَنْ تَقْضَى إِلَيْهِ رَأْسَةُ الْيَهُودِ عَلَى

اختلافهم : من الرّائين ، والقرائين ، والسامرة بالديار المصرية حماها الله وكلّاها .
فليجمل أسبابهم بالتقوى تقوى ، وغرّوسهم بالتدبير لا تقوى ؛ ومقاصدهم لإيمان جها
شك ولا شكوى ، ولينزل عليهم منّا منّا يسلمهم صنعا حتى لا يفارقوا المنّ والسّلوى ؛
وليتق الله فيما يذرّه ويأتيه ، ويحسن في اجتلاب القلوب واختلاطها تأتيه ؛ وإياه
والتيّة حتى لا يقال : كأنه بعد لم يخرج من التيه .

وجاعة الرّائين فهم الشّعب الأكبر ، والحزب الأكثر ؛ فهاينهم بالرّفق
الأجدى والسّر الأجدر ، ولكونك منهم لا تملّ معهم على غيرهم فيما به من النفس
الأمارة قور .

وجاعة القرائين فهم المعروفون في هذه الملة ، بملازمة الأدلة ، والاحتراز في أمر
الأهله ، فانصب لأمرهم من لم يتوّله حين يتوّله ؛ ومن كان منهم له معتقّد فلا يخرج
عن ذلك ولا يخرج ، ولا يلجم منهم بلجام من نار إنكار من في ليلة سبته [يته]
عليه لا يخرج .

والسامرة فهم الشّعب الذين آذن التنظيف أهله بحروبه ، ولم يك أحدهم
لمعلم لسم ولا مشرب باثو له ولا شرّوبه ؛ فمن قدرّت على رده بلبيل من
منهيك في شروق كل بحيث وغرّوبه ، فارنده من منتهج تحيله عن ذلك وغرّوبه ،
والأقلّ له : ياسامريّ بصرت بما لم تبصروا به . ولكنّ تستكلّ فيهم بالبت ،
وأرقّ بهم فإن " المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى " فإياك أنت تكون ذلك
المنبت ، ومزهم بملازمة قوانينهم كيلا يعلّوا أحد منهم في السبّ ؛ وأجعل أمور
عقودهم مستتبّه ، وأحسن التحريّ والصحريّهم في إتهان كل كتبه ؛ ولا تتخذ إلا
الأعيان ، من كل نهران ودیان ؛ ومن كان له من داود عليه السلام ثمة نسب ،

وله به حُرْمَةُ نِسَبٍ ، فَارْعَ لَهُ حَقَّهُ ، وَأَخْصِيهِ مِنَ الرَّفِيقِ أَكْرَمَ رُفْقِهِ . وَالْجُزْئِيَّةُ هِيَ
لِدِمَائِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عِصْمَةٌ ، وَعَلَى دِفَاعِهَا لَا دَافِعِيهَا وَصِمَةٌ ، وَلَا جُلْهَا وَرَدٌ : «مَنْ آذَى
ذِمِّيًّا كُنْتُ خَصْمَهُ» ، وَهِيَ أَلَمٌ مِنَ السِّيفِ لِجَارِهِ ، وَهِيَ أَجْرَةُ سُكْنَى دَارِ الْإِسْلَامِ
كَأَنَّهَا لَا تَسْتَحْقِقُ الْمُنْعَمَةَ بِهَا لِجَارِهِ ، فَأَدُّوْهَا ، وَبِهَا نَفُوسُكُمْ فَأَدُّوْهَا ، ﴿وَإِنْ تَعَلُّوْا
نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا﴾ ، فَتَدُّوْا أَلْفَافَ اللَّهِ بِهَا وَلَا تَعَلُّوْهَا ؛ وَادْوِمُوا عَلَى مَتْنِ زَجْرٍ
لِتَذَرَكُ عِلَامَةً ؛ وَمِنْ قَصْدِهَا خِلَاصُهُ ، فَقُلْ لَهُ فِي الْمَلَأِ : مَاذَا خِلَاصُهُ ؟ وَمِنْ رُكْنٍ
فِي أَمْرِهَا إِلَى الْإِخْلَادِ وَالْإِخْلَالِ ، وَسَكَنٍ إِلَى الْإِمْهَالِ ، وَلَمْ يَرْضَ أَنَّ رَايَةَ الذَّلَّةِ
الْبَصْفَاءَ عَلَى رَأْسِهِ تُشَالُ ؛ فَأَوْصِيَهُ إِنْكَارًا ، وَأَلْزَمَهُ مِنْهَا شِعَارًا ؛ وَإِنْ قَامَ بِبُصْرِهِ مِنْهُمْ
مَعْتَرِضَيْنِ فَارْهِمِ بَعْدَ الْعَلَامَةِ خُشْكَارًا ؛ وَخُذْهُمْ بِتَجَنُّبِ الْفِشِّ الَّذِي هُوَ لِلْمُهْدِ
مُعَيَّرٌ وَمُعَيَّبٌ ، وَاكْفُفْ مَنْ هُوَ بِمَا يُنَافِيهِ مُعَيَّرٌ وَمُعَيَّبٌ ؛ وَأَمَّا مَنْ هُوَ بِحِجْبِ ذَلِكَ
فَهُوَ لِقَصْدِهِ حُجْبٌ ، وَاقْتُلْ طِبَاعَهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَإِنْ أَبَتْ عَنِ التَّنَاقُلِ فَانْتَ مَا تَنْتَلُو :
﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ . وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ الَّذِي تَتَعَاطَلُونَهُ مِنْ نَفْخِ فِي الْبُوقِ
إِنَّمَا هُوَ كَمَا قُلْتُمْ لِلتَّذْكَارِ ، فَاجْتَنِبُوا أَنْ لَا يَكُونَ لَتَذْكَارِ السَّجَلِ الْخَبِيثِ الَّذِي لَهُ
خُورٌ ؛ هَذِهِ وَصَايَا نَاكَ وَلَهُمْ قُلْ لَكُمْ : هَذِهِ مَوْجِبَةُ الدَّوْلَةِ وَإِحْسَانُهَا إِلَيْكُمْ ، وَلُطْفُهَا
بَكُمْ وَمَاطِفُهَا عَلَيْكُمْ ، وَبَصِّرْهُمْ بِذَلِكَ كَلِمًا تَلَا إِحْسَانُنَا إِلَيْهِمْ : ﴿يَا أَيُّهَا إِسْرَائِيلُ أَذْكُرُوا
نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ .



وهذه نسخة توقيع برآسة اليهود أيضا :

أَمَّا بَعْدَ حَيْدِ اللَّهِ عَلَى أَنْ جَعَلَ مِلْاحَظَةً هَذِهِ الدَّوْلَةَ الْقَاهِرَةَ بِجَمِيعِ الْمِلَلِ نَاطِرَهُ ،
وَإِحْسَانُهَا لَا يُغْفَلُ مَصْلَحَةُ الْأَوَّلَى الْأَدْيَانِ غَائِبَةٌ وَلَا حَاضِرَةٌ ؛ وَالصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ الَّذِي جَعَلَ ذِمَّتَهُ وَعَهْدَهُ وَفَيْتِهِ لِكُلِّ نَسَمَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَكَافِرَةٍ - فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا مَدَّ

رِوَاقٍ عَدِلَ هَذِهِ الْأَيَّامَ الشَّرِيفَةَ عَلَى كُلِّ مُعَاهِدٍ: مِنْ مَقَرَّبٍ وَمُتَبَاعِدٍ، وَسَاوِيٍّ بَيْنَهُمْ فِي النَّظَرِ الَّذِي صَدَّقَ الرَّأْيَ وَصَدَّقَ الرَّائِدَ - أَقْتَضَىٰ جَمِيلُهَا أَنْ يُسَمَّيَ لِكُلِّ مَنْ أَهْلَ الذِّمَّةِ أَوْفَرُ نَصِيبٍ، وَأَنْ لَا يُقَالَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ مِنَ الْإِحْجَافِ مَا يُرِيبُ، وَأَنْ لَا تَكُونَ أُمُورُهُمْ مُضَاعَةً، وَلَا تَعْبُدَاتُهُمْ مُرَاعَةً؛ وَلَا شَرَائِعُهُمْ غَيْرَ مَصُونَةٍ، وَلَا أَحْكَامُهُمْ مَارِيَّةٌ [عَنْ] حُسْنِ مَعُونَةٍ؛ وَكَانَتْ جَمَاعَةُ الْيَهُودِ وَإِنْ كَانُوا أَوَّلِيَّ عَتَى، وَصَدَّقَ النَّصَارَىٰ فِيهِمْ وَصَدَّقُوا فِي النَّصَارَىٰ مِنْ أَنْهُمْ لَيْسُوا عَلَىٰ شَيْءٍ؛ لَا بَدَلَ لِمَنْ مِنْ مِثَاقٍ يَأْخُذُهُمْ بِالْأَمْرِ الْأَخْوَطِ، وَالنَّامُوسِ الْأَضْبَطِ، وَالنَّارِاسِمِ الَّتِي عَلَيْهِمْ تُشْرَطُ، وَكَانَ الَّذِي يُخْتَارُ لِذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَكُونَ إِلَّا مَنْ أَكْبَرَ الْكَهَنَةِ وَأَعْلَمَ الْأَحْبَارِ، وَمَنْ عَرَفَ مِنْ دِينِهِمْ مَا لَاجِلُهُ يُصْطَفَىٰ وَلِئَلَّه يُخْتَارُ؛ وَمَنْ فِيهِ سِيَاسَةٌ تَحْجُزُهُ عَنِ الْمُبَازَاةِ، وَتَحْجُجُهُ عَنِ الْإِسْتِفْهَارِ؛ وَكَانَ فَلَانُ الرَّئِيسِ هُوَ الْمَتَمَيِّزُ بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ عَلَىٰ أَسْنَاءِ جَنَسِهِ، وَلَهُ وِازِعٌ مِنْ نَفْسِهِ، وَرَادِعٌ مِنْ حُسْنِ حَدِيثِهِ، وَخِدْمَةٌ فِي مَهْمَاتِ الدَّوْلَةِ يَسْتَحِقُّ بِهَا الزِّيَادَةَ فِي أَثْنِهِ؛ وَهُوَ مِنْ بَيْنِ جَمَاعَتِهِ مَشْهُورٌ بِالْوَجَاهَةِ، مُوصُوفٌ بِالنَّبَاهَةِ، ذَوِ بَرَايَةٍ حَسَنَةِ التَّصْيِيرِ، وَدِرَاسَةٍ لِكُتُبِ أَهْلِ مِلَّتِهِ عَلَىٰ مَا فِيهَا مِنَ التَّغْيِيرِ - أَقْتَضَىٰ جَمِيلُ الْأَخْتِصَاصِ الْمُنِيفِ، أَنْ يُرْسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا يَرِجُ رِقَبُ الْإِلَّ وَالذِّمَّةُ، وَيَرْعَىٰ لِلْعَاهِدِينَ الْحُرْمَةَ - أَنْ تَقُوضَ إِلَيْهِ رَأْسَةُ الْيَهُودِ الرَّبَّانِيِّينَ وَالْقَرَّائِينَ وَالسَّامِرَةِ، عَلَىٰ عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَه .

فَلْيَبْتَزْ ذَلِكَ مُسْتَوْعِبًا أُمُورَهُمْ كُلَّهَا، مُسْتَوْدَعًا دِقَّهَا وَجِلَّهَا، مُبَاشِرًا مِنْ أَحْوَالِهَا مَا جَرَتْ عَادَةُ مِثْلِهِ مِنَ الرُّؤْسَاءِ أَنْ يَبَاشَرَ مَقْلًا؛ غَيْرَ مُقَرَّبٍ فِي ضَبْطِ نَامُوسٍ مِنْ نَوَامِيسِ الْمَمْلَكَةِ، وَلَا مُنْقَلٍ الْإِنْكَارَ عَلَىٰ مَنْ يَجَاوِزُ ذَلِكَ إِلَىٰ مَوَارِدِ الْمَمْلَكَةِ؛ وَمَنْ فَعَلَ مَا يَقْضِي بِنَقْضِ عَهْدِهِ، فَعَلِيهِ وَعَلَىٰ مُسْتَحْسِنِهِ لَهُ مِنَ الْمَقَاتِلَةِ مَا يَنْتَعِظُ بِهِ كُلُّ مَنْ يَفْعَلُ

ذلك من بعده ؛ بحيث لا يخرج أحد منهم في كنيسه ولا في يهوديته ولا في منع جزئته عن واجب معهود ، ومن خالف فوراً ذلك من الادب ما تشعير منه الجلود ؛ وما جعلهم الله ذمةً للمسلمين إلا حقاً لدمائهم ، فلا يُجها أحد منهم فتجتمع له شمانية أهل الأديان من أعدائهم بأعدائهم - والوصايا كثيرة وإنما هذه مُختبهاً للملخصه ، وفيها من حساب الإحسان إليهم ما تُفسدو به أيام الإنهال لم محصه ؛ والله يوفقه في كل تصرف مرغوب ، وتأفف من مثله مطلوب ؛ بمنه وكرمه ! .



وهذه وصية لرئيس اليهود أوردتها في "التعريف" وهي :

وعليه بضم جماعته ، ولم تملهم باستطاعته ، والحكم فيهم على قواعد ملته ، وعوائد أمته ، في الحكم إذا وصح له بأدلته ؛ وعقود الإنكحة وخواص ما يعتبر عندهم فيها على الإطلاق ، وما يُقتَر فيها إلى الرضا من الجانبين في المقد والطلاق ؛ وفيمن أوجب عنده حكم دينه عليه التحريم ، وأوجب عليه الأقياد إلى التحكيم ؛ وما أَدْعَوْا فيه التوائر من الأخبار ، والتظافر على العمل به مما لم يوجد فيه نص وأجمعت عليه الأخبار ؛ والتوجه تلقاء بيت المقدس إلى جهة قبلتهم ، ومكان تمتد أهل ملتهم ؛ والعمل في هذا جميعه [بما شرعه موسى الكليم ، والوقوف معه ^(١)] إذا ثبت أنه فصل ذلك النبي الكريم ؛ وإقامة حدود التوراة على ما أنزل الله من غير تحريف ، ولا تبديل كلمة بتأويل ولا نصريف ؛ وأتباع ما أعطوا عليه العهد ، وشدوا عليه العقد ؛ وأبقوا فيه دماغم ، ووقوا به دماغم ؛ وما كانت تحكم به الأتباء والرَّبَّانِيُون ، ويسلم إليه الإسلاميون منهم ويبر عنه العبرانيون ؛ كل هذا مع إلزامهم بما يلزمهم

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٤٣ وهي لازمة لاستقامة الكلام .

من حُكِّم أمثالهم أهل النِّمَّة الذين أَقْرَوا في هذه الدِّيارِ ، ووقاية أنفسهم بالخصُوع والصَّغار ، ومدَّ رؤوسهم بالإذعان لأهل مِلَّة الإسلام ، وعدم مضايقتهم في الطُّرُق وحيثُ يحصل الألباس بهم في الحِجَّام ، وحلِ شِمار النِّمَّة الذي جُعِل لهم حِلْيَة العِمام ، وعقِد على رؤوسهم لِحْظُهم عَقْد العِمام ، وليَعْلَم أَنَّ شِعَارَهم الأصْفَر ، مُوجِب لثَلَا يَرَأَى دِمُهم الأحرار ، وأنَّهم تحت عِلَم علامته آمنون ، وفي دَعَة أصائله سَاكِئون ، وليأخذهم بتجديد صِبْغ في كلِّ حين ، وليأمرهم بملازمة لا تزال علامتها على رؤوسهم تَبِين ، وعدم التظاهر بما يقتضي المناقضة ، أو يُفهم منه المُعارضه ، أو يدع فيه غير السَّيف وهو إذا كَلَّم شديد العارضة ، وله ترتيب طبقات أهل ملته من الأحرار فَنَ دُونهم على قدر استحقاقهم ، وعلى ما لا تَخْرُج عنه كلمة اتِّفاقهم ، وكذلك له الحديث في جميع كائِن اليهود المُستَمِرَّة إلى الآن ، المُستَقَرَّة بأيديهم من حين عقد عهد النِّمَّة ثم ما تَأْكُد بعده لَطُول الزمان ، من غير تجديد معتقد ، ولا إحداث قدر متريِّد ، ولا فِعْل شيء مما لم تُعَقِّد عليه النِّمَّة ، ويُقرَّ عليهم سَلَفُهم الأوَّل سَلَف هذه الأُمَّة ، وفي هذا كفاية وتهوُّى الله وخوفُ بَاسِنَا رَأْس هذه الأمور المُهمَّة .



[وصية رئيس السامرة^(١) :

ولا يَعْجِز عن لَمَّ شَعَث طائفته مع قَلْبهم ، وتأمين مَربهم الذي لو لم يُؤْمَر فيه لأكلهم الذُّب لَذَلَّتْهم ، وليصُن بحسن السُّلوك دِمَائهم التي كأنما صُبِيت عِمامُهم الجمر منها بما طَل ، وأوقِد لهم منها النارُ الجمرَاء فلم يَقْوِها إلا بالنُّل ، وليَعْلَم أَنَّهُمْ شُعْبَة من اليهود لا يَخَالِفُونهم في أصل المعتقد ، ولا في شيء يخرج عن قواعد دينهم لمن

(١) لم يمتون في الأصل وزدناه من "العرف" ص ١٤٤ .

أَتَقَدَّ، ولولا هذا لما عُدُوا في أهل الكَلْب، ولا قُنِعَ منهم إلا بالإسلام أو ضَرْبِ
 الرِّقَابِ؛ فَيَتَنَ عَلَى هذا الأساس، [وَلْيُثْبِتْ قَوْمَهُ أَنَّهُمْ مِنْهُمْ وَأَمَّا النَّاسُ أَجْناسٌ]^(١)
 وَلْيَقَرِّمْ مِنْ قُرُوعِ دِينِهِ مَا لَا يَخَالِفُ فِيهِ إِلَّا بَأَن يَقُولُ لَا مَسَاسَ؛ وَإِذَا كَانَ كَمَا يَقُولُ:
 إِنَّهُ كَهْرُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلْيَقَرِّمْ الْجَدَّ، وَلْيَقُمْ مِنْ شَرْطِ الذِّمَّةِ بِمَا يُقِيمُ بِهِ طَوْلَ الْمَدَّةِ؛
 وَلْيَتَمَسَّكْ بِالْمُوسَوِيَّةِ مِنْ غَيْرِ تَبْدِيلٍ، وَلَا تَحْرِيفٍ فِي كَلِمٍ وَلَا تَأْوِيلٍ؛ وَلْيُخَصِّصْ عَمَلَهُ
 فَإِنَّهُ عَلَيْهِ مَسْطُورٌ، وَلْيَقِفْ عِنْدَ حُدُودِهِ وَلَا يَتَعَدَّ طَوْرَهُ فِي الطَّوَرِ؛ وَلْيَحْكَمْ فِي طَائِفَتِهِ
 وَفِي أَنْكَحَتِهِمْ وَمَوَارِيثِهِمْ وَكَأَنَّهُمْ الْقَدِيمَةُ الْمُعْقُودِ عَلَيْهَا بِمَا هُوَ فِي عَقْدِ دِينِهِ،
 وَمَسَبِّبٌ لِلتَّوْطِيدِ قَوَاعِدَهُ فِي هَذِهِ الرِّتَبَةِ الَّتِي بَلَّغَهَا وَتَوَطَّيْنَهُ .

الوظيفة الثانية

(بَطْرِكِيَّةُ النَّصَارَى الْمَلِكِيَّةِ، وَهُمْ أَقْدَمُ مِنَ الْبَعَاثَةِ)

وقد تَقَسَّمْ فِي الْكَلَامِ عَلَى النَّحْلِ وَالْمَلَلِ أَنَّهُمْ أَتْبَاعُ مَلِكٍ الَّذِي ظَهَرَ قَدِيمًا بِلَادِ
 الرُّومِ، وَأَنَّ الرُّومَ وَالْفَرَجَ كُلَّهُمْ أَتْبَاعُهُ، وَبِالْدِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ مِنْهُمْ التَّرَرُّ الْبَسِيرَ، وَلَهُمْ
 بَطْرِكٌ يَخْصُهُمْ .

وهذه نسخة توقيع لبطرك الملكية :

أَمَّا بَعْدُ حَمْدُ اللَّهِ مُنَوِّعِ الْإِحْسَانِ، لِأَوَّلِي الْأَذْيَانِ، وَمَوْصِّلِهِ وَمُفَرِّجِهِ لِكُلِّ طَائِفَةٍ
 وَلِكُلِّ إِنْسَانٍ، وَالصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي أَبَادَ اللَّهُ بِهِ مَنْ أَبَادَ وَأَبَانَ مِنْ عَهْدِهِ
 وَفِيهِ مِنْ أَبَانٍ - فَإِنَّ الطَّائِفَةَ الْمَلِكِيَّةَ مِنَ النَّصَارَى لَمَّا كَانَتْ لَهُمْ السَّابِقَةُ فِي دِينِهِمْ،
 وَلَهُمْ أَهْلُ الرِّأَسَةِ وَالنَّفَاسَةِ فِي تَعْيِينِهِمْ؛ وَمَا بَرِحَتْ لَهُمْ فِي الْكِلَاةِ وَالْحِفْظِ قَدَمٌ

السابقة، ورثبةً بملوكهم الرومانية سامية، وما زالت لهم خدم الدول إلى أغراضها
 متساقفةً ومتساقفة؛ ولهم جوار مشكور، وتبذل مشهور، وطيهم وصايا من الملوك
 في كل ورود وصدور؛ ولهم من نفوسهم مزايا تستوجب احترامهم، وتستدعي
 إكرامهم؛ وكان لابد لهم من بطريك يلاحظ أحوالهم أتم الملاحظة، ويستدعي
 لهم من الدولة أعظم محافظه، ويحفظ نواميس قبيلهم، ويحسن دراسة أناسيلهم؛
 ويعرفهم قواعد معتقداتهم، ويأخذهم بالثناء لهذه الدولة القاهرة في جميع صلواتهم؛
 ويجمعهم على سداد، ويرفعهم على مراد. وكان البطريرك فلان هو المتفق بين
 طائفتيه على تبينه، والجمع على إظهار استحقاقه وتبينه؛ والذي له مزايا لو كان
 فيه واحدة منها لكفته في التأهيل، ورفقته إلى منصبه الجليل. فلذلك رُسم... -
 لا يرحى يعطى كل أحد قسطه، ويدخل كل أبوابه ساجداً وقائلاً حطه - أن يباشر
 بطريكة النصارى الملكية على عادة من تخدمه من البطارقة السالفة بهذه الدولة .
 فليحط أمورها الجزئية والكليّة، والقاهرة والخفية؛ ولْيأخذهم بما يلزمهم من
 قوانين شرعهم، وكل ما يربدون من حُسن تسميتهم؛ وأما الديرة والبيع والكائس
 التي للملكية فليرجعها إلى صونه، وأمرها مردوداً إلى جميل إعانته وعونه؛ والأساقفة
 والرهبان فهم سواد عين معتقده؛ وخلاصة معتقده؛ فلا يخلهم من تيجيل، وحسن
 تأهيل، وتتقدم إلى من بالتغور من جماعتك بأن لا يدخل أحد منهم في أمر مؤثق،
 ولا في مُشكيل مؤثق؛ ولا يميلون كل الميل إلى غريب من جسمهم، وليكن الخلد
 لغيرهم من يومهم وليومهم من أنيسهم؛ ولا يُساكلون رسولاً يريد، ولا قاصداً يقيد؛
 وطريق السلامة أولى ماسلك، ومن ترك الدخول فيها لا يئيبه ترك؛ هذه جملة من
 الوصية لامة أفلح وأهتدى من بها استنار، ورشد من لها استنار؛ والله يوفقك
 في كل مقصد تروم، ويعطيك هذه الوصايا تحول وتقوم .



وهذه وصية لبَطْرِكَ الْمَلَكِيَّة أوردتها في "التعريف" وهى :

وهو كبير أهل ملته، والحاكم عليهم ما امتد في مدته؛ وإليه مرجعهم في التحريم والتحلل، وفي الحكم بينهم بما أنزل في التوراة ولم يُنسخ في الإنجيل؛ وشرعته مبنية على المسامحة والإحتيال، والصبر على الأذى وصدَم الإكثارات به والاحتفال؛ نَحْنُ نَفْسُكَ في الأول بهذه الآداب، وأعلم بأنك في المدخل إلى شريعتك طريق إلى الباب؛ فتخالف من الأخلاق بكل جيل، ولا تستكثر من متاع الدنيا فإنه قليل؛ ويُقدّم المصالحة بين المتصالحين إليه قبل الفصل البتّ فإن الصلح كما يقال سيد الأحكام، وهو قاعدة دينه المسيحى ولم تخالف فيه المحمديّة الغراء دين الإسلام، وليتظف صدور إخوانه من الفل ولا يقطع بما ينظفه ماء المعمودية من الأجسام؛ وإليه أمر الكنايس والبيع، وهو رأس جماعته والكل له تبع؛ فإياه أن يتخذها له تجارة مُرَبِّح، أو يقطع بها مال نصرانيّ يقربُه فإنه ما يكون قد قربَه إلى المذبح وإنما ذبحه؛ وكذلك الديارات وكل عُمر^(١)، والقلال فيتمتع عليه أن يتفقد فيها كل أمر، وليجتهد في إجراء أمورها على ما فيه رفع الشبهات، وليعلم أنهم إنما اعتزلوا فيها للتعبد فلا يذمها بتخذ متزّهات؛ فهم إنما أخذوا هذه الرهبانية للتقلل في هذه الدنيا والتعفف عن القروج، وحسبوا فيها أنفسهم حتى إن أكثرهم إذا دخل فيها ما يعود يبق له خروج؛ فليحذّرهم من عملها مضيدة للال، أو خلوة له ولكن بالنساء حراماً ويكون إنما تنزه عن الحلال؛ وإياه هم إياه أن يؤوى إليها من الغرياء القادمين عليه من قريب، أو يكتّم عن الإنهاء إلينا مشكل أمر ورد عليه من

(١) هو بالضم المسجد باليعة "عاموس" .

بعيد أو قريب ، [ثم الحذر الحذر من إخفاء كتاب يرد عليه من أحد من الملوك ،]^(١)
ثم الحذر الحذر من الكتابة إليهم أو المثنى على مثل هذا السلوك ، وليجنب البحر
ولأياه من اقتحامه فإنه يفرق ، أو تلقى ما يلقيه إليه جناح غراب منه فإنه بالبين
يتنق ، والتقوى مأموراً بها أهل كل ملة ، وكل موافق ومخالف في القبله ، فليكن
عمله بها وفي الكفاية ما يُفني عن التصريح ، وفيها رضا الله تعالى وبها أمر المسيح .

الوظيفة الثالثة

(بطريقة اليعاقبة)

وقد تهتم في الكلام على العمل والمثل الخلف في نسبتهم : فقليل منهم أتباع
ديسقرس ، وأنه كان اسمه في الفلانيّة يعقوب ، وقيل أتباع يعقوب البرذغانى ،
وقيل غير ذلك ، والأصح عند المؤرخين الأول . وبطريقتهم يحكم على طائفة اليعاقبة ،
وجميع نصارى الحبشة أتباعه ، وفي طاعته ملك الحبشة الأكبر ، وعنه تصدر
ولايتيه .

وهذه نسخة توقيع لبطرك النصارى اليعاقبة :

أما بعد حمد الله الذى أظهر دين الإسلام على الذين كلفه ، وأصدر أمور الشرائع
عن عقد شرعه وحله ، وصير حكم كل ملّة راجعاً إلى حكم حقه ، والشهادة له
بالوحدانية التى تدل على أنه الواحد الأحد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن شيئاً مذكوراً ،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد أعظم أنبيائه وأكرم رُسُلِهِ ، وأشرف ولد آدم
وتسلّيه ، المصطفى فى علم الله من قبله ، ووصيّته فى التوراة من غرور الشيطان وخذله ،
والذى أطفأ الله بركته نارُ تمروذ عن إبراهيم وجعلها برداً وسلاماً وأجلّه من أجله ،

وَبَشَّرَهُ يَحْيَى بْنُ مَرْيَمَ عَبْدُ اللَّهِ وَأَبْنُ أُمِّهِ وَأَقْرَبُ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ كَلِمَةُ اللَّهِ بِفَضْلِهِ ؛
وعلى آله الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ مِنْ فُرُوحِ أَصْلِهِ ، وَأَصْحَابِهِ سَامِعِي قَوْلِهِ ، وَتَابِعِي سُبُلَهُ ...
فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا أَرْتَفَعَى الْإِسْلَامَ دِينًا ، وَأَفْضَى بِالْمُلْكِ إِلَيْنَا وَقَضَى لَنَا فِي الْبَيْسِطَةِ
بَسْطَةً وَتَمَكَّنَا ، وَأَمَضَى أَوَامِرَنَا الْمَطَاعَةَ بِشُمُولِ الْيَمْنِ شِمَالًا وَيَمِينًا - لَمْ نَزَلْ نُؤَلِّ
رَعَايَانَا الْإِحْسَانَ رِعَايَةً وَتَوَطُّبِنَا ، وَنُدِّيمُ لِأَهْلِ الذِّمَّةِ مِثْلَ ذِمَّةِ وَثَائِنَا ؛ وَكَانَتْ طَائِفَةٌ
النَّصَرَاءِ الْيَعَاقِبَةِ بِالْدْيَارِ الْمَصْرِيَّةِ لَهُمْ مِنْ حِينَ الْفَتْحِ عَهْدٌ وَذِمَامٌ ، وَوَصِيَّةٌ سَابِقَةٌ مِنْ
مُسَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ؛ وَلَا بُدَّ مِنْ بَطْرِيرِكَ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ
فِي الْأَحْكَامِ ، وَيَحْتَمِعُونَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ نَقْضٍ وَإِبْرَامٍ .

وَلَمَّا كَانَتْ الْحَضْرَةُ السَّامِيَةُ الشَّيْخُ الرَّئِيسُ ، الْمُبْجَلُ ، الْمَكْرَمُ ، الْكَافِي ، الْمَعَزُّزُ ،
الْمَخْفَرُ ، الْقِدِّيسُ ، شَمْسُ الرَّأْسَةِ ، عِمَادُ بَنِي الْمُعْمُودِيَّةِ ، كَثُرَ الطَّائِفَةُ الصَّبِيلِيَّةُ ،
أَخْتَارَ الْمُلُوكُ وَالسَّلَاطِينُ ، فَلَان : وَقَفَّهَ اللَّهُ ، هُوَ الَّذِي تَجَوَّدَ وَتَرَهَّبَ ، وَأَجْهَدَ رُوحَهُ
وَأَتَقَبَ ، وَصَامَ عَنِ الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ ؛ وَسَاحَ قَابَسَدَ ، وَمَنَعَ جَفْنَهُ لَذِيذَ الْمَرْقَدِ ،
وَنَهَضَ فِي خِدْمَةِ طَائِفَتِهِ وَجَدَ ، وَخَفَضَ لَهُمُ الْجَنَاحَ وَبَسَطَ الْخِدَةَ ، وَكَفَّ عَنْهُمْ
الْبَيْدَ ، وَأَسْتَحَقَّ فِيهِمُ التَّجَنُّيلَ لَمَّا تَمَيَّزَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ مَعْرِفَةِ أَحْكَامِ الْإِنْجِيلِ وَتَفَرَّدَ -
أَقْنَضَى حَسَنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ تُلْقَى إِلَيْهِ أَمْرَ هَذِهِ الْفِرْقَةِ وَتُقَوَّضَ ، وَتُبَدَّلَ لَهُمْ عَنِ
بَطْرِيرِكِهِمُ الْمُتَوَقِّقِ وَتُقَوَّضَ .

فَلَنَلِكُ رُئِيسَ الْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا يَرِحَتْ مَرَامِيهُ مَطَاعَهُ ، وَمَرَامِيهِ لِإِنْزَالِ أَهْلِ
كَرَمِهَا بِبَعَثِهَا مَرْعِيَّةً غَيْرُ مَرَاعَةٍ^(١) - أَنْ يَقْدَمَ الشَّيْخُ شَمْسُ الرَّأْسَةِ الْمَذْكُورُ عَلَى
الْمِلَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ الْيَقُوبِيَّةِ ، وَيَكُونُ بَطْرِيرَكَ عَلَيْهَا ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَقَاعِدَتِهِ
بِالدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ ، وَالتَّغُورِ الْمُحْرُوسَةِ ، وَالْجَلْهَاتِ الَّتِي طَادَتْ بِهَا إِلَى آخِرِ وَقْتِ .

(١) أى غير مفرقة ولم يذكر القاموس ولا اللسان أراحه وإنما القمل راحه وروحه أى أفرقه .

فليسلك سبيل السَّوَا ، ولا يملك نفسه الهوى ، ولتتمسك بخوف الله تعالى
 إن فعل أو نوى ، أو أخبر عن الحواريين أو روى ؛ فالعلم مراقب ، والعظيم
 معاقب ؛ والحكيم أمر أولى العقول بالفكرة في العواقب ، والحاكم قدأ بمحقق الخلق
 قدأ يطالب ؛ والظلم في كل ملة حرام والعدل واجب ، فليستوف الإنصاف بين القوى
 والضعيف والحاضر والغائب ؛ وليقصده مصلحتهم وليتمد نصيحتهم ، وليتمسك على
 ما يدينون به بيوهم وتُسوخواهم ومواريتهم وأنكحهم ؛ وليقمع غاوتهم ، وليسمع
 دعاوتهم ؛ وليلزمهم من دينهم بما وجبوه ، وعللوه وأعتقدوه ؛ وليتبع سبيل المعللة
 فلا يعلو [ها] حادثة إليه أمور القسيسين والرهبان ، في جميع الديرة والكنايس بسائر
 البلدان ، ولا يترس عليه فيما هو راجع إليه من هذا الشأن . ولا يقدم منهم
 إلى رتبة إلا من استصلحه ، ولا يرجع إلى منزلة إلا من رتبه إليها ورجمه ، متبعا
 في ذلك ما بينه له العدل وأوصحه ، مرنجح الرتبة ممن لم تكن الصلور لتقدمته
 منشرحه ، مجمعا لغيره في الإيراد والإصدار على أعتاد المصلحة ؛ وقد أوصحناه ولهم
 سبيل النجاة فليقتفوه ، وعرفناهم بالصواب والخيرة لهم إن عرفوه ، وليسأل الله ربه
 السلامة فيما له يفعل وبه يقوه ؛ والعلامة الشريفة أعلاه .



وهذه نسخة توقيع بطرك النصارى اليمانية ، كُتِبَ به الشيخ المؤمن ، في شهر
 سنة أربع وستين وسبعمائة ، وهى :

أما بعد حمد الله على نعمه التى نَشَرَتْ لواء دولتنا في الآفاق ، فأولى كل أحد
 إلى ظله ، وبَسَطَتْ معدتنا في البلاد على الإطلاق ، فنَحَتِ الخالص والعالم من ربنا
 بوابله وظله ، وأصطنعت بنمائها ملوك الملل وحُكَّام الطوائف فنطقوا عن أمرنا

فِي عَقْدِ كُلِّ أَمْرٍ وَحَلَّةٍ ؛ وَالشَّهَادَةُ بِوَحْدَانِيَّتِهِ الَّتِي تُنَجِّحُ أَمَلَ الْمُخْلِصِ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ ،
وَتُفَتِّحُ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِرُؤُوسِهَا أَبْوَابَ النِّجَاةِ فَيُصْبِحُ فِي أَمَانٍ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ ؛ وَالصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعِيسَى وَرَسُولِهِ أَشْرَفَ الْأَنْبِيَاءِ قَدَرًا فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ وَقَوْلِهِ ،
الْمُبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ زِيَادَةً فِي رِفْعَةِ مَقَامِهِ وَتَقْرِيرِ الْفَضْلِ ، الْمُنْعَوَتِ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ
فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ
أَنْ يَأْتِيَ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ؛ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ اتَّبَعُوا طَرِيقَتَهُ الْمُثُلَى وَسَلَكُوا مَنَاجِيحَ
مُسْبِلِهِ ، وَعَقَدُوا الذَّمَّ لِأَهْلِ اللَّيْلِ وَأَسْتَوَصَوْا بِهِمْ خَيْرًا لِمَا عَرَفُوهُ مِنْ سَعَةِ حِلْمِهِ
وَبَذَلِهِ - فَإِنَّهُ لِمَا كَانَتِ الطَّائِفَةُ الْمَسِيحِيَّةُ ، وَالْفِرْقَةُ الْيَهُودِيَّةُ ؛ مِنْ أَوْتٍ تَحْتَ ظِلِّهَا
الَّذِي عَمَّ الْوُجُودَ ، وَسَكَنَتْ فِي حَرَمِ ذِمَّتِنَا الَّذِي سَارَ نَبُؤُهُ فِي التَّهَامِ وَالشُّجُودِ ،
وَتَمَسَّكَتْ مِنْ طَاعَتِنَا وَأَتْبَاعِ أَوَامِرِنَا بِمَا سَلَفَ لَهَا مِنَ الْهَدْيِ وَالْعُودِ ؛ وَكَانَتْ
أَحْكَامُهُمْ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يَدُورُ عَلَيْهِ أَمْرُهَا فِي كُلِّ حَالٍ ، وَتُنْتَظَمُ بِهِ مَصَالِحُ شَمَائِلِهَا
لِيُفْلَها بِهَا الْأَمَالُ ، وَيَأْمَنُوا فِي مَعْتَدِهِمْ فِيهَا مِنَ الْإِخْلَالِ ؛ وَأَنَّهُ إِذَا مَاتَ بِطَرِيقِ
لَمْ لَا بُدَّ أَنْ تَرْتَمَ لَمْ يَنْفِرْهُ ، لِيَعْتَمِدُوا فِي ذَلِكَ مَا يَتَقَلَّبُ بِهِ إِلَيْهِمْ فِي نَهْيِهِ وَأَمْرِهِ ؛
وَيَسْلُكُ بِهِمْ فِي أَحْكَامِهِمْ مَا يَجِبُ ، وَيَعْرِفُ كُلًّا مِنْهُمْ مَا يَأْتِي وَيَذَرُ وَيَفْعَلُ وَيَحْتَنِبُ ؛
وَيُفَصِّلُ بَيْنَهُمْ بِمُقْتَضَى مَا يَتَقَلَّبُونَهُ فِي انْجِبَالِهِمْ ، وَيُثَبِّتُ أحوَالَهُمْ عَلَى مُوجِبَةٍ فِي تَحْرِيمِهِمْ
وَتَحْلِيلِهِمْ ؛ وَيُزَكِّرُ مَنْ خَرَجَ عَنْ طَرِيقِهِ ، لِيَرْجِعَ إِلَى مَا يَجِبُ عَلَيْهِ أَسْوَةٌ رَفِيعَةٍ ؛
وَيَقْضِي بَيْنَهُمْ بِمَا يَتَقَلَّبُونَهُ مِنَ الْأَحْكَامِ ، وَيُبَيِّنُ لِمَنْ قَوَاعِدَ دِينِهِمْ فِي كُلِّ قَضِ
وَأَبْرَامَ ؛ فَلَمَّا هَلَكَ الْآنَ بِطَرِيقِهِمْ مَعَ مَنْ هَلَكَ ، رَمَيْنَا لَهُمْ أَنْ يَتَّخِذُوا لَهُمْ مَنْ
يَكُونُ لَطَرِيقَتِهِ قَدْ سَلَكَ ؛ وَأَنْ يَخْتَارُوا لَهُمْ مَنْ يُسَوِّسُ أُمُورَهُمْ عَلَى أَكْلِ الْوُجُوهِ ،
لَتَرْسَمَ بِتَقْدِيمِهِ عَلَيْهِمْ [يَفْقُومُ] بِمَا يُؤْمَلُونَهُ مِنْهُ وَيَرْجِعُونَهُ ^(١) .

(١) - حلف نون الرفع رداً على السجدة .

وكان الحضرة السامية ، القديس ، الميبل ، الجليل ، المكرم ، الموقر ، الكبير ،
الديان ، الرئيس ، الروحاني ، الفاضل ، الكافي ، المؤتمن ، جرجس بن القس مفصل
اليقوي ، عماد بني المعمودية ، كثر الأئمة المسيحية ، متحجب الملة الصليبية ، ركن
الطائفة النصرانية ، اختيار الملوك والسلاطين : أطال الله تعالى بهجته ، وأعلى على
أهل طائفته درجته ، قد حاز من فضائل ملته أسماءها ، وصعد من درجات الترقى
على أبناء جنسه أهلاها ؛ فتره نفسه عن مشاركة الناس ، وتكشف بين أهله
في المأكَل واللباس ؛ وترك الزواج والنكاح ، واشتغل بعبادته التي لازم عليها في المساء
والصباح ؛ وألغى نفسه إلى الغاية في الأطراح ، وساح بجاطره في الفكرة وإن لم يكن
بجسده قد ساح ؛ وأرتاض بترك الشهوات مدة زمانه ، وأطرح الملاء لعلو درجته
بين أهله برفعة مكانه ؛ واشتغل من علوم طائفته على الجانب الوافر ، وعرف من
أوامرهم ونواهيهم ما تنقو به منهم العين والناظر ؛ وطلب من الرب الرفوف الرحيم
القوة على أعماله ، وسأل الإله أن يزني لأهل ملته ما يأتي به من أقواله وأفعاله ؛
فوقع اختيارهم عليه ، وسألوا صلواتنا الشريفة إلقاء أمرهم إليه .

فرسم بالأمر الشريف - لا زال إحسانه إلى سائر العالم وإصلا ، وجوده لكل
طائفة بارتداد أكفائها شاملا - أن يقدم حضرة القديس المؤتمن جرجس المشار
إليه على الطائفة اليقوية ، من الملة النصرانية ، بالديار المحروسة والجهات البحارى
بها العادة ؛ ويكون بطريركا عليهم على عادة من تقدم في ذلك ومستقر قاعدته إلى
آخر وقت ، قائما بما يجب عليه من أمور هذه الملة ، باذلا جهده في سلوك ما ينبغي
بما ينظم عليه أمره كله ؛ فاصلا بينهم بما يستقونونه من الأحكام ، متصرفا على كل
أسقف وقس ومطران في كل نقض وإبرام ، مالكا من أمور القسيسين والرهبان
والشماسة الزمام ؛ مانعا من يروم أمرا لا يسوغه وضع ولا تحرير ، جاحلا نظره عليه

منتقدا بالتحيز في التخير ؛ زاجراً من يخرج منهم عن أتباع طريق الشريعة المطهرة
التي يصح بها عقد الذمة ، ملزماً بسلوكمها في كل ملة فإن ذلك من الأمور المهمة ؛
أمراً من في الديرة من الرهبان بمعاملة المساكين بهم والنازلين عليهم بمزيد الإحسان
وميدد الإكرام ، والقيام بالضيافة المشروطة من الشراب والطعام .

وليتحدث في قسمة موارثهم إذا توافوا إليه ، وليجعل فصل أمور أهل طائفته
من المهمات لديه ؛ ولتشفق على الكبير والصغير ، ولتتزه عن قليل متاع الدنيا
والكثير ، وليرهد في الجليل قبل الحفير . وفي أطلاعه على أحكام دينه ما يكفيه
في الوصية ، وما يرفعه بين أبناء جلسه في الحياة الدنيوية ؛ والاعتماد على الخط
الشريف أعلاه الله أعلاه .



وهذا نسخة توقيح لبطرك اليعاقبة ، وهى :

أما بعد حمد الله على أن جعل من إحسان هذه الدولة لكل ملّ وذمى نصيباً ،
وفوق إلى أهداف الرعاية منهما فتمها مامنها إلا ماشوهد مصيباً ، والصلاة على
سيدنا محمد الذى أحمد الله له سرى في صلاح الخلائق وتأويها - فإنه لما كان من بحايا
الدولة القاهرة النظر في الجزئيات والكليات من أمور الأمة ، وتجاوز ذلك إلى رعاية
[أهل] الذمة ؛ لاسيما من سبقت وضية سيد المرسلين عليهم من القبط الذين شرفهم
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بوصلته منهم بأم إبراهيم ولده عليه السلام ،
وقبول هديتهم التى أبقت لهم منزلة على تمر الأيام ؛ وكانوا لأبد لهم من بطرك يحفظ
سوامهم ، ويضبط خواصهم وعوامهم ؛ ويجمع شمل رهبانهم ، ويراعى مصالح
أديانهم ؛ ويحزور أمور أعيادهم ومواسمهم في كل كنيس ، ويدعو للدولة القاهرة
في كل تمديد ؛ ويحتمل [له] الخيرة في ضبط أمور البيع والديرة واختيار الأساقفة

والكُهان ، وحفظ النواميس المسيحية في كل قُرْبان ؛ ولا يصلح لذلك إلا من هو بشوْل ، وكلّ خاشع عامل ناصب يستحقّ بذلك أن هذا الأمر إليه يُتَوَلَّى .

ولما كان البطريك فلان هو المجمع على صلاحته للبكرية على شعبه ، والتقدمية على أبناء المعمودية من شيعته وصحبه ، لما له من علم في دينه ، ومعرفة بقوانينه ، وضبط لأقائنه ؛ وعقل يمنعه عن التظاهر بما يُنافي المهود ، ويُنافي الأمر المعهود - اقتضى جميل الاختيار أنه رُسِم بالأمر الشريف - لأبرح يضع كل شيء في موضعه من الاستحقاق ، ويُبالغ في الإرفاد لأهل المثل والإرفاق - أن يباشر بطركية جماعة البعاقبة بالديار المصرية ، على عادة من هَدَمَ في هذه الرتبة ، ومن آرتق قبله إلى هذه المنصبه .

فلما باشر أمر هذه الطائفة ، وليجعل معونته بهم طائفة ، وليضبط أمورهم أحسن ضبط وأجمله ، وأمه وأكله ؛ وليأخذهم بما يلزمهم من القيام بالوظائف المعروفة ، والمهود المألوفة ؛ وليكزهم بما يلزمهم شرعا من كف عن تظاهر ممنوع ، أو تماطى محذور منكور الشرور والشروع ؛ أو تنكب عن طريق الاستقامة ، وكما أنهم عدلوا عن الإسلام لا يعدلوا عن السلامه .

وأما أمور الديرة والكائس فأمرها إليك مردود ، فابشر فيها على المعهود ؛ وأقم فيها عنك من يحسن النباه ، ومن يُجمل الإنابة ؛ ومن يستجلب الدعة لهذه الدولة القاهرة في كل قداس ، ويُسَدِّد القدس والأنفاس ؛ وعلى رُهبان الأديرة للساجد والجوامع وظائف لا تُمنع ولا تُؤخر ، ولا تُحوج أحدا منهم أنه بها يذكر ؛ وليشترط على أهلها أنهم لا يأتون طليعة الكفار ، ولا من يحصل منه إلا خيرا ولا يحصل الإضرار ؛ وليأمرهم بحسن الجوار ، والقيام بما هو موكف عليهم للساكنين السفار

وغير السُّقار، هذه نُبذة من الوصايا مُقنعة، ولو وُسع القول لكان ذا سعة،
وفى البطرك من التَّباهة ما يُلهمه الصَّواب، والله يجعل حسنَ الظنِّ به لا آرتيابه فيه
ولا آرتياب؛ بمنه وكرمه!، والأعتاد



وهذه نسخة توقيع بطرك البعاقة، وهى :

أما بعد حمد الله الذى خصَّ كلَّ ملَّةٍ مِنَّا بمنه، وأقام بأوامرنا على كلِّ طائفةٍ من
نِزواه فُتحقِّق بإحساننا ظَنَّهُ، وجعل من شِيعتنا الشريفة الوصية بأهل الكتاب عملاً
بالسنة. والشهادة بوحدايته التى تتخذ بينها وبين الشك والشرك من قوة الإيمان
جُنة، وتذير أجورها فنسُمو بها يوم العُرض إلى أعلى عُرف الجنة. والصلوة والسلام
على نبيه محمد أكرم من أرسله إلى الأمم فأقال كلَّ من البرايا يُمنه، وأعظم من بعثه فشرع
الدين الحنيف وسنه؛ وعلى آله وأصحابه الذين لم تزل قلوب المؤمنين بهم مطمئنة -
فإن لدولتنا القاهرة العوارف الحسان، والشيم الكريمة والعطايا والإحسان؛
والفواضل التى للآمال [منها] ما يُرى عليها ويزيد، والمآثر التى ببحر ربها الوافر
المديد؛ ولكل ملَّةٍ من نعمها نوالٌ جزيل، ولكل فرقةٍ من مواهبها جانبٌ يقتضى
التحويل ولا يقضى بالتحويل، ولكل طائفةٍ من يُمنها منها منافع طائفةٌ بزيد
التنويل، ولكل أناسٍ من ممدلتها نصيبٌ يشمل المال، وطاعةٌ معروف توارثت مع
أنها خالصةٌ من السامة والمُلل، حجةٌ بخفة بنا شُرُفت، ومزيةٌ مرويةٌ من ألفت؛
وإن من أهل الكتاب لطائفةٌ كثرت بأبوابنا الشريفة عدداً، واستصغرت من مناهل
جودنا مورياً، وانتظمت فى سلك رعايانا فأضحى سببُ فضلنا لها مؤكداً، وكانت
الملَّة المسيحية، والفرقة اليمقوبية؛ لا بُدَّ لها بعد موت بطركها من إقامة غيره،

وتقديم من يُرضى بفعله وقوله وسيره؛ لتقتدى به في عقد أمورها وسلها، ونحوها وتحليلها ووصلها وفصلها، وتهدى به في معتقدها، وتركن إلى ما يذكركه من مجموع أحكام الإنجيل ومفردا، ويتصب للفصل بين خصوصها بما يقتضيه عرفاته، ويظهر لأهل ملته بيانه، حتى لا تجد في أمر دينها إلا ما تريده، وبما نديمه لها من استمرار الهدنة تُبدى دُعاها وتُعيد؛ فإن سيدنا محمدا - صلى الله عليه وسلم - أمرنا أن نستوصى بأهل الكتاب خيرا، ونحن نسلك من أتباع شريعته المطهرة ما نحسن فيه - إن شاء الله - سيرة يسيرا .

ولما كانت الحضرة السامية، الشيخ، الرئيس، المبجل، المكرم، الفاضل، الكافي، الثقة، عماد بني المعمودية، كثر الطائفة الصليبية؛ اختيار الملوك والسلطين، فلان - أطال الله بقاءه، وأدام على أهل طائفته أرفقائه - ممن آتق على شكره أبناء جنسه، واستوجب أن يرقى إلى هذه الرتبة بنفسه؛ وأشتهر بمعرفة أحوال فرقته، وهجر الأهل والوطن في تهذيب خلقه؛ وحرّم في مدة عمره النكاح، وسار في المهامه والفقار وبساح؛ وأضحى تحميم البطن خاوي الوقاض، قد ترك الطيبات وهجر التثمم وأرناض؛ وأعتمد في قوله على الإله، وسأل الرب أن يبلّغه في أهل ملته ما تمنّاه .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال يجمع الفرق على البقاء لأيامه الشريفة، ويُدعى للأفرين موادّ مواهبه المألوفة - أن يقدم الشيخ فلان على الملة النصرانية اليقونية، ويكون بطريركا عليها على عادة من تقدمه، ومستقر قاعدته، بالديار المصرية والثغور المحروسة، والجهات التي عادته بها، إلى آخر وقت، [فلتول ذلك] سالكا من طرق التزاهة ما يجب؛ قاصلا بين النصارى بأحكام دينه التي لا تخفى عنه

ولا تَحْتَجِبْ؛ مَالِكًا أَزْمَةً كُلَّ أُسْفُفٍ وَقَصٍّ وَمِطْرَانٍ، مَرَبَّحًا بَيْنَ الْقِدِّيسِ
وَالْقِسِّيسِ وَالشَّامْسِ وَالرُّهْبَانِ؛ لَتُصْبِحَ أَحْكَامُ كِبَرِهِمْ وَصَغِيرِهِمْ بِهِ مَنُوطَةٌ، وَمَوَارِئُهُمْ
مَقْسُومَةٌ بِشَرْعَتِهِ الَّتِي هِيَ لِنَسَبِهِمْ مَبْسُوطَةٌ؛ وَيَقِفَ كُلُّ مِنْهُمْ عِنْدَ تَحْرِيمِهِ وَتَحْلِيلِهِ،
وَلَا يَخْرُجَ فِي شَرْعَتِهِمْ عَنْ فِعْلِهِ وَقَوْلِهِ وَلَا يَقْدَمَ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ رَضِيَ بِتَأْهِيلِهِ؛ وَلِبَاسُهُ
كُلُّ قَائِمٍ مِنْهُمْ وَدَانٍ، وَمَنْ يَتَعَبَّدُ بِالذِّكْرِ وَالصَّوَامِيعِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسْوَانِ، يَرْفَعُ
الْأَدْعِيَةَ بِدَوَامِ دَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ الَّتِي أَسْلَمَتْ لِمَنْ هَذَا الْإِحْسَانُ؛ وَيُزَيَّرُ كُلًّا مِنْهُمْ
بِأَنْ لَا يُحْدِثَ حَادِثًا، وَيُكْرَمُ زُكُلٌ مَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ رَاحِلًا أَوْ لَا يَسَا؛ فَإِنْ هَذِهِ الْوَلَايَةُ
قَدْ آلَتْ إِلَيْهِ، وَهُوَ أَدْرَبُ بِمَا تَطْوِي شُرُوطُهَا عَلَيْهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ الْبَهْجَةَ [لَدَيْهِ]
مُقِيمَةً [وَالنِّعْمَةَ عَلَيْهِ مُسْتَدِيمَةً]؛ وَأَخْلَطُ الشَّرِيفَ أَعْلَاهُ، حُجَّةً بِمُوجِبِهِ وَبِمُقْتَضَاهُ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.



وهذه وصية بطرك الياقبة أوردتها في "التعريف" قال :

وَيُقَالُ فِي وَصِيَّةِ بَطْرِكِ الْيَاقِبَةِ مِثْلُ مَا فِي وَصِيَّةِ بَطْرِكِ الْمَلِكِيَّةِ، إِلَّا فِيمَا يُنْبَهُ عَلَيْهِ.
وَيَسْقُطُ مِنْهُ قَوْلُنَا : « وَأَعْلَمَ بِأَنَّكَ فِي الْمَنَخَلِ إِلَى شَرِيعَتِكَ طَرِيقٌ إِلَى الْبَابِ » إِذَا
كَانَ لَا يَدِينُ بِطَاعَةِ الْبَابِ الَّذِي هُوَ رَأْسُ الْمَلِكَانِيَّينَ، وَإِنَّمَا هُوَ رَأْسُ الْيَاقِبَةِ نَظِيرُهُ
لِلْمَلِكَانِيَّينَ، وَيُقَالُ مَكَانَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ « وَأَعْلَمَ بِأَنَّكَ فِي الْمَنَخَلِ إِلَى شَرِيعَتِكَ قِسِمَ
الْبَابِ وَأَتَمًّا سِوَاهُ فِي الْإِتِّبَاعِ، وَمُتَسَاوِيَانِ فَإِنَّهُ لَا يَزْدَادُ مِصْرَاعٌ عَلَى مِصْرَاعٍ » .
وَيَسْقُطُ مِنْهُ قَوْلُنَا : « وَلْيَحْتَجِبِ الْبَحْرُ وَلِبَاسُهُ مِنْ اقْتِحَامِهِ فَإِنَّهُ يَقْرُقُ » وَثَانِيَةَ هَذِهِ
الْكَلِمَةِ إِذَا كَانَ مُلْكُ الْيَاقِبَةِ مُقْلَعًا [فِي الْجَنُوبِ ^(١)] وَلَا يَجْرُ، وَيُسَدَّلُ بِقَوْلُنَا :
« وَلْيَحْتَجِبْ مَا لَعْلَهُ يَنْوُبُ، وَلْيَتَوَقَّ مَا يَأْتِيهِ سِرًّا مِنْ تَلْقَاءِ الْحَبَشَةِ حَتَّى إِذَا قَدَّرَ فَلَا

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٤٦ .

يَسْمُ أَنْفَاسَ الْجَنُوبِ؛ وَلِيَعْلَمَ أَنَّ تِلْكَ الْمَادَّةَ وَإِنْ كَثُرَتْ مَقْصَرُهُ، وَلَا يَحْفَلُ بِسُودَدِ
السُّودَانِ فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ آيَةَ اللَّيْلِ مُظْلِمَةً وَآيَةَ النَّهَارِ مُبَيِّرَةً» ثُمَّ يُخْتَمُ بِالْوَصِيَّةِ بِالتَّقْوَى
كَمَا تَقَدَّمَ، وَنَحْوُ هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

النوع الثاني

(ما هو خارج عن حاضرتي مصر والقاهرة : من وظائف الديار المصرية
مما يُكْتَبُ لأربابها . وهي ثلاث جهات)

الجهة الأولى

(نَقَرُ الإسْكَندَرِيَّةِ ، وَالوظائف فيها على ثلاثة أصناف)

الصنف الأول

(وظائف أرباب السيف وبها وظيفة واحدة وهي النيابة)

وقد تقدّم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أنها كانت أولاً ولايةً،
إلى أن طرّقها القرنج في سنة سبع وستين وسبعائة ، فاستقرّت من حينئذ نيابةً،
يُكْتَبُ لثانها تقليد في قطع الثلثين ؛ «الجناب العالي» مع الدعاء بمضاعفة النعمة .

وهذه نسخة تقليد بياضة نَقَرُ الإسْكَندَرِيَّةِ :

الحمد لله على نعمٍ باسمِةِ النَّعْرِ، مُسْفِرَةِ الْقَجَرِ، راقعةِ الْقَدَرِ .

نحمده حمداً يشرح الصدر، ويطلع طلوعَ البدر، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادةً مُخَالِفٍ من مُخَالِفِها، ومُخَالِفٍ من مُخَالِفِها؛ ونشهد أن محمداً عبده

ورسوله أفضل نبي رآبط في سبيل الله وجاهد، وكابد في الجهاد أعداء الدين وكابد؛
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين خاضوا في غمرات الدجى كل غمر، وندبوا
لحماية الدين ... (١) ... كريمة وسداد قفر .

أما بعد، فإن الأهتمام بالنفور هو أولى ما إليه حشد، وعلى مصالحها أعتمد؛ وكان
تفر الإسكندرية المحروس هو المقترة عن أحسن الثنايا، والمخصوص من الحيطة
بأنهم المزايا؛ والذي كم شفت شفاؤه من سقم عند آرتساف، والذي المناخر به
والمرابط كم له بالحسنات من اختلاف؛ وكانت المصلحة تقتضى أن لا يختار له
الإكل كامل الأوصاف، كافي بما تستحيه مصلحة أهله من إنصاف؛ ذو عزم
بعضي والمهم مستودعة في الكائن، ويقضى بالعدل المزيل للشوائب والشوائن،
ومن له حزم يستقر المعايير دون كل ملاحظ ومعاين؛ وله سياسة تحفظ بمثلها
النفور، وتضان الأمور، وله بشاشة تستجلب النور، وتوفق ما بين الألسنة
من أولى الود والصدر؛ وله حيطة بنا يقال: هذا جانبه ديمت إذ يقال: هذا
جانبه صعب ممتنع، وبينما يقال ليقظته للصحة: هذا سحاب يتجهم إذ يقال هذا
سبل متدفع .

ولما كان فلان هو مستوعب هذه الصفات، ومستودع هذه الأسماء والمهمات؛
وإليه بهذه المناقب يُشار، وهو صاحب أذيل هذا الفخار - أقتضى حسن الرأي

(١) يماض بالأصل ولله فكانوا اليوم الخ .

(٢) في الأصل « كفت » وهو تصحيف من التامخ .

(٣) لعله سحاب جهام . أى لا ماء فيه . تأمل .

الشریف أن تُفَوَّضَ إِلَيْهِ نِيَابَةُ السُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ بِشَرِّ الْإِسْكَانْدَرِيَةِ الْمُحْرُوسِ ،
تَفْوِضًا يَحْضِي فِي مَصَالِحِهِ لِسَانَهُ وَقَلْبَهُ ، وَيُصَرِّفُ بَيْنَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَائِي إِشَارَاتِهِ
وَكَلِمَتِهِ ، وَيَزِينُ مَوَازِيَهُ بِطَلْعَتِهِ ، وَيَزِيدُ مَهَابَتَهُ بِبُعْدِ صَيْتِهِ وَأَشْهَارِ مُنْعَتِهِ .

فَلْيُبَايِعْهُ هَذِهِ الْوُظَيْفَةُ مُجْمَلًا مَوَازِيَهَا ، مَكْمَلًا مَرَاتِبَهَا ، مَوْثَلًا بِقَوَاعِدِ الْأَمْنِ أَرْجَائَهَا
وَجَوَانِبَهَا ، نَاشِرًا لَوَاءَ الْعَدْلِ عَلَى عَوَالِمِهَا ، قَابِضًا بِالْإِنْصَافِ لِمُظْلَمِ رَعِيَّتِهَا عَلَى يَدِ
ظَالِمِهَا ، مُعْلِيًا مَنَارَ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ بِمَعَاضِدَةِ حُكْمِهِ وَالْأَقْيَادِ إِلَى أَحْكَامِهِ ، وَالْوُقُوفِ
فِي كُلِّ أَمْرٍ مَعَ تَقْضِيهِ وَإِبْرَامِهِ ، وَلِيَحْرُسَ جَوَانِبَ هَذَا الثَّرْوِ وَيَحْيِيَهَا ، وَلِيَصُنَّ عَوَارِضَهُ
وَمَا فِيهَا وَمَنْ فِيهَا ، وَلِيَكْلَأَ بَرًّا وَبَحْرًا ، وَلِيُخْرِجَ عَلَيْهِ مِنْ ذَبِّهِ سِتْرًا فِئْتَرًا ، وَلِيُنْجِصِ
لِسَانَهُ ^(٢) طَلَبًا ، وَلِيُلْقِيَهُمْ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ أَرْبَابًا ، وَيُجِيلَ مَعَامَلَةً مَنْ وَجَدَ مِنْهُمْ
فِي سَفَرِهِ نَصَبًا ، وَأَتَّخِذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا . وَالرَّعِيَّةُ فَهُمْ طِرَازُ الْمَسَالِكِ ، وَعُنوانُ
الْهَيْمَةِ الَّذِي مَنْ شَاهَدَهُ فِي هَذَا الثَّرْوِ عَلِمَ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ ، وَأَحْسِنَ إِلَيْهِمْ وَأَرَأَفَ بِهِمْ ،
وَلْيَقْضِهِمْ مَنْ عَدَلَ هَذِهِ الدُّوْلَةُ غَايَةَ آرِيهِمْ ، وَأُمُورُ الْخُمْسِ وَالذُّيُونِ فَلَهَا قَوَاعِدُ
مُسْتَقَرِّهِ ، وَقَوَائِنُ مُسْتَمَرِّهِ ، فَاسْلُكْ مِنْهَا جَنَدًا وَاصْحَا ، وَأَبْتِغْ لَهَا عِلْمًا لَا يَمُوتُ ،
وَعِزًّا لَا يَفُوتُ ، فَلَئِنْ كَانَ عَلَى فَهْمِكَ يَنْفَى ، مِنْ تَقْوَى اللَّهِ الَّتِي بِهَا تُكْفَى عَيْنُ الْمُضَارِّ
وَتُكْفَى ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُلْهِمُكَ صَوَابًا ، وَلَا يَجْعَلَ بَيْنَ جِجَاكَ وَبَيْنَ الْمَصَالِحِ حِجَابًا ،
بِحَمْدِهِ وَكَرَمِهِ ! .

(١) مَوْثَلًا مَجْمَعًا . مِنْ وَثَلِ الشَّيْءُ أَصْلَهُ وَبَكَتَهُ .

(٢) لِسَانُهُ هُمُ الْمَسَافِرُونَ .

الصنف الثانى

(من الوظائف التى يكتب بها بشرف الإسكندرية - الوظائف الدينية،

وكلها تواقع، وفيها مرتبتان)

المرتبة الأولى^(١)

(ما يكتب منها فى قطع الثلث بـ «السامى» بالياء، وفيها وظائف)

الوظيفة الأولى

(القضاء)

وهو الآن مختص بالمالكية، وقاضيا يعثت فى نفس المدينة وظاهرها،
ليس له ولاية فيما هو خارج عنها .

وهذه نسخة توقيع بقضاء قمر الإسكندرية لمالكى، كُتب به للشيخ «وجيه الدين
محمد بن عبد المعطى الإسكندرى المالكى» وهى :

الحمد لله رافع قدر من توه العلم بذكره، ونور الثقى مواقع فكره، ونبه الورع على
رفعة قدره، وأشرق به منصب الحكم العزيز بأشراق الأفق بطلوع بذكره، وأضاءت
بنور أحكامه غوامض القضايا الشرعية إضاءة الدجى بقرة فجره، وقضى له دوام
الإصابة فى الاجتهاد بإحراز أجره إذا كان أحد قسنى الاجتهاد مقتضياً لأجره،
وملئ صدره بأنواع العلوم الدينية فوسع له الشرع الشريف صدر مجلسه وأعد له
مجلس صدره، وزخّر من خاطره بحر العلم فأرتوت رياض الخواطر بأنوار فرائد ذكره،

(١) لم يذكر الثانية فما يأتى .

وأسقَر وجهَ الدين بُنور علمه وعَمَله : فقام هذا مقامُ السُّرور في أسارىه ونابَ هذا منابَ الشُّبب في قَفَره .

نحمده حمداً يزيدُ قدرَ النعمِ تَوْبِها ، ويُسوِّغُ في المحامد تعظيماً لمُسَدِّ المِنَّة وتزَيُّها ، وَيَنْهَضُ بِشكر التوفيق في اختصاصِ مَنْصِب الحكمِ مِن كَانَ عند الله وَيَجِها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تَقَرُّ ثَمَرُ الإيمانِ بالإسلام بِإدامتها ، وتُثَبِّتُ قَوَاعِدُ الإِيْمَانِ عَلَى إِقَامَتِها ، وَتُسَمِّى بِوَارِقِ النَصْرِ عَلَى جَاحِدِها مِنْ أَشْيَاءِ غَمَاتِها ، ونشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله الذى أَنَارَتِ الْآفَاقُ بِبَلَمِّه ، وَدَارَتْ أَدَاةُ التَّشْبِيهِ بَيْنَ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَعُلَمَاءِ أُمَّتِهِ ، وَضَاهَى شَرْعُهُ شَمْسَ الظُّهُورِ فِي وَضُوحِ أَحْكَامِهِ وَظُهُورِ أَدِلَّتِهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ عَمِلُوا بِمَا طَلَبُوا ، وَجَاهَدُوا أَعْدَاءَ اللهِ فَاضْفَعُوا لِدَلَالَتِهِ وَلَا أَلْمُوا ، وَقَضَوْا بِالْحَقِّ بَيْنَ أُمَّتِهِ فَلَا الْمَقْضَى لَهُمْ أَمْنًا وَلَا الْمَقْضَى عَلَيْهِمْ ظُلْمًا ، صَلَاةً لَا تَزَالُ لَهَا الْأَرْضُ مَسْجِدًا ، وَلَا يَرِجُ ذِكْرُهَا مُتَّبِعًا فِي الْآفَاقِ وَمُنْجِدًا ، وَسَلَمٌ تَسْلِيًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَنْ قُلِدَ الْحُكْمُ وَإِنْ نَأَى بِهِ الْوَرَعُ عَنْ تَوْفِيقِهِ ، وَخُطِبَ لِلْقَضَاءِ وَإِنْ أَعْرَضَ بِهِ الزُّهْدُ عَنْ طَلَابِهِ وَتَبِعَهُ ، وَدُعِيَ إِلَيْهِ إِذِ الْإِجَابَةُ عَلَيْهِ مَتَّبِعَةٌ ، وَوُضِعَتْ مَقَالِيدُهُ بِحُكْمِ الْأَسْتَحْقَاقِ [فِي يَدَيْهِ] إِذْ أَوَّلِيَّتُهُ الْبَيِّنَةُ لَا تَحْتَاجُ إِلَى بَيِّنَةٍ .

مَنْ عُدِدَتْ عَلَى تَعَيُّنِهِ لِهَذَا الْمَنْصِبِ الْجَلِيلِ الْخِتَاصِرُ ، وَدَعَتْ إِلَى أَسْتِدْطَائِهِ إِلَيْهِ فِضَائِلُهُ الْكَابِتَةُ الْقَوَاعِدِ وَزَهَادَتُهُ الزَّاكِيَةُ الْأَوَاصِرُ ، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ مَعْلُومُهُ دَلَالَةُ الْأَضْوَاءِ ، عَلَى لَوَائِمِ الشُّبْبِ ، وَنَبَتْ عَلَيْهِ فَنُونُهُ تَنْبِيهُ الْأَنْوَاءِ ، عَلَى مَوَاقِعِ السُّحُبِ ، وَشَهِدَ بِوَرَعِهِ الْمُتَتِينَ ، تَفَقُّهُهُ وَأَعْتَرَالَهُ ، وَأَنبَأَ عَنْ نُبُوْضِهِ بِنُصْرَةِ الدِّينِ ، قُوَّةَ جِدَالِهِ الَّذِي هُوَ جَلَادٌ مُثْلُهُ وَزِيَالُهُ ، وَتَجَمَّرَ فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ حَتَّى جَاوَرَ الْبَحْرَ بِمِثْلِهِ وَلَكِنَّهُ

العذب الزلال ، وشغل نفسه بالتنوع فى الفنون فكان التحلّى بعبادة الله ثمرة ذلك الاشتغال ، ومشى على قدم الأئمة العلماء من أسلافه فلم يُسَقِّ فى ذلك المضمار غبارهُ ، ونشأ على طريقة العلم والعمل : فنهأه بالانقطاع إليه ليلاً وليلاً بالاشتغال بهما نهاره .

ولما كان فلان هو الذى خطبته هذه الرتبة السنية لنفسها ، وتُسَوِّقُ إلى الإضاءة بطوكمه فى أنفها تسوق المطالع إلى الإضاءة بطُلُوع شمسها ، وأثنى لسان القلم على فضائله وهو يعتذر من الاختصار ، واقتصرت البلاغة على اليسير من التعريض بوصفه وطالب ما لا يحصر ممدور فى الاقتصاد والإقتصار ؛ وعين لما تعين عليه من مصالح الأئمة وذلك يقضى لمثله من أهل الورع أن يُجيب ، وطُلب لعموم مصالح الإسلام التى ما ينبغى لمثله من أنصار السنة أن يتأخر عن مثله أو يغيب ؛ وكان ثمر الإسكندرية المحروس من المماثل التى يفتقر عن شلب النصر تفرها ، ومن أركان الدين التى ينقص بأبطالها بحرهما ؛ وهى مأوى صلحاء الجهاد الذين ساهم ليلهم أسبق إلى الصدا من ساهمهم ، وموطن العلماء من أهل الاجتهاد الذين يعيد دم الشهداء مداد أعلامهم ؛ وهى داره التى ترضى به نواحيها ، وموطن رباطه الذى يوم وليلة منه فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها - أقتضت آراؤنا الشريفة أن نخص منصب حكيمها بعالم أفضها المنبر ، وزاهد تفرها الذى ماشام برفه بصردو لا وأقلب إليه خائباً وهو حسير ، أن نفوض إليه منصب القضاء والحكم العزيز بفخر الإسكندرية المحروس ، على قاعدة من تقامه فيه ، نظراً فى عموم ذلك التفر المحروس به (٩) إلى من أتعقد إجماع أئمة عصره ومصره على سعة علمه ووفور ورعه وكال فضله .

(١) مراده أنها مأوى صلحاء المصدين الذين اطلع .

(٢) يظهر أن فى هذه العبارة سقطا وكرر .

فليسأشر هذا المنصب الذى مَلَكَ أمره العلمُ والثَّقَى ، ونظامُ حكمة العبدُ
والورعُ وهما أَكَلُ ما به يُرتَقَى ؛ وَلِحُكْمِ بما أَرَاهُ الله من قواعد مذهبِهِ الْحُكْمَ ،
وأحكام إمامِهِ التى هى بمصالح الدِّينِ والدُّنْيَا مُحْكَمَةٌ ؛ وَلِقَضِ بِأَقْوَالِ إِمَامِ دارِ الْهِجْرَةِ
الَّتِى مِنْهَا صَدَرَتِ السُّنَّةُ إِلَى الْآفَاقِ ، وَعِنَّا أَخَذْتُ ذَخَائِرُ السُّلَمِ الَّتِى تَرْكُو عَلَى كَفَّةِ
الْإِنْفَاقِ ؛ وَبِهَا جَمِىءُ الْأَحْكَامِ الدِّينِيَّةِ مَوْطَأُ الْأَكْثَافِ ، وَفِيهَا اسْتِقَامَ عُمُودُ الْمِلَّةِ مَمْدُودِ
الْطَّرْفِ عَلَى سَائِرِ الْأَطْرَافِ ؛ فَلَيْلٍ مِنْ ذَلِكَ وَغَيْرِهِ جَمِيعٌ مَا كَانَ يَلِيهِ مَنْ تَقَدَّمَ ،
وَتَقَضِيهِ قَوَاعِدُ وَلَايَتِهِ الَّتِى أَمَضَيْنَا فِيهِ لِسَانَهُ وَقَلَمَهُ .

فَأَمَّا مَا يَدْخُلُ تَحْتَ هَذَا الْإِجْمَالِ مِنْ آدَابِ الْقَضَاءِ وَقَوَائِدِهِ ، وَأَدْوَانِهِ وَصَوَائِلِهِ :
مِنْ تَخْصِيصِ الْحُكْمِ بِأَوْقَاتِهِ ، وَمُسَاوَاتِهِ بَيْنَ الْمُتَخَصِّصِينَ فِي أَنْصَابِهِ وَأَنْصَابِهِ ؛ وَاجْتِنَابِ
الْحُكْمِ فِي الْأَوْقَاتِ الْمُتَقَضِيَةِ لِتَرْكِهِ ، وَتَوْقُيْ نَقْضِ الْأَحْكَامِ الَّتِى نَظَّمَهَا عَدَمُ عَاقِلَةٍ
النَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ فِي سِلْكَهِ ؛ فَإِنَّهُ مَكْتَفٍ بِالْإِجْمَالِ عَنْ تَفْصِيلِهَا ، مَكْتَفٍ عَنْ ذِكْرِ
كَثِيرِهَا بِالْإِيمَاءِ إِلَى قَلِيلِهَا ؛ لِذَلِكَ هُوَ أَدْرَى بِأَوْضَاعِهَا شَرْعًا وَعُرْفًا ، وَأَدْرَبُ بِمَا قَدْ
بَشَّدَ مِنْهَا عَنِ الْمَعِينَةِ أَوْ يَخْفَى ؛ وَمَلَكَ الْوَصَايَا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَهِيَ مِنْ خَصَائِصِ
نَفْسِهِ ، وَفَوَائِجِ مَا أَبْتَدَأَ الْوَرَعَ بِإِتْقَانِ دَرْسِهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُؤَيِّدُ حُكْمَهُ ، وَيُعْلِي
عَلَمَهُ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! وَالْاعْتِدَادُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وَأَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ فِيمَا تَهْتَمُّ قَدْ وَلِيَهَا قَاضٍ شَافِئٌ .

وهذه نسخةُ تَوَقِيعِ بَقَضَائِهَا ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي «عَلَمُ الدِّينِ الْإِسْخَانِي» الشَّافِئِي ،
فِي ثَمَانٍ شَعْبَانَ سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَهِيَ :

الحمد لله الذى رَفَعَ لنا فى كلِّ نَفَرٍ عَلَمًا ، وأَجْرَى لنا فى جِوَارِكُلِّ بَحرٍ مِياضاهيه
كَرَمًا ، وجَعَلَ من حُكْمِ دولتنا الشَّرِيفَةِ من يُعرَفُ بنسبه الإنسانِ بِلِ السَّنائِ أَنه
يُحُو من العِلْمِ كُلِّها .

نَحْمَدُه عَلَى أَن زَادَنَا نِعَمًا ، وَوَفَّرَ للأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ بِنَاقِسِها ، وَأَغْلَى قِيَمًا ، [فَانْخَسَتْ]
تُكَاثِفُ الدَّرَ الثَّانِينَ قِيَمًا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ شَهِادَةٌ تُجْزِدُ
لِإِقَامَتِها سِيفًا وَقَلْبًا ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِى جَعَلَ اللهُ لَهُ شَرِيعَةً مَّادِيَةً^(١)
وَدِينًا قِيَمًا ، وَنُصِّبُ من أُمَّةٍ أَتْباعَهُ كُلِّ عِلْمٍ يَهْدِى أُمَمًا ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَوَجَّهَهُ
صَلَاةً باقِيَةً مَابَقِيَتْ الأَرْضُ وَالسَّمَاءُ ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا .

وبعد ، فَإِنَّ أَوَّلَى الثَّنُورِ بَأَن لا يَزَالُ بِهِ عِلْمٌ مَرْفُوعٌ ، وَعِلْمٌ مَبْصُورٌ حِجَابُهُ الْمُتَنَوِّعُ ،
وَعَمَلٌ يَمِشِي بِهِ أُنْمَةُ الأُمَّةِ عَلَى طَرِيقِهِ المَشْرُوعُ ، تُفَرُّ الإِسْكَندَرِيَّةُ - حَمَاهَا اللهُ
تَعَالَى - فَإِنَّها من دارِ المَلِكِ فى أَعَزِّ مَقامٍ ، ومن مُجاوِرَةِ البَحرِ فى مَوْطِنِ جِهادٍ تُحَقِّقُ
به الأَحْلامَ ؛ وَظالِبٌ مَن فِيها إِما فُقِيهٌ يَتَمَسَّكُ بِالشَّرِيعَةِ الشَّرِيفَةِ فى عُلُوِّ عُلُومِهِ ،
أَوْ رَبٌّ مالٍ لَهُ وَقُوفٌ يَجْلِسُ الحُكْمَ العَزِيزَ يَنْتَصِفُ من خِصامِ خُصُومِهِ ؛ وَلَمْ تَزَلْ
وِظِيفَةُ القِضاءِ بِها أَهْلَةُ الصَّدُورِ ، كَامِلَةُ البُدُورِ ، مُتَهَلِّلَةٌ بِما لا يَفُوتُ الشَّنَبُ كِبَارِقى
الجَنَرِ إِذا حَكَّى إِيمائِضُ الثَّنُورِ ؛ وَكانَ لَها مَدَّةٌ قَدْ خَلَتْ وَنَحْنُ نَفْكَرُ فِيمَن يَكُونُ
سَدادًا لِنَفَرِها ، وَكَافِيًا فِيا يَهِيمُ فى الأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ من أُمُريها ؛ وَكَافِلًا من الحَقِّ الَّذِى
أَمَرَ اللهُ بِهِ بِما بَقِيَ النَفُوسُ ، وَقائِمًا فى مَدارسِها بِما يَزِيدُ مَعالِمَها إِشادَةً فى الدُّروسِ ؛
حَتَّى أَجْمَعْتَ آراءُنا الشَّرِيفَةَ عَلَى من يُحْسِنُ عَلَيْهِ الإِجماعُ ، وَتُحَسِّمُ بِهِ دِوائِى التَّرَاقُ ،
وَيَحْصُدُ طَلْمَهُ عِلْمُ الشَّمْسِ لِمَا عَلا عَنها من كُرَّةِ الأَرْتِفاعِ ؛ وَمن يَتَضَرَّعُ بِنَشْرِ العَدْلِ

في يُعْنَى كُفَّهُ الْقَلَمَ ، وإذا وَقَفَتْ به الرُّكُوبُ قَالَتْ : يَسَارِي الْقَصْدَ هَذَا الْبَارِئُ
وَالْعَلَمَ ؛ وكان المجلس السامعُ القضاةَ الْعَلِيِّ الْإِسْنَانِي الشافعي ، أدام الله علوه هو
الْعَلَمُ الْمُنْشُورُ ، وَالْعَلَمُ الْمَشْهُورُ ، والمرادُ بما تقدم من وصفٍ مُشْكُورٍ ؛ فاقْتَضَتْ
مُرَاسِمَتَنَا الْمُطَاعَةَ أَنْ تُنَاطَ به من الأحكام الشرعية القضاية ، وأن يُبَيِّنَ هذا النعم
بِحُكْمِهِ عن واضح التنايا .

فلذلك رُسِمَ بالأمر الشريف ، العالی ، المولوی ، السلطانی ، المَلِكِي ، الباصري :
زاده الله شرفاً ، وضاعف له تصرفاً - أن يفوض إليه القضاء بمدينة إسكندرية -
حماها الله تعالى - على عادة من تقدمه وقاعدته المستحقة إلى آخر وقت ، على أنه
يُسْتَتِيبُ عنه في تحمله وفيما شاء منه من هو موصوفٌ بصفته ، موقوفٌ بدينه وعلمه
ومعرفته ؛ وليُنْتَصَبَ في مجلس الحكم العزيز لمن ينصف ، ويُعْمَلُ بما يُرِضِينَا من
مراضى الله تعالى فَإِنَّ الْعِيُونَ أَنْ تُنْظَرَ وَاللُّسِنَةُ أَنْ تُصَفَ ؛ ولينظر في أمر الشهود
فإن الأحكام الشرعية على شهادتهم تُبَيِّنُ ، وليحتَرِزْ من الوكلاء فإن منهم من يجعل
الظنَّ يَقِينًا وَالْيَقِينَ ظَنًّا ، ولينظر في أمور الأيتام ويتصرف في أموالهم بالحسنى ؛
وليقيم الحدود ، على مقتضى مَلْهُمِهِ ، وليعول في العقود ، على من لا يخاف معه أمرؤ
على إلحاق في نفسه ؛ وغير هذا مما إليه مرجعه ، وإليه ينتهي مفترقه ومجتمعه
وبحكمه يفصل أمره أجمع ؛ وليُخْذِ الله تعالى عليه رَقِيًّا ، ويعلم أنه سِيرَى كُلِّ
ما يعملُه عند الله قَرِيبًا ؛ وَتَقْوَى الله هي التي تنفذ معه طليها عهدنا مسؤلًا ، ورجاء
مأمولًا ؛ وقولا عند الله وملائكته وأنيابته مقبولًا ، وقوله منها على كل مخالف سيقًا
مسؤلًا ؛ ونحن نرغب إلى الله أن يوفقه في حكمه ، ويُعِينَهُ على كل ما يُعْجَلُ من الوضايا
بما هو ملئ به من عمله وعلمه ؛ وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ ، حُجَّةٌ فِيهِ .

قلت : وكان قد استُحدثت بالإسكندرية قاض حنفى فى الدولة الأشرفية « شعبان بن حسين » يولى من الأبواب السلطانية رفيقاً للقاضى المالكي بها ، يتحدث فى الأحكام فى القضايا المتعلقة بمنهجه خاصة ، وأمر مودع الأيتام ونظر الأوقاف ، وغير ذلك من متعلقات قضاء القضاة مختص بالمالكي ؛ ثم صارت بعد ذلك تارة يولى بها حنفى كذلك ، وتارة تسفر منه . فإن وليها حنفى ، كتب له فى قطع الثلث كما يكتب للقاضى المالكي ، وليس بها الآن شافى إلا نائباً عن المالكي ، ولا حنيل بها أصلاً .

الوظيفة الثانية

(الحسبة بغير الإسكندرية)

ومحسبها يمضى تحفته فيما يختص به قاضها ، وليس له ثواب فيما هو خارج عن ذلك من البلاد .

وهذه نسخة توقيع بالحسبة بغير الإسكندرية .

الحمد لله الذى جعل المناصب فى أيامنا الزاهرة محفوظة فى أكفائها ، مضمونة لمن تقاضت [له] من الإقبال ر [د] جفاتها ، معدوفة فى ما لها إلى من زانها بمعرفته الحسنة بحسن (١) ... بمن دلت كفائه وكفايته على أنه أولى بتقرئها وأحق باصطفاها .

أحمد على تيمه التى لم تحبب فى إحساننا أملاً ، ولم تُضَيِّع سعى من أحسن [العمل] فى مصالح دولتنا إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة هى أشرف ما فاه به اللسان ، وأفضل ما تُعبد به

(١) يراض بالأصل . وله " معرفته الحسنة وحسن جاتها ، خصوصاً من الخ "

الإنسان ، وأرفع ما ملكت به في الدنيا والآخرة عظام الرتب الحسان ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أحل الطيبات وأباحها ، وأزال الشبهات وأزاحها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تمسكوا بأحكامه ، ووقفوا مع ما شرع لهم من حلال دينه وحرامه ، وحافظوا على العمل بسنته بعدة محافظتهم عليها في أيامه ، صلاة يتوقد سراجها ، ويتأكد بها انتساق السنة وانتساجها ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى من رجع فيه حق منصبه إلى نصابه ، ورد به واجب رتبته إلى من جعلته سواق سيرة أولى به ، وتقاضت له سيرته عواطف كرمنا ، ونهضت زاهته باستطلاع ما غاب عنه من عوارفنا ونعمنا ، وأغنته أوصافه عن تجديد ثناء يستمد به رثا القديم ، ويستندام له به فضلنا العميم ، وتستز به أخلاف كرمنا الذي تساوى في عمومته الظاعن والمقيم - من زان التقى أوصافه ، وكملت الفقه معرفته وإنصافه ، وتولت الديانة نظره فيما علق [به] من مصالح الرأيا خصوصاً وعموماً ، وتكفلت الخبرة من اعتباره لأمر الأثوات بأن جعل لكل منها في الجودة حداً معلوماً ، وبأشر ما فوض إليه بجمع بين رضا الله تعالى ورضا خلقه ، وعول عليه في حنسة أعز الثغور لدينا فتصبح الرأيا فيما بسط لهم من رزقه .

ولما كان فلان هو الذي أضاعت أوصافه وهل شُكر الإضاءة للسراج ، وشوّقت إليه رتبته فلم يكن لها إلا إليه ملاذ وإلا عليه معارج ، فسلك من السبيل أرضاه لربه ، ومن الأحوال أجمعها لأمن طاقته وسلامة غيبه ، ومن الاجتهاد في مصالح الرأيا ما يضاعف شكره على احتسابه ، ومن الخبرة ما يعرف كلا منهم كيف يكون اكتساء البرية في اكتسابه - ريم أن يستقر

فليستمر في ذلك على عادته التي ناضلت عنه فاصابت ، وقاعدته التي دعت له عواطف نعمة فأجابته ؛ وليزد في التحذير والتحقيق ما استطاع ، ويُناقش حتى يستقر على الصحة فيما يُباع أو يُبتاع ؛ ويقابل على الفش بما يردع متعاطيه ، ويزجر صانع الأعمال الفاسدة عن استدامتها ومن يوافقه على ذلك ويواطيه ؛ ويحرم أموال الأحماس بملاحظة أصولها ، والمحافظة على ريعها وعصبولها ؛ وإمضاء مصارفها على شروط واقفيها إن علمت ومزية (٩) ما قلتم من شكره والثناء عليه ؛ وملائك ذلك جميعه تقوى الله تعالى وهي أخص ما قلتم من أوصافه ، والرفق بالرعايا وإنه من أحسن حلل معرفته وإنصافه ؛ والخير يكون إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثالثة

(نظر المصادر)

وموضوعها التحدث في قدر مقرر يؤخذ من تجار القريج الوارد من إلى الإسكندرية ، وعليه مرتبات لناس مخصوصين من أهل العلم والصلاح ، يُنفق عليهم بمقادير معلومة من متحصل هذه الجهة .

وهذه نسخة توقيع بنظر الصادر والوارد ، أنشأته عن السلطان الملك الناصر «فرج بن الظاهر برقوق» للقاضي ناصر الدين «محمد الطنّاحي» . إمام المقام الشريف السلطاني ، في منتصف شهر صفر سنة أربع وثمانمائة ، وهي :

الحمد لله الذي جعل من سلطاننا الناصر لأخص ولي أعز ناصر ، وخصه من فائض كرمنا المتابع ومنا المترادف بأكرم وإرد وأبر صاير ، وبؤاه من فضلنا المنيف أفضل مبول : فتارة تأتم به الملوك وتارة ينحطب الكفاة على رؤوس المنابر .

نحمده على أن جعلنا تتبع في الولايات تَهَجَّ الصُّوَابِ وَقَتَّيْهِ ، وَأَثَرْنَا مِنْ أَمْرَةِ
الْأَبُوَةِ إَعْلَى مَوَاقِعِ الْإِحْيَاءِ وَالْوَلَدِ مِرْأِيهِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ الَّذِي أَنْزَلَ طُغَاةَ الْكُفْرِ بَقَعِ آثَانِ كُبْرَانِهِمْ ، وَأَزْيَاهُمْ الصَّغَارِ بِحَالِ
يُؤْخَذُ مِنْ أَهْوِيَاءِ أَغْنِيَانِهِمْ فَيُفَرِّقُ فِي ضُعْفَاءِ الْمَسَامِينِ وَقُفْرَانِهِمْ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ
وَرَسُولَهُ الَّذِي نَدَّبَ إِلَى مَبَرَّةِ أَهْلِ الْفَضْلِ وَذَوِيهِ ، وَرَغَّبَ فِي رِعَايَةِ الْمَوَدَّةِ لِلْآثَاءِ
بِقَوْلِهِ : «إِنَّ مِنْ أَرْبَابِ الرَّجُلِ أَهْلٌ وَدُّ أَيْسَهُ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
الَّذِينَ حُدِّقَتْ بِهِمْ مَهَمَاتُ ، فَقَامُوا بِحَقِّهَا ، وَوَكَلَتْ إِلَيْهِمْ جَلَالُ الْوِلَايَاتِ ، فَأَحْرَزُوا
بِحِمْلِ التَّائِيَةِ قَصَبَ سَبْقِهَا ؛ صَلَاةً يَنْقُضُ عَلَى مَدَى الْأَيَّامِ حُكْمُهَا ، وَلَا يَتَغَيَّرُ عَلَى مَرَّةِ
الزَّمَانِ رِسْمُهَا ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فإن من كَرَّمَ مَحَايَاَنَا الَّتِي جُعِلْنَا عَلَيْهَا ، وَشَرِيفَ شَيْئَانَا الَّتِي يَتَّخِذُهَا طَيْبُ
الْعَنْصَرِ إِلَيْهَا ، أَنْ نَحْصُ أَخْصَ الْأَوْلِيَاءِ بِأَسْنَى الْوِلَايَاتِ ، وَنُخَفِّ أَصْنَى الْأَصْفِيَاءِ
بِنَهَايَةِ غَيْرِهِ فِي الْبِدَايَاتِ ؛ وَنَرْفَعَ قَدْرَ مَنْ لَمْ يَزَلْ ظَهْرُهُ لِلْمُلُوكِ مَحْرَابًا ، وَتَوَّهَ بِذِكْرٍ مِنْ
رَفِضَتْ فِيهِ الْوُظَائِفُ فَعَدَلَتْ إِلَيْهِ عَنْ سِوَاهِ إِضْرَابًا .

وَكَانَ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ ، الْقَاضِي ، الْعَالِمِي ، الْعَامِلِي ، الْفَاضِلِي ، الْكَامِلِي ،
الْبَارِعِي ، الْبَلِيغِي ، الْمَاجِدِي ، الْأَوْحِدِي ، الْأَمِيرِي ، الْأَيْمَنِي ، الْعَرِيقِي ، الْأَصْبَلِي ،
الْخَطِيبِي ، النَّاصِرِي ؛ جَدُّ الْإِسْلَامِ ، بَهَاءُ الْأَنَامِ ؛ شَرَفُ الرُّؤَسَاءِ ، أَوْحَدُ الْكِبَرَاءِ ؛
صَدْرُ الْأَعْيَانِ ، بَحَالُ الْخُطَبَاءِ ، جَلَالُ النُّظَارِ ، صَفْوَةُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
مُحَمَّدُ بْنُ الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ ، الْجَمَالِيِّ ، الْمَرْحُومِ عَبْدِ اللَّهِ الطَّنَاحِيِّ ، إِمَامُ الْمَقَامِ الشَّرِيفِ :
أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى رَفْعَتَهُ - قَدْ طَالَتْ فِي الْمَخَالِصَةِ قُدَمَتُهُ ، وَوُفِّرَتْ مِنْ صِدْقِ الْوَالَاةِ
قِسْمَتُهُ ؛ فَرُفِعَ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ خَبْرُهُ ، وَنَصَبَ عَلَى ^(١) ... تَقَدَّمَ فُحِّدٌ فِي الْإِخْتِيَارِ

(١) بَيَّاضُ الْأَصْلِ ، وَلَهُ "الْمَلْحُ أَرْتَعِظُ" .

أثره، وكانت وظيفتنا نظير الصادر وخطابة الجامع الغربى بشار الإسكندرية المحروس - حرسه الله تعالى ونحاه، وصان من طروق المدو المخدول حياه - من أرفع الوظائف قدرا، وأميزها رتبة وأعلها ذكرا - أقتضى حسنُ الرأى الشريف أن تُسند ولا يتكما إليه، وتُستمد فى القيام بمصالحهما عليه .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زالت آراؤه مسدده، ونعمه على الأولياء فى كل حين مجتده - أن يستقر المشار إليه فى الوظائف المذكورتين عوضا عن كاتبا بيده، بما لها من المعلوم، ويُفسح له فى الإستنباط على عادة من تقدمه فى ذلك : استنادا إلى أمانه التى بلغت به من الصفة مُنتهاها، وكفايته التى تجزى المتكفون عن الوصول إلى مداها، وفصاحته التى أعجزت يراعتها الخطباء الأماثل، وبلاغته التى قضت بالي على قس إيايد وحكمت بالمفاهيم على صحبان واهل .

فلتلق ما اسند إليه بيده الطولى وابعه المديد، وليقابل هذه النعمة الخفية بالشكر فإن الشكر مستلزم للزيد؛ علما أن نظير الصادر يقدمه أهل الثغر على عامة الوظائف مائق منها وما جل، ويتبرك المرتبون عليه بما يأخذونه من راتبه وإن قل؛ فليحسن النظر فيه وردا وصدرا، ويميز ريعه بحسن النظر فيه حتى يقول المعاند : ما أحسن هذا نظرا ! .

والجامع الغربى فهو أجل جوامع الثغر الإسكندري قدرا، وأعظمها فى الأقطار صيتا وأسيها فى الآفاق ذكرا؛ يحضر الجمعة فيه أهل الشرق والغرب، ويُم خطبته سُكَّان الوهاد والمصب؛ فليرق منبره رقى من خطبه المنبر لخطبته، وعلم علو مقامه فقابله بحو رتبته، ويسسّف الأسماع بوعظه، ويسج القلوب بلفظه، ويُنحى العقول بتذكيره، ويُنك العيون بتجديده، وليعد للجامع ما تعودته من الإسماعاد،

ويجئ مآدرس من معالم خطابته حتى يقال : هذا ابنُ المنير قد عاد ؛ وِعِمَادُ الوصايا
تقوى الله فهي ملائكة الأمور كلها ، وعليها مدارُ أحوال الدنيا والآخرة في عقدها
وحلها ؛ وهاتان مُقْلَمَتَا خير فليكن لنتيجتهما يرتب ، ولا يقطع بالوقوف ممهما
رجاءه « فأولُ النيت قَطْرٌ ثم يَنْسِكُ » ؛ والاعتناء على الخط الشريف أعلاه الله
تعالى أعلاه ، حجة فيه بمقتضاه ؛ إن شاء الله تعالى .

الصنف الثالث

(من الوظائف التي يكتب بها بنصر الإسكندرية المحروس ،
الوظائف الديوانية ، وهي على طريقتين)

الطبقة الأولى

(من يكتب له في قِطْعِ الثلث بـ «المجلس السامي» بالياء .
وهو ناظر المباشرة بها ، وعنه يعبر بناظر الإسكندرية ، دون ناظر الأصل^(١)
المقدم ذكره في جملة الوظائف الديوانية بالحضرة)

وموضوع هذه الوظيفة التحلُّث في الأموال السلطانية بالإسكندرية مما يتحصل
من المأخوذ من تجار الفرنج ، وسائر المتاجر الواسلة براً وبحراً بالقبض والصرف
والحيل إلى الأبواب السلطانية .

وهذه نسخة توقيع بنظر قنر الإسكندرية ، كُتِبَ به للقاضي «جبل الدين
أبن بصاصة» وهي :

(١) وهو ناظر انلاص المتحلث في الأموال السلطانية كما تقدم .

الحمد لله الذى أضحك الثُّغور بعد عبوسها ، ورد إليها جَمالها وأثار أُنقفاها بطلوع شمسها ، وأحيا معالم الخَيْر فيها وقد كادت أن تُشرف على دُروسها ؛ وأقام لمصالح الأُمّة مِن يُشْرِق وجهه الحق بياض آرائه ، وتقدّد الأسماع بتلاوة أوصافه الجميلة وأنبيائه .

نحمده حمد من أسيغت عليه النِّماء ، وتهاذت إليه الآلاء ، وخَطَبَتْه لنفسها العَلَاء ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ترفع قدرَ قائلها وتُعليه ، وتُعزّز جانب متّصلها وتُدنيّه ؛ وأن محمدا عبده ورسوله أفضل نبيّ رابط وجاهد ، وأكرم رسول جَمَعَ للسُّلَم بأمر ربّه فهادَتْ وماهد ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، وأشياعه وحزبه .

وبعدُ ، فأحقّ من ماس في أُرْدِيَةِ الرِّياسة عِطفا ، وأسجَلُ وجوه السَّعادة من تُجِبُّ عزّها فأبَدَتْ له جمالا ولُطفا ؛ وأصْطَفَتْه النُّولة القاهرة لمهامّها لمّا رآته خير كافل ، وتثقل في مرّاتها السَّيئة تثقل النِّيرين في المنازل ^(١) .

ولما كان فلان أدام الله رفعة من أشارت إليه هذه المناقب الجليّة ، وصارت له إلى كلِّ سؤال نعم الوَسيل ، رسم بالأمر الشريف - لا زال ... أن يستقر في نظر قمر الإسكندرية المحروس ويباشر هذا المنصب المبارك بعزماته الماضيه ، وهمّه العاليه ؛ برأى لأُسيابهم فيه ولا يُشارك : ليُصبح هذا الثغرُ بمباشرته باسمًا حاليًا ، وثمودَ بهجته له بجملِ نظيره ثانيًا ؛ ويتصبّب لتدبير أحواله على عادته ، وهُوَر قواعده على همته ؛ ويحتشد في تحصيل أمواله وتحصين ذخائره ، واستخراج زكاته

(١) تَهَمَّت في صفحة ٤٠ و ٤١ من هذا الجزء ببعض زيادة وتغيير واختصار .

(٢) لم يذكر خبر المبتدا ولعله سقط من قلم الناصح والأصل أحق من ماس ... من كان لخلل العفاده لابسا ، ومن نور الايقان تابسا ، الى غير ذلك من الأوصاف .

وتحية متاجرهم ، ومعاملة التجار الواردين إليه بالعدل الذى كانوا ألقوه منه ، والرفق الذى نقلوا أخباره السارة عنه ؛ فإنهم هذا يا البحور ، ودوالة الثغور ؛ ومن ألسنتهم يُطْلَع على ما يُخِجُّه الصدور ، وإذا بذّر لهم حَبَّ الإحسان نَشَرُوا له أجنحةً مرايحهم كالطُيور ؛ وليتعمد معهم ما تَضَمَّنَتْه المراسيمُ الشريفةُ المستمرةُ الحكم إلى آخر وقت ، ولا يسلكُ معهم حالةٌ تُوجب لهم التناقُ والتظلم والمقت ؛ وليواصل بالحوال إلى بيت المال المعمور ، ولتَمَلَّ انخرازن السلطانية من مستعملات الثغر وأمتعته وأصنافه بكل ما تستغنى به عن الواصل في البرور والبحور ؛ وليصرف همته العالية إلى تدبير أحوال المتاجر بهذا الثغر بحيث ترتفع رؤوس أهوالها وتسمى ، وتجدد بحائب فوائدها وتهمي ، وليراع أحوال^(١) المستغنين في مباشراتهم ، ويكشف عن باطن سرهم في جهاتهم ؛ ليتحققوا أنه مهين عليهم ، وتاظر بعين الرأفة إليهم ؛ فتتكف يد الخائن منهم عن أخيانه ؛ وتحملي أنامل الأيمن بحاسن الصيانة ؛ وليطالع بالمتجددات في الثغر المحروس ، ليرد الجواب عليه منا بما يشرح الصدور [ويطيب النفوس] وليتناول من المعلوم على ذلك في غرة كل شهر ما يشهد به الديوان المعمور ؛ والله تعالى يتولاه ويُعْضِده ، ويؤيده ويسدده ؛ بمنه وكرمه ! . .

قلت : وربما كتبت لناظرها توقيع مفتتح : «أما بعد حمد الله» في قطع الثلث .



وهذه نسخة توقيع بنظر نثر الإسكندرية ، وهى :

أما بعد حمد الله مفيض حلال إنسانا على من أخلص في طاعتنا الشريفة قلبه
ولسانه ، ومولى فضل آلائنا العظيمة على من أرهف في مصالحتنا عزيمته وبنائه ؛

(١) الزيادة مما ختم في صفحة ٤١ من هذا الجزء .

وَحَلَّى رَبِّ عَلَيَاتِنَا الشَّرِيفَةِ بِنِ أَشْرَقِ فِي سَمَاءِ الْمَعَالِي بَذْرُهُ وَإِنْسَانُهُ ، وَأَبْنَتْ
فِي غُصُونِ الْأَمَانِيِّ قَطْرَتُهُ وَأَفْنَانُهُ ، وَمُبْلَغُ أَقْصَى غَايَةِ الْمَجْدِ فِي أَيْمَانِ الزَّاهِرَةِ بَيْنِ
تَبَسُّمِ يَجْمَلِ نَظَرِهِ الثَّقُورِ ، وَتَعَتُّصِ بِحَمْدِ خَيْرِهِ وَخَيْرَتِهِ الْأُمُورِ ؛ وَتُشْرِيقِ مِنْ جَمِيلِ
تَدْيِيرِهِ الْبُدُورِ ، وَتَعْتَمِدُ عَلَى هِمَمِهِ الْأَيَّامُ وَالْذُهُورُ . وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
الْمُهَادَى إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَالنَّائِشِرُ لَوَاءِ الْعَدْلِ بِسَلَّتِهِ الْوَاضِعِ وَشَرْعِهِ
الْقَوِيمِ ؛ وَالْمُنْتَجِزُ لِمَنْ أَقْنَى مُبْلَغُهُ أَوْفَى تَكْرِيمِ ، وَأَوْفَرُ حَظٍّ عَظِيمِ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَوْحَايِهِ
مَا أَهْتَدَى بِهِدْيِهِمْ ذُرُوبُ الْبَصَائِرِ وَالْأَبْصَارِ ، وَأَرْتَدَى بِأَرْدِيَّتِهِمُ الْمُعْلَمَةُ مُقْتَنَى الْآثَارِ -
فَإِنَّ أَوَّلِيَّ مَنْ أَسْتَدْنَا إِلَى نَظَرِهِ الْجَمِيلِ رُتَبَةً عَزَّ مَا زَالَتْ طُيُورُ الْأَمَالِ عَلَيْهَا تُحُومُ ،
وَعَدَقْنَا بِتَدْيِيرِهِ الْجَلِيلِ مُنْصَبَ سِيَادَةِ مَا بَرَحَتْ الْأَمَانِيُّ لَهُ تَرْوِمُ ؛ وَأَعْتَمَدْنَا عَلَى هِمَّتِهِ
الْعَالِيَةِ فَصَدَّقَ الْخُبْرَ الْخَبَرَ ، وَرَكَعًا إِلَى حَمِيدِ رَأْيِهِ فَشَهِدَ السَّمْعُ وَأَدَّى الْبَصَرُ .^(١)

وَمَا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي أَتَسَقَّى فِي ذِرْوَةِ هَذِهِ الْمَعَالِي ، وَأَتَنَظُّمُ بِهِ عِقْدَ هَذِهِ
الْأَلَى ، وَحَوِّىْ بِفَضِيلَةِ اللِّسَانِ وَالْيَبَانِ مَا لَمْ تُدْرِكْهُ الْمُرْهَفَاتُ وَالْعَوَالِي ، فَمَا حَلَّ
ذِرْوَةَ عَزَّ إِلَّا وَحَلَّاهَا بِنَظَرِهِ الْجَلِيلِ ، وَلَا رَقَى رُتَبَةَ سِيَادَةٍ إِلَّا وَأَسْفَرَ فِي ذِرْوَتِهَا وَجْهَهُ
صُبْحَهُ الْجَمِيلِ ، وَلَا حُنِقَ بِنَظَرِهِ كِفَايَةُ رُتَبَةٍ إِلَّا وَكَانَ لَهَا خَيْرُ كِفَايِلِ .

فَلِذَلِكَ رُئِيَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ يَنْصَحِي لِلرَّبِّ الْعَالِيَةِ خَيْرُ مُنْجِدٍ وَبُخَيْرِ ،
وَيَمْتَنِي لِلنَّاصِبِ السَّنِيَّةِ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرِ - أَنْتَ يَسْتَقَرُّ ... فَإِنَّهُ الْقَوِيُّ
الْأَمِينُ ، وَالتَّمَسُّكُ مِنْ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَصِرَافَتِهِ بِالسَّبَبِ الْمُنْتَيْنِ ؛ وَالْمُسْتَعْدُّ بِجَمِيلِ
كِفَايَتِهِ ، وَحَمِيدِ دِيَانَتِهِ ، إِلَى حِصْنِ حَصِينٍ ؛ وَالْمُسْتَدْرِي بِأَصَالَتِهِ وَإِصَابَتِهِ إِلَى
الْجَنَّةِ الْوَاقِيَةِ وَالْحَرَمِ الْأَمِينِ ؛ فَلْيَقْدِّمْ خَيْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى فِي مَبَاشَرَةِ الْوُظُفَةِ الْمَذْكُورَةِ بِعِزِّ

(١) لم يذكر خبرا لأنَّ وهو معلوم من نظائره السابقة أى من كانت صفته كذا وكذا الخ .

(٢) بالصاد المهملة أى يختار ويختار .

لا يَنْبُو، وَهَمَّةٌ لَا تَحْبُو، وَتَدِيرُ بِنَضَاعُفٍ عَلَى مِزِ الْأَيَّامِ وَرَبُّو، وَتَقْطُرُ لَا يَمُزُّبُ عَنْ مَبَاشِرَتِهِ فِيهِ مَقَالُ ذَرَّةٍ إِلَّا وَهِيَ مِنْ خَاطِرِهِ فِي قَرَارِ مَكِينٍ، وَضَنْبُطٌ لَا تَمْتَدُّ مَعَهُ بِدَلَامَسٍ [إِلَيْهَا] إِلَّا وَيُجِدُ مِنْ مَرَهْفَةٍ مَا يُكْفِ كَفَّهَا عَنْ الْخِلَائَةِ بِالْحَقِّ الْمُبِينِ، وَلِيَضَاعِفُ هَمَّتِهِ فِي مَصَالِحِ هَذِهِ الْجَهَةِ الَّتِي عَلَقَهَا بِنَظَرِهِ السَّعِيدِ، وَلِيُوقِّرَ عِزِّمَتَهُ فَإِنَّ الْحَازِمَ مِنْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَمِيدٌ، وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَمِثْلُهُ لَا يُدَلُّ عَلَيْهَا، وَالتَّنْبِيهَاتُ وَاصِحَةٌ وَهِيَ - وَفَقَهُ اللَّهُ - أَهْدَى أَنْ يُرْتَسَدَ إِلَيْهَا، وَاللَّهُ تَعَالَى يُوقِّفُهُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَيُصْلِحُ بِجَمِيلِ تَدِيرِهِ وَحَمِيدِ تَأْتِيهِ كُلِّ خَلٍّ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! .

الطبقة الثانية

(مَنْ يُكْتَبُ لَهُ فِي قَطْعِ الثَّلَاثِ «بِالْمَجْلِسِ السَّامِيِّ» بِغَيْرِاءَ
أَوْ «بِالْمَجْلِسِ الْقَاضِي» وَفِيهَا وَطِيفَتَانِ)

الوظيفة الأولى

(كُتَابَةُ الدَّرَجِ)

وَصَاحِبُهَا هُوَ الَّذِي يَقُومُ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ مَقَامَ كَاتِبِ الْمَرْبِ بِالْأَبْوَابِ الْبِسْلَطَانِيَّةِ فِي قِرَاءَةِ الْمَكْتُوبَةِ عَلَى النَّائِبِ، وَكُتَابَةِ الْأَجُوبَةِ وَمَا يَجْرِي بِجَرَى ذَلِكَ .
وهذه نسخة توقيع من ذلك :

رُسمُ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ شَامِلًا فَضْلُهُ، كَامِلًا عَدْلُهُ، هَامِلًا بِالْإِحْسَانِ وَبَلَّةً، مُتَّصِلًا بِالْجَمِيلِ حَبْلُهُ، مَلَا حِطًّا بِعَيْنِ الْعَنَاءَةِ لِلْبَيْتِ الزَّائِي قُرْعَهُ الطَّيِّبِ أَصْلُهُ، مَعْلِيًا تَجَمُّعَهُ إِلَى أَسْنَى الْمَرَاتِبِ الَّتِي لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَحَلُّهَا إِلَّا عَمَلُهُ - أَنْ يَسْتَقَرَّ فُلَانٌ

فى كتابه الدّرج بنهر الإسكندرية المحروس على عادة من تقدّمه فى ذلك وقاعدته ،
 بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت : لأصاليته المّعرقه ، وغُصونُ نَسبه
 المورقه ؛ وأدابه الجمّه ، وفضيلته التى أبدى بها علمه ؛ وكتابته التى حلّت المَهَارِقُ ،
 وأبدت من الجواهر ما نَمَحَى لمسه المَفَارِقُ ؛ وتَوَيّى لَنَضَارَتِهِ أَزَاهِرُ الرّوضِ النّضِيرِ ،
 وتنفرد فى الحسن فلا تَمِيدُ [ها] من نظيره ؛ وتبرّز كالْعُقُودِ فى أجياد التّرايب ، وتُثْنِى
 كُتُبًا تَفْنِي عن الكُتُبِ ، مع ماله من رَاسَةٍ أَثْبَتَ مَعَالِيهِ ، ونَفاةٍ أَصَحَّتْ بِجِوَاهِرِهَا
 الْأَوْصَافُ حَالِيَهُ ، وَصَدَارَةُ تَوَالَتْ مِنْهُ فَاسْتَوْجِبَ بِهَا مَزِيدَ الْحَسَنِ الْمُتَوَالِيَةِ ؛
 قد خَوَّلَ فى كرم الأصل فلا غَرَوُ أن أَمْسِي نَجِييَا ، ودما بَدِيعِ اللَّفْظِ وَلَطِيفِ الْمَعْنَى ؛
 ففدا كُلَّ مِنْهَا لِأَمْرِهِ طَائِعًا وبِالْإِذْعَانِ مُجِييَا ، وعَلَا كَوَكْبُهُ فَاضِيًا فى الرّفعة بعيدا
 وإن كان فى مَرَأَى الْعَيْنِ قَرِيبَا ؛ وزكا من أَكْبَرِهِ إِلَى كُلِّ فَرِيدٍ فى سُؤْدَدِهِ ، واحد
 فى عُلَاهُ يَفُوقُ الْجَمْعَ فى صَدَدِهِ ؛ فهو إِنْسَانٌ عَيْنِ زَمَانِهِ ، وَمَالِكٌ زِمَامِ الْإِنْشَاءِ وَمُصَرِّفُ
 صِنَانِ بَنَانِهِ ، ومُبَرِّزُ الْحَسَنَاتِ بِسِفَارَتِهِ الْمُقْبُولَةِ وَإِطْلَاقِ بَيَانِهِ ؛ فلا غَرَوُ أنْ أَسْتَوْجِبَ
 مِنْهَا مَا يَفْضَى لَهُ بِالْمَزِيدِ ، وَأَسْتَحِقُّ بِاتِّبَاعِ أَصْلِهِ الْعَالِمِ التّقى إِدْرَاكَ مَا يُرِيدُ ؛ ونَحْلُ
 بِمَنَاقِبِهِ وَمَا ثَرَهُ ، ونَقْلُ عَنْ عَفَافِهِ وَمَفَانِحِهِ .

فليستمرّ فى ذلك على أَجْمَلِ عَوَائِدِهِ ، وَأَجَزَلِ فَوَائِدِهِ ؛ سَالِكًا فى ذَلِكَ طَرِيقَهُ
 الْحَمِيدَ ، وَمُنَاجِيَهُ وَمُنَاجِجَ أَسْلَافِهِ السَّيِّدِ ، مُبْرِزًا مِنْ خَطِّهِ مَا يُشْجِلُ بِهِ الطُّرُوسَ ،
 وَيُسِّرُ بِمَزَايَاهِ النُّفُوسَ ؛ وَيُنْظِمُ كَالْعُقُودِ ، وَيُلَوِّحُ لِأَبْصَارِ حَسَنِ رَوْحِهِ [المشهود] ،
 وَاللهُ تَعَالَى يَجْعَلُ إِحْسَانَنَا لَدَيْ يَتِهِ الْكَرِيمِ مُسْتَمْتَرًا ، وَأَمْتِنَاتِنَا الْعَمِيمِ عَنْده مُسْتَقَرًّا ،
 وَنُفْرَ الْإِنْيَاةِ بِهِ مَفْتَرًّا ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

الوظيفة الثانية

(نظر دار الطراز بشعر الإسكندرية)

وهذه نسخة توقيع بذلك ، كُتِبَ بها لصلاح الدين بن علاء الدين علي بن
البرهان ، سنة إحدى وأربعين وسبعائة ، من إنشاء الشريف شهاب الدين كاتب
الإشياء ، وهي :

رسم بالأمر الشريف - لا زال إيتاره ، يُكرَّم من غدا صلاحه لحلة العلي طرازا ،
وأختياره ، يقدم للناصب الجليلة من وِث من أبيه نهضة وأحترازا - أن يستقر
فلان في كذا : لكفايته المعروفة المحققة ، ودرايته المألوفة بركاتها الموقوفة وحركاتها
الموقفة ، ودرايته التي منها الأكابر على فقهه ، وأمانته التي تعتمد الحق مستنتجة
ومتيققة ، وصيافته التي هي للواصل حافظة وعلى الحاصل مُشَقِّقه .

فليباشر هذه الوظيفة التي كانت في سالف الزمان إلى الحُكَّام تُضَاف ، وللعلماء
الأعلام عليها نظر وإشراف ؛ ومنها يُسَدَّل على أوليائها لباس الإنعام وترسل أجناس
الإحفاف ، وتُسرَّبَل الكعبة البيت الحرام في كل عام بجلبابها المحكم النسيج المُعَلَّم
الأطراف ؛ وليصُنَّ ذهابها عند صرفه وقبضه ، وليزَنَ تحريمها بتقريب مشوبه وتحرير
عجزه ، وليُنَّ عن حسن التدبير في إبرام حريرها ونقبضه ؛ وليستجلب رجالها
وصناعها ، وليُجَنَّبَ أحوالها ضياعها ، وليستجد أصنافها وأنواعها ، وليتفقد أخافها
ويقاعها ، حتى يَظْهَر في أعمالها آثار الصلاح ، وتُشَكَّر مباشرة التي هي حمودة الانتهاء
مسعوده الانتاج ؛ والله يقرن رجاءه بالإرباح ، ويُؤدِّن له حيث سلك بإصابة
الصواب والفلاح ، بمنه وكرمه ! .

قلت : ودارُ الطراز هذه هى التى تَعْمَلُ فيها المستعملاتُ السلطانية : مما يُحَلُّ إلى خزانة الخالص الشريف من الأقمشة المختلفة الصّفات : من الحرير والمقترح المخصوص بالذهب ، والتفاصيل المنقوشة بضروب النقوش المختلفة ، وغير ذلك من رقيق الكائن وغيره مما لا يوجد مثله فى قُطْر من أقطار الأرض ؛ ومنه تتخذ الأقمشة^(١) التى يلبسها السلطان وأهل دُورِهِ ، ومنه تَعْمَلُ الخلع والتشاريفُ التى يلبسها أكابر الأمراء وأعيان الدولة وسائر أهل المملكة ؛ ومنه تُبْعَثُ الهدايا والتحف إلى ملوك الأقطار . وقد كان يكتب لناظر هذه الدار توقيعٌ عن الأبواب السلطانية خارج عن توقيع ناظر الإسكندرية على ما تهتم ذكره . أما الآن فقد صار ذلك تحت نظر ناظر الإسكندرية يَحْدُثُ فيه كما يَحْدُثُ فى سائر أمورِها ، ومرجع الكل إلى ناظر الخالص بالأبواب السلطانية .

الجهة الثانية

(مما هو خارج عن حاضرتي مصر والقاهرة بالديار المصرية - بلاد الرّيف)
والمراد بالرّيف فى أصل اللغة موضعُ المساء والزّرع .
وقد تقدّم أنّ ريف الديار المصريّة وجهان :

الوجه الأول

(الوجه القبلى ، وهو المعبر عنه بالصّعيد)

وقد تقدّم فى المقالة الثانية فى الكلام على المسالك والممالك أنه يتّجه إلى صعيد أعلى ، وصعيد أسفل . وقد كانت ولايته العامّة فى الزمن المتقدم يعبر عن صاحبا

(١) الصبر مائد على ما تقدم من الحرير والكائن .

بد«والى الولادة بالوجه القبلى» ثم استقرت نيابة سلطنة على حدّ تقدمة العسكر بقزة
فى رتبة المكتبة، فى الأيام الظاهرية «برقوق» وهى على ذلك إلى الآن . وثائها
يكتب له تقليد بناية السلطنة بها فى قطع النصف .

وهذه نسخة تقليد شريف من ذلك ، من إنشاء الشريف « شهاب الدين »
كاتب الإنشاء ، وهى :

الحمد لله الذى رجم بتعاهد نظيرنا البلاد والعباد ، وحسم بموارد زواجرنا مواد
الفساد ، وأحمد فى هذا الوجه لنا الآثار ووطأ بنا المهاد ، وأفرد آراءنا بجميع المصالح
على الجمع والإفراد ، وأولى بنا الرعية الخير فى استراء من يئول فى صياتهم الاجتهاد ،
وأعلى بنا كلمة العدل فهى تشر وتذاع وأوى بنا كلمة الظلم فهى تهر وتكاد ،
وأجلى بانتقامنا ففة الضلال فلها عن ملكنا الشريف أندفاع وأنطراد ^(١) .

نحمده على أن قرن بأرائنا السداد ، ونشكره على أن حنّ أصطفاءنا حسن الإرياد ؛
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تقوم حجتها ، يوم يقوم الأشهاد ،
وتقوم بهجتها ، ملها للإرشاد ؛ ونشهد أن سيد البشر محمدا عبده ورسوله الذى فضل
العالم بساد ، وأجزل المكاييم وجاد ، وهدي بشرته من حاد ، وأزدي برده من حاد ،
وأجرى بمجوده النفع حيث كان وأبدي بأسه القمع لمن كاد ، وأحمد بأسافه الباطل
فباد ، وجعل لأنف مخالفه الإرعاف ولجيش مجافه الإرعاد ؛ صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه الأنجاء الإنجاد ، صلاة لها تضاعف وتعداد ، وبفتكاتهم (؟) اللوائب
إنهاد ؛ وسلم تسليما كثيرا .

(١) دعه مراعاة السجع الى استعمال الاتصاف من طرد نص أهل اللغة على أنها لغة رديجة . فخطه .

وبعد فإِنَّ الله تعالى لما أَعْلَى هِمَمَنَا وَأَصْعَدَهَا ، وَوَقَّى عِزَانَنَا مِنَ النِّصْر مَوْعِدَهَا ،
وَأَسْعَفَ بِمَلِكِنَا الرِّعْيَةَ وَأَسْعَدَهَا ، وَضَاعَفَ بِنَا لِنَيْهِم النِّعْمَةَ وَجَدَدَهَا ، وَأَوْضَحَ
بِنَا سُبُلَ الْمَعْلَدَةِ وَجَدَدَهَا ، وَأَنْجَحَ بِسُلْطَانِنَا آمَالَ الْخَلِيقَةِ وَأَنْجَحَدَهَا - لَمْ نَحُلْ مِنْ
مِلَاحِظَتِنَا أَذْنَى الْأَقْطَارِ وَلَا أَبْجَدَهَا ، وَلَمْ نُغْفِلْ مِنْ مَمَالِكِنَا نَاحِيَةً إِلَّا نَحَاهَا فَضْلُنَا
وَقَصَدَهَا فَاقْرَبَهَا الصَّالِحَاتِ وَخَلَدَهَا ، وَأَثَرِبَهَا الْمَسَاحَاتِ وَأَبْدَهَا ، وَنَصَرَ الشَّرِيعَةَ
وَأَيَّدَهَا ، وَسَدَّ الدَّرِيْعَةَ بِأَفْعَالِ حَزْمِ سَدِّهَا ، وَوَطَّنَ أَهْلَهَا وَوَطَّدَهَا ، وَأَوْرَدَ مِنْ يَدِهَا
مَوَارِدَ الْأَمْنِ لِمَا وَرَدَّهَا .

ولما وَاجَهَ إِقْبَالَنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْوَجْهَ الْقَبِيلِيَّ ، وَصَعِدَ إِلَى الصَّعِيدِ الْأَعْلَى رُكْبَانُ
الْعَلِيِّ ، نَحْنُ بِلَادَهُ وَتَعَدَّدَهَا ، وَتَعَيَّنَ مِلَاحِظَتُهُ وَتَأَكَّدَهَا ، وَكَثُرَ السُّلُوكُ لِسُبُلِهِ ،
وَالْمُلُوكُ لِنُطُولِهِ ، وَالْوُزَرَاءُ لِنَهْلِهِ ، وَالْوُقُودُ مِنْ قَبْلِهِ ، وَهُوَ مُنْجِجُ التَّجَارِ فِي التَّوْجِهِ
مِنْ أَبْوَابِنَا الشَّرِيفَةِ وَالْجُؤَازِ ، وَبَابُ الْيَمِّ وَالْمَجَازِ ، وَفِي الْحَقِيقَةِ هَذَا الْمَجَازُ تَعَيَّنَ لَهُ
الْحِفْظُ وَفِيهِ الْاِحْتِرَازُ ، وَبِهِ كَرَامِيٌّ مِنْهَا السَّيَّارَةُ تَمْتَارُ وَعَلَى سِوَاهَا مِنَ الْبِلَادِ تَمْتَازُ ،
وَبِهِ مَرَاكِرُؤَلَةٍ بِفَرْدِ كُلِّ مِنْهَا عَنِ الْآخَرِ وَيَحْتَازُ ، وَهِيَ : لَطِيفِيحُ ، وَالْبَهْدَسِي ،
وَالْأَشْمُونِي ، وَمَنْقَلُوطُ ، وَسَيُوطُ ، وَإِنْعِيمُ ، وَقُوصُ . وَهَذِهِ الْأَقَالِمُ بِجَمْعَةٍ مُتَفَرِّقَةٍ ،
وَحُدُودُ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ مُتَمَلِّقَةٍ ، وَبِهَا إِقْطَاعَاتُ مَقْدَمِ الْأَلُوفِ وَالطَّلَبَانَاهُ وَالْمَالِكِ
وَالْحَلَقَةِ ، وَإِلَيْهَا تَرَدَّدُ الرُّكَّاضَةُ وَالْمَرْتَرَقَةُ ، وَرُبَّمَا أَخَافَ الْمَفْسِدُونَ مِنْ بَعْضِهَا سُبُلَهُ
وَقَطَعَ طُرُقَهُ ، فَاتَّهَمَ الْبَرِّيَّ ، وَسَلِمَ الْجُرِّيَّ ، وَلَيْسَ عَلَى مَنْ هُوَ عَنْ الْخِيَانَةِ عَرِيٌّ ؟
فَرَأَيْنَا أَنْ نُنِصِّبَ بِهَذِهِ الْأَقَالِمِ إِلَى وُلَاةٍ يُحْمِسُ بِنَفْسِهِ خِلَافَهَا ، وَيُلْوِشُ بِحِلَّةِ
سَهْلَتِهَا وَجِبَالَتِهَا ، وَيَقْجَأُ مُفْسِدَهَا ، وَيَعْمَتُ^(١) بَعَثَ بِهَا ، وَيُجِدُّ نَفَاقَتَهَا ، وَيُجِدُّ وَقَاقَهَا ،
وَيُنِصِفُ ضِعَافَهَا ، وَيُلْهَبُ خِلَافَهَا ، وَيُزِيلُ شُكُوهَا ، وَيَكْفُفُ تَدَلُّوَاهَا ، وَيُصْلِحُ

(١) فِيهِ تَصْغِيرٌ وَلَهُ «وَرُفْعًا نَفْسِيًّا ، وَرِفْعَتٌ مَعْنِيًّا» .

فسادها ، ويُوَجَّع سَدَادُهَا ؛ وَيُوصَلُ حُقُوقُهَا ، وَيَسْتَأْصِلُ عُقُوقُهَا ؛ وَيُؤَاصِلُ طُرُقُهَا ، وَيُقَابِلُ بِالْعِقَابِ قُسُوقُهَا ؛ وَيَمْنَعُ بِاهْتِمَائِهِ أَهْوَاءَهَا ، وَيَشْفِي بِجَسَامَتِهِ أَدْوَاءَهَا .

ولما كان المجلس السامى ، الأميرى ، الحسائى هو الذى عَرَفَ أحوالها وخبرها ، وَوَلَّى مَنْ أَقَالِيهَا مَا عِلِمَ بِهِ مَصَالِحُهَا وَاعْتَبَرَهَا ؛ وَعُهِدَتْ مِنْهُ الْأَمَانَةُ وَالْكِفَايَةُ ، وَتَحَقَّقَتْ نَهْضَتُهُ فِي كُلِّ عَمَلٍ وَيَقْظَنَتُهُ فِي كُلِّ وِلَايَةٍ - أَقْتَضَى حُسْنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ يُفَوِّضَ إِلَيْهِ نِيَابَةَ السُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ بِهَذِهِ الْأَعْمَالِ الْمَذْكُورَةِ وَالْأَقَالِيمِ كُلِّهَا ، وَأَنْ يُنْتَظَى فِيهَا حُسَامَتُهُ الَّذِي يَبْنِى أَنْ يُرْتَضَى وَيُنْتَظَى لِمُطْلَبِهَا ؛ وَأَنْ يُجَلَّ عَمَلُهُ إِذَا اخْتَرَاهُ لِأَعْلَى رُتَبِ الْوَلَاةِ وَاجْلَبَهَا ، وَأَنْ تُفَصَلَ أَسْبَابُ النِّعْمَةِ لَدَيْهِ بِهَذِهِ النِّعَمِ الَّتِي كُلُّ وِلَايَةٍ فَرَّحَ لِأَصْلِهَا .

فَلَذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتْ أَيَّامُهُ الشَّرِيفَةُ تُخَصُّ رُتَبَ الْعِلِيَّةِ بِأَهْلِهَا ، وَتَشْمَلُ ذَوِي الْأَهْتِمَاءِ بِإِحْسَانِهَا وَفَضْلِهَا - أَنْ يُفَوِّضَ إِلَى الْمَشَارِ إِلَيْهِ وِلَايَةَ الْوَلَاةِ بِالْوَجْهِ الْقَبِيلِ . فُلْيَا شَرُّ ذَلِكَ بَهْمَةٌ تَمُضِي فِي الْبِلَادِ عِزَانُهَا ، وَنَهْضَةٌ تَسِيرُ إِلَى دَانِيَا وَقَاصِبِهَا صَوَارِئُهَا ، وَشَهَامَةٌ يُلْهَشُ الْمُتَمَرِّدِينَ قَادِمُهَا ، وَيَقْقَدُ مَوَادَّ الْفُسَادِ مِنْ حُسَامَتِهَا حَاسِمُهَا .

وَنَحْنُ نَرْتَمُّ لَهُ بِأُمُورٍ يُلَازِمُهَا ، وَنُؤَصِّبُهُ بِوَصَايَا يَدَاوِمُهَا ؛ أَنْ يَكُونَ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى طَامِلًا ، وَلِلنُّصُحِ بَذَلًا ؛ وَلِلشَّرِيعَةِ مَعْتَظًا ، وَلِلْمُرَاقَبَةِ اللَّهِ تَعَالَى مَقْبَدًا ؛ وَلِلْحَقِّ مِتْبَعًا ، وَإِلَى الْخَيْرِ مُسِيرًا ؛ وَلِلْمُتَيْنِ مَوْئِنًا ، وَلِلنَّاقِظِينَ مَوْهِنًا ؛ وَلِلرَّعَايَا مَوْطِنًا ، وَلِلزَّاهَةِ مَظْهَرًا ، وَمُيَبَّنًا ؛ وَعَنِ الْأَرْبَابِ كَافًا ، وَعَنِ الْأَقْيَاءِ عَاقًا ؛ وَعَنِ الْأَمْوَالِ مَزْهًا ، وَإِلَى مَا يُصْلِحُ الْأَعْمَالَ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ مَوْجَّهًا ^(١) . وَلْيَقْدُ فِي الْأُمُورِ مَتْنَبًا ، وَلْيَدْوِ

(١) فِيهِ شَبْهٌ اسْتِغْدَامُ نَفَالِ الْأَوَّلِ بِمَعْنَى الْجِهَاتِ وَالثَانِ بِمَعْنَى الْقَمَلِ . فَتَبَيَّنَ .

الفجور مشتتاً؛ ولسمع حجج الخصوم منصتاً، ولا يحمل لخلوله الأقاليم حنباً مؤثماً؛
 بل يدخل المدينة على حين غفلة من أهلها، وليبغت بخلوله هذه النواحي ليعلم ما هم
 عليه من ترك الفواحش أو فعلها؛ وليقيم بكل جهة من يعلمه بما يحتاج إلى علمه،
 ويذكره بما ينتظر أهل البلاد إلى الستر عنه وكتمه؛ وليلاحظ الحارس والأدراك،
 وليجعل لكل شاريه من بطشه أسرع إدراك - وقد رسمنا لولاية الأعمال المذكورة
 ومن فيها من تواب الأمراء والمشايخ بهذه الصورة وأن لا يغيروا مفسداً ولا يشوهوا،
 ولا يتركوا حاشاً ولا يحموه، ولا يسترخوا مخفياً ولا ينجبوه، ولا يميلوا غارحاً ولا يوطئوه؛
 بل يحضروه ولا يؤخروه، ويمنسكوه ولا يتركوه، ويسلبوه ولا يحموه؛ ومن خالف
 هذا المرسوم، أو اعتمد غير هذه الرسوم، فهو لنفسه ظلم، وقد برئت منه الذمة،
 وزالت عنه الحرمه، وزلت قدومه، وذهب ماله ودمه؛ وقُرئت مراسيمنا بذلك
 هنالك على منابر الجوامع، وسمعها كل سامع، وهم لك على أمثال أواخرنا مساعدون،
 وعلى أجتنايب نواحينا معاضدون، والإصلاح ما استطاعوا مريدون وقاصدون؛
 فلا تمكن أحداً من الغربان ولا من الفلاحين أن يركب فرساً، فإنما يُعدها للخيالة
 محنّساً، ولا يكون لها مربط ولا محتبس؛ وكُن لهم ملائكة مراقباً، فمن فعل ذلك
 فانتقم منه بما رسمنا معاقباً؛ ولا تمكنهم من حمل السلاح ولا ابتياعه، ولا استعارته
 ولا استبدائه، وحقّق من بالأقاليم من تجاره وصنّاعه؛ فخذ بالقيمة ما عند التجار،
 وأقم بملك نفس التجار، وأضرم نار العذاب على من أضرم لعمل ذلك النار،
 وأمر كل فتين متعديتين بالمصالحة، وأكفّف بذلك يد المكلفه، وحلّف بعضهم
 لبعض بعد تحليف أكابرهم لنا على السيرة الحميدة والنية الصالحة، وسخّهم في الحنايات
 بالعدل والمساخه، وفي المطالبات بالرفق إن لم تكن مُساعبه، وأحلّمهم على حجة
 الحق الأبلج والشرعية الواضحه. وإذا رُفعت إليك شكوى فازلّمها، أو سُئلت إقالة

مثرة لدى هيئة فألقها؛ أو وجب حد فاقه لحينه، أو ارتبت في أمر فتروحتى تهتدى
ليقينه؛ ولا تصقل إلا من أجرم جرماً يوجب الاعتقال والحبس، ولا تسرع
إلى ما تمحى فيه اللبس؛ وأعمل على براعة النعم، وأجهد أن لا يكون أمرك عليك
ثممه؛ ولا ترجح للهوى على خضم خصمه؛ ولا تنظلمه فان الظلم ظلماته، وخف نعمة
الله فهي أعظم نعمه، ولا تأخذك على البريء غفلة ولا قسوة كما لا ينبغي أن تأخذك
في الجريء رافة ولا رحمه، والله تعالى يرفع لك بالطاعة رباً، ويُنحج لك بالخدمة
طلباً، ويبلغ بك في الإصلاح أرباً، ويريد بك أمر كل مفيد محيياً، ويوضح لك
من الهداية مضيئاً، ويثقل بك من الخيرات صيئاً، والخط الشرف أعلاه، حجة
بمقتضاه . إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بناية السلطنة بالوجه القبلي أيضاً، من إنشاء الشريف
شهاب الدين، كُتِبَ به «لعلاء الدين المرادى» وهي :

الحمد لله الذي جعل إقبالنا مُسفر الوجوه، ونوالنا ميثاقاً كلاً من الأولياء ما يؤمله
من القرب من أبوابنا الشريفة ويرجوه، وإفضالنا يوفر أقسام النعم لمن وفردواعيه
على طاعتنا فلا يزال استحقاقه يُعينه ويدعوه، وإجمالنا يُجز عود التقديم لمن تعادلت
خدمته فلا يجاوزهُ التكرم ولا يملوه .

نحمده على أن جعل إنساناً يهب الجزيل ويحبوه، ونشكره على أن أقامنا محقق
الحق ففرقته فيدمع الباطل ويملوه .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة هي خير ما ينطق به الإنسان
ويُفوه، لا يبرح اللسان يكرر إخلاصها ويتكلمه، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله

الذى رفع الله بِمِثْنِهِ عن هذه الأئمة كلَّ مكروه، وحملَ بِشِرعته الدينَ الحنيفَ فلا يُلَمُّ به التبدُّلُ ولا يَمرُّوه ، وأفاضَ بِبركاته فى كلِّ وجهٍ ما يُوسعُ الخيرَ ويُدْرَهُ ويمنعُ الشرَّ ويُدْرُوهُ ، صلى الله عليه وعلى آله الذين هم عِترته وأقربوه ، وصحبه الذين أستمعوا قوله وأتبعوه، صلاة لا يزالُ وافئذا يَتَّبِعُ سبيلَ الإجابة ويَقْفُوهُ ، ويصلُّ إلى محلِّ القبولِ ولا يَحْفُوهُ ، وسلمَ تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فإنَّ الله تعالى لما قرَّنَ آراءنا بالسَّداد ، وأحسنَ بنا النظرَ فى صلاحِ البلادِ ومصالحِ العبادِ ؛ لم تَزَلْ نرفعُ أقدارَ المخلصينَ بِمِزَّةِ الاختيارِ والإرتدادِ ، ونجملُهم فى صعيدِ الإحسانِ ونُجِّلُهم رُتَبَ الإصعادِ ، ونُدْنِي منهم من له تأمُّ أهتمام وشادُّ اجتهد ، ونميزُ منهم من حُسْنِ حالاً بالجمع والإفراد .

والولايةُ على الولاةِ بالوجهِ القبلىِّ من أهمِّ ما يُلتَمَعُ ، وأهمُّ ما يُختارُ له منَ لُحْقٍ يَنْصُرُ ويُفْلِقُ ينصَحُ ، إذ بهذا الوجهِ عُيُونُ البُلْدانِ ، ووجوهُ العُرَبانِ ، وكرامىُ الأقاليمِ الحسانِ ، ومراكزُ الولاياتِ التى تُحِلُّ دائرةَ السَّوءِ بأهلِ العُدوانِ ، وإقطاعاتُ الهندِ والأمراءِ ، والخواصِّ الشريفةِ التى على عمارتِها إجماعُ الآراءِ ، وطليعُ تهرُّدِ التجارِ ، وإليه بالميزةِ يُنْشَرُ ، ومنه تُعَدُّ المنافعُ فينتعِنُ أن تدفعَ عنه المضارَّ ، وتُلْقَى أموره لمن يُلْتَقَى حُرْمَةُ وعِزُّهُ ويُجْتار .

ولما كانَ فلانٌ هو الذى له ولاياتٌ اقْتَضَتْ تَهْدِيمَهُ ، وسبقتُ منه سوابقُ خِدمٍ أجزأتْ نكرمه ، وما زالَ فى الشامِ على الهِمَّةِ حسنَ الشَّيمَةِ ، وطهرَ البرَّ من كلِّ فاجرٍ ، ودأبَ أن التَّوى أريجَ المناجرِ ، وأعذبَ للرعيةِ من المُدَّةِ المواردِ فصنرَ من أبوابنا إلى أحمدِ المصادِرِ - اقْتَضَى حَسَنُ الرأى الشريفُ أن نجعلَ له من إقبالنا النصيبَ الوافر . فلنلكَ رِسمُ بالأمرِ الشريفِ - لا بَرَحَ يَزِيدُ الأقدارَ علاءَ ، ويُظهِرها

من تكريمه في أحسن المظاهر... أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالوجه القبلي
وجميع نواحيه، على عادة من تقدمه في ذلك ومستقر قاعدته إلى آخر وقت.

فليتقّ هذه الولاية المباركة بقبول حسن، ولْيُوقَفْ جَنْفُ سَيْفِهِ الذي لم يعرف
الوسن، وليتقّ الله ربّه في السر والعلن، وليحكم بما شرع الله وسنّ؛ وليجنّد
في إحماد العواقب وإحماد الفتن، لِيَسْكُنَ من تردد إليها أو سَكَن. وليلاحظ هذه
الأقاليم بعزائم السياره، وليحافظ على سلوك سيرته الساره؛ وليستطلع من كل بلد
أخباره، ويتتبع من كل وإل آثاره؛ وإن رأى منكراً أزاله، أو وجد مُبْطِلاً أذاله
أو حقاً أداه؛ وليعظم أحكام الشرع وحكامه، وليجعل له إمامه لِيَسْعَى نوره أمامه؛
وليُطاعَ بما تميم فيه المطالعه، ويراجع أوامره فيما تجب فيه المراجعة؛
وليستجلب لأمانته الأدعية النافعه، وليأشرب نفسه الأمور التي هي له راجعه؛ وليراع
في القضايا المصلحة الجامعة، ولتكن حمايته للؤمنين وإقية وفكته بالمجرمين وإقاهه؛
وليوسع الرعايا بالمعذلة الواسعه، ويمنع المجترمين بالأخذة الراسية والهيئة الرادعه؛
ولا يمتكن أحداً من العربان بجميع الوجه القبلي أن يركب فرساً ولا يفتنه، ويكف
بذلك الأيدي المعتمدية فإن المصلحة لتمهم من ركوها مقتضية؛ وليقيم الحرمة
والمهابه، وليديم قيامه في الخدمة وانتصابه، وليرهف حدّ عزمه ومُضيئه، ويحرّد
سيف الانتقام على المُفْسِدِينَ ويتّضيه؛ ومن وجده من العربان خالف المرسوم
الشريف من متعه من ركوب الخيل كائناً من كان ضرب عنقه، وأرهقه من
البطش بما أرهقه: لِيَرْتَدَّ به أمثاله، ولا يتسع لأحد في الشرّ بحاله.

وقد كتبنا إلى سائر ولاة الأقاليم بمساعدته، وأمرناهم بمعاونته ومعاوضته،
وأكدنا عليهم في المبادرة إلى ما يراه من جميع الأمور، من خيرها ونول ولا تقصير.

وَلَا تُقَوِّرُ حَتَّى لَا تَهْوَتْ مَصْلَحَةُ عَيْنٍ وَقَتَهَا ، وَلَا تَزَالِ جَمْعُ الْمُتَسَدِّينَ مُعَاجِلَةً
بِكُتْبِهَا ؛ وَقَدْ حَدَّثَنَا الْعُرَيْانُ مِنْ مَخَالِفَةِ مَا رُسِمْنَا بِالْتَعَرُّضِ لِمَا يَوْجِبُ هَلَاكَ نَفْسِهِمْ ،
وَقَطَعَ رُءُوسَهُمْ .

وَلْيُقْرَأْ هَذَا الْمَرْسُومُ الشَّرِيفُ عَلَى الْمَنَابِرِ بِجَمِيعِ نَوَاحِي الْوَجْهِ الْقَبِيلِ تَمْتَلِئَ مَرَامِيهُ ،
وَيَتَلَقَّى بِالْقُبُولِ قَادِمُهُ ؛ وَلْيَقِفُوا عَنْدهُ ، وَيَقِفُوا رُشْدُهُ ، وَيَرْهَبُوا مِنْ الشَّرِّ وَعَيْسِهِ
وَيَسْتَجِيزُوا مِنْ الْخَيْرِ وَعَدِّهِ ؛ وَهُوَ - بِحَمْدِ اللَّهِ - مَا بَرِحَ مَهْدَبًا ، وَبِأَكْلِ الْآدَابِ
مَوْدَّبًا ، وَبِمَا يَفْعَلُهُ إِلَى رِضَا اللَّهِ تَعَالَى وَرِضَانَا مُقْرَبًا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ غَنَارًا جَمْتِي ،
وَيُوزِنُهُ شُكْرَ مَتْنَتِنَا الَّذِي أَبْجَزَ لَهُ الْحَيَاةُ ؛ وَخَصَّ بِهِ هَذَا الْعَمَلِ الْجَلِيلَ فُضَاءً
يَخْصِبُهُ وَأَهْتَرُ وَرَبًّا ، وَيُطْلِعُهُ مَبَارَكًا مَيِّمًا حَيْثُ حَلَّ قَبِيلُ لَهُ : مَرَحِبًا ؛ وَيَصْعَدُ بِهِ
هَذِهِ الرِّبَّةَ وَيَهْبِيهِ تَوْفِيقًا مُسْتَضْحَبًا ، وَيَهْدِيهِ بِطَرِيقِ السَّالِكِينَ حَتَّى يَتَوَلَّيْهِ لِسَانُ
التَّامِينَ : (تَقْبِلُمُوَا صَبِيحًا طَيِّبًا) ؛ وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ ، حُجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ ، إِنْ
شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تقليد شريف بِنَايَتِهِ أَيْضًا ، مِنْ إِنْشَاءِ الْمُقَرَّرِ الشَّهَادِيِّ مِنْ
فَضْلِ اللَّهِ ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُطْلَقِ التَّصَرُّفِ فِيمَا كَانَ مُمْتَوَا ، وَمُنْطَقِ التَّصَرُّفِ لِيَكُونَ قَوْلُهُ الصَّوَابُ
مَسْمُوعًا ، وَمُوسَّعَ نَطَاقِ التَّصَرُّفِ فِي جَمِيعِ مَا تَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ لَهُ جُمُوعًا .

نَحْمَدُهُ حَمْدًا يَعْذِبُ يَتَبَوَّأُ ، وَيُنْهِي بِمَزِيدِ الشُّكْرِ زُرُوعًا ، وَيُزِيلُ ضُرُوعًا ، وَنَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تَنْفَرِجُ قُرُوعًا ، وَتُسَكِّنُ جُمُوعًا وَتُسَكِّنُ
جُمُوعًا ، وَنَشْهَدُ أَنَّ نَحْمَدُ عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي أَقْوَى لِأَهْلِ الطُّغْيَانِ رُبُوعًا ، وَأَجْرَى

لَمَيُونُ الزَّرْدَ عَلَيْهِمْ دُمُوعًا ، وَأَغْرَى الْقَيْصَى بِالْحَيْنِ إِلَيْهِمْ وَرُوعًا ، وَأَسْقَطَ عَلَى
لِبَاسِهِمْ طُيُورَ السَّهَامِ وَقُوعًا ، وَهَدَّ الْبِلَادَ بِقَتْلَاهُمْ فَأَمَّنَ مَنْ خَافَ وَأَطْعَمَ مَنْ تَشَكَّى
جُوعًا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً تَعْمِدُ دُرْعَ الْفَجْرِ بِشَفَقِهَا الْخُلُقَ صُدُوعًا ،
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فإنه لا يستقيم نجاح الأمور ، ويستدام صلاح الجمهور ، إلا بتفقد أحوال
وكلاتهم ، وتمهد سلوك الرعايا مع رؤسائهم ، ورد مجموع كل عمل إلى من لا يبيت طرفة
في مصالحتهم مملوًا من الوسن ، ولا يقر له في التثقل في مهماتهم جواد في رسن ،
ولا تهبط سيوفه في الأعماد ما برقت بارقة قتن ، ولا يشرب الماء إلا مزوجًا بدم
ولا يبيت [إلا] على دين ، وكانت الديار المصرية المحروسة أحوج شيء إلى هذا
الموصوف ، وأكثر اضطرابا إلى ما تُشام له في صلاح رعاياها لواضع سيوف ، والوجه
القبيل بها هو الجامع ما يزيد على السبعة الأقاليم ، الحائز من أهل الحضرة والبادية
لكل ظاعن ومقيم ، قد امتد حتى لا ينتهي إلى آخر ، ولا ينتهي بما يكفنه من بر
مففر وبحر زانر ، قد جاور بالأودية العميقة الحوت في الماء وجاوره في السماء رفعة
الجبال ، وتطاول حتى اتصل طرفاه الجنوبي بالجنوب والشمالي بالشمال ، وحوث
تجاريه من النيل المبارك [ما] مد الرزق المتعد ، وأمد المد المبيض على عبثه تراها
المشودة ، وهو الوجه الذي تعرف في كثر نيله نصره النعيم ، ويهر حسنا من أول
قطرة تقع من مرآه الجليل على وسيم ، قد حال فيه الماء مجرأ كما نسا يشرب ندى ورد
الخلود ، وحلا كما ضرب الضرب في لمى ريقه المورود ، وكان لا ينهض بأعبائه ،
ويرد بالنيط متقرمة عيون رقبائه ، ويمنع كل منسّر منسّر يحذر أن يتعب وذيل^(١)
خيائه ، إلا من تفتت له درب يعلم في جليل الخطوب من مضايها السيئ

المُذْتَرَب، وَفَقْتَدَى فِي دَقِيقِ التَّلَطُّفِ بِسِيَاسَتِهَا الْقَلَمَ الْمُحَرَّبَ ؛ وَكَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي تَهَادَى كَفَايَتُهُ الْأَعْمَالُ، وَتَعَادَى نَفْعُهُ وَالسَّحْبُ فَلَا يَدْرَى لِمَنِ مِنْهُمَا التَّرْوَى وَلِمَنِ الْأَرْجَالُ ؛ وَقَدْ وَلَّى الْأَعْمَالُ الْبَهْسَاوِيَّةَ وَهِيَ فِي هَذَا الْوَجْهِ الْجَمِيلِ أَهْبَحُ صُورُهُ ، وَأَهْبَى فِيمَا تَكَثَّرَ مِنْافُهُ الْمَشْهُورَةِ ؛ فَاصْخَى الْمَغْلُ فِي بَيَادِرِهِ يَتْبَادِرُ ، وَالْإِقْبَالُ يَتَكَاثَرُ لِإِقْبَالِهِ وَالْمَحَلُّ يَتَنَازَرُ ، وَمُزْدَرَعَاتُهَا تُعْرِفُ سِمَاهَا فِي وَجُوهِهَا مِنْ أَثَرِ مُجْبُودِ اللَّيْلِ كَرَّرَعَ أَخْرَجَ شَطَاهُ فَاسْتَنَازَرُ ، فَاقْتَضَى حَسَنُ رَأْيِنَا الشَّرِيفُ أَنْ تُطَاقَ تَصَرُّفُهُ فِيمَا جَاوَرَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَأَنْ تَسْغَلَ لَهُ يَمِينًا بِالْيَمِينِ وَشِمَالًا بِالشَّمَالِ .

نَفْرَجُ الْأَمْرَ الشَّرِيفَ الْعَالِي - لَا زَالَ يُؤَيِّدُ عِزَّ الدِّينِ ظُهُورًا ، وَنُيْمٌ لَهُ فِي أَعْمَالِهِ نُورًا - أَنْ يَكُونَ فَلَانٌ كَاشِفًا وَوَالِي الْوَلَاةِ بِالْوَجْهِ الْقَبِيلِ بِأَجْمَعِهِ : مَعْطَلُهُ وَمُزْدَرَعُهُ ؛ وَبَرٍّ وَبَحِيرَةٍ ، وَعَامِرٍهِ وَقَفْرَةٍ ؛ وَأَهْلٍ حَضِرَةٍ وَبَادِرَةٍ ، وَأَصْحَابَ زَرْعِهِ وَمَاشِيَتِهِ ؛ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَقَاعِدَتِهِ فِي ذَلِكَ ، لِأَمْنِ الْمُقِيمِ وَالسَّالِكِ ؛ وَيَجْعَلُ عَلَى الطَّاعَةِ مِنْ قِبَلِهِ هُنَالِكَ ، وَيَنْتَظِمُ عَقْدُ عَقَائِدِهِمُ الْمُتَهَالِكِ ؛ وَيَقْوَى اللَّهُ أَجْرُهُ ، وَالشَّرْعُ الشَّرِيفُ يَكُونُ نَبِيهِ وَأَمْرُهُ ؛ وَالْحُكَامُ وَالْأَحْكَامُ هُمَا مَا هُمَا فَلْيَحْفَظْ زِمَامَهُمَا ، وَلْيَتَّقِ إِلَى الْأَغْرَاضِ سِمَاهُمَا ؛ وَلْيُوَصِّلِ الْحَقُوقَ إِلَى أَرْبَابِهَا ، وَيَسْهَلِ الْمَطَالِبَ عَلَى طُلَّابِهَا ؛ وَلْيُنْصِفْ لَانْصَافًا لَا يُسْكَنُ مَعَهُ حَيْفٌ ، وَلْيُقِيمِ الْمَهَابَةَ حَتَّى لَا يَقْدِرَ عَلَى التَّعْدَى طَارِقٌ طَئِيفٌ ؛ وَلْيَجَرِّدْ عِزَّتَهُ فَإِنَّ مِنَ الْعِزَاتِمِ مَا هُوَ أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ ، وَلْيُحْسِنِ قَرَى النَّيْلِ الْقَادِمِ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ فَإِنَّهُ ضَيْفٌ .

فَعَلَيْكَ بِمَا تَأْمُرُكَ بِهِ مِنْ تَعْمِةِ صُفُوفِ الْجُسُورِ لِأَمْدَادِهِ ، وَالْإِسْتِعْدَادِ لِحَزَرِ عَوَالِي صَوَارِيهِ وَتَجَرِّي جِيَادِهِ ؛ وَتَقَدَّرْ قَبْلَ قُدُومِهِ طَرِيقَهُ ، وَأَتْرُكْ عَنْ رَى الْبِلَادِ تَعْوِيقَهُ ؛ وَأَقِمِ الْجُسُورَ ، فَهِيَ قِيَامُ الْجُسُورِ ؛ وَأَحْضِرِ التَّرَاعُ فَإِنَّهَا تُرَاعَى ، وَأَسْفِرْ لَهُ

(١) لم نمر على هذا الجمع في كتب اللغة وإنما التربة ككثرة أفرادها وجمعا .

عن صرائس قُرأها المجلوة وجوهاً كلما قَسَنَ له إصبعاً قَيْسُ ذِرَاعاً ؛ وأَقَطَعَ بإيصال
 حَقِّ كُلِّ ناحيةٍ إليها من الماء مُنازعةً الخُصُومَ ، وَبَيَّهَمُ أَنَّ الماءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ لِكُلِّ منهم
 شَرْبٌ يَوْمٌ مَعْلُومٌ ؛ وَلَا تَدْعُ [به أحد] من أهل المَقَاسِدِ ، وَمِنْ حَرَّتْ لهم بسوايق الفَنَنِ
 عَوَائِدُ ؛ وَمَنْ يَتَعَزَّزُ رَبِّ جَاءَ ، وَمَنْ لَا يَكُونُ لَهُ إِلَى حَمايَةِ أَجْجَاهِ ؛ وَمَنْ خَرَجَ بِوَجْهِهِ
 لِلشَّرِّ مُصْرَحاً ، أَوْ لِبابِ عِقَابٍ مُسْتَفْتِحاً ؛ أَوْ وَقَفَ عَلَى دَرْبٍ أَوْ قَطَعَ طَرِيقَ ،
 أَوْ تَوَعَّدَ أَهْلَ رِفاقٍ أَوْ أَهْلَ قَرِيقٍ ؛ أَوْ أَفْلَحَ عَلَى ضَرَرٍ أَحَدٍ فِي نَفْسٍ أَوْ مَالٍ ،
 أَوْ خَشِيتَ لَهُ عَاقِبَةً فِي بَدَايَةِ أَوْسَالٍ ؛ أَوْ نَزَلَ فِي بَلَدٍ أَمِيرٌ لِيَتَغَطَّى بِمِجْنَانِهِ ، أَوْ رَأَى
 إِلَى عُصْبَةٍ يَجْمَلُ مِنْهُمْ حَدَّ سِلَاحِهِ ؛ فَسَلَّ عَلَيْهِمْ سَيْفَكَ الْمَاضِي ، وَأَحْسِنَ إِلَى النَّاسِ
 إِذَا خَشِيتَ أَنْ تُسَيِّءَ إِلَيْهِمُ التَّفَاضِي ؛ وَمَنْ أَمْسَكَتَهُ مِنْهُمْ فَأَمِضْ حَكَمَ اللَّهِ فِيهِمْ ،
 وَأَقِمِ الْحُدُودَ عَلَى مَنَاقِبِهِمْ ؛ وَطَهِّرِ الْأَرْضَ بِمَاءِ السَّيُوفِ مِنْ أَجْجَاسِهِمْ ، وَطَاقَ مِنْهُمْ
 أَنْاسًا يَجْمَلُ الْوَرِيدَ إِلَى مَدَارِجِ أَفْئَاسِهِمْ ؛ وَأَصْلُبْ مِنْهُمْ عَلَى الْجُدُوعِ مِنْ تَنَاقُجِ الرِّيحِ
 بِسَعْفَتِهِمْ ، وَأَوْثِقْ مِنْهُمْ بِالسَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ مِنْ لَاقِتَضِي جِرائِمِهِمْ لِإِيصَالِهِمْ فِي الْمَقَابِلَةِ
 إِلَى حَدِّ تَلَقُّهِمْ . وَأَكْرَمُ قُدُومٍ مِنْ يَرُدُّ عَلَيْكَ مِنَ الْكَارِمِ ، وَقَرُّ بِمُحْسِنٍ تَلْقَيْكَ أَنْكَ
 أَوَّلُ مَا قَدَّمْتَهُ لَهُمْ مِنَ الْمَكَارِمِ ؛ فَهَمُّ شُكْرٍ كُلِّ نَادِي ، وَرِفاقُ كُلِّ مَلَّاحٍ وَحَادِي ؛
 وَلَا يَدُّ أَنْ يَحْتَمِلَ السَّيَّارُ ، وَتُتَدَاوَلَ بَيْنَهُمُ الْإِسْتِمَارُ ؛ فَاجْعَلْ شُكْرَكَ دَابَّ السَّيْتِمِ ،
 وَمَنْنَا حِلْيَةَ أَعْنَاقِهِمْ ، وَمِنَحْنَا سَبِيلاً لِسَيْحِلَابِ رِفاقِهِمْ ؛ فَهَمُّ مِنْ مَوَادِّ الْإِرْفَاقِ ،
 وَجَوَادُّ مَا يَجْمَلُ مِنْ طُرُقِ الْإِتِّاقِ ؛ وَقَدْ بَقِيَ مِنْ بَقَايَا أَهْلِ الْعَقَائِدِ الْفَاسِدَةِ ، وَالْمَعَايِدِ
 الْبَائِثَةِ ؛ مَنْ يَتَعَيَّنُ إِعْصَادُ قَائِمِهِمْ ، وَالتَّيَقُّظُ لِنَيْقِظِهِمْ وَالنُّومُ عَنْ نَائِمِهِمْ . وَغِنَى نُفَيْكَ
 عَلَى هَذِهِ الدَّفَاقِ ، وَتَوْفِيقُكَ عَلَى أَطْرَافِهَا وَلَكَ رَأْيُكَ إِذَا حَقَّتْ الْحَقَائِقُ ؛ وَطَالِعُ
 أَبْوَابِنَا الْعَالِيَةِ بِمَا أَشْكَلَ عَلَيْكَ ، تُتَبَرَّلُ أَنْوَارُ هُدَانَا أَقْرَبَ مِنْ رَجْعِ نَفْسِكَ إِلَيْكَ ؛

(١) لعل حرف التثنية زيادة من ظم الناصخ .

وأَقْدَرُ حَقِّ هَذِهِ النِّعْمَةِ فَإِنَّا أَوْلَيْنَاكَ مِنْهَا مَا لَا يُضَاهِي، وَوَلَّيْنَاكَ مِنْ بِلَادِنَا قِبْلَةً تَرْضَاهَا، وَتَوَلَّيْنَاكَ حَيْثُ وَجَّهْتَ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَوَوَّعْتَ لَكَ أَرْوَاحَ الْجِبَالِ وَأَنْتَ فِي مَصْرٍ وَرَيْفِهَا الْعَامِ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَدِينُ مِنْكَ سَيِّفًا يَرُوعُ مَهْزُهُ، وَيُؤَيِّدُ بِكَ الدِّينَ فَإِنَّهُ بِكَ يَقُومُ جَاهُهُ وَيُدُومُ عِزُّهُ، وَالْإِعْتِدَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ .
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الوجه الثانى

(من وجهى الديار المصرية البحرى ، وهو الشمالى)

وَكُنَّا فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ يَخْصُونَهُ بِأَسْمِ الرَّيْفِ ، مِثْلَ اخْتِصَاصِ الْوَجْهِ الْقَبْلِيِّ بِالْمُعْبِدِ .
وَأَرْبَابُ الْوِلَايَاتِ فِيهِ عَلَى ضَرِيئَيْنِ :

الضرب الأول

(أرباب السيوف)

وَيَخْتَصُّ الْكَتَابُ مِنْهُمْ الْآنَ عَنِ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ بَنَائِبِ السُّلْطَنَةِ بِالْوَجْهِ الْبَحْرِىِّ ، وَمَقَرُّهُ مَدِينَةُ دَمَّهَوْرٍ مِنَ الْبُحَيْرَةِ . وَكَانَ فِي الزَّمَنِ الْمُتَقَدِّمِ يَكْتَفَى فِي الْبُحَيْرَةِ بِوَالِيهَا ، وَكَذَلِكَ فِي كُلِّ مِنْ سَائِرِ الْأَعْمَالِ بِالْوَجْهِ الْبَحْرِىِّ ، وَفَوْقَ الْكُلِّ وَلايَةُ عَامَّةٌ ، يَبْعُرُ عَنْ صَاحِبِهَا بِوَالِي الْوَلَاةِ ، وَدِمًّا [زَيْدٌ] بِالْوَجْهِ الْبَحْرِىِّ ، وَرُبَّمَا مَبْرُعُهُ بِالْكَاشَفِ . ثُمَّ اسْتَقَرَّتْ نِيَابَتُهُ فِي زُنْبَةِ تَقْدِيمَةِ الْعَسْكَرِ بَعْدَ فِي أَيَّامِ الظَّاهِرِ بِرَفُوقٍ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ فِي الْمَسَالِكِ وَالْمَمَالِكِ فِي الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ .

وهذه نسخة تقليد تصلح لنائب الوجه البحرى ، مما كان كتب به المقر الشهابى :
ابن فضل الله لوالى الولاية بها ، وهى :

الحمد لله الذى أقام بنا كاشفاً لكل شكوى، كاسفاً بآل كل عنوى، عارفاً بنهاية كل دعوى، عاطفاً ببدلنا إلى إزاحة كل لأوى، وإزالة كل بلوى .

نحمده وهو أهل الحمد والتقوى، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نأمن بها الدانية والقصوى، ونؤمن بها على السر والنجوى، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أشرف من مهد له جنة المأوى، وأشرف به على شرف المنوى، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين قطع بشرعته نفوسهم عما تنوى، وقطع فطنتهم عليها حتى لا تفصل ولا تنوى، صلاة تروى بفائضها السحب ما تروى، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد فإن من يحيا أيماناً أنت تكشف كل كرب، وتحيين إلى رطاب بلادنا إحساناً يتوخى كل ضرب، وتديم الأمن حتى لا تدع سوى النيل قاطع طريق أو خارجاً على درب، ويجرد من المهابة ميثاقاً يحمى من قربه، وطيفاً يبيت به طير الكرام متملاً على جنبه، وحقاً لبأبه من الخصائص المحمدية أنه يتقدم إلى قلوب الأعداء مسيرة شهر [جيش] رعيه؛ وكانت الديار المصرية المحروسة هى التى لا يجمد سواها ذو وجهين، ولا يوجد لها فى جانبها مائل فى شيتين؛ والوجه البحرى أوسعهما عرضاً، وأقربهما من الرى أرضاً، وأصدقهما للبارق المحمر ومضاً، وأجمعهما للذهب مذهب وللفضة إفضاً، وأثبتهما وطأة لجرى النيل إذا أقبل فى تياره يتدافع وأشتدت خيله ركضاً، وهو الوجه المتهلل بشراً، المتضوع بطيب رياحه نشراً، المترين بمدائه أكثر مما زينه فى مقاصيره قصير وفى مدائه كثر، المثنى بروس كل قرية زف بها النيل فى مسمى؛ وبه الثغور التى لا تنام لها بروق، والمحارس التى ما لعادية إليها طروق؛ وله من البحرين حارزان، ومن الحبائين بر مقفر وديف مقمر متبارزان؛ وفيه من الشعوب والقبائل فى الحضر والبادية من

(١) لا يُؤْمَنُ منه بآثره، ولا يُجَدُّ بغير ما يراق من دَمٍ مُفْسِدِهِمْ نَافِثُهُ . وكان لا يَقُومُ بها كلُّ القيام، ويجمعُ فرائدَها المشدَّرةَ في أَكْلِ نِظام؛ إلا من ثَقَلَتْ الأُمُورُ بقلْبِهِ كلُّ التقلب، وجَرَدَتْ التَّوْبُ عَزَمُهُ في التَّوَابِ بِجَرَدَتْ سِيفًا يُجَدُّ في التجريب؛ ولم يَزَلْ منذُ بَلَغَ الحُلُمَ أَمِيرًا مُطَاعًا، وَمُنْدُوبًا لَا يَفْرَقُ في المِهْمَاتِ إِذَا طَارَتْ نُفُوسُ الانْظَارِ شَعَاعًا، وَأَوْقَدَتْ الأَسِنَّةَ سَوَاعًا، وَهَمًّا لَوْ أَوْمَضَ البرقُ سَاعَةً يُؤَسِّسُهُ لَأَرْتَدَّتْ فَرَائِصُهُ زَمْعًا لَا إِزْمَاعًا، أَوْ قَابَلَهُ الرَّيْحُ الْمُعْتَدِلُ عِنْدَ أَحْكَامِهِ لِأَطْبَقَتْ الأُتَمُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَمَائِلُهُ فِي الْعَدَلِ قَطْعًا وَأَجْمَعَتْ عَلَى تَقْرِيدِهِ إِجْمَاعًا .

وكان فلان هو البليِّ هَمًّا، الجَزَلُ مداومةَ الجَزِيلِ دَيْمًا، المَلِيٌّ بما لَا يَقْدِرُ عَلَى مثلِ دفعِهِ البحرَ مُتَدَفِّقًا وَهَمُّ الغَلَامِ مُنْسَجِجًا؛ وَقَدْ حَمَدْنَا لَهُ فِي كُلِّ مَا بَاشَرَهُ أَثَرًا، وَأَتَمَّحْنَا بِجَمِيلٍ ملاحظته كلُّ بَرِّضٍ؛ فَبَاشَرِ الْوَجْهَ التَّيْلِيَّ فَلَا عَيْنَ النَّاطِرِ الْمُتَوَسِّمِ، وَحَمَّ شُرُورُهُ حَتَّى ظَامَرَهُ جَاوَرُهُ الْوَجْهَ الْبَحْرِيَّ بَيْنَانِهِ الْمُخْضَبِ وَضَاحِكِهِ بَشْفَرِهِ الْمُتَبَسِّمِ؛ فَلَمَّا تَنَقَّلَ فِيهِمَا أَسْتَقْرَارَ (؟) الْوَجْهَيْنِ وَمَا وَالَاهُمَا، وَعُرِفَ فِي وَجْهِهِ نَضْرَةُ النِّعَمِ بِمَا أَوْلَاهُمَا، وَأَخْضَبَ جَانِبَاهُمَا، وَجَدَّ بِهَذَا كُلَّهُ ثُمَّ جَدَّ بِهَذَا فُطَابِ الْوَادِيَانِ كِلَاهُمَا، فَاقْتَضَى حَسَنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ لَا يَحْلُوَ الْوَجْهَانِ مَعًا مِنْ نَظَرِهِ الْجَلِيِّ الْجَمِيلِ، وَأَنْ يَحْلُوَ عَلَيْهِ عَاسِمَتُهُمَا الْكَامِلَةُ لِیُفَارِقَ عَلَى وَجْهِ جَمِيلٍ وَيُوَادِلَ عَلَى وَجْهِ جَمِيلٍ .

نُفِرَجُ الْأَمْرَ الشَّرِيفَ - لِأَزَالِ يَخْتَارُ طَلِيًّا، وَيَخْتَالُ كُلُّ غَمٍّ يَرْتَضِي لَهُ وَلِيًّا - أَنْ يَكُونَ وَإِلَى الْوَلَاةِ بِالْوَجْهِ الْبَحْرِيَّ جَمِيعِهِ، مُتَفَرِّدًا بِأَفْرَادِهِ وَمُجْمُوعِهِ، وَصَحْبًا فِي قِيَادَتِهِ وَجُمُوعِهِ؛ وَبَعِيدِهِ وَقَرِيبِهِ، وَبَدِيعِهِ وَغَرِيبِهِ؛ وَكُلُّ مَا هُوَ دَاخِلٌ فِيهِ، عَائِدٌ إِلَى أَعْمَالِهِ وَرَاجِعٌ إِلَى مُتَوَلِيهِ، عَلَى عَادَةِ مَنْ هَتَمَ وَقَاعِدَتِهِ فِيمَا يَلِيهِ؛ وَهِيَ مَا يُدْرِكُ مِنَ الْأَعْمَالِ:

(١) لم يتقدم ما يعود إليه الضمير وان كان الفرض واضحاً .

(٢) غرقة ودعشا .

الغريبة ، الشرقية ، البحيثة ، المنوثة ، إيسار ، أشمون ، قلوب . ولا أمر
ولا نهى إلا إليه راجع ، وله في متجددات الأمور مراحج ، ولا أرباب تصرف
إلا وله عليهم تصرف ، ولا صاحب جد ولا حد إلا فيه يمتضى ويتوقف ، وتقوى
الله تعالى أول ما توحيه بسببها ، وتوصله إلى ربها ، وإقامة الشرع الشرف وإدامة
مبارزه وإعلاء مناره ، ومعاضدة حكمه وحكامه وأعوانه وأنصاره ، والوقوف معه
في إرياده وإصداره ، وإعلانه وإسراره ، والعمل به فإنه ما يضل من مشى في ضوه
نهاره ، وصارة البلاد ، بادامة العدل وتكيل الرى وتوطين السكّان ونعم الفساد ،
واعتقاد حكم التذاكر الشريفة لأمر الجرافيق التي تعمل ، والترح التي تراعى والجسور
التي لا يقدّم جسور على أنها تهمل ، فهما قانون الرى الكامل ، والضامن لحشب البر
السايل ، وإذا أجرى الله النيل على عاداته الجميلة لا يدع للعمل هنا حتى يوارى
بالرى سوته ، ويخفف بتيسر وصول حتى كل مكان إليه وطّاته ، ولا يدع غالبا
إلا مستغلا ، ولا معطلا إلا معتملا ، ولا طوق بحر إلا تمتد يد النيل إلى زرجوبه ،
ولا طائف رمل إلا يطوف طائف شرب على جرّاته وكثيبه ، حتى يعم الجميع ،
ويعمر ربوعها بما ينسجه لها من ملابس حلل الربيع . وعليه بالإنصاف بين
المساكين ، والإنصاف إلى الباكين منهم والمتباكين ، ووصل أمورهم على الحق
الذى نشر الله في آيائنا الزاهرة عظمه ، ومقتضى الشرع الشريف فإنه ما خاب من
أدام عليه حكمه وأدار إليه عمله . وأما أهل القصاد والأشبهاء ، ومن يحتج
بصاحب شوكة أو يتسك برّب جاه ، أو يتزل بلد أمير كبير مستظلا بذراه ، أو متجنا
من خوف أو مستطعا من قري قرأه ، بجميع هؤلاء نتج فرقتهم ورفاقهم ، وطهر
الأرض منهم وأمسح بالسيف أعناقهم ، وأبجم قتلهم ، وأقل بالقيود أسرارهم ،

وشدّد وفاقهم وكذلك من حَمَاهُم ووالاهم ، أو استحسنَ أو من عليهم أو مانع عنهم ،
أو قال ما هو منهم وهو منهم ، وكلُّ أجْرهم في الحكم مجْراهم ، وأطل تحت أطباق
الثرى نواهم ، وثَبَّه منهم أناسا على رُعوس الجدوع وأنهم آخِرِينَ نومة لا يَنْتَبِهون بها من
كرَاهم ، حتى يَنْتَاقِبَ بهم كُلُّ مَنْ أعرَضَ ، ويتداوى بمداواته كُلُّ مَنْ فِي قلبه مَرَضٌ .
وما أشكَلُ عليك فاسترشد فيه بمطالعة أبوابنا الشريفة : لتجد هدى واضحا ، وحقا
لائحا ، والله تعالى يجعلك من المهتدين لأرضه ، الثامنين في أنواع الجهاد بفرضه ،
والاعتماد على الخط الشريف أعلاه .

الجهة الثالثة

(درب الحجاز الشريف)

وقد تقدّم أنه كان في الزمن المتقدم يُكْتَب عن السلطان تقليدٌ لأمير الرُكْب
في الدولة الفاطمية وما تلاها . أما الآن فقد تَرَكَ ذلك ورُفِضَ كما رُفِضَ غيره من
الكتابة لأرباب السيف بالحضرة السلطانية ، ولم يبق الآن من يُكْتَب له من
ديوان الإنشاء شيء سوى قاضي الرُكْب . وقد جرت العادة أن يُكْتَب له توقيعٌ
في قطع العادة مفتتحا بـ «رسم» .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، كُتِبَ به للشيخ « تقي الدين السبكي » رحمه الله
في مبدأ أمره ، وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لا زال يُعِين على البر والتقوى ، ويرتاد لو قد الله من .
يتمسك في نشر الأحكام الشرعية بينهم بالسبل الأجود والسبب الأقوى - أن يستقر
فلان في كذا : لما اختص به من غزارة علومه ، وإفاضة فضائله المستوعبة إلى قوته

في الحق وتصميمه ؛ فإن مثله من يُختار لهذه الوظيفة الجارية بين وفد الله الذين هم
أحقّ براءة الذّم ، وأولى بمعرفة حكم الله تعالى فيما يجب على المتلبّس بالإحرام
والداخل إلى الحرم ، وأحوج إلى الاطلاع على جزاء الصيد فيما جزأ المتعزّض إليه
مثل ماقتل من النعم ؛ إلى غير ذلك من ثبوت الأهلّة التي ترتب أحكام الحجّ عليها ،
والحكم في محظورات الإحرام وما يجب على المتعزّض إليها ؛ فليباشر هذه الوظيفة
في الوقت المشار إليه على عادة من تقدّمه فيها ، مجتهداً في قواعدها التي هو أولى من
نَهَضَ بها وأحقّ من يُوفّيها .

قلت : أما شهود السبيل المعبر عنهم بشهود الحَمَل ، فإنما تكتب لهم مرّعات
شريفة من ديوان الوزارة .

تم الجزء الحادى عشر . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الثانى عشر

وأوله القسم الثانى

(مما يُكْتَب من الولايات عن الأبواب السلطانية - أرباب)

الوظائف بالممالك الشامية)

والحمد لله ربّ العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

وآله وصحبه والتّابعين ، وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل



(الطبعة الأولى ١٩١٧/٥٠٧٠)

Bibliotheca Alexandrina



0428753